



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir



سَخَائِجُ الشُّرَكَاءِ مُحَمَّدِيَّةٌ فِي الدَّرْوَعِ عَلَى مَسْأَلَةِ ابْنِ بَيْحَمَةَ

تأليف

عبد الرحمن بن محمد بن يحيى

المجلد الأول

إصدار
الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ
الطبعة الثانية: ١٤٢١ هـ
الطبعة الثالثة: ١٤٢٢ هـ
الطبعة الرابعة: ١٤٢٣ هـ

١٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج السنه المحمديه في الرد علي منهاج ابن التيميه

كاتب:

عبدالرحمن العقيلي

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
8	منهاج السنه المحمديه فى الرد على منهاج ابن التيميه المجلد 1
8	اشارة
8	هوية الكتاب
12	الإهداء
14	المقدمة
50	ترجمة العلامة الحلّى صاحب الكتاب الأصل: منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة
62	ترجمة الشيخ تقى الدين ابن تيمية صاحب كتاب (منهاج السنّة النبويّة فى الرد على الشيعة والقدرية)
68	منهاج السنّة الأمويّة فى ضوء منهاج السنّة المحمديّة
95	الشيعة والشيعة
129	من الشيعة الى ابن تيمية
141	ابن تيمية.. والتوت الشامى.. والعدد عشرة!
143	ابن تيمية وسرداب سامرا!
145	الشيعة وفرية تعظيم أبى لؤلؤة الفيروزى
149	ابن تيمية والإمامة
162	صاحب الزمان (عجل الله فرجه) والتكليف بما لا يطاق
173	النزاع فى الإمامة.. ومسؤولية على عليه السلام ؟
175	الأولياء... وأولوا الأمر
186	ابن تيمية والنصّ على على عليه السلام
227	ابن تيمية... وآيات الثناء على الصحابة
254	ابن تيمية وآية التصدّق بالخاتم
296	العباد الذين اصطفى الله... هم الصحابة
318	المنافقون فى زمان النبى... مغمورون مقهورون!

- 326 على عليه السلام... كان ظالماً طالباً للدنيا!!
- 332 على عليه السلام... منافق في الباطن! ..
- 334 ابن تيمية... والرجوع للشيعة وفرقهم ..
- 338 ليس في أئمة الفقه ولا الحديث ولا الزهد... رافضياً ..
- 342 بناء المساجد على القبور... وشركيات الشيعة! ..
- 362 بين طاعة الأئمة عليهم السلام.. وطاعة بني أمية ..
- 369 نصف الأمة وأكثر لم يبايع علياً عليه السلام! ..
- 379 الظهور بالسنان واللسان... هو نصر الله في الدنيا! ..
- 384 علمُ أهل البيت كعلم أمثالهم.. عند ابن تيمية ..
- 394 الشيعة.. وشهادة الزور.. وحرمة أكل لحم الجمال! ..
- 401 هل تسمى الشيعة بأسماء كلبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ..
- 404 ابن تيمية: أقوال علي المتناقضة أكثر من عمر! ..
- 410 حديث علي مع الحق... كذب عند ابن تيمية ..
- 413 النبي... عتب علي علي ولم يعتب علي عثمان ..
- 417 كذب أبو السنابل.. أم...! ..
- 418 حديث: يا فاطمة إن الله بغضب لغضبك.. كذب! ..
- 420 ابن تيمية: علي راب النبي وآذاه! ..
- 424 النصّ علي أبي بكر أقوى من النصّ علي عليه السلام ..
- 427 جيش أسامة... وأبو بكر وعمر ..
- 432 عمر هو الفاروق.. ولم يكن علياً كذلك ..
- 437 إمامنا وصحابتنا وإمامنا علي... ولا طريق ثالث! ..
- 450 إمامنا عثمان والحسين.. وإمامنا لا أحد! ..
- 457 عثمان لم يشهر في الأمة سيفاً ولا قاتل علي ولايته أحداً ..
- 464 ابن تيمية.. وترهات وأباطيل ينسبها للشيعة ..
- 469 ما فعله علي أعظم مما فعله طلحة والزبير مع عائشة ..

- 478 ليس فى المسلمين كلهم من قال إن فاطمة مظلومة!
- 481 على لم يقتل من قريش أحداً!
- 486 عمر وعداوة الكفار له!
- 492 معاوية خير من محمد بن أبى بكر .
- 499 ليس للشيعه دليل على إيمان على عليه السلام وإمامته
- 503 ابن تيمية يعود للمغالطات كلما أعوزته النصوص
- 507 ابن تيمية: ليس فى الصحاح ما يدل على خلافة على
- 511 أتروا لنا معاوية ونترك لكم علياً!
- 513 الخلفاء ثلاثة فقط ، لكن علياً أيضاً خليفة!!
- 518 معاوية لم يؤذ النبى قبل الإسلام
- 520 ابن تيمية: على هو من بدأ قتال معاوية .
- 526 ابن تيمية: ما نثم على على أكبر مما نثم على عثمان
- 528 لا فرق بين قتال على وقتال معاوية
- 530 ابن تيمية: لا تحمّلوا معاوية مسؤولية اللعن فهو حصل من الطائفتين!
- 532 على قتل بعض الكفار مثل غيره
- 535 على استحل دماء المسلمين!
- 538 القتال فى الجمل وصفين قتال فتنة ليس فيه أمر من الله ورسوله!
- 545 ابن تيمية: قاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسين
- 547 القادحون فى على غير مرتدّين بخلاف القادحين بالثلاثة!
- 556 المحتويات
- 560 تعريف مركز

منهاج السنة المحمدية في الرد على منهاج ابن التيمية المجلد 1

إشارة

سرشناسه: عقيلى، عبدالرحمن

عنوان قراردادى: منهاج السنة المحمدية في الرد على منهاج ابن التيمية . عربى

عنوان و نام پديدآور: منهاج السنة المحمدية في الرد على منهاج ابن التيمية [كتاب] / تاليف عبدالرحمن عقيلى

مشخصات نشر: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية

محل نشر: كربلاى معلى - عراق 1435

مشخصات ظاهرى: 2ج.

وضيعة فهرست نويسى: فاىا

موضوع: شبهات - امامت

موضوع: عصمت امام - شيعه - اثبات خلافت

ص: 1

هوية الكتاب

العقيلي، عبدالرحمن

منهاج السنة المحمدية في الرد على منهاج ابن تيمية/تأليف عبدالرحمن العقيلي؛ [المقدمة العلمية، محمدعلي الحلوا]. - الطبعة الأولى.
- كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، 1435 ق. 2014 م.

2 ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ 142).

المصادر.

1. الشيعة - شبهات وردود. 2. ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، 661-728 هـ. - منهاج السنة - شبهات وردود. 3. عقائد الشيعة - دفع مطاعن. 4. علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 ق. هـ -- 40 هـ. - اثبات خلافة. 5. احاديث أهل السنة - شبهات وردود. 6. أهل البيت عليهم السلام - دفع مطاعن. 7. الامامة عند الشيعة - دفع مطاعن. ألف. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، 661-728 هـ. - منهاج السنة. شبهات وردود. ب. الحلوا، محمدعلي، 1957 -، مقدم. ج. العنوان. د. العنوان. منهاج السنة. شبهات وردود.

BP 212.5.A 757 M 36 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1435 هـ -- 2014 م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

www.imamhussain - lib.com

E - mail: info @ imamhussain - lib.com

الإهداء

الى الرحمة المهداة... رسول الإنسانية

ص:5

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء: 65.

(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا) الكهف: 29.

(وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) الكهف 57

العلامة الحلبي لابن تيمية:

لو كنت تعلم كل ما علم الوري طرا لصرت صديق كل العالم

لكن جهلت، فقلت: ان جميع من يهوى خلاف هواك ليس بعالم(1)

ص:6

1- (1) ينسب هذان البيتان للعلامة الحلبي الذي ألف كتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) فرد عليه ابن تيمية بكتاب (منهاج الاعتدال) والذي سُمي فيما بعد (منهاج السنة النبوية) وذلك عند تصفح العلامة لكتاب ابن تيمية.

الحمد لله مكا يستحقه والصلاة والسلام على خير الورى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المرتضى وصيّه وأخيه وعلى بضعته الزهراء، وعلى ولديه الحسنين الشهيدين، وعلى التسعة من ولد الحسين عليهم السلام أجمعين.

وبعد، فالاختلاف بين البشر وُجد من حيث وُجد العنصر البشرى نفسه، فكونه ذكراً وأنثى اختلاف، وكونه عالماً وجاهلاً اختلاف، وكونه كبيراً وصغيراً اختلاف، وكونه صاحب أمانة او غير ذلك اختلاف. وهكذا دواليك.

وكتابتنا هنا عن مجموعة نصوص لنموذج من البشر شاء أن لا يترك الحياة بدون أثر يحفره فى ساعات عصره ومن بعدها الى يومنا هذا، بل والى ما شاء الله، ذلك هو: أحمد بن عبد الحلیم، الملقب بتقىّ الدين ابن تيمية الحرّانى.

الرجل الذى خاصم أغلب أهل زمانه ولكنّه تفرّد بكرهه للشيعة وموافقه الحادة منهم واشتهر بتنقّصه لأهل البيت عليهم السلام، وبموقفه من أمير المؤمنين عليه السلام خاصة (1).

ص:7

1- (1) الذى يظهر من تتبع كلمات السلفيّين يجد أنّهم يطبقون مبدأ سب الصحابة على من تنقص

وصفات هذا الرجل لم تختلف عن صفات سلفه من الشاميين وبالأخص الحمصيين والدمشقيين والذين اشتهروا بالنصب(1) حتى كان منهم من يعمل الأوراد في ذلك فيسب أمير المؤمنين عليه السلام سبعين مرة صباحاً وسبعين مرة مساءً(2)! فوليد هذا المجتمع الذي اشتهر بالنصب يمكن ان يؤثر ويتأثر بالتبادل السلبي بين الفرد والمجتمع الذي اشتهر بالنصب يمكن ان يؤثر ويتأثر بالتبادل السلبي بين الفرد والمجتمع المحيط به فيؤثر ويتأثر و (ثمة تساؤل مهم طالما يطرحه البحث الاجتماعي ألا وهو ملاحظة الصلة بين المجتمع والفرد من حيث انعكاس احدهما على الآخر حيث تتفاوت نظرة علماء الاجتماع في تحديد ذلك أي هل أن المجتمع

ص:8

-
- 1- (1) نقل عن ابن حجر قوله في ابن تيمية «وخطأ أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه في سبعة عشر موضعاً خالف نص الكتاب. ونسبوه إلى النفاق لقوله هذا في علي كرم الله وجهه» التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني - جماعة من العلماء - ص 34.
- 2- (2) راجع ترجمة أزهر الحرازي، وحريز بن عثمان وباقي الشاميين في كتاب (معجم نواصب المحدث) للمؤلف.

يفرض هيمنته على الفرد أم العكس أم يتبادلان التأثير بينهما(1).

والنصب دين ظهر مع ظهور الإسلام له تقاليده الخاصة ولكن عباداته هي عبادات الإسلام نفسها! فترى الناصبي خاشعاً في صلاته مجتهداً في صيامه محتاطاً في أحكامه إلا من بغض أهل البيت فهو عنده دين يتدين به وكيف يجمعون بين الطاعات الظاهرة وبين بغضهم لمن كانت مودة أهل بيته أجراً لرسالته(2) (فالمواظبة على الطاعات الظاهرة لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومة كالكبر والحسد والرياء، وطلب الرياسة والعلو وإرادة السوء للأقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد وفي العباد، وإى فائدة في تزيين الظواهر من اهمال البواطن. ومثل من يواظب على الطاعات الظاهرة ويترك تفقد قلبه كبر الحش ظاهرها حص وياطنها نتن).

وقصة النصب في بلاد الشام لا تنتهي فالشام منذ فتحت أعينها على الإسلام كان من قدرها أن ترى بنى أمية! فكان يزيد بن أبى سفيان من الفاحين ثم والياً على فلسطين والأردن ولما توفى أقر عمر معاوية على ولاية أخيه وجمع له الشام ومن ثم أقره عثمان على ما فى يده، فكان الشام أمويًا لأكثر من عشرين سنة، ثم بقى خمس سنوات فى ملك معاوية بعد مقتل عثمان والى استشهد أمير المؤمنين عليه السلام الى أن تسمى معاوية بالخلافة والملك فبقى عشرين سنة حتى هلاكه فى العام الستين للهجرة فشاب الكهل ودرج الصغير على حب بنى أمية،

ص:9

1- (1) علم الاجتماع فى ضوء المنهج الاسلامى - محمود البستاني - قم - نشر محدث 1382 هـ -- ص 71.

2- (2) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - انتشارات دار التفسير 1417 هـ -- ج 1 - ص 36-37.

وعلى أنهم هم الإسلام، والإسلام هم، وذلك لما يقرب من مئة عشرين عاماً اصطبغت فيها عقيدتهم بالبدع الأموية فلم يفقهوا غيرها وكان دور أئمة الضلال بارزاً في نصرة الحاكم الأموي، وفيه ظهرت أول مظاهر الحلف الطفيلي بين الأمراء والفقهاء بشكل جلي. فتجد فقهاء السلطان يفتون بلا وازع من ضمير أو خوف من معاد بكل ما يرضى السلطان، فكان منهم مشاهير في النصب والبغض منهم: رجاء بن حياة وأزهر الحرازي وحريز بن عثمان ومحارب بن دثار ولمازة بن زيار وغيرهم كثير تقصينا أسماءهم وبعض أخبارهم في مكان آخر. فكان الحاكم يحافظ على سياسة (التجهيل الهادف) والذي عزل الشام عن غيرها من الأقاليم الإسلامية، وذلك بهدف منع اختلاط أهل الشام بأهل العراق مثلاً لئلا يسمعوهم عن أهل البيت ويتحسسوا منهم التشيع! فنشأوا على هذا ومثل كل فرد يحسب الشامي أنه نشأ حراً في معتقده له أن يتركه ان ثبت ان الحق في خلافه (فالإنسان يتصور انه حر في تكفيره لأنه لا يشعر بأن ثمة عوامل كانت قد أثرت فيه ووجهت تفكيره وأثرت في اتخاذ مواقفه من الآخرين، ولا تقيده في ذلك الأدلة العقلية والنقلية، فالعقل البشري مغلف بغلاف سميك لا تنفذ إليه الأدلة والبراهين إلا من خلال نطاق ضيق ومحدود وهذا النطاق مؤلف من البيئة التي ينشأ عليها الإنسان في الغالب)(1).

وهذا ما نشأ عليه الشاميون وذاع في البلاد غلوهم في معاوية حتى اخترعوا له الأكاذيب من فضائل وكرامات لا أصل لها! حتى امتحن بذلك بعض المعتدلين.. مثل النسائي!

ص:10

1- (1) على الوردى - شخصيته ومنهجه وأفكاره الاجتماعية - إبراهيم الحيدري - منشورات الجمل 2006 م - ص 172.

قال ابن خلكان(1) في ترجمة المحدث عبدالرحمن النسائي (قال محمد بن اسحاق الاصبهاني سمعت مشايخنا بمصر يقولون ان أبا عبدالرحمن فارق مصر في آخر عمره، وخرج الى دمشق فسئل عن معاوية وما روى من فضائله، فقال: أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل؟! وفي رواية أخرى: ما أعرف له فضيلة إلا (لا أشبع الله بطنك) وكان يتشيع فما زالوا يدفعون في حضنه حتى أخرجوه من المسجد، وفي رواية أخرى يدفعون في خصييه وداسوه ثم حمل الى الرملة فمات بها، وقال الحافظ الحسن الدار قطني: لما امتحن النسائي بدمشق، قال: احملوني الى مكة فحمل إليها فتوفى بها وهو مدفون بين الصفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان من سنة ثلاث وثلاثمائة وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني: لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول، قال: وكان قد صنّف كتاب الخصائص في فضل علي بن أبي طالب رضی الله عنه وأهل البيت وأكثر من رواياته فيه عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقيل له ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة رضی الله عنهم؟ فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي رضی الله عنه كثير فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب).

فهؤلاء الجفافة لم يحتملوا أن يكون النسائي قد ألف كتاباً في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام فأرادوا كتاباً في خصائص معاوية(2)!

لذا فلا تعجب عندما ينقل المؤرخون قصصاً أشبه بالخيال حول ما وجدته

ص:11

1- (1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - ج 1 - ص 77-78.

2- (2) ليس غريباً أن يؤلف ابن تيمية كتاباً باسم «قاعدة في فضل معاوية»!! جاء ذلك في كتاب «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» وجاء بعده بقرون الشيخ الشنقيطي السلفي ليؤلف كتاب «الاحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان»!.

العباسيون من جهل أهل الشام، وحبّهم لبني أمية، فقد ذكر بعضهم أن عبد الله بن علي العباسي أنفذ الى ابن أخيه السفاح في الكوفة مشيخة من أهل الشام (يطرفه بعقولهم واعتقادهم وأنهم حلفوا أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرابة يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم) (1).

ومن ذلك أن أهل الشام كانوا يحتفلون بقدوم الخوارج عليهم عندما رأوا الإمام السجاد وعقيلات بني هاشم حتى قيل لبعضهم أنهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم! روى ابن كثير (2) عن السدي: لما جرى على بن الحسين رضي الله عنه أسيراً فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال أقرأت آل حم؟ قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال ما قرأت (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الْمَوْدَّةُ فِي الْقُرْبَى) (الشورى: من الآية 23)؟ قال: وانكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

وكانت رواية الحديث في الشام تروى روايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هند بنت عتبة! وعتبة بن ربيعة (وقد مات كافراً بسيف بني هاشم في بدر!) نقل الزبير بن بكار (3)(4) عن أحد المحدثين (قدم رجل من الشام من آل أبي صفرة،

ص: 12

1- (1) وفيات الأعيان - ابن خلّكان - ج 6 ص 101.

2- (2) تفسير ابن كثير - ابن كثير - ج 4 - ص 121.

3- (3) قال الخطيب البغدادي «الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد، أبو عبد الله الأسدي المدني العلامة... وكان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب، عارفاً بأخبار المتقدمين، ومآثر الماضين، وله الكتاب المصنف في نسب قريش وأخبارهم. ولى القضاء بمكة، وورد بغداد وحدث بها» تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - ج 8 - ص 468-469.

4- (4) الموقّيات - الزبير بن بكار - ص 322.

فكان يحدث عن عتبة بن ربيعة وهند ابنة ربيعة وأبي سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان الى أن قال لى رجل ما تقول كذا؟ فقلت: قال ابن سيرين كذا. وقال: وسألنى آخر فقال: ما تقول فى كذا؟ فقلت: قال الحسن... فتعرضوا إلىّ وتركوه فقال: الا تعجب من هؤلاء؟ أحدثهم عن هند وأبى هند وزوج هند وهذا يحدثهم عن عجلين من أهل ميسان فيقومون إلية ويتركون!!).

وهكذا فعند أهل الشام تروى الأحاديث عن هند ويؤخذ عنها نصف الدين الأموى!

وكانت سياسة السلطان الأموى العاشم ومن ورائه فقهاء الضلالة عدم ذكر أهل البيت، وعلى رأسهم على بن أبى طالب عليه السلام فى أى فرع من فروع الدين بل ونسبة ما لأهل البيت لغيرهم! نقل ابو الفرج الاصفهانى عن المدائنى قوله: اخبرنى ابن شهاب بن عبد الله الزهرى قال: قال لى خالد القسرى: اكتب لى السيرة فقلت له: فإنه يمر بى الشىء من سير على بن أبى طالب فاذكره؟ قال: لا إلا أن تراه فى الجحيم!⁽¹⁾

ولما كان الزهرى هو حامل فقه السلطة الأموية فى زمانه، أو كلوا له كتابة السنة بعد أن كتب السيرة! فنراه يقول (أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل أرض عليها سلطان دفترًا)⁽²⁾.

(من هنا كان تدوين السنة أحادى المصدر والاتجاه مقتصرًا على المصدر والاتجاه الذى نصره الأمويون فى مطلع حكومتهم ثم عززوه متناً وسنداً فى

ص: 13

1- (1) الأغانى - أبو الفرج الأصفهانى - ج 22 - ص 21.

2- (2) جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر - ص 92.

مشروعهم الخطير.. وطوّقوا المصدر الآخر الذى حابوه فى صفين وفى كربلاء، فاتهموا متونه ورجاله كل ذلك قبل أن يولد عمر بن عبد العزيز، فكانت جهوده المخلصة من حيث يدري ولا يدري هى ثمرات ما زرعه معاوية!(1).

أضف الى ذلك أنهم كانوا يقتلون حتى من يتسمى باسم على عليه السلام، فضلاً عن يروى عنه أو يروى له فضائله، حتى يمحووا من ذاكرة الأمة أى شىء قد يذكر بعلى بن أبى طالب لذا فمن سماه أبو باسم (على) كان يسعى لإخفائه أو تغييره حتى ينجو من العقاب والتهمة! قال ابن حجر(2) (قال الليث قال على بن رباح: لا أجعل فى حل من سمانى علياً، فإن اسمى على، وقال المرقى كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه على قتلوه فبلغ ذلك رباحاً فقال هو على وكان (على) يغضب من على ويحرج على من سماه به).

حتى قال الامام الباقر فى ذلك(3) (لم نزل اهل البيت منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نذل ونقصى ونحرم ونقتل ونطرد، ووجد الكذابون لكذبهم موضعاً يتقربون الى أوليائهم وقضاتهم وعمالهم فى كل بلدة، يحدثون عدونا وولاتهم الماضين بالأحاديث الكاذبة الباطلة، ويحدثون ويروون عنا ما لم نقل، تهجيننا منهم لنا، وكذبا منهم علينا، وتقرباً إلى وولاتهم وقضاتهم بالزور والكذب، وكان عظم ذلك وكثرته فى زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام... وربما رأيت الرجل يذكر بالخير ولعله يكون ورعاً صدوقاً، يحدث

ص:14

-
- 1- (1) تاريخ الإسلام الثقافى والسياسى - صائب عبد الحميد - ص 705.
 - 2- (2) تهذيب التهذيب - ابن حجر - ج 7 - ص 281 / سير أعلام النبلاء - الذهبى - ج 5 - ص 102 / تهذيب الكمال - المزى - ج 20 - ص 429.
 - 3- (3) بحار الأنوار - العلامة المجلسى - ج 2 - ص 218.

بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد مضى من الولاة، لم يخلق الله منها شيئاً قط، وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد سمعها منه ممن لا يعرف بكذب ولا بقلّة ورع، ويروون عن علي عليه السلام أشياء قبيحة، وعن الحسن والحسين عليهما السلام ما يعلم الله أنهم رووا في ذلك الباطل والكذب والزور).

ومن ذلك محو ذكر علي في الثقافة الإسلامية فأى شيء من حكم وخطب وآداب ومآثر وغير ينسبها الناس لعلي عليه السلام يجب أن تمنع أو أن تتسب لغيره(1)، قال ابن أبي الحديد(2) في قصة كتاب علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر والذي حوى الآداب والفضائل مما يندر أن تجد في كتاب آخر، ما عدا كتابه لمالك الاشر(3) (قال إبراهيم بن سعد الثقفي: فحدثني عبد الله بن محمد بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف، عن أصحابه أن علياً لما كتب الي محمد بن ابى بكر هذا الكتاب، كان ينظر فيه ويتأدب بأدبه، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله، أخذ كتبه أجمع، فبعث بها الي معاوية، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب

ص:15

1- (1) ومن ذلك ما نسبه محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) الي ان الذي قتل عمرو بن ود العامري في الخندق كان محمد بن مسلمة وليس الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام! وقولهم ان من ولد في جوف الكعبة هو حُكيم بن حزام وليس الإمام علي بن ابى طالب عليه السلام!

2- (2) قال الصفدى في الوافى بالوفيات - ج 18 - ص 46: «عز الدين ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد ابن أبي الحديد عز الدين أبو حامد المدائنى المعتزلى الفقيه الشاعر أخو موفق الدين ولد سنة ست وثمانين وخمس مائة وتوفى سنة خمس وخمسين وست مائة وهو معدود فى أعيان الشعراء وله ديوان مشهور روى عنه الدمياطى» وقال الذهبى عنه وعن اخيه الموفق «وكانا من كبار الفضلاء وأرباب الكلام والنظم والنثر والبلاغة، والموفق أحسنهما عقيدة، فإن العز معتزلى، أجارنا الله!» سير أعلام النبلاء - الذهبى - ج 23 - ص 274-275.

3- (3) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 6 - ص 72.

منه، فقال الوليد بن عقبة، وهو عند معاوية، وقد رأى إعجابه به: «بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية: مه، لا رأى لك! فقال الوليد: أفمن رأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها! قال معاوية: ويحك! أتأمرني أن أحرق علما مثل هذا! والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم فقال الوليد: ان كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقائله؟! فقال: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه. ثم سكت هنيهة، ثم نظر الى جلسائه فقال: إنا لا نقول: إن هذه من كتب على بن أبي طالب عليه السلام، ولكن تقول هذه من كتب على بكر الصديق، كانت عند ابنه محمد فنحن ننظر فيها، ونأخذ منها. قال: فلم تزل تكلم الكتب في خزائن بنى محمد فنحن ننظر فيها، ونأخذ منها. قال: فلم تزل تكلم الكتب في خزائن بنى أمية حتى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذى أظهر أنها من أحاديث على بن أبي طالب عليه السلام).

لذا قام المؤرخون الذين يقتاتون السحت بحذف كل ما من شأنه أن يكون حجة على الإسلام الأموى وبأعداد مختلفة منها:

(أشياء بعضها يشنع الحديث به) (1) أو (بعض يسوء بعض الناس ذكره) (2) أو (وبعض لم يقرّ لنا فلان بروايته) (3) وبعضها (مما لا يحتمل سماعها العامة) (4).

نقل النووى عن المازرى بعد نقل ألفاظ حديث مدعى لخلاف بين العباس وعلى عليه السلام (لكننا مأمورون بحسن الظن بالصحابة رضى الله عنهم أجمعين

ص: 16

-
- 1- (1) موسوعة التاريخ الإسلامى - محمد هادى اليوسفى - ج 1 - ص 20.
 - 2- (2) موسوعة التاريخ الإسلامى - محمد هادى اليوسفى - ج 1 - ص 20.
 - 3- (3) موسوعة التاريخ الإسلامى - محمد هادى اليوسفى - ج 1 - ص 20.
 - 4- (4) تاريخ الطبرى - الطبرى - ج 3 - ص 557.

ونفى كل رذيلة عنهم وإذا انسدت طرق تأويلها نسبنا الكذب الى روايتها قال: وقد حمل هذا المعنى بعض الناس على أن أزال هذا اللفظ من نسخته تورعاً عن اثبات مثل هذا(1) فهم يزورون النسخ تورعاً عن نقل خلاف بين الصحابة! وقد قال ابن حجر فى الرواية نفسها (وكان الزهرى كان يحدث به تارة فيصرح وتارة فيكنى وكذلك مالك وقد حذف ذلك فى رواية بشر بن عمر عنه عند الإسماعيلى وغيره وهو نظير ما سبق من قول العباس لعلى وهذه الزيادة من رواية عمر عن أبى بكر حذف من رواية اسحق الفروى شيخ البخارى)(2).

ويقول ابن الأثير فى أسباب قتل عثمان (ذكرنا سبب مسير الناس الى قتل عثمان وقد تركنا كثيراً من الاسباب التى جعلها الناس ذريعة الى قتله لعل دعوت الى ذلك)(3) فما هذه العلل!؟

ومنها قلب الحقائق لصالح خصوم أهل البيت عليهم السلام، حتى بعض الحقائق المتفق عليها عند كبار المؤرخين وجدت من يرويها من مؤرخى الهوى الأموى كقصّة مهاجرى الحبشة ومن تكلم عنهم مع وفد قريش، والمتفق عليه انه جعفر بن ابى طالب لكننا نجد من يقول: «إنما كان يكلم النجاشى عثمان بن عفان رضى الله عنه»(4). وقد عقب ابن إسحاق على هذه الرواية الشاذة بقوله: «وليس كذلك إنما كان يكلمه جعفر بن ابى طالب»(5).

ص: 17

-
- 1- (1) شرح مسلم - النووى - ج 12 - ص 72.
 - 2- (2) فتح البارى - ابن حجر - ج 6 - ص 144.
 - 3- (3) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 3 - ص 167.
 - 4- (4) تاريخ الإسلام - الذهبى - ج 1 - ص 195.
 - 5- (5) سيرة ابن اسحاق - ص 218.

وقد نجحت سياسة الأمويين عند بعض الأمة وأنتجت الجهل الممنهج(1) في رؤوس الأعراب الجفاة غلاظ الطبع! فما زلت إلى الآن تجد من يقوم بقراءة التاريخ بغلظة غريبة يتحجر معها العقل عن أداء دوره!

يقول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وهو من أعلام السلفيين «وعلى الدعاة أن يعلموا أن ما دار بين الصحابة من حروب كعلى رضى الله عنه ومعاوية فى وقعة صفين وعائشة فى وقعة الجمل وغير ذلك، فمعتقد أهل السنة والجماعة أن هذه الحروب ليس الصحابة طرفا فيها، فالصحابه وجدوا أنفسهم يتقاتلون وهم لا يشعرون»(2)

وهكذا ببساطة، يحكم على حروب سقط فيها أكثر من سبعين ألف مسلم

ص: 18

1- (1) فى سبعينيات القرن العشرين دفعت اميركا الدمى التى تحكم فى السعودية الى مواجهة الحركة الشيوعية، وطبعا ألبسوا ذلك لباس الدين فأرسلت السعودية (الدعاة) الى كل مناطق أفريقيا وآسيا لمواجهة الاتحاد السوفيتى بالوكالة عن أميركا، ومنهم أحد كبار علمائها المسمى محمد أمان بن على الجامى الذى عاد من سفرته الى إثيوبيا ليقول فى كتاب له «إن شعب أورومو الذى قد جرب أنواع الأساليب التى يستخدمها أعداء الإسلام من صليبية حاقدة وماركسية ماكرة، سوف لا ينخدع بعد اليوم بأى أسلوب إذ "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"، وهو شعب اكتسب دربة وخبرة من طول مدة الصراع بينه وبين الصليبية التى حاولت أن تقول أو قالت: لا وجود للإسلام فى إثيوبيا، متجاهلة أن عدد المسلمين يمثل 75% من سكان الحبشة، ومتجاهلة تاريخ دخول الإسلام للحبشة، وأنه سبق المسيحية إلى المنطقة» ماذا تعرف عن شعب أورومو - محمد أمان بن على الجامى - ص 414/والرجل كشف عن جهله بتاريخ المنطقة بل بتاريخ الإسلام فالمسلمون بهجرتهم الى الحبشة وجدوا مملكة نصرانية قوية تعيش منذ عدة قرون فى الحبشة فكيف وصل الإسلام الى الحبشة قبل النصرانية؟! ثم مع هذا يسمى كتابه: ماذا تعرف عن شعب أورومو!

2- (2) الأصول الشرعية عند حلول الشبهات - صالح آل الشيخ - ص 18.

قتلى، وعشرات الألوف مقطعة أطرافهم وترملت ألوف النساء، ويّتم مئات الألوف من الأطفال، هكذا حروب مدمّرة وجد الصحابة أنفسهم فيها من حيث لا يشعرون!! وهم قادته ومن جمع الجموع وجيوش الجيوش، فمن يعقل ذلك؟!!

وهذه سياسة أمويّة درج عليها أئمة الضلال، لكون النتيجة الشرعية الطبيعية هي أن ينظر المسلم لمن تسبّب بهذه الحروب بغير حق نظرة باغ خارج على إمام الحق، أو ناكث شاء في لحظة طموح للسلطة أن يشعل حربا شعواء لنيل دنيا، فكانت إرادة الأمويين المدججة بالجاه والمال والرعب أن يُنظر الى كل من دخل الفتنة بأنهم أصحاب حق، خرجوا طلباً بدم عثمان ووجدوا أنفسهم في الحرب كرهاً، بفعل أتباع عبد الله بن سبأ الرافضي!

فهؤلاء السبئية هم من رمى السهام على جيش عائشة من جهة وعلى جيش علي عليه السلام من جهة أخرى ليلتحم الجيشان ويحصل ما حصل!

وكذلك في صفين كان علي عليه السلام ضحيّة بطانته الشريرة على رأى هؤلاء، وبين طيّات السنين اندثرت حقائق كثيرة حلّت محلها أقوال لرجال وأكاذيب وتّهات يعف عن سماعها العاقل ويصدقها الجافي، قال ابن أبي الحديد(1) «روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني(2) في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى

ص:19

1- (1) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 11 - ص 44-46.

2- (2) قال الذهبي في ترجمة المدائني «العلامة الحافظ الصادق أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الاخبارى. نزل بغداد، وصنف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله، عالي الاسناد». سير أعلام النبلاء - الذهبي - ج 10 - ص 400-401.

شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر يلعنون علياً(1) ويبرأون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون(2) وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً.

ص:20

-
- 1- (1) كان بعضهم لا يستحي من الاعتراف، يقول ابن الأشعث «سمعت أبا داود يقول: كان ابن أبي ليلى يقرئ في المسجد وعمار بن رزيق يقرأ عليه، حتى جاء شرطى فاخذ بيده فأقعده على القضاء. سمعت أبا داود يقول: التقى ابن شبرمة وابن أبي ليلى في دار الامارة فقال أحدهما لصاحبه: أما نحن فقد أكلنا من حلوائهم وملنا في أهوائهم» سؤالات الآجری لأبي داود - سليمان بن الأشعث - ج 1 - ص 275.
- 2- (2) سمل عينه يسملها إذا فقأها/ترتيب إصلاح المنطق - ابن السكيت الاهوازي - ص 204.

ثم كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقرّ لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمى الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمته بموالة هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة على عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المرأون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون

أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها».

وقال ابن أبي الحديد (1) «وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه (2) وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم - فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوععة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية، تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم» (3).

ص: 22

1- (1) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 11 - ص 46.

2- (2) قال الذهبى «إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكى الواسطى. أبو عبد الله نفطويه النحوى. قيل إنه من ولد المهلب بن أبى صفرة. سكن بغداد، وصنف تصانيف. قال الخطيب: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدي العتكى. روى عن إسحاق بن وهب العلاف، ومحمد بن عبد الملك الدقيقى، وشعيب بن أيوب، وأحمد بن عبد الجبار العطاردى، وطبقتهم. روى عنه: المعافى الجريرى، وأبو بكر بن شاذان، وابن حيويه، وأبو بكر ابن المقرئ، وغيرهم. مولده سنة أربع وأربعين، وكان متفننا فى العلوم. ينكر الاشتقاق ويحيله. وكان يحفظ نقائض جرير والفرزدق، وشعر ذى الرمة. وأخذ العربية عن: ثعلب، والمبرد، ومحمد بن الجهم. وخالط نحو الكوفيين بنحو البصريين. وتفقه على مذهب، أهل الظاهر، ورأس فيه. وكان ديناً، ذا سنة، ومروءة، وفتوة، وكيس، وحسن خلق. صنف: غريب القرآن، والمقنع فى النحو، وكتاب البارع وغير ذلك. وله شعر رائع. توفى قبل الذى قبله بيوم واحد فى صفر، كلاهما ببغداد. وله تاريخ الخلفاء فى مجلدتين» تاريخ الإسلام - الذهبى - ج 24 - ص 125-126.

3- (3) ومن هذا، الحديث الذى رووه «ان النبى صلى الله عليه وسلم لما حضر قالت صفية يا رسول الله لكل امرأة من نسائك أهل تلجأ إليهم وانك أجليت أهلى فإن حدث حدث فإلى من؟ قال: إلى على بن أبى طالب. رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد - الهيثمى - ج 9 - ص 112-113 فقد رووا حديثاً فى قبالة وهو «إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فى شىء فأمرها بأمر فقالت: رأيت يا رسول ان لم أجدك؟ قال: إن لم تجدني فأتى أبا بكر» مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج 4 - ص 82.

وبقيت هذه التعاليم طوال عقود هي المسيطرة على تفكير الأمويين خوف استيقاظ الضمير الجمعي للأمة وهو ما حدث في ثورة العباسيين والتي حدثت باسم أهل البيت عليهم السلام ولكن اتبها إلى أن اسم علي عليه السلام لم يجر محوه

ص:23

من ذاكرة الأمة فعملوا على أن يكون اسما من أسماء لا أكثر ولا أقل! روى البخارى(1)(2) عن عبد الله بن عمر قال «كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم».

وكان الجانب السنّي على طول الزمان ومنذ عهد الحرب الأهلية التي اشعلها بعض الصحابة ضد الحكم الشرعى يعانى من الاختلاف بين معسكر أموى ومعسكر معتدل، فكان الأول يضحّم كل ما نسبه النواصب لعلّى عليه السلام ويظهره بمظهر الثابت الصحيح، ويقلّل ما ثبت فى التاريخ من مثالب غيره ويضعفونها، يقول المحدث السنّي حسن بن فرحان المالكي(3) «وكذلك عثمان هنا لا تقارن أخطاؤه بما نسب لعلّى من أخطاء، مع سابقة عثمان وفضله إلا أن الملحوظات الكبيرة على سياساته محل إجماع حتى من محبيه ومناصريه.. فأين مثلها فى حق الإمام على؟... وإلا فإنه عند المقارنة لا نجد أعدل ولا أعلم من الإمام

ص:24

1- (1) لمثل هذه الأحاديث نرى أن السلفيين يغالون فى مرتبة البخارى يقول أحد دعواتهم «فإن الأمة قد أجمعت على صحة صحيح الإمام الموفق أبى عبد الله البخارى وعلى جلالته، ورفع درجته، وكان من أعظم الشروح عليه شرح الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى الذى سماه "فتح البارى بشرح صحيح البخارى"؛ فقد أبدع فيه، ووفق لجمع المتفرق من كلام العلماء السابقين فى موضع واحد، حتى صار شرحه مُعول العلماء ومرجع الطلاب ومقصد الباحثين. ولم يعكر صفو ذلك سوى بعض المخالفات العقديّة التى عظمت من مثل الحافظ الكبير ابن حجر العسقلانى، وأشغب بها عليه بعض الأعمار فطرحوا سفره النفيس هذا، وأهملوه وربما أهانوه» التنبيه على المخالفات العقديّة فى فتح البارى/على بن عبد العزيز بن على الشبل.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 4 - ص 203.

3- (3) حديث الديبلة - حسن بن فرحان المالكي - ص 158.

على، لكن عندما نجدهم يلزمون علياً بكل جرائم معاوية فهنا لابد من تبيينهم ليقفوا عند حدود الأدب، نحن نهمل كثيراً الرد على غلوّ البكرية والعمرية والعثمانية، الذين يبالغون في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي في كل شيء حتى الشجاعة! نسكت عن هذا كله، ولا نرد ولا نحب أو لا نتحمس أن ندخل في هذه المقارنات بين الكبار، إلا اضطراراً. أما أن يأتوا بمعاوية ويزيد وأمثالهم ويلزمون الإمام على بجرائمهم ونفاقهم؟ فهذه كبيرة في حق أمير المؤمنين».

وكلما وُجد حكام ظلمة عتاة وُجد بقربهم من يبيع لهم ضميره بحفنة دنانير، من فقهاء الضلالة وأصحاب رايات الظلم والغدر، ومن هؤلاء أحد أبرز قادة الضلال الذي تصدى له بعض فقهاء عصره بسبب مواقفه الشاذة من كثير من الأمور ومنه موقفه من أهل البيت عليهم السلام وهو الشيخ ابن تيمية... صاحب كتاب «منهاج الاعتدال في الرد على الشيعة القدرية» والذي سمّاه أتباعه «منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية»، وهذا الرجل الذي حكم عليه علماء الأشاعرة بالبدعة والزندقة والكفر والنصب، انتصر له شرذمة من المتحجّرين، نشروا أفكاره وعقيدته بعدما كادت تندثر بفعل تصدّي علماء الأشاعرة، قال الشيخ سفر الحوالي في نقده للأشاعرة «حسبك تكفيرهم واضطهادهم لشيخ الإسلام وهو ما لم يفعله أهل السنة بعالم أشعري قط... ولولا الإطالة لأوردت بعض ما تصرّح به كتب عقيدتهم من اتهامه بالزندقة والكفر والضلال»⁽¹⁾

وقد جاهد ابن تيمية ليُرى القارىء بأنه في كتابه قدم نظرة أهل السنة لعلي

ص:25

1- (1) منهاج الأشاعرة في العقيدة - الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي - ص 6.

بن أبي طالب، بينما يرى القاريء المحايد بين سطور ما كتبه ابن تيمية في أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه انتقاص ظاهر، وطعن سافر في شخص علي بن أبي طالب عليه السلام، لا يمثل ما يراه أهل السنة (1) في علي عليه السلام، بل يجد أنفاس تلك المدرسة الأموية التي ظلت على الدوام تطلّ برأسها كلّما وجدت منافقاً عليم اللسان مستعداً لبيع آخرته إذا رضخت له رضىخة! فابن تيمية لم يجد فضيلة ذكرها العلامة الحلي إلا طمسها، وأنكرها، أو شكك فيها، حتى رد عليه من رد من علماء أهل السنة بسبب ذلك وستجد أن بعض المعاصرين من السلفية مثل الألباني (2) يتعجب من تضعيف ابن تيمية لأحاديث صحيحة خالية من العلل.

ص: 26

1- (1) المقصود من أهل السنة هنا ما يقابل الشيعة فالمعروف أن الوهابية تصنف الناس إلى أهل سنة بالمعنى الأخص وهم الوهابية فقط! وإلى أهل السنة بالمعنى الأعم - وهم من شارك الوهابية بعقيدتهم بأبي بكر وعمر وعثمان - وهؤلاء مبتدعة هم وباقي الفرق الإسلامية كالشيعة والمعتزلة وغيرهم، يقول سفر الحوالي (أحد أئمتهم) في كتابه «منهج الأشاعرة في العقيدة»: «من خلال استعراضى لأكثر أمهات كتب الأشاعرة وجدت أن موضوع الصحابة هو الموضوع الوحيد الذى يتفقون فيه مع أهل السنة والجماعة، وقريب منه موضوع الإمامة، ولا يعنى هذا الاتفاق التام: بل هم مخالفون فى تفصيلات كثيرة... تبين مما تقدم أن الأشاعرة فرقة من الثنتين والسبعين فرقة، وان حكم هذه الفرق الثنتين والسبعين هو: الضلالة والبدعة والوعيد بالنار، وعدم النجاة». منهج الأشاعرة فى العقيدة - ص 30.

2- (2) من يقرأ للسلفيين المحدثين ينتبه وبسرعة لما عليه شيوخهم من الاهتمام بالردود، حتى على أصغر المسائل، فيما بينهم وبينهم وبين غيرهم كالأشاعرة، وتقسيقهم واستعمال أساليب عنيفة فى التجريح، لذا تجد كثيرا منهم ينساقون جبرا لهذا الأسلوب مع الخشية من مضاعفاته فضلا عن الأشاعرة الذين يخشون السلفيين والسنتهم السليطة، لذا تجد مثلا رأس الأشاعرة فى عصرنا (الشيخ يوسف القرضاوى) نادرا ما يسمّى السلفيين باسمهم ويوجّه خطابا لهم لخشيتهم منهم فقرأ مثلا قوله «ومثل ذلك من يسأل عن آيات الصفات مثل (على العرش استوى)

ولو أردنا أن نختصر رأى ابن تيمية في الإمام على بن أبي طالب عليه السلام فنقول إن ابن تيمية لم يجد لعلی فضيلة اختص بها قط!.

فهو عندما يناقش الروايات الواردة في الإمام على بن أبي طالب عليه السلام فهو إما يكذبها إذا وجد لذلك سبيلاً (وحتى لو كان على حساب مسلمات أخرى لديه!) وإما يفرغها من محتواها، ويذهب بها في وادٍ آخر وبالتالي لا تكون فيها مزية لعلی عليه السلام، وإما يأتي بفضيلة (مزعومة) لغيره تشبهها فيضخمها ويقلل من شأن فضيلة على عليه السلام، وبالتالي فما مزية على عليه السلام ولماذا كان عندهم خليفة رابعاً؟! هذا ما سيحير أهل السنة ممن سيقراً له أساليبه الملتوية⁽¹⁾ في التقليل من شأن على عليه السلام، وكل من يقرأ كتب ابن تيمية بشيء من الإنصاف سيجد ما فعله ابن تيمية بما يسميه جمهور المسلمين بأحاديث الفضائل، وبما نسميها روايات الفضائل والمقامات ودلائل النص والإمامة، بأنها فعلة نكراء لم يحتملها حتى أهل السنة فوصفه بعضهم بالزندقة والنفاق والنصب

ص: 27

1- (1) كل منصف سيلاحظ هذه الأساليب الماكرة، يقول سعيد عبد اللطيف فودة وهو من أهل السنة «وابن تيمية هو واحد من دعاة التجسيم كما أراه، ولكنه يتميز عن سبقة ومن تبعه بحسن التدبير لدعوته لذلك، وكثرة الاطلاع واستعمال اساليب كلامية عجيبة يختار معها من لم يتقن فهم مذهبه، وقد قام عليه كبار العلماء...». الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية - سعيد عبد اللطيف فودة - ص 16.

ولم أجد من جميل الكلام فيما قيل في علي عليه السلام على لسان أهل السنة أروع مما قاله ابن أبي الحديد في شرحه لكتاب نهج البلاغة إذ يقول في سعة علمه ورجوع الأمة إليه (2) «أما فضائله عليه السلام، فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الأخبار عنك إلى علم الناس بك. وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوه، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكرا، حتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعه وسموا، وكان كالمسك كلما سُتر انتشر عرفه، وكلما كُتم تصوع نشره، وكالشمس لا تُستر بالراح، وكضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة! وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهى إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق

ص: 28

1- (1) راجع: منهج الأشاعرة في العقيدة - سفر بن عبد الرحمن الحوالي - ص 15 الهامش.

2- (2) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 1 - ص 16-23.

مضمارها، ومجلى حليتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى. وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم. ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتداء فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم وإصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام. وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن "إسماعيل بن" أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بأخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ علي محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل، فقرأ علي الشافعي فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ علي جعفر بن محمد عليه السلام، وقرأ جعفر علي أبيه عليه السلام، وينتهي الامر إلى علي عليه السلام. وأما مالك بن أنس، فقرأ علي ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة علي عكرمة، وقرأ عكرمة علي عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس علي علي بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته علي مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة. وأما فقه الشيعة: فرجوعه إليه ظاهر، وأيضا فإن فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب

وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام. أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا - علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن. وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلى حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضا انتهاء الفقه إليه. وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله: أقضاكم علي، والقضاء هو الفقه، فهو إذا أفقهم. وروى الكل أيضا أنه عليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضيا: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه "قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبرية: صار ثمنها تسعا. وهذه المسألة لو فُكر الفرضي فيها ففكر طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهية، واقتضبه ارتجالا.

ومن العلوم: علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرّج. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطره من المطر إلى البحر المحيط. ومن العلوم: علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام، إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي، والجنيد، وسري، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم. ويكفيك دلالة على ذلك الخرقّة التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام.

ومن العلوم: علم النحو والعربية، وقد علم الناس كفه أنه هو الذى ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه وأصوله، من جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف. ومن جملتها: تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تقى بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلّاع ثناياها. وأما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتى بعده، ومقاماته فى الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذى ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحدا إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفى الحديث (كانت ضرباته وترا)، ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفتك، فقال معاوية: ما غششتنى منذ نصحتنى إلا اليوم! أتأمرنى بمبارزة أبى الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق! أراك طمعت فى إمارة الشام بعدى! وكانت العرب تفتخر بوقوفها فى الحرب فى مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وانتبه يوما معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجله على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت،

فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، قال: وما الذى تنكره من شجاعتي وقد وقفت فى الصف إزاء على بن أبى طالب! قال: لا جرم إنه قتلک وأباک بیسرى یدیه، وبقيت الیمنى فارغة، یطلب من یقتله بها.

وجملة الأمر أن كل شجاع فى الدنيا إليه ينتهى، وباسمه ینادى فى مشارق الأرض ومغاربها. وأما القوة والأید: فبه یضرب المثل فیهما، قال ابن قتیبة فى (المعارف): ما صارع أحدا قط إلا صرعه. وهو الذى قلع باب خیبر، واجتمع علیه عصبه من الناس لیقلبه فلم یقلبه، وهو الذى اقتلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظیما جدا، وألقاه إلى الأرض. وهو الذى اقتلع الصخرة العظیمة فى أيام خلافته علیه السلام بیده بعد عجز الجيش كله عنها، وأنبط الماء من تحتها.

وأما السخاء والجود: فحاله فى ظاهرة، وكان یصوم ویطوی ویؤثر بزاده، وفیه أنزل:

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) (الانسان 8-9).

وروى المفسرون أنه لم یکن یملك إلا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم لیلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية، فأنزل فیہ:

(الَّذِينَ يَتَّقُونَ أََمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (البقرة: من الآية 274).

وروى عنه أنه كان یسقى بیده لنخل قوم من یهود المدينة، حتى مجلت یده، ویصدّق بالأجرة، ویشدُّ على بطنه حجرا. وقال الشَّعْبِيُّ وقد ذكره علیه السلام: كان أسخى الناس، كان على الخلق الذى یحبه الله: السخاء والجود، ما قال: (لا) لسائل قط.

وقال عدوّه ومبغضه الذى يجتهد فى وصمه وعيبه (معاوية بن أبى سفيان) لمحفن بن أبى محفن الضبى لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: ويحك! كيف تقول إنه أبخل الناس، لو ملك بيتا من تبر وبيتا من تبين، لأنفد تبره قبل تبينه. وهو الذى كان يكتس بيوت الأموال ويصلّى فيها، وهو الذى قال: يا صفراء، ويا بيضاء، غرى غبرى. وهو الذى لم يخلف ميراثا، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام.

وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم - وكان أعدى الناس له، وأشدّهم بغضا - فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم على بن أبى طالب - وكان على عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله - فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيرا، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك، لم يزد على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة، وكان له عدوا، فأعرض عنه ولم يقل له شيئا. قد علمتم ما كان من عائشة فى أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عمّهن بالعمائم، وقلّدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بى فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيوف عنهم، ونادى مناديه فى أقطار العسكر: ألا لا يتبع مولاً، ولا يُجهز على جريح، ولا يُقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّر إلى عسكر

الإمام فهو آمن. ولم يأخذ أئقآلهم، ولا سبى ذرآرآهم، ولا غنم شآنا من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو، وتقبل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تُنس. ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا، سألهم على عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس والأيدى، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية فى الفلاة، لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: أمنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيف العطش، وخذهم قبضا بالأيدى فلا حاجة لك إلى الحرب، فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم، إفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففى حدّ السيف ما يغنى عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالا وحسنا، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام!

وأما الجهاد فى سبيل الله: فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له! وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدها نكاية فى المشركين بدر الكبرى، قُتل فيها سبعون من المشركين، قتل على نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر. وإذا رجعت إلى مغازى محمد بن عمر الواقدى وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذرى وغيرهما علمت صحّة ذلك، دع من قتله فى غيرها كأحد والخندق

وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه، لأنه من المعلومات الضرورية، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما.

وأما الفصاحة: فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح، ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب. ولما قال محض بن أبي محض لمعاوية: جئتك من عند أعيان الناس، قال له: ويحك! كيف يكون أعيان الناس! فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره، ويكفي هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى فى الفصاحة، ولا يبارى فى البلاغة. وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر، ولا نصف العشر مما دون له، وكفاك فى هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتاب (البيان والتبيين) وفى غيره من كتبه. وأما سجاحة الأخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيّا، والتبسّم: فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: أنه ذو دعاية شديدة. وقال على عليه السلام فى ذاك: عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن فى دعاية، وأنى امرؤ تلعباءة، أعافس وأمارس! وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لما عزم على استخلافه: لله أبوك لولا دعاية فيك! إلا أن عمر اقتصر عليها، وعمرو زاد فيها وسمجها. قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه. وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أباً حسن، فلقد كان هشاً بشاً، ذا

فكاهة، قال قيس: نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويتسم إلى أصحابه، وأراكَ تسر حسوا في ارتغاء، وتعييه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى، تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طعام أهل الشام! وقد بقى هذا الخلق متوارثا متناقلا في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقى الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك(1).

وأما الزهد في الدنيا: فهو سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تُشدّ الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط. وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جرابا مختوما، فوجدنا فيه خبز شعير يابس مرضوضا، فقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتآه(2) بسمن أو زيت. وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة، وليف أخرى، ونعلاه من ليف. وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمّه طويلا قطعه بشفرة، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له، وكان يأتدم إذا انتدم بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلا ويقول: لا- تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان. وكان مع ذلك أشدّ الناس قوة وأعظمهم أيّدا، لا ينقض الجوع قوته، ولا يخون الإقلال منته. وهو

ص:36

1- (1) رحم الله ابن أبي الحديد، كأنه ينظر إلى جمال الأخلاق وهيبة التقوى عند علماء الشيعة ووعورة الأخلاق والخشونة والجفاء عند الوهابية عندما قال قوله هذا!

2- (2) اللتّ: الدقّ، والشدّ، والإيثاق، والفتّ، والسحق/القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ج 1، ص 156.

الذى طلق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام، فكان يفرقها ويمزقها، ثم يقول: هذا جنای وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه.

وأما العبادة: فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطح بين الصفين ليلة الهرير، فيصلى عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده. وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستخاء له، عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، وفهمت من أى قلب خرجت، وعلى أى لسان جرت!. وقيل لعلى بن الحسين عليه السلام - وكان الغاية فى العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتى عند عبادة جدى كعبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وأما قراءته القرآن واشتغاله به: فهو المنظور إليه فى هذا الباب، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبى بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن، لأنه لو كان مجموعا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله. وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه، كأبى عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود وغيرهما، لأنهم يرجعون إلى أبى عبد الرحمن السلمى القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا

الفن من الفنون التي تنتهى إليه أيضا، مثل كثير مما سبق.

وأما الرأى والتدبير: فكان من أسدّ الناس رأيا، وأصحّهم تدبيرا، وهو الذى أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار. وهو الذى أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث. وإنما قال أعداؤه: لا رأى له، لأنه كان متقيدا بالشريعة لا يرى خلافا، ولا يعمل بما يقتضى الدين تحريمه. وقد قال عليه السلام: لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه، سواء أكان مطابقا للشرع أم لم يكن. ولا ريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب.

وأما السياسة: فإنه كان شديد السياسة، خشنا في ذات الله، لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جيّبه به. وأحرق قوما بالنار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجلي، وقطع جماعة وصلب آخرين. ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان، وفي أقل القليل منها مقنع، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه.

فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعله، والرئيس المقتفى أثره. وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مشمرا لحربه، وتصوّر ملوك الترك والديلم

صورتته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورتته، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورتته، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر. وما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنّفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه وسموه سيد الفتیان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروى، انه سمع من السماء يوم أحد: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على.

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا: قلّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه الشيخ. وفي حديث عفيف الكندي، لما رأى النبي صلى الله عليه وآله يصلى في مبدأ الدعوة، ومعه غلام وامرأة، قال: فقلت للعباس أى شيء هذا؟ قال: هذا ابن أخى، يزعم أنه رسول من الله إلى الناس، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام - وهو ابن أخى أيضا - وهذه المرأة، وهى زوجته. قال: فقلت: ما الذى تقولونه أنتم؟ قال: ننتظر ما يفعل الشيخ - يعنى أبا طالب. وأبو طالب هو الذى كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً، وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركى قريش، ولقى لأجله عنتاً عظيماً، وقاسى بلاء شديداً، وصبر على نصره والقيام بأمره. وجاء فى الخبر أنه لما توفى أبو طالب أوحى إليه عليه السلام وقيل له: اخرج منها، فقد مات ناصرك. وله مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين، الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (أشبهت خلقى وخلقى) "فمر يحجل فرحا. وزوجته سيدة نساء العالمين، وابنيه

سيدا شباب أهل الجنة، فأبأوه آباء رسول الله، وأمّهاته أمهات رسول الله، وهو مسوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب، وأمهما واحدة، فكان منهما سيد الناس، هذا الأول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي! وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده، وكل من في الأرض يعبد الحجر، ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله».

إن الفرق بين ما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي (السني) وبين ما قاله ابن تيمية في كتابه منهاج الاعتدال فرق شاسع، فهما رؤيتان مختلفتان اختلافاً جذرياً، فابن تيمية لم يجد مدحاً لعلی عليه السلام إلا قليل من شأنه أو نفاه أو طمسه مع غيره من فضائل الصحابة! وما بين ذلك وذلك سببٌ وتقصُّصٌ، وشتّمٌ خفيٌّ وجلیٌّ لعلی عليه السلام. واحد أسباب ذلك هو أنه يرى نفسه من الجند المجندة للدفاع عن دولة الإسلام الأموي الذي افتقده النواصب في عصر تفتت الدولة الإسلامية حيث كان الفقه المناهض للعلويين قائم بكل قوته مرتكز على سيف السلطان «إن مشكلة الوعّاظ عندنا أنهم يأخذون جانب الحاكم ويحاربون المحكوم، فتجدهم يعترفون بنقائص الطبيعة البشرية حين يستعرضون أعمال الحكام، فإذا ظلم الحاكم رعيته أو القى بها في مهاوى السوء قالوا: اجتهد فإخفاً وكل إنسان يخطيء، والعصمة لله وحده، أما حين يستعرضون أعمال المحكومين، فتراهم يرددون ويزمجرون وينذرونهم بعقاب الله الذي لا مردّ له، وينسبون إليهم سبب كل بلاء ينزل بهم»⁽¹⁾ لذا فأنت ترى أن ابن تيمية عندما يأتي لذكر أعمال عائشة وطلحة

ص:40

1- (1) وعّاظ السلاطين - على الوردی ص 12 ط دار كوفان للنشر - لندن - 1995 ومن طريف ما قرأت لمتطرفي الوهابية ما جاء في كتاب «لقاء الباب المفتوح» وهي لقاءات للشيخ محمد بن صالح

والزبير والملا من قريش فهو يقول باجتهدهم وعدم وجود مأخذ عليهم حتى لو أدت أعمالهم إلى قتل الألو، أما على فلا عذر له عند ابن تيمية فهو الذى تسبب بكل ما حصل من دماء ومأس ووقف للفتوحات ومحاربة الكفار!. وكما مرّ علينا فالصحابه وجدوا أنفسهم فى حرب لا يعرفون كيف دخلوا فيها هذه الحرب أشعلها الناس الذين يحبون الفتن! وهذه من سخافات كبراء القوم، فى كل مجتمع من يقوم بإشعال الحروب هم أصحاب الطموحات العالية وطلاب الدنيا، وزعماء المجتمع من السياسيين النفعيين، إلا فى المجتمع الإسلامى فوعاظ السلاطين يمثلون المجتمع بالغوغاء الذين يدخلون زعماءهم المساكين فى الحروب وهم لا يشعرون!

ولا اعلم كيف يحدث هذا من جهة بينما كان الطعن بعلى عليه السلام مستمراً لتسعين سنة على منابر المسلمين بلا رادع، المعروف أن «من خصائص الطبيعة

البشرية أنها شديدة التأثير بما يوحى العرف الاجتماعي إليها من قيم واعتبارات، فالإنسان يودّ أن يظهر بين الناس بالمظهر الذى يروق فى أعينهم، فإذا احترم الناس صفة معينة ترى الفرد يحاول شتى المحاولات للاتصاف بهذه الصفة وللتباهى بها والتنافس عليها»(1) فأهل الشام يحبون الأمويين لكونهم كانوا يرضونهم على حساب المسلمين من جهة، وهم ضحية غسل الأدمغة التى حصلت فى صدر الدولة الإسلامية واستعمل الأمويون فيها جيشاً من النواصب ليقولوا للناس إن بنى أمية أقارب النبى وليس للنبى صلى الله عليه وآله غيرهم! لذا كان الشام النصراني يمجّد بنى أمية لا على الدين دائماً ولكن على الدنيا فى بعض الأحيان! «إن من المفارقات المضحكة أن نرى الأخطل الشاعر النصراني المعروف يمدح معاوية ويقول:

وطدت لنا دين النبى محمد بحلمك إذ هرت سفاها كلابها

ولا ينتهى ضحكى من هذا البيت العجيب حيث أجد فيه شاعراً مسيحياً يمدح معاوية لأنه وطّد له دين النبى محمد»(2)! والكتاب الذى بين أيديكم هو الرد الذى أحسب أنه تناول عصارة الأفكار فى كتاب (منهاج الاعتدال) المسمّى ظلماً (منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية) ولو سُمّي (منهاج السنّة الأموية) لكان صواباً! والكتاب ملئ بالحشو وإعادة الإشكالات بصيغ مختلفة، أسأل الله قبول عملي دفاعاً عن خاتم النبیین صلى الله عليه وآله وعن وصيّه وخير الصحابة أمير المؤمنين على بن أبى طالب واهل بيته عليهم السلام.

عبد الرحمن العقيلي/العشرون من جمادى الثانى ذكرى مولد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام 1432 للهجرة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ص:42

1- (1) وعّاظ السلاطين - على الوردى - ص 18.

2- (2) وعّاظ السلاطين - على الوردى - ص 223.

ترجمة العلامة الحلّي صاحب الكتاب الأصل: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة

العلامة الحلّي: الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر - بالميم المضمومة والطاء المعجمة والهاء المشددة والراء - أبو منصور الحلّي مولدا ومسكنا. فاسمه: الحسن، كما ذكره هو بنفسه واتفق عليه أكثر المؤرخين.

اتفقت المصادر على أن ولادته في شهر رمضان عام 648 هـ، إلا ما ذكره السيد الأمين في الأعيان نقلا عن خلاصة العلامة من أنه ولد سنة 647 وهو خطأ بيّن، لمخالفته للمصادر كافة... واختلفت المصادر في تحديد يوم ولادته. ففي نسخة الخلاصة المطبوعة قال العلامة: والمولد تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة، ونقل المولى الأفندي عن الشهيد الثاني في بعض تعليقاته أنه وجد بخط الشهيد أنه نقل من خط العلامة هذه العبارة: وجدت بخط والدي رحمه الله ما صورته: ولد الولد البار أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر، ليلة الجمعة في الثلث الأخير من الليل رابع عشر رمضان، من سنة ثمان وأربعين

وستمائة. وأرخ ولادته فى نخبة المقال كما عنه فى الكنى والألقاب:

وآية الله بن يوسف الحسن سبط مطهر فريدة الزمن

نشأ علامتنا بين أبوين صالحين رؤوفين، فترّى فى حضن المرأة الصالحة بنت الحسن بن أبى زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلى الحلى، وتحت رعاية والده الإمام الفقيه سديد الدين يوسف بن على بن المطهر حتى أحضروا له معلما خاصا اسمه محرم ليعلمه القرآن والكتابة، مرّت على علامتنا الحلى فى زمن صباه أيام صعوبة مرة لم يكذب ينساها. ففى العقد الأول من عمره المبارك وصل السلطان هولاءكو إلى بغداد قبل أن يفتحها، وخافت منه الناس كافة، حتى هرب أكثر أهل مدينته - الحلة - إلى البطائح، إلا القليل الذين منهم والده المعظم.

وعلى يديه تشييع السلطان خدابنده وبعد ما استبصر هذا السلطان لم يرض بمفارقة العلامة، بل طلب منه أن يكون دائما معه، وأسس له المدرسة السيارة ليكون هو وتلاميذه دائما معه. ومن حُسن سيرة هذا السلطان إنصافه أنه بعد ما استبصر وعرف الحق لم يهمل بقية العلماء من فرق المسلمين، بل أبقى لهم منزلتهم واحترامهم، لوجه للعلم والعلماء، وأمر قسما كبيرا من مبرزيهم بالحضور معه فى المدرسة السيارة.

وكان له ذكاء خارق للعادة، وبذكائه هذا وعلمه استطاع أن يفهم أعلم علماء السنة بمناظراته الحلوة الدقيقة، وبسببه تشييع السلطان خدابنده وكثير من الأمراء ثم كثير من الناس.

أسلم السلطان غازان خان بن أرغون خان بن اباخان بن هولاءكو خان وتولى السلطنة فى سنة 694 وسُمى بمحمود، واستبصر فى عام 702، فلما توفى

فى الحادى عشر من شوال عام 703 جاء أخوه محمد اولجايٲو خان من خراسان فى الثانى من ذى الحجة، وفى الوم السادس عشر منه جلس على كرسى السلطنة، وكان أكثر تأييده لمذهب الحنفية ولعلمائه، لأنه كان قاطنا فى خراسان فى زمن أخيه محمود، وكان تواجد علماء الحنفية فيها.

ثم انتقل إلى مذهب الشافعية بعد مناظرات جرت بين المذهبين يأتى تفصيلها. وإنما لقب هذا السلطان بولجايٲو لأنه فى أول سلطنته صالح طوائف أروق جنكيز خان، بعد ما استحكمت المنازعة بينهم خمسين سنة، فأطاعوا السلطان محمد وأرسلوا إليه الرسل وارتفع النزاع عن العالم، ولذلك اعتقد الناس أن سلطنته مباركة ميمونة، فعرضوا عليه أن يلقب بولجايٲو، لأنه فى لغة الأتراك بمعنى السلطان الكبير المبارك. فاستقر لقبه على هذا.

وبعد ما أختار هذا السلطان مذهب الإمامية - وذلك بعد مناظرات عديدة جرت بين العلامة وسائر علماء المذاهب - لقب نفسه بخداينده، بمعنى عبد الله واختيار هذا الملك مذهب التشيع لم يكن عن ميل النفس والهوى، أو احتياج لبقاء سلطنته. وإنما كان بعد مناظرات علّامتا أبى منصور مع علماء الفرق كافة، فأوقعهم فى مضيق الإلزام والافحام، وأثبت عليهم حقّية مذهب أهل البيت الكرام، حتى قال الخواجة نظام الدين عبد الملك المراعى - الذى هو أفضل علماء الشافعية. بل أفضل وأكمل علماء أهل السنة - بعد ما سمع أدلة العلامة على حقّية مذهب أهل البيت، قال: أدلة حضرة هذا الشيخ فى غاية الظهور، إلا أن السلف منا سلخوا طريقا لإلجام العوام ودفعت شقّ عصا أهل الإسلام سكتوا عن زلل أقدامهم، فبالحرى أن لا تُهتك أسرارهم ولا يتظاهر فى اللعن عليهم.

وكان هذا السلطان كما قال الحافظ الأبرو الشافعي المعاصر له: صاحب ذوق سليم يحب العلم والعلماء بالأخص السادات، وذكر بعد هذا أن ممالك إيران عمرت في زمانه، واتفقت القبائل فيما بينها وأطاعت له الأمراء، حتى أجمعت العرب والعجم على إطاعته، وأسس هذا السلطان في جميع البلاد المدارس والمساجد.

وقال العلامة المترجم في حقه في ديباجة كتابه استقصاء النظر: كانت أكثر معاشرته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والأشراف... وفقه الله لتأسيس صدقات جارية، منها أنه بنى ألف دار من بقاع الخير والمستشفيات ودور الحديث ودور الضيافة ودور السيادة والمدارس والمساجد، والخانقاهات، بحيث أراح الحاضر والمسافر، وكان زمانه من خير الأزمنة لأهل الفضل والتقوى، ملك الممالك وحكم عليها ستة عشر سنة، وكان من بلاد العجم إلى إسكندرية مصر وإلى ما وراء النهر تحت سلطته. توفى سنة 717 أو 719، ودفن بمقبرته التي أعدها قبل موته في بلدة سلطانية.

أما سبب تشيع هذا السلطان وكيفيته، فالتاريخ ينقل لنا روايتين:

الأولى: ما ذكره المولى محمد تقي المجلسي في روضته وهو: أنه أي - السلطان - غضب على امرأته وقال لها: أنت طالق ثلاثا، ثم ندم وجمع العلماء، فقالوا: لا بد من المحلل، فقال: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أفليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا. وقال أحد وزرائه: إن عالما بالحلة وهو يقول ببطلان هذا الطلاق، فبعث كتابه إلى العلامة وأحضره، ولما بعث إليه قال علماء العامة: إن له مذهبا باطلا ولا عقل للروافض ولا يليق بالملك أن يبعث إلى طلب رجل

خفيف العقل، قال الملك: حتى يحضر. فلما حضر العلامة بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الأربعة وجمعهم.

فلما دخل العلامة أخذ نعليه بيده ودخل المجلس وقال: السلام عليكم، وجلس عند الملك. فقالوا للملك: ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول. قال الملك: إسألوا منه في كل ما فعل.

فقالوا له: لم ما سجدت للملك وتركت الآداب؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ملكا وكان يسلم عليه، وقال الله تعالى:

(فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ) (النور: من الآية 61).

ولا- خلاف بيننا وبينكم أنه لا- يجوز السجود لغير الله. قالوا له: لم جلست عند الملك؟ قال: لم يكن مكان غيره. وكل ما يقول العلامة بالعربي كان يترجم المترجم للملك. قالوا له: لأى شىء أخذت نعلك معك، وهذا مما لا يليق بعاقل بل إنسان؟! قال: خفت أن يسرقه الحنفية كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، فصاحت الحنفية: حاشا وكلا، متى كان أبو حنيفة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ بل كان تولده بعد المائة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: فنسيت لعله كان السارق الشافعى. فصاحت الشافعية وقالوا: كان تولد الشافعى فى يوم وفاة أبى حنيفة، وكان أربع سنين فى بطن أمه ولا يخرج رعاية لحرمة أبى حنيفة، فلما مات خرج وكان نشوؤه فى المائتين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: لعله كان مالك. فقالت المالكية بمثل ما قالته الحنفية. فقال: لعله كان أحمد بن حنبل. فقالوا بمثل ما قالته الشافعية. فتوجه

العلامة إلى الملك فقال: أيها الملك علمت - أن رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في زمن الصحابة، فهذه أحد بدعهم أنهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة، ولو كان منهم من كان أفضل منهم بمراتب لا يجوزون أن يجتهد بخلاف ما أفتاه واحد منهم.

فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة؟ فقال الجميع: لا.

فقال العلامة: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمر المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه وابن عمه ووصيه. وعلى أى حال فالطلاق الذى أوقعه الملك باطل، لأنه لم تتحقق شروطه، ومنها العدلان، فهل قال الملك بمحضرهما؟ قال: لا. وشرع فى البحث مع علماء العامة حتى إلزامهم جميعا. فتشيع الملك وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا للأئمة الاثنى عشر فى الخطبة، ويكتبوا أساميهم عليهم السلام فى المساجد والمعابد. والذى فى أصبهان موجود الآن فى الجامع القديم الذى كتب فى زمانه فى ثلاث مواضع، وعلى منارة دار السيادة التى تممها سلطان محمد بعد ما أحدثها أخوه غازان أيضا موجود، وفى محاسن أصفهان موجود أن ابتداء الخطبة كان بسعى بعض السادات اسمه ميرزا قلندر، ومن المعابد التى رأيت معبد بيربر كان الذى فى لنجان وبنى فى زمانه الأسامى الموجودة الآن، وكذا فى معبد قطب العارفين نور الدين عبد الصمد النطنزى الذى له نسبة إليه من جانب الأم موجود الآن.

الثانية: ما ذكره الحافظ الابرو الشافعى المعاصر للعلامة وجمع من المؤرخين، وهو: أن السلطان غازان خان - محمود - كان فى عام 702 فى بغداد،

فاتفق أن سيدا علويًا صلى الجمعة في يوم الجمعة في الجامع ببغداد مع أهل السنة، ثم قام وصلى الظهر منفردًا فتنفطنوا منه ذلك فقتلوه، فشكا ذووه إلى السلطان فتكدر خاطره ومست عواطفه وأظهر الملاحة من أنه لمجرد إعادة الصلاة يقتل رجل من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله ولم يكن له علم بالمذاهب الإسلامية، فقام يتفحص عنها، وكان في أمرائه جماعة متشيعون، منهم الأمير طرمطار بن مانجو بخشي، وكان في خدمة السلطان من صغره وله وجه عنده، وكانت نشأته في الري بلدة الشيعة، وكان يستنصر مذهب التشيع ولما رآه مغضبا على أهل السنة انتهز الفرصة ورغبه إلى مذهب التشيع فمال إليه، ولما سيطر الأمير غازان على الموضوع وهدأت الضوضاء التي كانت في زمانه كان تأثير كلام الأمير طرمطار أكثر عند السلطان غازان، فقام في تربية السادة وعمارة مشاهد الأئمة عليهم السلام. فأسس دار السيادة في إصفهان وكاشان وسيواس روم وأوقف عليها أملاكا كثيرة، وكذا في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام كما بقيت بعض الآثار لحد الآن، وكان ميله إلى مذهب الإمامية يزداد يوما فيوما. إلى أن توفي السلطان غازان وقام بالسلطنة من بعده ولي عهده أخوه محمد، وصار مانلا إلى الحنفية بترغيب جمع من علمائهم - لأن مسكنه في زمن أخيه غازان كان في خراسان، وتواجد علماء الحنفية آنذاك كان فيها - فكان يكرمهم ويوقرهم، كما أنهم انتهزوا الفرصة في التعصب لمذهبهم.

وكان وزير السلطان محمد خواجه رشيد الدين الشافعي ملولاً من ذلك، ولكن لم يكن قادرا على التكلم بشيء، إلى أن جاء قاضي القضاة نظام الدين عبد الملك من مراغة إلى خدمة السلطان، وكان الأوحى في علوم المعقول والمنقول، وصاحب المباحثات والمناظرات المتينة، وكان شافعي المذهب، فقدمه الوزير

خواجة رشيد الدين إلى السلطان فصار ملازما له وفوض إليه قضاء ممالك إيران.

وانتهز مولانا نظام الدين الفرصة وشرع في المباحثات مع علماء الحنفية في حضور السلطان في مجالس عديدة، حتى زيّف جميع أدلتهم. فمال السلطان إلى مذهب الشيعة، حتى سأل العلامة قطب الدين الشيرازي: إن أراد الحنفى أن يصير شافعيًا فماله أن يفعل؟ فقال: هذا سهل، يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وجاء ابن صدر جهان الحنفى من بخارى إلى خدمة السلطان فشكا إليه الحنفية من القاضى نظام الدين، وأنه أدلنا عند السلطان وأمرائه، فألطف بهم وودعهم. إلى أن جاء اليوم المشهود يوم الجمعة حيث كان علماء الحنفية والشافعية عند السلطان محمد. فسئل القاضى عن جواز نكاح البنت المخلوقة من ماء الزنا على مذهب الشافعى فقرره القاضى وقال: هو معارض بمسألة نكاح الأخت والأم في مذهب الحنفية، فطال بحثهما وآل إلى الافتضاح وأنكر ابن صدر الحنفى ذلك. فقرأ القاضى من منظومة أبى حنيفة. فأفحموا وسكتوا.

فملّ السلطان وأمرؤه، حتى قام السلطان من مجلسه مغضبا، وندم الأمراء على أخذهم مذهب الإسلام، وكان بعضهم يقول لبعض: ما فعلنا بأنفسنا تركنا مذهب آبائنا وأخذنا دين العرب المنشعب إلى مذاهب عديدة، وفيها نكاح الأم والأخت والبنت، فكان لنا أن نرجع إلى دين أسلافنا، وانتشر الخبر في ممالك السلطان، وكانوا إذا رأوا عالما أو مشتغلا يسخرون منه ويستهزؤون به ويسألونه عن هذه المسائل.

وفي هذه الأيام وصل السلطان في مراجعته إلى كلستان، وكان فيها قصر بناه أخوه السلطان غازان خان، فنزل السلطان مع خاصّته فيه، فلما كان الليل أخذهم

رعد وبرق ومطر عظيم في غير وقته بغتة، وهلك جماعة من مقربي السلطان بالصاعقة، ففزع السلطان وأمرأوه وخافوا، فرحلوا منه على سرعة. فقال له بعض أمرائه: إن على قاعدة المغول لا بد أن يمر السلطان على النار، فأمر بإحضار أساتيد هذا الفن فقالوا: إن هذه الواقعة من شؤم الإسلام.

فلو تركه السلطان تصلح الأمور. فبقى السلطان وأمرأوه متذبذبين في مدة ثلاثة أشهر في تركهم دين الإسلام، وكان السلطان متحيراً متفكراً، ويقول: أنا نشأت مدة في دين الإسلام وتكلفت في الطاعات والعبادات، فكيف أترك دين الإسلام؟!

فلما رأى الأمير طرمطار تحيره في أمره قال له: إن السلطان غازان خان كان أعقل الناس وأكملهم ولما وقف على قبائح أهل السنة مال إلى مذهب التشيع ولا بد أن يختاره السلطان، فقال: ما مذهب الشيعة؟ قال الأمير طرمطار: المذهب المشهور بالرفض، فصاح عليه السلام: يا شقى تريد أن تجعلني رافضياً فأقبل الأمير يزيّن مذهب الشيعة ويذكر محاسنه له، فمال السلطان إلى التشيع. وفي هذه الأيام ورد على السلطان السيد تاج الدين الآوى الإمامي مع جماعة من الشيعة، فشرعوا في المناظرات مع القاضى نظام الدين في محضر السلطان في مجالس كثيرة، وكانت مناظرتهم بمثابة المقدّمة للمناظرة الكبيرة التي وقعت بعد هذا بين علماء السنة والعلامة الحلّي بمحضر السلطان وبعد مناظرة السيد الآوى عزم السلطان السفر إلى بغداد ثم الذهاب إلى زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وعند القبر رأى مناماً يدل على حقيقة مذهب الإمامية، فعرض السلطان ما رآه في المنام على الأمراء، فحرّضه من كان منهم في مذهب الشيعة على اعتناق هذا المذهب الحق، فصدر الأمر بإحضار أئمة الشيعة، فطلبوا جمال الدين العلامة وولده فخر المحققين.

فأمر السلطان قاضى القضاة نظام الدين عبد الملك - وهو أفضل علماء العامة، أن يناظر آية الله العلامة، وهياً مجلساً عظيماً مشحوناً بالعلماء والفضلاء من العامة، منهم المولى قطب الدين الشيرازى وعمر الكاتبى القزوينى وأحمد بن محمد الكيشى والمتسيد ركن الدين الموصلى. فناظرهم العلامة وأثبت عليهم بالبراهين العقلية والحجج الثقيلة بطلان مذاهبهم العامة وحقيقة مذهب الإمامية، على وجه تمنوا أن يكونوا جماداً أو شجراً وبهتوا كأنهم التقموا حجراً. وعند ذلك قال المولى نظام الدين: قوة أدلة حضرة هذا الشيخ فى غاية الظهور، إلا أن السلف منا سلكوا طريقاً. والخلف - لإلجام العوام ودفع شق عصا أهل الإسلام - سكتوا عن زلل أقدامهم، فبالحرى أن لا تهتك أسرارهم ولا يتظاهر باللعن عليهم. فعدل السلطان والأمراء، والعساكر وجمٌ غفير من العلماء والأكابر عن مذهب بقية الطوائف واعتنقوا مذهب الحق - الشيعة - الذى يأخذ أحكامه عن الأئمة عليهم السلام عن على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عز وجل.

وأمر السلطان فى تمام ممالكة بتغيير الخطبة وإسقاط أسامى الثلاثة عنها وبذكر أسامى أمير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام على المنابر، وبذكر (حتى على خير العمل) فى الأذان وبتغيير السكّة وحذف أسماء الثلاثة منها ونقش الأسامى المباركة عليها.

وكيفما كان فتشيع هذا السلطان ومن معه على يد العلامة أمر مقطوع به مهما كان سببه، وكان تغيير السكة عام 707 أو 708، فحذف أسماء الثلاثة منها، فكانت السكّة - الدينار - مدورة مخمّسة الأضلاع فى وسطها ثلاثة سطور متوازية الأبعاد، متكافئة الأجزاء (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على ولى الله)

وذكرت الأسماء المباركة للأئمة عليهم السلام على الترتيب على حاشيتها.

ولما انتقضت المناظرة جعل السلطان السيد تاج الدين محمد الآوى - المتقدم ذكره - نقيب الممالك. وشرع العلامة بعد ذلك بمعونة هذا السلطان المستبصر فى تشييد أساس الحق وترويج المذهب، وكتب باسم السلطان عدة كتب ورسائل بعضها كانت بطلب من السلطان، فألف باسمه كتاب منهاج الكرامة، ونهج الحق. والرسالة السعدية، ورسالة فى نفى الجبر، وغيرها. وكان العلامة رحمه الله فى القرب والمنزلة عند السلطان بحيث لم يرض بعد استبصاره بمفارقة العلامة فى حضر أو سفر، لذا أمر بترتيب المدرسة السيارة له ولتلاميذه، وهذه المدرسة السيارة ذات حجرات ومدارس من الخيام الكرباسية، فكانت تحمل مع الموكب السلطاني وكانت هذه المدرسة المباركة تستقى من الحلة، وتخرج من هذه المدرسة كثير من العلماء الصلحاء، ونقل أنه وجد فى أواخر مؤلفات العلامة وقوع الفراغ منه فى المدرسة السيارة السلطانية فى كرمانشاه، وفى جملة من أواخر أجزاء التذكرة أنه وقع الفراغ منه فى السلطانية، ويؤيده ما ذكره الصفدى من أن العلامة كان يصنف وهو راكب. وأمر السلطان أيضا كبار علماء العامة بالحضور فى المدرسة تنمية للحركة العلمية واستمرار للمباحثات الحرة السلمية بين المذاهب، وممن كان فى هذه المدرسة المولى بدر الدين التستري والمولى نظام الدين عبد الملك المراغى والمولى برهان الدين والخواجه رشيد الدين والسيد ركن الدين الموصلى والكاتبى القزوينى والكيشى وقطب الدين الفارسى وغيرهم.

فلما تشيع السلطان وتم الأمر توجه الملام محسن - وهو مصاحب للعلامة - إلى السلطان وقال: أريد أن أصلى ركعتين على مذهب الفقهاء الأربعة وركعتين على المذهب الجعفرى، وأجعل السلطان حاكما بصحة أى الصلاتين. فقال الملام

محسن: أبو حنيفة مع أحد الفقهاء الأربعة يجوز الوضوء بالنيذ، وكذا يذهب إلى أن الجلد بالدباغة يطهر، وكذا يجوز بدل قراءة الحمد وسورة قراءة آية واحدة حتى إذا كانت بالترجمة ويجوز السجود على نجاسة الكلب، ويجوز بدل السلام بعد التشهد إخراج ريح. فتوضاً الملاء محسن بالنيذ، ولبس جلد الكلب، ووضع خرد الكلب موضع سجوده وكبر، وبدل قراءة الحمد وسورة قال: دوبرك سبز، بمعنى: مدهامتان ثم ركع، ثم سجد على خرد الكلب، وأدى الركعة الثانية مثل الأولى، ثم تشهد، وبدل السلام أخرج ريحاً، وقال: هذه صلاة أهل السنة. ثم مع كمال الخضوع والخشوع صلّى تمام الركعتين على مذهب الشيعة.

فقال السلطان: معلوم أن الأولى ليست صلاة، بل الصلاة الموافقة للعقل. هي الثانية. نعم وبعد هذه المناظرة العظيمة وبركة هذا الخريّت العلامة استبصر السلطان وعدد كبير من الأمراء وعلماء العامة، فعمت البركة في جميع الممالك وهدأت.

وذكر السخاوى كما فى هامش نسخة (أ) من الدرر الكامنة عن شيخه أنه بلغه أن ابن المطهر لما حج اجتمع هو وابن تيمية وتذاكرا، فأعجب ابن تيمية بكلامه، فقال له: من تكون يا هذا؟ فقال: الذى تسميه ابن المنجّس، فحصل بينهما أنس ومباشطة.

ترجمة الشيخ تقى الدين ابن تيمية صاحب كتاب (منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية)

هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الخضر أبو العباس تقى الدين ابن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي الحنبلي، ووالدته ست النعم بنت عبدوس الحرانية (ت 1316/716) أنجبت تسعة بنين، عرف منهم غير تقى الدين بدر الدين محمد وهو أخى تقى الدين لأمه (ت 1317/717) وشرف الدين عبد الله (ت 1327/727) ثم زين الدين عبد الرحمن (ت 1347/747).

ولد تقى الدين بحران يوم الاثنين عاشر ربيع القرآن ربيع الأول سنة 22/661 كانون الأول 1263 أى بعد مضي خمس سنوات على سقوط بغداد فى يد المغول، وحران موطن ابن تيمية الأول هى بلدة من الجزيرة بين دجلة والفرات على الطريق التجارى الذى يربط بلاد الشام بالعراق، وبينها وبين الرها يوم واحد وبين الرقة يومان، ويستفاد من كتب المسالك بأنها قسبة ديار مضر ينسب بناؤها الى هاران أخى إبراهيم الخليل فسميت باسمه ثم عربت فقبل حران وإنها أول مدينة

بنيت على الأرض بعد الطوفان.

كانت حرّان موطنًا للصابئة، وهؤلاء قوم من أصول يونانية وآرامية وتسميتهم جاءت من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء، والصابئون هم الخارجون من دين إلى دين وقد ورد اسمهم في القرآن الكريم بين طوائف المؤمنين.

عاش الصابئة في حران منذ ما قبل الإسلام وبها سدنّتهم السبعة عشر وتلّ عليها مصلى لهم يعظمونه ينسب الى إبراهيم الخليل، وكانوا يتكلّمون الآرامية ويتبعون ديانة نجومية سرّية لها أسرارها وطقوسها، ومن يُتّيح له الاطلاع على أسرارها يبلغ الخلاص، وكانوا يمارسون طقوسهم في معابدهم أو في الخلاء حول العيون ومجارى المياه، ولهم لباس خاص بهم يميزهم عن حولهم.

استمر حضور الصابئة كثيفا في حران إلى حين دخولها في عهدة المسلمين صلحا أيام الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم، لتصبح بعد ذلك موثلا لجماعة كثيرة من أهل العلم عموما ومعقلا للمذهب الحنبلي على وجد الخصوص.

أما لفظة (تيمية) فهي لقب لجدهم تقي الدين الأعلى ومعناها ينطوى على شيء من الالتباس، ولو أن بعض المرويات التاريخية يحيلها إلى حكاية منسوبة إلى محمد بن الخضر الحرّاني المعروف بفخر الدين ابن تيمية (ت 1225/622) مفادها أن جدّه حجّ وله امرأة حامل، فلما كان بتيماء رأى طفلة خرجت من خباء فلما رجع إلى حرّان وجد امرأته قد ولدت بنتا، فلما رآها قال يا تيمية يا تيمية، فلقب به وفي رواية أخرى أن محمدا المذكور ذكر أن جده محمدا كانت أمّه تسمى تيمية

ص: 56

فنسب إليها وعرف بها.

لم يمض ست سنوات من عمره في حران حتى اضطر الطفل تقي الدين احمد إلى الانتقال مع ذويه إلى دمشق فرارا من خطر المغول الداهم على المدينة لتبدأ هناك مرحلة جديدة من حياته استمرت إلى حين وفاته في عشرين ذى القعدة سنة 26/728 أيلول 1328 انكب خلالها على التحصيل العلمي والمطالعة، وصولا إلى مرتبة التدريس والمرجعية في مختلف حقول المعرفة الدينية والدنيوية.

ينتمي احمد ابن تيمية إلى أسرة دينية عريقة محافظة توارث أبناؤها العلم والنزوع إليه، فظهر من بينهم علماء كبار تولوا مشيخة المذهب الحنبلي في حران مما كان له الأثر على شخصية تقي الدين ابن تيمية الدينية، فثمة تربية إسلامية تقليدية للأسرة من الجد إلى العم إلى الأب والأقارب أسهمت في تكوين أسرة من العلماء أسهمت بثبات وعزم في تطور الثقافة الإسلامية، منهم كبير الأسرة فخر الدين محمد المولود في حران أواخر شعبان عام 1147/542 وبعد وفاته خلفه في التدريس والفتوى ولده سيف الدين.

والأبرز في أسرة ابن تيمية كان الشيخ مجد الدين عبد السلام جده لأبيه وله كتب مشهورة في الفقه الحنبلي منها «كتاب المنتقى في الأحكام» و«كتاب منتهى الغاية في شرح الهداية» وله في الفقه «كتاب المسوودة».

أما ابنه شهاب الدين عبد الحلیم والد تقي الدين احمد فتوفر له تكوين معرفي محكم على يد أبيه مجد الدين فتولى بعد وفاته مشيخة الحنابلة وخطابة الجامع في حران.

وسرعان ما ذاع صيت الشيخ عبد الحلیم في دمشق، واشتهر أمره لما عرف

ص:57

عنه من سعة علم ودمائة خلق وحلاوة معشر وتولّى في دمشق وظائف من قبيل التدريس والإفتاء في الجامع الأموي مشيخة دار الحديث السكّرية في حيّ القصّاعين وبها كان سكنه. أنجب عبد الحلّيم ثلاثة أبناء هم كبيرهم تقى الدين احمد وأوسطهم زين الدين تعاطى التجارة وعاش بعد وفاة أخيه احمد وأصغرهم شرف الدين.

عاش ابن تيمية في زمن زهو عصر المماليك، وعاصر حكم أربعة من سلاطين المماليك البحرية هم الظاهر بيبرس البندقداري والمنصور قلاوون الألفي وولده الأشرف خليل والناصر محمد، وهي مرحلة دقيقة وحرّجة للديار المصرية والشاميّة على السواء، حيث تعرّضت فيها البلاد لحالة من التردّي في أوضاعها الداخلية بفعل التنافس على السلطة بين المماليك أنفسهم، وانعكاسات ذلك على السكّان ولا سيما الأقليات منهم والأخطار الخارجية المتمثلة بالمغول والفرنج وحلفائهم من الأرمن.

عرفت بداية عصر المماليك حالة من الاضطراب الداخلي والقلق السياسي، وتمثلت التحديات السياسية بالبيت الأيوبي الذي كان يحكم الشام وبعض حركات الشيعة في الشام ومصر.

الشام، ولبعدها النسبي عن مصدر القرار مصر، ولتنوعها الإثني والديني والمذهبي ويسبب طموحات بعض أمرائها شهدت على امتداد العصور الإسلامية باستثناء العصر الأموي محاولات جادّة للتملّص من الولاء التام للسلطة المركزية وإحكام السيطرة عليها، حرص سلاطين المماليك على توطيد الاستقرار فيها بتقسيمها إلى ست نيابات هي: نيابة دمشق، ونيابة حلب، ونيابة طرابلس، ونيابة

حمّاء، ونيابة صفد، ونيابة الكرك، ثم أضيف إليها غزة حمص والقدس وملطية.

ونظام الحكم فى تلك النيابات فهو صورة مصغرة لنظام السلطنة فى الديار المصرية.

الشام عبارة عن فسيفساء من الأديان والمذاهب، ومن ابرز فرق الشيعة المتواجدة فى بلاد الشام فى عصر ابن تيمية: الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية والنصيرية والموحدون الدروز.

بعد إحكام سيطرته على الجزيرة الفراتية سار هولوكو فى شهر رمضان 1259/657 باتجاه شمال غربى الشام فاجتاز نصيبين وحران والرها والبيرة وحلب، وخضعت اثر ذلك حمص وحمّاه سلما ثم دخل دمشق سلما، ثم اضطر هولوكو للعودة بجيشه إلى بلاده على عجل لوضع حد للاضطرابات الداخلية فيها، وبعدها بقليل حصلت معركة عين جالوت بين بقايا الجيش المغولى الذى يتراوح بين 10 إلى 20 ألف جندى وبين جيوش المماليك فى 25 رمضان 2/658 أيلول 1260 التى أسفرت عن هزيمة المغول ومقتل قائدهم (كاتبغا).

ومنذ بداية عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون شرع الزعيم المغولى بإعادة الكرة على المماليك لاحتلالها وضمّها إلى مملكته، فالتقت جيوش الطرفين فى قرية مجمع المروج فى وادى الخزندار بين حمص وحمّاه فى 27 ربيع الأول 1299/699 وانتصر المغول وانهزم المماليك وعندها تراجع السلطان المملوكى إلى القاهرة فنهب المغول المدن الشامية وصولاً إلى دمشق، فسارع فقهاؤها وأعيانها إلى مقابلة قائد المغول فى قرية النبك بين حمص ودمشق وكان من بينهم تقى الدين ابن تيمية وقيل أنهم نجحوا فى الحصول على الأمان.

وقد تردّد أن ابن تيميّة كان له دور في ذلك، بينما تذكر مصادر أخرى أن القائد المغولي قازان كان له رأى بان يدخل دمشق دون تخريبها وعندما قابل فقهاء دمشق وعدهم بذلك تأكيداً.

إضافة لأخطار المغول، كان عصر ابن تيميّة يعجّ بأخطار الفرنج والأرمن من النصارى، فقد عايش ابن تيميّة آخر حلقات الحروب الصليبية والتي تصدّى فيها الظاهر بيبرس وقلاوون والأشرف خليل، ونجحوا بإخراج الصليبيين من الشام في عام 1291/690.

ومن الشمال كان الخطر الأرمني المتمثل في قوتهم بالربط بين إمارات الفرنج في الشام، وعلاقاتهم بالمغول في الشرق وقد نجح المماليك في إزالة الخطر بعدة حملات بدأت في العام 1265/663 إلى العام 1337/737.

أسهمت الخلافات الفقهية والعقائدية وربما الخصومات الشخصية أيضاً بين ابن تيميّة ومعظم علماء عصره في إقدام هؤلاء على استغلال الفرص السانحة للنيل من خصمهم، والحقّ من قدره لدى الحكّام بذريعة مخالفة الشريعة بما ذهب إليه في عقائده وفتاويه، حتى نجحوا في تأليب الحكام عليه فعصفت به سبع محن تعرض في بعضها للضرب والإهانة والسجن إلى أن انتهى به الأمر ميّتاً في معتقله بقلعة دمشق ليلة العشرين من ذى القعدة 1328/728 ودُفن في مقابر الصوفية.

قال ابن تيميّة في كلامه عن الشيعة «والقوم من أكذب الناس في النقيّات، ومن أجهل الناس في العقليّات، يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلاً بعد جيل، ولا يميّزون في نقلة العلم ورواة الأحاديث والأخبار بين المعروف بالكذب أو الغلط أو الجهل بما ينقل، وبين العدل الحافظ الضابط المعروف بالآثار، وعمدتهم في نفس الأمر على التقليد، وإن ظنّوا إقامته بالبرهانيّات، فتارة يتبعون المعتزلة والقدرية وتارة يتبعون المجسّمة والجبرية، وهم من أجهل هذه الطوائف بالنظريّات، ولهذا كانوا عند عامة أهل العلم والدين من أجهل الطوائف الداخليّين في المسلميّن، ومنهم من أدخل على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا، وأعداء المسلميّن من المشركيّن وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا واستولوا بهم على بلاد الإسلام وسبوا الحرّيم وأخذوا الأموال وسفكوا الدم الحرام، وجرى على الأمّة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا ما لا يعلمه إلا رب العالمين إذ كان أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته على أمير

المؤمنين رضى الله عنه فحرق منهم طائفة بالنار، وطلب قتل بعضهم ففترّوا من سيفه البتار، وتوعد بالجلد طائفة مفترية فيما عرف عنه من الأخبار، إذ قد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية فيما رواه البخارى فى صحيحه وغيره من علماء الملة الحنيفية، ولهذا كانت الشيعة المتقدّمون الذين صحبوا علياً أو كانوا فى ذلك الزمان لم يتنازعو فى تفضيل أبى بكر وعمر»(1).

الجواب: -

فى كلامه عن كون الشيعة من أجهل الطوائف تخليط عجيب! فعلاوة على أنه لم يأتِ دليل على صدق كلامه بل ذراه ذرواً، فهو كشف عن جهله بالعلاقة بين الشيعة من جهة والمعتزلة وغيرهم من جهة أخرى، وعن علاقة الشيعة الذين ردّ عليهم بكتابه (وهم الإمامية) وبين غيرهم ممن حكم الأئمة عليهم السلام بزيغهم ومروقهم من الدين بسبب العقائد الفاسدة.

فهو فى قوله «والقوم من أكذب الناس فى النقليات، ومن أجهل الناس فى العقلية، يصدّقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل ويكذبون بالمعلوم من الاضطراب المتواتر أعظم تواتر فى الأمة جيلاً بعد جيل» لم يستدلّ دليل واحد لنعرف ما هو الأمر الذى يعلم العلماء بالاضطرار بطلانه وقد صدّقه الشيعة، ولا باقى كلامه يحمل الدليل الذى يُردُّ أو يناقش! وعندما يأتى أصحابه دليل سنديّ بدلوناً.

ص: 62

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 4.

والفقه والحديث التاريخ يشهد بكذب مقالته، كيف وتلميذه شمس الدين الذهبي يقول «غلاة المعتزلة، وغلاة الشيعة، وغلاة الحنابلة، وغلاة الأشاعرة، وغلاة المرجئة، وغلاة الجهمية، وغلاة الكرامية، قد ماجت بهم الدنيا، وكثروا، وفيهم أذكيا وعباد وعلماء، نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن»⁽¹⁾. فماذا نفعل بقوله «وفيهم أذكيا وعباد وعلماء»!.

وقال ابن القيم في مناقشته لوقوع الحلف بالطلاق من عدمه فقال⁽²⁾ «إن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت. وهب أن مكابرا كذبهم كلهم، وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد، وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة، وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون، ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم ويبحثون معهم، والقوم وإن أخطأوا في بعض المواضع لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ حتى يرد عليهم هذا لو انفردوا بذلك عن الأمة، فكيف وقد وافقوا في قولهم من قد حكينا قولهم وغيره

ص:63

1- (1) سير أعلام النبلاء - الذهبي/تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة/بيروت/الطبعة التاسعة: ج 20، ص 46-45/عقيدة أدياء السلفية في ميزان أهل السنة والجماعة/أبو عبد الله، محمد بن النّيت المراكشى/دار البيارق الطبعة الثانية 1999 م ص 4.

2- (2) الصواعق المرسلّة - ابن القيم - ص 616.

ممن لم تقف على قوله».

فهذا شهادة ابن القيم وهو الإمام المقدم عندهم وهو تلميذ ابن تيمية، فهل صدقه أم نصدق ابن تيمية؟!

وقول ابن تيمية «ومنهم من أدخل على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا» قوله هذا من أعظم الافتراء! فكون هذه الفرق كانت تشاطر الإمامية عقيدتها ثم انحرفت لا يحتمل الإمامية مسؤولية انحرافها، فكما لا نستطيع القول بأن المنافقين في المدينة المنورة والذين آذوا رسول الله قد دخلوا من باب المسلمين، بل وهذا القول هرطقة لا- يقولها إلا من يكد للإسلام وأهله. ولا ان نقول لولا وجود النبي صلى الله عليه وآله لما وجد المنافقون، ولما وجدت الحروب التي مات فيها عشرات الألوف من العرب في فتوح الإسلام!.

وهذا من الأساليب الملتوية التي يجدها كل قارئ لكتب ابن تيمية، فهو يتكلم عن أمور يتفق الناس على إنكارها ثم يقرب من العدو المقصود الصاقها به فيفهم القارئ أن هذا العدو يعتقد بهذه الأمور!

قال تعالى:

(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (النحل: 105).

فالأئمة عليهم السلام قبل غيرهم جاهدوا المنحرفين ممن يدعى حبه، ولم يألوا جهداً في تبيين زيفهم وكذبهم وكُتب محدثي الشيعة تغصُّ بأخبار المناظرات العلمية التي كان يقيمها الأئمة لإبعاد شرِّ وفتنة هؤلاء.

ص: 64

لذا فابن تيمية استعمل أسلوب الختل والتدليس في توجيه كلامه للقارىء المسكين! فهو وفي غمرة توجيه كلامه للعلامة الحلي (وهو الشيعي الإمامي) يدخل في الاتهام باقى فرق الشيعة والتي تبرا منها اهل البيت عليهم السلام وأتباعهم الإمامية (أعزهم الله)، فهو يدخل الفرق الضالة كالملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم ممن علم مباينتهم للإمامية فى الأصول والفروع إلا النزر اليسير وحسب أن بعض العلماء عليهم السلام كان يلقب الواقعة الجاحدة لإمامة الرضا عليه السلام بالكلاب الممطورة(1)! مبالغة فى التشنيع عليهم وتحذير الناس منهم، ولو كان اشتراكهم مع الإمامية بتقديمهم لعلى عليه السلام أو ببعض الصفات الخاصة به يجعلهم مشمولين للعنوان لكان انتساب من يتبرأ منهم السلفيون (ومنهم ابن تيمية) إليهم أقرب من ذلك، ومن هؤلاء المعتزلة والأشاعرة والماتريدية(2)!

ص: 65

1- (1) خاتمة المستدرک - الميرزا النورى - ج 5 - ص 20.

2- (2) أنظر تناقضهم فى تحديد أهل البدعة وأهل السنة وحسب من ذلك كتاب «منهج الأشاعرة فى العقيدة» للشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالى وفيه يرد على الشيخ الفوزان فى دعواه أن الفرق بين السلفية والأشاعرة هى فى مسألة الصفات فقط، ويصل فى نهاية الكتاب الى نتيجة فحواها أن الأشاعرة والسلفية يتفقون فى مسألة الصحابة وحكمهم وعدالتهم فقط ويختلفون فى كل شىء عدا ذلك، وأن حكم الأشاعرة (وهم أتباع المذاهب الأربعة اليوم) هو الضلال ودخول النار!. وانظر كتاب «حوار مع أشعري» وملحقه «الماتريدية ربيبة الكلاية» للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، وستجد العجب العجاب من التبديع والتضليل والتفسيق لمن هم يشتركون معهم فى قضية الصحابة! بل ولع بعضهم بالرد على بعض وتضليلهم ألقوا فيه الكتب لعلاجه وهذا مما يلفت الانتباه فلو كانوا متفقين على أصول واحدة لكانت قلوبهم واحدة، إقرأ قول أحدهم وهو من المبرزين عندهم تحت عنوان: فتنة التجريح والهجر من بعض أهل السنة فى هذا

وأما قوله عن أمير المؤمنين عليه السلام «إذ قد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية فيما رواه البخارى فى صحيحه وغيره من علماء الملة الحنفيه»

فهو من الباطل، فقد عرّف السلفيون التواتر بأنه «ما رواه جماعة يستحيل فى العادة أن يتواطئوا على الكذب وأسندوه الى شىء محسوس»⁽¹⁾ وهذا الحديث قد رواه أربعة من الصحابة على قول سليمان ابن الأشعث⁽²⁾ بينما ادعى ابن تيمية فى (الوصية الكبرى)⁽³⁾ أنه متواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام. مع أن من صنف

ص:67

-
- 1- (1) مصطلح الحديث - محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزى، الطبعة الأولى 2007 م: ص 6.
 - 2- (2) سؤالات الآجرى لابن داود - سليمان ابن الأشعث - تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوى - ط مكتبة دار الاستقامة - 1997 م - ج 2 ص 99.
 - 3- (3) الوصية الكبرى - ابن تيمية - تحقيق إياد عبد اللطيف إبراهيم - طبعة مكتب التراث الأعظمية 1989 م - ص 48.

فى الأحادىث الممتواترة من المآأخرىن والذىن اطلعوا على ما جاء به الأؤلون لم يضمّنه كتابه كالىوطى (1) مثلاً.

والحقّ عدم تواتره على مبانىهم مع أنه باطل منكر فى نفسه، يخالف ما ورد فى أصحّ الكتب عندهم مثل صحىح مسلم وسنأتى على حدىثه لاحقاً، إذ ورد هذا الحدىث فى مسند أحمد من خمس طرق (2): -

الطرىق الأولى: فىها عاصم بن أبى النجود وزر بن حبىش وهما معدودان فى النواصب (3).

الطرىق الثانىة والثالثة: فىها الشعبى وهو من الأربعة الذىن لا يؤمنون على علىّ ابن أبى طالب كما قال ابن أبى الحدىد المعتزلى (4)، وابن أبى الحدىد هو من أهل السنة بالعنوان العام كما أقر بذلك ابن تىمىة فقال وهو يتكلم عن الشىعة «فمن صنف منهم تفسىر القرآن فمن تفاسىر أهل السنة يأخذ كما فعل الطوسى والموسوى، فما فى تفسىره من علم يستفاد هو مأخوذ من تفاسىر أهل السنة وأهل السنة فى هذا الموضوع من ىقر بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون فى أهل السنة» (5).

والرابعة فىها شرىك القاضى ومن ىقرأ سىرته فى ثقات العجلى (6) ولماذا لقبه

ص: 68

1- (1) انظر: الأزهار المآتثرة فى الأخبار المآتثرة.

2- (2) مسند أحمد - دار صادر (بدون تاریخ) ج 1 - ص 106.

3- (3) لاحظ فى ترجمتهما: معجم نواصب المآدّىن - للمؤلف.

4- (4) شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحدىد المعتزلى - تحقىق محمد أبو الفضل إبراهىم - ط دار إحىاء الكتب العربىة - ج 4 - ص 98.

5- (5) منهاج السنة - ابن تىمىة - ج 6 ص 379.

6- (6) معرفة الثقات - العجلى - ط مكتبة الدار - 1985 - ج 1 - ص 456.

الناس (ابن قاتل الحسين) لا يجد بدءاً من عدم تعديله.

الطريق الخامسة: وفيها خالد الزيّات وهو مجهول عند من ترجم لرواة مسند أحمد مثل محمد بن علي بن حمزة(1).

وقد بذل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني(2) في تحقيقه على كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم جهده الواسع في لملمة أطراف الحديث وألفاظه في كل كتب الحديث السنيّة فلم تتجاوز اثني عشر حديثاً بالفاظ شتى، بين ضعيف وصحيح والصحيح منها لا يخلو سنده من نواصب.

والغريب انك تجد ابن تيميّة الوحيد الذي ادّعى التواتر طوال خمسة عشر قرناً. وما يمنع من التواتر هنا هو الداعي للكذب، فأكثر طرق الحديث فيه نواصب أو مجهولون، والحديث يدخل في الأحاديث السياسية التي يحذر منها بدخيلة الزمان والمكان، فالحديث انتشر في زمان الأمويين الذين بالغوا في التنقيص من مكانة أمير المؤمنين عليه السلام وقد مرّ علينا نقل ابن أبي الحديد عن المدائني قوله(3) «ثم كتب - معاوية - إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتونني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحبّ إلي وأقرّ لعيني وادحض لحجة أبي تراب

ص:69

-
- 1- (1) من له رواية في مسند أحمد - محمد بن علي بن حمزة - تحقيق الدكتور عبد المعاطي أمين قلعي - ط جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان - ص 119.
 - 2- (2) كتاب السنة - عمرو بن أبي عاصم - تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني - طبعة بيروت 1993 - ص 556-559.
 - 3- (3) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 11 - ص 44-46.

وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة فى مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس فى رواية ما يجرى هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمى الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله».

فهذا الحديث أحد تلكم الأكاذيب الموضوعة على لسان الإمام فى زمن معاوية.

وقال ابن أبى الحديد(1) «وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه(2) وهو من

ص:70

1- (1) شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد - ج 11 - ص 46

2- (2) قال الذهبى «إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكى الواسطى. أبو عبد الله نفطويه النحوى. قيل إنه من ولد المهلب بن أبى صفرة. سكن بغداد، وصنف تصانيف. قال الخطيب: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى العتكى. روى عن إسحاق بن وهب العلاف، ومحمد بن عبد الملك الدقيقى، وشعيب بن أيوب، وأحمد بن عبد الجبار العطاردى، وطبقتهم. روى عنه: المعافى الجريرى، وأبو بكر بن شاذان، وابن حيويه، وأبو بكر ابن المقرئ، وغيرهم. مولده سنة أربع وأربعين، وكان متفننا فى العلوم. ينكر الاشتقاق ويحيله. وكان يحفظ نقائض جرير والفرزدق، وشعر ذى الرمة. وأخذ العربية عن: ثعلب، والمبرد، ومحمد بن الجهم. وخلط نحو الكوفيين بنحو البصريين. وتفق على مذهب، أهل الظاهر، ورأس فيه. وكان ديناً، ذا سنة، ومروءة، وفتوة، وكيس، وحسن خلق. صنف: غريب القرآن، والمقنع فى النحو، وكتاب البارع وغير ذلك. وله شعر رائق. توفى قبل الذى قبله بيوم واحد فى صفر، كلاهما ببغداد. وله تاريخ الخلفاء فى مجلدين» تاريخ الإسلام - الذهبى - ج 24 - ص 125-126.

أكبر المحدثين وأعلامهم - فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن أكثر الأحاديث الموضوعية فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم».

وهذا هو الحق والذى ترشد إليه ملابسات الواقع المظلم فى العهد الأموى إذ الدواعى موجودة بقوة لذمّ على والتنقيص منه، واختراع الفضائل لأعدائه لينصروهم سياسياً، لكونهم من أسس النظام السياسى الذى قامت عليه شرعية الحكم الأموى، وبالتالي تدخل الدنيا التى ينالها من يرضى بنى أمية لتكون عاملاً حاسماً فى إذاعة هذه الأخبار الكاذبة.

ولا أعرف كيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام بينما يصف هؤلاء القوم وبالكتب نفسها بأفزع الأوصاف؟! فهذا مسلم القشيرى يروى حديث نزاع الإرث والذى ينقل عمر فيه عن علىّ سبّه لأبى بكر وعمر، قال مسلم(1) «حدثنى عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعى حدثنا جويرية عن مالك عن الزهرى أن مالك بن أوس حدثه قال أرسل إلى عمر بن الخطاب فجئته حيث تعالى النهار، قال: فوجدته فى بيته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله، متكئاً على وسادة من ادم، فقال لى: يا مال انه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم برضخ فخذنه فاقسمه بينهم، قال: قلت لو أمرت بهذا غيرى، قال: خذه يا مال قال: فجاء يرفأ(2) فقال: هل لك يا أمير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد فقال عمر: نعم فأذن لهم فدخلوا، ثم جاء فقال: هل لك فى عباس وعلى، قال: نعم فأذن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين

ص:71

1- (1) صحيح مسلم - مسلم النيسابورى - دار الفكر - بيروت - ج 5 - ص 151-153.

2- (2) هو أحد غلمان عمر بن الخطاب.

هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن، فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين فافض بينهم وأرحهم (فقال مالك بن أوس يخيل إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك) فقال عمر اتندا أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قالوا: نعم، ثم اقبل على العباس وعلى فقال: أنشدكما بالله الذى ياذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا- نورث ما تركناه صدقة؟ قالوا: نعم، فقال عمر أن الله عز وجل كان خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحد غيره، قال: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله وللرسول) (الحشر: من الآية 7) (ما أدري هل قرأ الآية التى قبلها أم لا) قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بنى النضير، فوالله ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقى هذا المال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقى أسوة المال ثم قال: أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك قالوا: نعم ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم أتعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر: أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نورث ما تركنا صدقة، فرأيتما كاذبا آثما غادرا خائنا، والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى أبو بكر وأنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى أبى بكر، فرأيتما كاذبا آثما غادراً خائنا، والله يعلم إنى لصادق بار راشد تابع للحق فوليتها ثم جنتنى أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد، فقلتما ادفعها إلينا فقلت إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملها فيها

بالذى كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذتها بذلك، قال: أكذاك؟ قالوا: نعم قال ثم جئتماني لأقضى بينكما ولا والله لا أقضى بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فرداها إلي».

وهذا النص الصحيح على موازين اهل السنة وهو على لسان عمر - وهو غير متهم عندهم - يكشف الرأى الصريح لأمير المؤمنين عليه السلام بالشيخين. فهو يصفهما بأنهما: كاذبان، آثمان، غادران، خائنان!

وأما ما احتج به أمير المؤمنين عليه السلام على أفضليته على غيره بعد النبي صلى الله عليه وآله من طرفنا فنصوص تملأ المجلدات وإنما ليس من منهجنا الرد بما جاء عن طرفنا، وهو خلاف ما يفعله ابن تيمية وأشباهاه فهم يحتجون علينا بما لا حجة علينا به ولم نعرف له طريقاً بل ولا يخجلون الاستشهاد بما روته من يعترفون هم بأنهم نواصب!

وقوله عليه السلام فى خطبته الشقشقية(1) «والله لقد تمصها ابن أبى قحافة وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنى السيل، ولا- يرقى إلى الطير، لكنى سدلت دونها ثوبا، وطويت دونها كشحا، وطفقت أرتتى بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفى العين قذى، وفى الحلق شجا من أن أرى تراثى نهبا، إلى أن حضره أجله فأدلى بها إلى عمر، فيا عجباً! بينا هو يستقبلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. لشد ما

ص:73

1- (1) الإرشاد - الشيخ المفيد - دار المفيد للطباعة والنشر - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث - 1993 - ج 1 - ص 287-289 /وقد أقر ابن أبى الحديد السنّى بهذه الخطبة وكونها لأمير المؤمنين عليه السلام، لذا فهى حجة عليهم.

تشطرا ضرعيها. شتان ما يومى على كورها ويوم حيان أخى جابر فصيرها والله فى ناحية خشناء، يجفو مسها، ويغلظ كلمها فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرق وإن أسلس لها عسف، يكثرفيها العثار ويقل منها الاعتذار، فمنى الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلون واعتراض، إلى أن حضرته الوفاة فجعلها شورى بين جماعة زعم أنى أحدهم. فى للشورى ولله هم، متى اعترض الريب فى مع الأولين منهم حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر لكنى أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، صبرا على طول المحنة وانقضاء المدة، فمال رجل لضغنه، وصغا آخر لصهره، مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجا حصنيه بين نثيله ومعتلفه، وأسرع معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن نزت به بطنته وأجهز عليه عمله».

هذا القول من الإمام عليه السلام خير دليل على مقام هذين الشخصين عند الإمام ولكن أين الإنصاف.

قال تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) (النساء: 61)

قال ابن تيمية(1) فى الشيعة «يعادون خيار أولياء الله تعالى من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين، فتجدهم أو كثيرا منهم إذا

ص:74

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 7.

اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء فمنهم من آمن ومنهم من كفر، سواء كان الاختلاف بقول أو عمل كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن، كما قد جربته الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة، فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين، وهكذا معاوتتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير».

قلت في الجواب:

إن قوله «وهكذا معاوتتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير» من أعظم الافتراء، فاليهود لم تكن تقم لهم دولة أو كيان منذ الشتات الأعظم حوالي عام 70 للميلاد وإلى اصطناع الكيان الصهيوني فكيف تعاون الشيعة مع اليهود؟ وأين؟!.

ثم إن الشيعة كانوا في المشرق الإسلامي واليهود تشتتوا في بلاد المغرب من إفريقيا وأوروبا فأين التقوا وتعاونوا؟! وهذا يكشف عن جهله بالتاريخ!.

بل هذا يدل عن أنه لما رأى أن المسلمين يذمون اليهود أكثر من غيرهم استعمل هذا الأسلوب للربط في الأذهان بين اليهود والشيعة لتغيير المسلمين عنهم في وقت كان الألوفاً يتشيعون في الهند وخراسان جرّاء تشيع السلطان المغولي

ص: 75

خدابنده! وهو الداعي لتأليف كتابه (منهاج الاعتدال) أى أن القارىء سيرى أمر ابن تيمية عجبياً فى ربط الشيعة باليهود فى كثير من إشكالاته وليس ذلك إلا للتغيير عنهم بما يعلم هو نفسه بأنه باطل لا أساس له!

بل أنا إذا جعلنا التاريخ المعاصر بعد قيام دويلة الكيان الصهيونى فى فلسطين لرأينا أن الأنظمة السننية هى التى تسببت بضياغ فلسطين، ووقوع أولى القبلتين فى أيدي اليهود، والأنظمة فى فعلها هذا مسكوت عنها من قبل المؤسسات الدينية الوهابية فى السعودية، إذ كانوا يساندون عبد العزيز آل سعود وأبناءه مع علم الجميع بما كان يعقده من اتفاقيات مع البريطانيين والأمريكيين، وهما رعاة اليهود فى العالم، والذى حصل بعد اتفاق أوصلو 1993 م أن أصدرت الهيئات الدينية فى السعودية فتاوى تجيز السلام وتشجعه مع اليهود! ومن أشهر هذه الفتاوى فتوى عبد العزيز ابن باز الشهيرة فى جواز السلام التى فنّدها الشيخ يوسف القرضاوى وغيره من العلماء فى سجال استمر على صفحات الجرائد. بينما رفضت الهيئات الشيعية فى لبنان وإيران والعراق وباكستان الاتفاقية وإدانتها وأمدت الفلسطينيين بالسلاح والمال والدعم المادى لتخليص أرضهم من العدو.

وقد نقلت مجلة (العالم) المساجلات على صفحاتها ومنها كلمة الدكتور يوسف القرضاوى إذ قال:

«سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز واحد من كبار علماء المسلمين المرموقين فى هذا العصر، وفتاواه معتبرة فى الأوساط العلمية والدينية وهو رجل يوثق بعلمه ودينه، نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله تعالى. ولكنه - على كل حال - ليس بمعصوم، فكل بشر يصيب ويخطئ وقد تعلمنا من سلفنا الصالح: ان كل واحد

يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أجل هذا جاء التحذير من (زلات العلماء) ومن (زيفة الحكيم) كما قال معاذ بن جبل رضى الله عنه، فيما رواه أبو داود(1). وقد قال معاذ: احذروا زيفة الحكيم، ولا يثنيكم ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع. وفتوى العلامة ابن باز التي نشرت حول السلام مع (إسرائيل) - إن صحت عنه - يخالف فيها الكثير من علماء المسلمين. وأنا منهم وعلى الرغم من مودتي وتقديري الكبير له، ولكن كما قال الحافظ الذهبي عن شيخه الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام حبيب إلينا ولكن الحق أحب إلينا منه! وفي رأبي أن موضع الخطأ فى فتوى الشيخ حفظه الله ليست فى الحكم الشرعى والاستدلال له، فالحكم فى ذاته صحيح، والاستدلال له لاغبار عليه، ولكن الخطأ هنا فى تنزيل غير صحيح، وهو ما يسميه الأصوليون (تحقيق المناط) فالمناط الذى

ص: 77

1- (1) يعتبر كتاب السنن لأبى داود من أجل الكتب عند السلفية بما يسمون به الى الصحيحين يقول عبد المحسن العباد أحد علمائهم «كتاب السنن لأبى داود كتابٌ ذو شأن عظيم، عُنِيَ فيه مؤلّفه بجمع أحاديث الأحكام وترتيبها وإيرادها تحت تراجم أبواب تدلُّ على فقهه وتمكُّنه فى الرواية والدراية، قال فيه أبو سليمان الخطابي فى أول كتاب "معالم السنن": "وقد جمع أبو داود فى كتابه هذا من الحديث فى أصول العلم وأمّهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدِّماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه". وللحافظ المنذرى تهذيب لسنن أبى داود وللإمام ابن القيم تعليقات على هذا التهذيب، وقد وصف ابن القيم - رحمه الله - "سنن أبى داود" و "تهذيب المنذرى" وما علقه عليه فقال: "ولمّا كان كتاب السنن لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني - رحمه الله - من الإسلام بالموضع الذى خصّه الله به، بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، وفصلاً فى موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، ويحكمه يرضى المحققون، فإنّه جمع شملَ أحاديث الأحكام، ورتّبها أحسن ترتيب، ونظّمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، وأطّراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء». كيف نستفيد من الكتب الحديثية الستة - عبد المحسن العباد - ص 20.

بنى عليه الحكم لم يتحقق وأوضح ذلك فيما يلي: بنى الشيخ ابن باز فتواه على أمرين أو على دليلين:

الأول: قوله تعالى:

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنفال: 61).

الثانى: أن الهدنة تجوز شرعاً مؤقتة ومطلقة، وكلاهما فعله النبى صلى الله عليه وسلم مع المشركين، فقد صالح النبى صلى الله عليه وسلم مشركى مكة على ترك الحرب عشر سنين، يامن فيها الناس، يكفّ بعضهم عن بعض، وصالح كثيراً من قبائل العرب صلحاً مطلقاً، فلما فتح مكة نبد إليهم عهودهم، وأجل من لاعهد له أربعة أشهر. وعلى أساس هذين الدليلين قال الشيخ: يجوز لولى الأمر أن يعقد الهدنة إذا رأى المصلحة فى ذلك. وينظر فى الدليل الأول للشيخ العلامة، وهو الآية الكريمة من سورة الأنفال، نقول لا مشاحة فى أن العدو إذا جنح للسلام ينبغى نحن أن نجنح لها متوكلين على الله، ولكن تطبيق هذا على واقع اليهود معنا غير صحيح، لان اليهود الغاصبين لم يجنحوا للسلام يوماً، وكيف يعتبر اليهود جانحين للسلام بعد ان اغتصبوا الأرض، وسفكوا الدماء، وشردوا الأهل واخرجوا الناس من ديارهم بغير حق؟ وما مثل اليهود من أهل فلسطين إلا- كمثل رجل اغتصب دارك. واحتلها بأهله وأولاده وأتباعه بالقوة والسلاح وأخرجك واهلك وعيالك منها، وشردك فى العراء وظللت أنت وعيالك تقاومه وتحاربه ويحاربك، وتقاتله ويقاتلك، كى تسترجع دارك، وتسترد حقك.. وبعد مدة طالت من الزمن قال لك: تعال أصالحك وأسالمك، سأترك لك حجرة من الدار الكبيرة -

ص:78

دارك أنت - على أن تسالمني ولا- تحاربنى، وتسالمني ولا- تنازعنى فسأترك لك الأرض مقابل سلامى، مع أن الأرض أو الحجرة التى سيتنازل عنها فى زعمه أرضك أنت مقابل سلامه هو! فهل يعتبر مثل هذا المغتصب المصر على اغتصابه جانحاً للسلم؟!

إن الآية التى ذكرها هنا ليست آية سورة الأنفال، بل آية سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

(فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالِكُمْ) (محمد: 35).

وننظر فى الدليل الثانى للشيخ، وهو أن الهدنة تجوز مؤقتة ومطلقة فنقول: إن الهدنة معناها وقف القتال ولكن هل الذى وقع مع اليهود مجرد هدنة تترك فيها الحرب ويوقف فيها القتال ويكف الناس بعضهم عن بعض؟ الواقع يقول: إن الذى حدث بين اليهود والفلسطينيين ليس مجرد هدنة، بل هو شىء أكبر وأخطر، واعتراف اليهود بأن الأرض التى اغتصبوها بالحديد والنار، شردوا أهلها بالملايين، أصبحت ملكاً لهم أصبحت لهم السيادة الشرعية عليها، وغدت حيفاً ويافاً وعكاً واللد والرملة وبثر السبع، بل القدس نفسها أرضاً إسرائيلية وان هذه البلاد العربية الإسلامية التى ظلت أكثر من ثلاثة عشر قرناً مع المسلمين، صارت جزءاً من دولة (إسرائيل) اليهودية الصهيونية، ولم يعد لنا حق فيها، ولا حتى مجرد المطالبة بها، ومعنى هذا: إن ما أخذ بالسلاح والقوة اكتسب الشرعية! ما حدث إذاً ليس مجرد هدنة كما تصور شيخنا الكريم، بل هو اعتراف كامل بحق (إسرائيل) فى أرضنا الإسلامية العربية، وفى سيادتهم عليها، وأنها أُخرجت من أيدينا إلى

الأبد! قد وقعنا على ذلك العقود وأشهدنا على ذلك الشهود! إننا هنا نخالف سماحة الشيخ في تطبيق الحكم الشرعي على الواقع الراهن، فهو تطبيق - في نظرنا - غير سليم... وكان على الشيخ الكبير في هذا الموضوع الخطير الذي يتعلق بعدو ظللنا نحاربه لبغيه وعدوانه - ما يقارب من خمسين سنة بعد قيام دولته، وعشرات السنين الأخرى قبل قيام الدولة - أن يستمع إلى رأى الخبراء فى السياسة والسلم والحرب، الخبراء الثقات المأمونين الذى لا يدورون فى فلك الحكام الخونة أو المتخاذلين ليعلم منهم: هل جنح اليهود للسلم فعلاً؟ هل ان ما حدث هو مجرد هدنة أم اعتراف كامل يسقط حقنا بالكلية؟ والمسلمون فى ديار الإسلام يعجبون من العرب كيف تغيروا ما بين عشية وضحاها، وجعلوا العدو صديقاً ووضعوا أيديهم فى يد من قاتلهم وقتلهم أخرجهم من ديارهم وأبنائهم، والموقف السلمى هنا ما حكاه القرآن: (وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) (البقرة: من الآية 246) اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه، وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، آمين».

وقال الدكتور هشام سعيد (نائب أردنى وعالم فى الحديث النبوى) «الحقيقة أن كلام الشيخ ابن باز بجواز الهدنة الدائمة أو الصلح الدائم مع اليهود هو ليس فى محله، وليس من الشرع، وذلك لان الهدنة الدائمة والصلح الدائم مع اليهود المغتصبين للأرض وللمسجد الأقصى والقدس تقر لهم ذلك الاغتصاب والاحتلال، وهذا تنازل كامل وسلخ لفلسطين كلها والمسجد الأقصى المبارك عن الهوية الإسلامية وقدسيته، واعتراف ومباركة دولية تمكن اليهود من هذا الاحتلال وانه شرعى، وضمن قرارات الأمم المتحدة، كما أن فى ذلك اعتداء على الموقف الإسلامى الذى أوقفه عمر بن الخطاب، ولا يجوز بيعه أو التنازل عنه

والتفريط به. وكنا نأمل من ابن باز أن يفتى بالجهد ودعم المجاهدين وتحرير الأرض المقدسة، وجمع الأموال لتلك الغاية، إما أن تكون تلك الفتوى من أجل استقرار وأمن هذا المغتصب فبأى حق يكون ذلك. كما أن ابن باز عندما دعا إلى زيارة المسجد الأقصى فهو يفتح الباب أمام الزيارات، وعدد كبير من هؤلاء الزائرين يذهبون لتحقيق الشهوات من خلال العلاقة مع اليهود وليس من أجل الصلاة، إذا كانت زيارة المسجد الأقصى سنة فالعلاقات مع اليهود هي حرام، فكيف نهتم بتحقيق السنة ونرتكب الحرام، كما انه من المؤسف أن تكون هذه الفتوى مطابقة لتصرفات بعض الأنظمة والحكام، ويجب علينا أن لا ننسى أيضا فتوى ابن باز الماضية بجواز قدوم القوات الأجنبية إلى المنطقة (1) وجعلها أمراً مقبولاً فنأمل أن يراجع ابن باز موقفه هذا وينظر إلى خطورة فتواه لأنه ربما يمكن اليهود من احتلال مكة والمدينة أمام حكام متخاذلين وتتبع تخاذلهم بفتاوى إسلامية».

وقال الدكتور محمد فارس (أحد علماء الشريعة في الأردن) «ما نشر في الصحف هو كلام عام، والفتوى في واقعة وليست في كلام عام، والأصل أن يكون ابن باز صريحاً وان يقول الموقف الشرعي عن ما يجري على أرض فلسطين أو خارج أرض فلسطين، وأن يذكر حكم الشرع فيه، حيث فهم الناس انه موافق على ما يجري وان الشرع يسمح بذلك. وما يجري هو ليس هدنة وإنما اليهود احتلوا وقاتلوا المسلمين في دينهم وأقاموا دولتهم على أرض المسلمين، فكيف تكون الهدنة والصلح هي الحكم بل يجب أن يكون القتال والجهد، فمن هنا الموقف الشرعي الأصل أن يكون واضحاً، لا لبس فيه ولا عرض، ومطلوب من

ص: 81

1- (1) كان ابن باز ضمن جوقه الملك فهد والذين أفتوا بجواز الاستعانة بالكفار لردع المسلم فاستدعوا قوات صليبية ويهودية الى بلاد المقدسات بحجة حماية المملكة من صدام!

ابن باز أن يتأكد، ما يطرح عليه من المسائل والأخذ بالحيطة والحذر، لما نعرفه من حقيقة العدو، وإذا تغاضى ابن باز عن تلك البديهة وأعطى فتواه فتلك كبيرة من كبائر. يكون قد اقترفها ابن باز، ومن يقول بقوله فنحن ننكر عليه هذا ونناشده أن يتراجع عن ذلك، لان في كلامه إقرار لليهود بأرض فلسطين الإسلامية، وياعجبى أن يقوم (الشيخ) شمعون بيريز بتأييد فتوى ابن باز وهو مسرور منها جداً (1) لأنها تحقق لذلك (الشيخ) ما يريد اليهود ويبدو أنها فتوى سياسية وليست شرعية أو دينية، وفقهاء السلطان موجودون في كل مكان وهؤلاء الناس لا يؤخذ بفتواهم».

لذا فالتقرب من اليهود والتآمر معهم على المسلمين من شأن الوهابيين وحكامهم الذين يسمونهم (أولى الأمر) وهم يشركون بجعل طاعتهم في عرض طاعة الله.

يقول تعالى:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (التوبة: من الآية 31).

فهؤلاء لم يعبدوا أحبارهم ورهبانهم بل اتبعوهم بتحليل حرام الله وتحريم حلال الله فأطاعوهم في عرض طاعة الله وهذه هي العبادة من دون الله.

إما قول ابن تيمية «تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن كما قد جرّبه الناس منهم غير مرة في مثل إعاتهم للمشركين من

ص: 82

1- (1) طار اليهود فرحاً بتلك (الفتوى) من الشيخ ابن باز كما فعلوا بعد ذلك في حرب تمّوز إذ أفتى لهم الشيخ ابن جبرين بحرمة مساعدة حزب الله حتى بالدعاء! ونشرت صحيفة يدعوت أحرونوت الصهيونية تلك الفتوى مشفوعة بتشجيع على «الاعتدال» ونبد التطرف الشيعي ضد اليهود! وسيأتيك ذلك.

الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك فى وقائع متعددة، من أعظمها الحوادث التى كانت فى الإسلام فى المائة الرابعة والسابعة، فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين».

فهذا مما يشهد التاريخ بخلافه ومن المعلوم أن عامة المؤرخين من أهل السنة بالعنوان العام، وبالتالى فهم غير متهمين فى ما ينقلونه عن تعاون سلاطين أهل السنة مع الصليبيين وغيرهم ضد مسلمين آخرين، ومن نماذج ذلك:

ما سطره ابن كثير الدمشقى وهو من تلاميذ ابن تيمية ومن أبرز نواصبهم فى كتابه (البداية والنهاية) فقال: (1) «ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة... وفيها أقبل ملك الروم كيكاريس سنجر يريد أخذ مملكة حلب، وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط، فصده عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه ورده خائباً».

فهذا ابن صلاح الدين الأيوبي يتحالف مع الملك الصليبي لاغتصاب أرض الإسلام! قال تعالى:

(الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) (النساء: 139).

وقال ابن كثير (2) «دخلت سنة ست وعشرين وستمائة استهلَّت هذه السنة

ص: 83

1- (1) البداية والنهاية - ابن كثير - ج 13 - ص 93-94.

2- (2) البداية والنهاية - ابن كثير - ج 13 - ص 144-145.

وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا أحزاباً وفرقاً، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم، فوعدت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده، وتبقى بأيديهم بقية البلاد فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم أسواره، فعظم ذلك على المسلمين جدا وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم، فإننا لله وإنا إليه راجعون».

فهل هناك ذلٌ أكبر من هذا؟! والغريب أن قضية تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين لا تذكر إطلاقاً من وهابية اليوم في منابرهم الوعظية، لكنهم يذكرون خبراً اختلف فيه المؤرخون حول دور رجل يقال إنه شيعي في سقوط بغداد! فهل مدينة بغداد أكثر قدسية من أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين؟! أم أن دينهم السياسة دائماً فأينما يريد الحكام تجد الفتاوى مشرعة!.

وقال ابن أعمش الكوفي في الفتوح في تفاصيل معركة صفين (1) «فنادى على في الناس فجمعهم، ثم خطبهم خطبة بليغة وقال: أيها الناس! إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم (2)، وسار إلى صفين في أهل الشام عازماً على

ص: 84

1- (1) كتاب الفتوح - أحمد بن أعمش الكوفي - ج 2 - ص 539 - تحقيق د علي شيرى - الأولى - 1411 - دار الأضواء.
2- (2) وقد ذكرت مصادر البيزنطيين والعرب أن معاوية دفع الجزية للروم مقابل سكوتهم عنه ليتفرغ لحرب المسلمين في صفين/تاريخ العرب - فيليب حتى - ص 258 بل كانت هذه سياسته تجاه النصارى من اتباع دولة الروم، وقد يكون هذا بتأثير بلاطه الآرامي النصراني فقد كان رئيس الموظفين في بلاط

حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم، وإن غلبوكم فلا- حجاز ولا- عراق، وقد زعم معاوية لأهل الشام أنهم أصبر منكم على الحرب، وهذا كلام يستحيل عن الحق، لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون، والقوم أهل شبهة وباطل، وإنما سميت شبهة لأنها تشبه الحق ولا يخلو أن يكون فيها رشح من الهدى، فخذوا في أهبة الحرب فقد تقارب إهراق دماء القاسطين، ألا! وإن المشورة فيها البركة، فهاتوا رحمكم الله ما عندكم».

لا حول ولا قوة إلا بالله، فكبيرهم معاوية يسالم الصليبيين ليتفرغ لقتال المسلمين على الدنيا فيتسبب بقتل عشرات الألوف في سبيل تملكه الخلافة! وهو ما اعترف به بنفسه فقال عند دخوله الكوفة بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام «أيها الناس إني والله ما قاتلتكم على الصوم والصلاة والزكاة وإني لأعلم أنكم تصومون وتصلون وتزكون ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم»⁽¹⁾.

«ولتعرف مدى عصبية هؤلاء القوم فإن الذهبي الذي لا يترك كلمة في معاجم الشتائم إلا وينهاه بها على من يتهمهم زورا، إن الذهبي حين يذكر خيانة الملك العادل أبي بكر أخى صلاح الدين الأيوبي وتسليمه مدينة يافا للصليبيين وكذلك مغل اللد والرملة ومصالحته لهم، وأن الصليبيين قويت نفوسهم بذلك حين يذكر هذا في كتاب سير أعلام النبلاء يكتفى بأن يعلق على هذه الخيانة بقوله: فالأمر لله، بعد أن كان قد أعقد عليه من قبل كل وصف جميل. وكذلك فإنه حين يذكر خيانة الملك الأيوبي الآخر مظفر الدين يونس وانضمامه إلى الصليبيين ومشاركته لهم في قتالهم للمسلمين في وقعة قلنسوة من أعمال نابلس

ص:86

1- (1) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 52 - ص 380 بثلاثة أسانيد/شرح نهج البلاغة - ابن ابى الحديد - ج 16 - ص 15 /البداية والنهاية - ابن كثير الدمشقي - ج 8 - ص 140.

التي قتل فيها ألف مسلم، إن الذهبي هذا يقتصر في تأنيب هذا الأيوبي الخائن على قوله عنه: سامحه الله تعالى. وإذا كان قال هذه الكلمة فإنه لم يقل حتى مثلها عن الخائن الأيوبي الآخر إسماعيل الذي ذكر هو أنه اعتضد على أقرانه بالفرنج، فسلم القدس للصليبيين فضلا عن طبرية وعسقلان حتى إن الرهبان وضعوا قناني الخمر على الصخرة، وأبطل الأذان بالحرم».(1)

لكنهم عندما يصلون الى سقوط بغداد ينقلون بحماسة وبتحريف ما اختلف حوله المؤرخون وفيه المؤامرة الشيعية لإسقاط الدولة العباسية!

والغريب أنهم يكفرون من فعل ذلك من غير الصحابة! جاء في كتاب شرح أصول السنة «ما رأيكم فيمن يقول: اليهود والنصارى ليس بيننا وبينهم عداوة دينية.

الجواب: هذا قد أفتى فيه العلماء أن هذا من الضلال والكفر ونعوذ بالله».(2).

فكيف يكون الصلح مع الصليبيين والصهانية جازر لكون الملوك تفعله ويكفر العامة على كلمة يقولونها؟

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)
(المائدة: 51).

ص: 87

1- (1) الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي - حسن الأمين - ص 143.

2- (2) شرح أصول السنة - ربيع بن هادي المدخلي - ص 82.

قال ابن تيمية(1) «كما روى أبو حفص بن شاهين في كتاب اللطيف في السنة... قال لى الشعبي أحذركم هذه الأهواء المضلّة، وشَرّها الرافضة لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتلاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم، قد حرّقهم على رضى الله عنه بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله ابن سبأ يهودى من يهود صنعاء(2) نفاه إلى ساباط وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر وآية ذلك أن محنة

ص: 88

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 7.

2- (2) هم مولعون بنسبة الشيعة لليهود تارة وللمجوس تارة أخرى! بل وحتى من ينتسب للشيعة بالاسم وهم منه براء، يقول ابن قيم الجوزية في المجوس «والمجوس تعظم الأنوار، والنيران، والماء، والأرض. ويقرّون بنبوّة زرادشت. ولهم شرائع يصيرون إليها. وهم فرق شتى. منهم: المزدكية، أصحاب مزدك الموبذ. والموبذ عندهم: العالم القدوة. وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء، والطرق، وغيرها. ومنهم الخرمية: أصحاب بابك الخرمي. وهم شر طوائفهم، لا يقرون بصانع، ولا معاد، ولا نبوة، ولا حلال، ولا حرام. وعلى مذهبهم: طوائف القرامطة، والإسماعيلية، والنصيرية، والبشكية، والدرزية، والحاكمية، وسائر العبيدية، الذين يسمون أنفسهم الفاطمية، وهم من أكفر الكفار، كما ستأتى ترجمتهم. فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفاوتون في التفصيل. فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم وأئمتهم وقدوتهم. وإن كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم. وهؤلاء لا يتقيدون بدين من ديانات العالم، ولا بشريعة من الشرائع» اغانة اللهفان من مصايد الشيطان - ابن قيم الجوزية -

«قالت اليهود لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي».

الجواب:

لم تقل الشيعة ذلك بل قالها النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المتفق عليه من قبل الأمة «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (1) حسنه الترمذى وحكم بغرابته! وهو حديث صحيح بحكم الألبانى (2) وغيره، وسيأتىك تخريجه من مصادر عديدة بألفاظ عديدة.

قال ابن تيمية (3) نقلاً عن الشعبي وارتضاه «وقالت اليهود لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي من السماء».

قلت: وهذا من الكذب، فأما نزول السيف عند اليهود فلا رواية به عندهم

ص: 89

1- (1) سنن الترمذى - الترمذى - ج 5 - ص 328.

2- (2) سلسلة الأحاديث الصحيحة - الألبانى - ج 2 - ص 33.

3- (3) دأبت السلفية المحدثثة على انه إذا أُلزم ابن تيمية بنص أدرجه في كتبه سارعت الى القول «هذا الكلام ليس له بل حكاه عن فلان» وهذا القول ما أسخفه فهو لا يعدو عندما حكاه إما للاستشهاد به وتعزيز كلامه وإما بالعكس فإن كان الأول كان هذا تأييداً للكلام وبالتالي يتحمل مسؤوليته ويحاسب كمن قاله وإن يكن الثانى فأى عاقل يفعل ذلك وينقض غرضه؟!!

وقد أخرج ابن تيمية من كيس أبي هريرة!

وأما المماثلة بعدم الجهاد حتى ظهور المخلص فهذا من المضحك المبكى! فمن الذى هزم الدول العربية السبع فى حرب 1948 م ومن الذى اجتاحت البلاد الإسلامية وأذلها فى عام 1967 م الم يكن اليهود؟! وخلال هذه الحروب كان دور الحاخامات اليهود محوريًا فى دعم الروح الدينية والقتالية للجيش الصهيونى، ولولا حزب الله الشيعى لبقت أنوف الوهابية ممرغة فى التراب من سلسلة الهزائم التى أخزتهم.

وأما ما حكاه عن الشيعة والجهاد فكذب، وأسأستشهد بنصوص من عاصروا ابن تيمية من الإمامية فى حديثهم عن الجهاد وكانت كتبهم مشتهرة:

قال أبو المجد الحلبي (1) «أما الكلام فى الجهاد فهو فرض على الكفاية، وشرائط وجوبه: الحرّية والذكورة والبلوغ وكمال العقل والقدرة عليه بالصحة والآفات المانعة منه، والاستطاعة له بالخلوّ من العجز عنه، والتمكن منه وما لا يتم كونه جهاد إلا به من ظهر وآلة وكلفة ونفقة وغير ذلك مع أمر الإمام الأصل به أو من نصّب به وجرى مجراه أو ما حكمه حكم ذلك من حصول الخوف الطارئ على كلمة الإسلام، أو المفضى إلى احتياج الأنفس أو الأموال فتكاملها يجب وبارتفاعها أو الإخلال بشرط منها يسقط، فكل من أظهر الكفر أو خالف الإسلام من سائر فرق الكفار يجب مع تكامل ما ذكرناه من الشروط جهادهم».

وقال المحقق الحلبي (2) «كتاب الجهاد وهو فرض كفاية على الذكر البالغ

ص: 90

1- (1) إشارة السبق - أبو المجد الحلبي - ص 142.

2- (2) الرسائل التسع - المحقق الحلبي - ص 362.

العاقل الصحيح الحر.... بشرط وجود الإمام أو نائبه». فانتبه لقوله «أو نائبه».

وقال فى المعتبر (1) «قد يجب الجهاد وإن لم يكن الإمام موجوداً، لقوله عليه السلام: "ادفنوهم بشياهم". وما روى عن الأئمة عليهم السلام من طرق منها: أبان بن تغلب، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: "الذى يقتل فى سبيل الله يدفن كما هو فى ثيابه، إلا أن يدركه المسلمون وبه رمق ثم يموت بعد، فإنه يغسل ويكفّن ويحنط ويصلّى عليه" وعن أبى خالد قال: "اغسل كل الموتى إلا من قتل بين الصّفين».

وقال يحيى بن سعيد الحلّى (2) «هذا الكتاب يحتوى على وجوب الجهاد، وكيفية وجوبه، ومن يجب عليه ومن يجاهد وكيفية الجهاد، وأحكام الغنيمّة، والفيء، والجزية. أما وجوبه: فمن الكتاب ومما علم من دين النبى صلى الله عليه وآله ضرورة. ووجوبه على الكفاية إذا غلب الظن أن فيمن قام به كفاية كفى، ويسقط فرضه عن المتمكن منه بإقامة غيره مقامه. ووجوبه على كل حر، ذكر، بالغ، كامل العقل مطبق له، صحيح من المرض والعمى والعرج، بشرط حضور إمام الأصل داعياً إليه أو من يؤمره، وهو محرم من دون إذنه. وقد يتعين فرضه إذا دهم المسلمين عدو يخاف منه بواره أو بوار بعض المسلمين، فيجب الجهاد دفعا له، لا دعاءً له إلى الإسلام وإن لم يحضر الإمام».

ثم إن القول الذى تعتبره الشيعة بأن جهاد الدعوة يجب مع الإمام المعصوم وإما جهاد الدفع فلا يلزم منه وجود الإمام بل هو فرض عين فهذا القول مطابق لأرائهم الفقهية فيما يخص أولى الأمر، فعندهم لا يجب جهاد الدعوة إلاّ مع أولى

ص: 91

1- (1) المعتبر - المحقق الحلّى - ج 1 - ص 311.

2- (2) الجامع للشرايع - يحيى بن سعيد الحلّى - ص 233.

الأمر، وهم عندهم كل من تمكن من السلطة بأى طريقة كانت، بل وحتى جهاد الدفع أفتى بعضهم بأنه لا يجوز إلا بإذن أولى الأمر، وقد شهدنا الكثير فى أيامنا من المفتين السلفيين يقولون ذلك من خلال الفضائيات السلفية، وذلك لردع بعض السعوديين من عبور الحدود العراقية للاشتراك فى الحرب ضد الأمريكيين! ثم أن القول بعدم الخروج فى جهاد الدعوة مع غير المعصوم يرجع لعلّة خشية الاستئصال، وعدم وجود الإخلاص يجعل الأمر خالٍ من التوفيق الإلهى، والعودة بالوبال على بلاد الإسلام وقد وافقتنا الحنابلة - ومنهم السلفيون - فى ذلك فقد نقل ابن قدامة الحنبلى عن أحمد بن حنبل قوله «قال أحمد لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين فإن كان يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه إنما ذلك فى نفسه» (1)

لذا فالقول الذى تقوله ابن تيمية من الكذب الصريح على الشيعة وعلى اليهود!

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم، والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال لا تزال أمتى على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم».

الجواب:

وهذا من الكذب الصريح، فالكل يعلم أن اليهود يجعلون يوم السبت كُله

ص: 92

للعادة لا فرق بين وقت اشتباك النجوم وغيره، جاء في سفر التثنية وهو السفر الذى جمع الأحكام الفقهية عند اليهود (1) «1 ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم. اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام التى أتكلّم بها فى مسامعكم اليوم وتعلموها واحترزوا لتعملوها. 2 الرب إلهنا قطع معنا عهدا فى حوريب. 3 ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء. 4 وجها لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار. 5 أنا كنت واقفا بين الرب وبينكم فى ذلك الوقت لكى أخبركم بكلام الرب. لأنكم خفتم من أجل النار ولم تصعدوا إلى الجبل. فقال. 6 أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. 7 لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. 8 لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل وما فى الماء من تحت الأرض. 9 لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور. أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونى 10 وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى. 11 لا- تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا. 12 إحفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك. 13 ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. 14 وأما اليوم السابع فسبب للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك. 15 واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت. 16 أكرم

ص: 93

1- (1) الكتاب المقدس (العهد القديم) - الكنيسة - ص 287-288 - الإصحاح الخامس - نداء الرجاء - شتوتغارت - المانيا - طبعة
فنلندا 1993 م.

أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. 17 لا تقتل. 18 ولا تزن. 19 ولا تسرق. 20 ولا تشهد على قريبك شهادة زور. 21 ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا - حماره ولا كل ما لقريبك. 22 هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم فى الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يزد. وكتبها على لوحين من حجر وأعطانى إياها».

فأين كذبة اشتباك النجوم التي ابتدعها ابن تيمية؟!

وأما الإمامية: قال الشريف المرتضى فى رسائله فى مسألة وقت صلاتى المغرب والعشاء (1) «هل بين عشاء المغرب والآخرة فرق غير الأربع ركعات النافلة؟ وأول صلاة المغرب لسقوط القرص أم إذا بدت ثلاثة أنجم لا ترى بالنهار؟ الجواب: إذا غربت الشمس دخل وقت صلاة المغرب من غير مراعاة لطلوع النجم فإذا مضى من الوقت مقدار ما يؤدي فيه ثلاث ركعات، اشتراك الوقت بين صلاة المغرب وبين صلاة عشاء الآخرة».

وقال الطوسى (2) «أول وقت صلاة المغرب عند غيوبة الشمس. وعلامته سقوط القرص. وعلامة سقوطه عدم الحمرة من جانب المشرق. وآخر وقته سقوط الشفق، وهو الحمرة من ناحية المغرب. ولا يجوز تأخيرها من أول الوقت إلى آخره إلا لعذر».

لذا فمن البهتان القول الذى ذكره ابن تيمية.

ص: 94

1- (1) رسائل المرتضى - الشريف المرتضى - ج 1 - ص 274 / جواهر الفقه - القاضى ابن البراج - ص 255.

2- (2) النهاية - الشيخ الطوسى - ص 59.

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود تزول عن القبلة شيئاً وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فقد اشترط الاستقبال كل فقهاء الشيعة بلا استثناء، ومنهم مثلاً العلامة الحلي (1) المعاصر لابن تيمية والذي ملأ كتبه الآفاق حتى وصلت لابن تيمية نفسه، ولولا ذلك لما رأى آراءه في (منهاج الكرامة) فكيف وصل منهاج الكرامة ولم تصل كتبه الفقهية؟! هذا ما يؤكد الكذب عن حيلة وخبث!

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود تنود (2) في الصلاة وكذلك الرافضة»

قلت: وهذا من الكذب الصريح، فقد اجمع الفقهاء على عدم جواز الحركة أو كراهتها مطلقاً في الصلاة بعد تكبيرة الإحرام بلا استثناء.

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود تسدل أثوابها في الصلاة وكذلك الرافضة».

قلت: وهذا من الكذب الصريح فالمطلوب الستر للعورة في الصلاة ولا ذكر لإسدال الثياب عند الإمامية! فإن كان يشير إلى إسبال اليدين في الصلاة وعدم التكتف فنقول: إنه أحد الرأيين المنقولين عن مالك بن أنس - إمام دار الهجرة

ص: 95

1- (1) تحرير الأحكام - العلامة الحلي - ج 1 - ص 187 / ذكرى الشيعة - الشهيد الأول - ج 3 - ص 188 / جامع المقاصد - المحقق الحلي - ج 2 - ص 59.

2- (2) قال ابن الأثير «ناد ينود، إذا حرّك رأسه وأكتافه» النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير - ج 5 - ص 124.

كما يسمّونه - فهل هو قد شابه اليهود بذلك؟! قال الشيخ جعفر سبحاني نقلا عن الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الفقه على المذاهب الخمسة «إن قبض اليد اليسرى باليمنى مما اشتهر ندبه بين فقهاء أهل السنة. فقالت الحنفية: إن التكتّف مسنون وليس بواجب، والأفضل للرجل أن يضع باطن كفه اليمنى على ظاهر كفّه اليسرى تحت سرته، وللمرأة أن تضع يديها على صظدرها. وقالت الشافعية: مسنٌ للرجل والمرأة، والأفضل وضع باطن يمناه على ظهر يسراه تحت الصدر وفوق السرّة مما يلي الجانب الأيسر. وقالت الحنابلة: إنه سنّة، والأفضل أن يضع باطن يمناه على ظاهر يسراه، ويجعلها تحت السرّة. وشذت عنهم المالكية فقالوا: يندب إسدال اليدين فى الصلاة الفرض، وقالت جماعة أيضا قبلهم، منهم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعطاء، وابن جريج، والنخعي، والحسن البصرى، وابن سيرين، وجماعة من الفقهاء. والمنقول عن الإمام الأوزاعى التخيير بين القبض والسدل»(1).

ومن هنا ترى كذب ابن تيمية!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح فكتب الشيعة مليئة بأحكام العدة للمطلقة والأرملة وبعناوين مستقلة! بل لا نحتاج لذلك نقل الأدلة، وهل نحتاج لدليل على وجود الشيعة فى بلاد المسلمين؟!.

ص: 96

1- (1) البدعة، مفهومها، حدها، آثارها - الشيخ جعفر السبحاني - مطبعة اعتماد قم - 1413 هـ -- ص 152.

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود حرّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فالروايات التي يفهم منها التحريف وردت عند الأخباريين شيعة وسنة وما ورد في كتب الحشويين من أهل السنة مثل التي ظاهرها عند الشيعة توحى بذلك ولم يلتفت لها الفقهاء. ولم يلتفتوا لظاهرها وأولوها بما يتناسب مع الثابت المبرهن عليه.

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح على الإمامية ولا ذكر لها عندهم!

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السأم عليكم، والسأم: الموت، وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فالشيعة تخالط السنة في كل بلاد العالم ولم يُسمع أن قال احدهم أن شيعياً قال له السأم عليكم! بل حتى ابن تيمية ما ادّعاها لنفسه وهو يخالط الشيعة في الشام، وكانت مدينة حلب من حواضر الشيعة آنذاك!

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يأكلون الجرى والمرماهي والذئاب وكذلك الرافضة».

قلت:

ص: 97

أما هذه فقد وصلت الأخبار الصريحة الصحيحة عن الثقلين الموصى بالتمسك بهما خشية الضلال بالنهاي عن أكلها فقال سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: من الآية 59).

وأولوا الأمر قالوا بحرمتها:

روى الشيخ الكليني في (الكافي)(1) عن محمد بن مسلم قال «أقرأني أبو جعفر عليه السلام شيئا من كتب على عليه السلام فإذا فيه: أنهاكم عن الجرى والزمير والمارماهي والطافي والطحال قال: قلت: يا ابن رسول الله يرحمك الله إنا نؤتى بالسمك ليس له قشر؟ فقال: بل ماله قشر من السمك وما ليس له قشر فلا تأكله».

ومن غرائب ابن تيمية أن ما قاله في التفصيل عن حرمة المارماهي والجرى عند اليهود غير موجود في كتب اليهود على الإطلاق! فمن أين جاء به أم أن أبا هريرة ترك كيسيه عنده؟! قال صاحب قاموس الكتاب المقدس(2) «أن الناموس ميز بين السمك الطاهر والسمك النجس، فالذى له زعانف وحراشف طاهر، والذي ليس له زعانف وحراشف كان نجسا. وكان لسليمان الملك معرفة بأسماء فلسطين غير أن الكتاب المقدس لا يحدثنا عن أنواع السمك، بل يذكر النوع عموما».

وكذب ابن تيمية المتواصل وكلامه عن أمور غير موجودة في كتب النصارى

ص: 98

1- (1) الكافي - الشيخ الكليني - ج 6 - ص 219.

2- (2) قاموس الكتاب المقدس - مجمع الكنائس الشرقية - ص 484.

واليهود جعل عميان البصيرة من أتباعه يظنون أنه عالم بما فى كتب الأديان من دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث البسيط، ليكتشفوا البهتان العظيم والقدرة الفائقة على الكذب عند شيخهم.

ولا تثريب أن تتشابه بعض أحكام أهل الديانات فالأديان لا تُنسخ كلها فقد تبقى بعض الأحكام مشتركة بين الأديان، ومنها بين اليهودية والإسلام، مثل تحريم الخمر والزنا وغيره فما ذنبنا إن جاءت الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام بذلك؟ فهل نتركها حتى لا نشابه اليهود وهل يخلو الفقه والعقيدة عند السنّة من أمور يشتركون بها مع باقى الأديان(1)؟! ومن ضروريات الدين وما نزل به القرآن تحريم الخنزير وكونه نجس، وكذلك ورد ذلك عند اليهود فى توراتهم إذ جاء فيها(2) «لا تأكل رجسا ما. 4 هذه هى البهائم التى تأكلونها. البقر والضأن والمعز. 5 والإبل والظبى واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة. 6 وكل بهيمة من البهائم تشق ظلها وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون. 7 إلا- هذه فلا- تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم. الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلها فهى نجسة لكم. 8 الخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا 9 وهذا تأكلونه من كل ما فى المياه. كل ما

ص:99

1- (1) من العقائد التى يشترك بها السلفيون مع اليهود والنصارى هى (رؤية الله) قال ابن القيم «قال المزنى: ابن خزيمة هو أعلم بالحديث منى ولم يكن فى وقته مثله فى العلم بالحديث والفقه جميعا وقال فى كتابه: فمن ينكر رؤية الله تعالى فى الآخرة فهو عند المؤمنين شر من اليهود والنصارى والمجوس وليسوا بمؤمنين عند جميع المؤمنين». اجتماع الجيوش الاسلامية - ابن قيم الجوزية - ص 89/ فعندهم من يوحد الله حق توحيديه يكون شرا من اليهود والنصارى لكونهم يرون رؤية الله واجبة فى الدنيا والآخرة!

2- (2) الكتاب المقدس (العهد القديم) - دار الكتاب المقدس - 1980 - ص 302.

له زعانف وحرشف تأكلونه. 10 لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف لا تأكلوه. إنه نجس لكم».

فهل نأكل الخنزير لنخالف اليهود فقط!!؟

بل يريد ابن تيمية أن نبتدع مثله فهو الذى يقول فى بعض المستحبات الثابتة عند الشيعة والسنة «ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم، فلا يتميز السنّى من الرافضى، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب، وهذا الذى ذهب إليه يحتاج إليه فى بعض المواضع إذا كان فى الاختلاط والاشتباه مفسدة راجحة على مصلحة فعل ذلك المستحب»⁽¹⁾

والاستحباب والكراهة أحكام فقهية يجب أن نرجع فيها إلى الكتاب والسنة لا أن نبتكر ونبتدع الأساليب التى تؤدى بنا إلى أحكام بدعية بعقولنا الناقصة، يقول تعالى:

(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَّقُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (النحل: 116).

لذا تجد الفتاوى عند هؤلاء مجاناً فالابتداع عندهم سنة حتى قال بعضهم:

«قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقى فى كتاب (رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة) المطبوع بهامش الميزان للشعرانى: السنة فى القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعى.

ص: 100

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 4 - ص 154.

وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: التسنيم أولى لأن التسطیح صار شعارا للشيعة. وقال الغزالي والماوردي: إن تسطیح القبور هو المشروع لكن لما جعلته الرافضة شعارا لهم عدلنا عنه إلى التسنيم.

وقال مصنف (الهداية) من الحنفية: إن المشروع التختّم في اليمين ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار». (1)

وقد نقل البيهقي روايات متعارضة في كون قبر النبي مسطّحا ام مسنّما ثم قال «ومتى ما صحت رواية القاسم بن محمد - قبورهم مبطوحة ببطحاء العرصة - فذلك يدل على التسطیح، وصحت رؤية سفيان التمار قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنّما فكأنه غيّر عما كان عليه في القديم، فقد سقط جداره في زمن وليد بن عبد الملك، وقيل في زمن عمر بن عبد العزيز ثم أصلح، وحديث القاسم بن محمد في هذا الباب أصحّ وأولى أن يكون محفوظا، الا أن بعض أهل العلم من أصحابنا استحب التسنيم في هذا الزمان لكونه جائزا بالإجماع، وان التسطیح صار شعارا لأهل البدع فلا يكون سببا لإطالة الألسنة فيه ورميه بما هو منزّه عنه من مذاهب أهل البدع وبالله التوفيق» (2).

وهو واضح في ترجيحه أن قبر النبي صلى الله عليه وآله نفسه كان مسطّحا لكنه عدل وغير لكون أهل البدع تسطح قبورها، (وبالله التوفيق) على البدعة؟!!!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يرون المسح على الخفّين وكذلك الرافضة».

ص: 101

1- (1) الغدير - الشيخ الأميني - ج 10 - ص 209-210.

2- (2) السنن الكبرى - البيهقي - ج 4 - ص 3-4.

ليس هناك وضوء عند اليهود حتى يروا أو لا يروا المسح على الخفين! وهو من الافتراءات المضحكة! فليس عند اليهود طهارة مائية في العبادات أصلاً!

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن أنهم قالوا: (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) (آل عمران: من الآية 75) وكذلك الرافضة»

وهذا من الكذب الصريح فلا تستحل الشيعة هذا الفعل، وحقاً قالوا «رمتني بدائها وانسلت» فقد رأينا في عصرنا هذا من أقام إمارة إسلامية في العراق على المذهب الوهابي وأصدر فتاويه باستحلال دماء وأموال ونساء الشيعة لأنهم كفار!!

بل إن السلفيين أتباع ابن تيمية وسالكي طريقه يستحلون أموال الناس ببدعة الارتداد، حتى عند مزاحهم! إذ قال محمد بن عبد الوهاب «ويقال أيضاً إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب؟ (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب»⁽¹⁾

فمن الذي يستحل مال المسلمين حتى بالمزاح؟! ومن غريب مفارقات ابن

تيمية أنه وفيما عدَّ هذا الفعل من موبقات الشيعة اعترف بتطبيقه متفخرا في كتاب آخر! قال ابن تيمية في الرسالة القبرصية(1) والتي أرسلها الى سرجواس ملك قبرص «... وكان التتار من أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس، وإهانة له، ومع هذا فإننا كنا نعامل أهل ملتكم بالإحسان إليهم، والذب عنهم. وكذلك السبي الذي بأيدينا من النصارى، يعلم كل احد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم، كما أوصانا خاتم المرسلين».

هذا ابن تيمية مع النصارى ودودٌ، مسالمٌ، يفتخر بإحسانه إلى أهل الذمة والى أسرى الروم الذين كانوا يذبحون المسلمين! لكنّه لم يدع كتابا من كتبه إلا وتطرق فيه لل - «رافضة» تكفيرا وتقسيفا وتحريضا وسبّا بحجج واهية لا تجدها في كتبهم! فمن الأولى بما ذكره؟! قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود تسجد على قرونها في الصلاة وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فالسجود يكون على الجبهة بالمسمى العرفي لها وكل كتب الشيعة تنصُّ على ذلك بلا استثناء!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مرارا شبه الركوع وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح فلا وجود لذلك عند الشيعة ثم أن اليهود لا

ص:103

تسجد في صلاتها! والمعروف عنها أنهم قديماً كانوا يجثون على الركب ليتلوا ادعيتهم جاء في التوراة (. 54 عندما انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب والتضرع إليه، نهض من أمام المذبح حيث كان جاثياً على ركبتيه وباسطاً يديه نحو السماء. 55 ووقف وبارك الشعب كله بصوت عال قائلاً: . 56 تبارك الرب الذي منح راحة لشعبه إسرائيل بمقتضى وعده، ولم يخلف كلمة واحدة من وعوده الصالحة التي نطق بها على لسان عبده موسى»(1)

وقال في قاموس الكتاب المقدس(2) «أما ترتيب الصلاة فكان كما يأتي: كان الواعظ بعد اجتماع الشعب يعلو المنبر ويتلو الصلاة العمومية فيقف عندها كل الشعب في أماكنهم على غاية من الخشوع والوقار، ويرددون متحدنين كلمة "آمين". وكانت الصلوات تسع عشرة طلبية يعقبها تلاوة بعض الآيات، ثم كانت تكرر بعض الصلوات ثم يقرأ الناموس والأنبياء. وأما الناموس فكان مقسماً إلى أربعة وخمسين فصلاً مع بعض إضافات من أقوال الأنبياء يقرأ منها فصل كل سبت إلى أن تقرأ بجملتها على مدار السنة».

فهذه صلاة اليهود! فلا ركوع فيها ولا سجود.

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «واليهود تبغض جبريل، ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد صلى الله عليه وسلم».

قلت:

ص:104

1- (1) التوراة والإنجيل - موقع arabicbible - ص 600.

2- (2) قاموس الكتاب المقدس - مجمع الكنائس الشرقية - ص 271.

وهذا من أقبح الكذب، بل البهتان ولا تقول الشيعة بهذا مطلقاً! ولو كان أحد قد قال بهذا في زمن من الأزمان لكان يمكن القول أن ابن تيمية توهّم في نسبة هذا الفعل للجميع كيف ولم يقل به أحد!

قال تعالى:

(وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) (النور: 16).

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة، النصارى ليس لفسائهم صدق، إنما يتمتّعون بهن تمتّعا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلّون المتعة».

قلت: وهذا من الكذب القبيح فالنصارى لا ترى ذلك! قال في قاموس الكتاب المقدس (1) «قد أعطت المسيحية للعريس الحرية الكاملة في اختيار عروسه. وكانت الخطبة تعقد بعد اختيار العروس وكان العقد يتم بيمين عطاء وتقديم هدايا. وكان المهر من العريس إلى أبى العروس. وكان المهر أحيانا بالعمل، كما فعل يعقوب وموسى وعشئيل» ومن المعروف إن الأحكام الواردة في التوراة هي عينها عند النصارى سوى ما يقول النصارى أن يسوع استثناه «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. 18 فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. 19 فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى

ص: 105

عظيما في ملكوت السماوات».(1) فهذه نصوص النصرارى واليهود، وهى تثبت وجود المهر عندهم.

ثم إن الذين لا يرون جواز المتعة يقولون هو زواج نزل به الوحى ثم حُرِّم، قال النووى فى شرحه على مسلم فى باب(2) «نكاح المتعة وبيان أنه أبيض ثم نسخ ثم أبيض ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة»: «قال المازرى: ثبت أن نكاح المتعة كان جائزا فى أول الإسلام ثم ثبت بالأحاديث الصحيحة المذكورة هنا أنه نسخ، وانعقد الإجماع على تحريمه»

ف نقول لابن تيميّة هل كان النبى صلى الله عليه وآله والصحابة مشابهين للنصارى بالانحراف عندما احلّوا المتعة فى وقتها؟! فإن قال: نعم، فقد حكم على نفسه بالردّة، وان قال: كلا، فقد حكم لنا!

وقد ثبت استحلال بعض أئمة مدرسة الصحابة للمتعة مثل عبد الملك بن جريج إذ روى له أصحاب الكتب الستة كما قال الذهبي «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد المكي، أحد الأعلام الثقات، يدلس، وهو فى نفسه مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج نحوا من سبعين امرأة نكاح المتعة، كان يرى الرخصة(3) فى ذلك. وكان فقيه أهل مكة فى زمانه». (4) وقد اجمع الحفاظ الستة

ص:106

1- (1) الكتاب المقدس (العهد الجديد) - الكنيسة - ص 8.

2- (2) شرح مسلم - النووى - دار الكتاب العربى - بيروت - 1987 م - ج 9 - ص 179.

3- (3) قوله (كان يرى الرخصة فى ذلك) هو إيجاد للعذر له بالاجتهاد! وما الفرق بين اجتهاد ابن جريج فى المتعة واستحلاله لها وكون ذلك لا ينقص من قدره واجتهاد الشيعة باستحلالها يكون منقصة بل زنا؟!

4- (4) ميزان الاعتدال - الذهبي - ج 2 - ص 659 - على محمد البجاوى - الأولى - 1382-1963 م - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

فكيف يروى عنه أئمة الحديث وهو بهذا الحال عندهم؟!

ثم أن هذا اجتهاد في الفروع فكيف يعاتب الإنسان عليه على مبانيكم وانتم أجزتم الاجتهاد في الأصول قال ابن تيمية في كتاب (النبوات)(1): «الأشعرى أعلم من الشهرستاني بالمقالات، والشهرستاني أعلم من الغزالي بها ولكن بعضهم أقرب إلى السنة من بعض، وقد يكون هذا أقرب في بعض، وهذا أقرب في مواضع؛ وهذا لكون أصل اعتمادهم لم يكن على القرآن والحديث؛ بخلاف الفقهاء؛ فإنهم في كثيرٍ ممّا يقولونه إنّما يعتمدون على القرآن والحديث، فلهذا كانوا أكثر متابعة، لكن ما تكلم فيه أولئك أجلّ، ولهذا يُعظّمون من وجه، ويذمّون من وجه؛ فإنّ لهم حسنات، وفضائل، وسعيّاً مشكوراً، وخطأهم بعد الاجتهاد مغفوراً».

وقال في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم)(2) في الخلاف بين أهل السنة «وإن حصل بينهم تنازع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد، لم يوجب ذلك تفرقاً ولا اختلافاً، بل هم يعلمون أن المصيب منهم له أجران، وأن المجتهد المخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له».

فما الفرق في اجتهاد السنّي عن غيره والمفروض أن المسألة ترجع لاستفراغ الجهد وعدم غش المسلمين والإحاطة بما وصل من النصوص وقامت به الحجّة؟!

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه «وفُضِّلَت اليهود والنصارى على الراضنة بنخصلتين سئلت اليهود من خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى،

ص: 107

1- (1) النبوات - ابن تيمية - ج 1 - ص 632.

2- (2) اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية - ج 2 - ص 318.

وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حوارى عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم».

قلت:

الإنصاف أن يقول الشعبي: وسئلت الشيعة من خير أهل ملتكم فسيقولون: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين أمر بالتمسك بهم مع الكتاب فى الحديث الصحيح. لا أن يدلّس بهذا الكلام على السّدج والعوام.

ومن الغريب أن يشبّه الشعبي وابن تيمية حال المسلمين مع الصحابة بحال أصحاب موسى وعيسى، فالمعلوم أن القرآن قصّ علينا نصوصاً عدة عن عناد أصحاب موسى:

قال تعالى:

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: 24).

وقال تعالى:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء: 153).

وقال تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا﴾

ص: 108

تُنَبِّتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَ صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِعَصَبِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (البقرة: 61).

وقال تعالى ذمماً لأصحاب موسى بعد حادثة البقرة:

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: 74).

وهذا أبلغ الذم فما قيمة كلام الشعبي وما افتراه ونقله عن اليهود! ام أنكم دائما تبقون أذناً لليهود؟!

ثم إن كان ما قاله الشعبي كلاماً عن صلاح وخيرية عامة أصحاب موسى وعيسى فهذا كذب بينه النبي صلى الله عليه وآله، فلا يصلح لأخذ شهادة اليهود به روى الحاكم في المستدرک (1) عن «الفضل الأسفاطى (قالا) حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد عن أبيه عن جده قال كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده فقال:

ص: 109

1- (1) المستدرک - الحاكم النيسابورى - ج 1 - ص 129 / قال الألبانى فى الفاظ هذا الحديث «وقد جزم بنسبته إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ابن عبد البر فى "التمهيد" وكأنه لشواهدة». سلسلة الأحاديث الصحيحة - ج 7 - حديث 3312.

لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن مثل أخذهم إن شبرا فشير، وإن ذراعا فذراع، وإن باعا فباع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه، ألا إن بنى إسرائيل افتقرت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، وإنها افتقرت على عيسى ابن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم إنهم يكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم».

ومن المعلوم أن المسلمين يعتقدون بأن بعض الحواريين قام بتحريف دين عيسى وهذا الذى حصل والحديث من مغيبات النبى بأن يخبر بذلك قبل حدوثه.

وروى الصنعانى (1) «أخبرنا معمر عن قتادة أن حذيفة قال: لتركبن سنن بنى إسرائيل حذو القذة بالقذة، وحذو الشراك بالشراك، حتى لو فعل رجل من بنى إسرائيل كذا وكذا، فعله رجل من هذه الأمة، فقال له رجل: قد كان فى بنى إسرائيل قرده وخنازير، قال: وهذه الأمة سيكون فيها قرده وخنازير».

فالتشبه بمن قبلكم حجة عليكم وليس لكم، فبعض أصحاب موسى وعيسى عليهم السلام وبعض أصحاب النبى محمد عليه الصلاة والسلام خالفوا أنبياءهم وركبوا سنن بعض حذو القذة بالقذة (2)!

نعم خواص الأنبياء كالنقباء الاثنى عشر لموسى عليه السلام مما قصه الله

ص: 110

1- (1) المصنف - عبد الرزاق الصنعانى - ج 11 - ص 369.

2- (2) قال ابن الاثير فى مادة (قذذ) «فى حديث الخوارج "فينظر فى قذذه فلا يرى شيئا" القذذ: ريش السهم، واحدها: قذذة ومنه الحديث "لتركب سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة" أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتهما وتقطع. يضرب مثلا للشيثيين يستويان ولا يتفاوتان»... النهاية فى غريب الحديث - ابن الاثير - ج 4 - ص 28.

تعالى بقوله:

(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَزْتُمْ أَوْهَامَكُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة: 12).

وكالحواريين الاثني عشر لعيسى عليه السلام مما قصه الله تعالى فقال عز وجل:

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 52).

وقال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) (الصف: 14).

والأئمة من أهل البيت الذين عناهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله عن سؤال لبعض الصحابة عن عدة من يملك أمور الأمة بعده فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«اثنا عشر، عدة نقيب بني إسرائيل»⁽¹⁾.

ص: 111

1- (1) المستدرک - الحاكم النيسابوری - ج 4 - ص 501 / قال المتأوی: «بعض طرقه صحیحة» فیض القدير - ج 2 - ص 582.

وأنت ترى الأمر متسق بلا خلاف بين حوارى الأنبياء الثلاثة ومتسق كذلك بلا خلاف بين أغلبية أتباع هؤلاء الأنبياء الثلاثة!

فدم الأكثرية من أتباع موسى والأكثرية من أتباع عيسى بقوله تعالى:

(يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (النساء: 171).

وكذلك الأكثرية من أتباع النبي صلى الله عليه وآله فقال تعالى:

(وَإِنْ تَطَعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (الأنعام: 116).

وقوله تعالى:

(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (يس: 7).

فأكثرهم لن يؤمنوا لكن ابن تيمية وأصحابه من شياطين الأنس والجن يقولون لنا: لقد انتهى النفاق وأصبحت الأمة مؤمنة بمجرد موت النبي!!

فأين قوله تعالى:

(فَاعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (التوبة: 77).

فقد كان هناك منافقون سيظلون كذلك الى يوم يلقون الله وقد كان بعضهم يأتي لحذيفة بن اليمان صاحب سر المنافقين ليسأله عند موت رجل من المسلمين:

ص: 112

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله أنذر أمته من أن كثيرا منهم سيُمنعون من لقاء النبي على الحوض ومن شرب ماءه بسبب التبديل بعده!

روى البخارى(2) بسنده عن سهل بن سعد قال «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد على أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يُحال(3) بينى وبينهم، قال أبو حازم فسمعنى النعمان بن أبى أبى عياش وأنا أحدثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلا؟ فقلت: نعم قال: وأنا اشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته يزيد فيه قال: إنهم منى، فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدّل بعدى(4)».

ص:113

1- (1) رويت عن حذيفة أحاديث تظهر ان النفاق تفشى بعد النبي صلى الله عليه وآله روى احمد بن حنبل «أبو الرقاد قال خرجت مع مولاي وأنا غلام فدفعت إلى حذيفة وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا وانى لأسمعها من أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعا بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم». مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج 5 - ص 390 تعليق شعيب الأرنؤوط: أثر حسن وهذا إسناد ضعيف.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 8 - ص 87.

3- (3) سيأتى أن الذى يحول بين النبي صلى الله عليه وآله وبينهم هو (الرجل) الذى حذفت الروايات اسمه!

4- (4) كان أبو بكر يقرّ بالتبديل بأسلوب غير مباشر، روى النسفى فى تفسيره فى إحدى آيات الرقائق

وفى لفظ آخر لحديث الحوض للبخارى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال (1) «بيننا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين، قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين قال إلى النار والله، قلت: ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

وهمل النعم هي الإبل الضالة على طريق القوافل وتكون قليلة جداً، وال - (رجل) هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام بدليل الرواية التي رووها «حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه معاوية بن خديج، فمرَّ في مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والحسن بن علي جالس، فدعاه، فقال له الحسن: أنت الساب لعلي رضي الله عنه؟ أما والله لتردنَّ عليه الحوض، وما أراك أن ترد، فتجده مشمر الإزار عن ساق يذود عنه. رايات المنافقين ذود غريبة الإبل. قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افتري» (2).

فانتبه في رواية البخارى لقول النبي «حتى إذا عرفتهم» فهم أناس معروفون وليسوا من عموم الناس، بدليل أن الصحابة الذين حجوا عام الوداع كانوا

ص: 114

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 7 - ص 208-209.

2- (2) ما روى في الحوض والكوثر - ابن مخلد القرطبي - ص 135.

يهازون المائة ألف، فهل كان النبي صلى الله عليه وآله يعرفهم كلهم؟! وإنما هؤلاء بعضهم ممن أخفى التاريخ أسماءهم(1) في حادثة العقبة التي دبروها لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يستخلف عليًا بشكل علني قاطع للنزاع لا يستطيعون ردّه وتأويله، روى مسلم في صحيحه(2) عن قيس بن عبّاد قال «قلت لعمار أريتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي أريأا رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكم الدبيلة وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم!».

والدبيلة (وهي قرحة تظهر في الظهر وتنقب البطن على ما قالوا) هي التي مات بها معاوية(4)!

وروى البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدى أموراً تنكرونها) قال «وقال عبد الله بن زيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبروا

ص: 115

1- (1) راجع كتاب (فلان وفلانة) للمؤلف لترى كيف يخفون أسماء هؤلاء من الروايات!.

2- (2) صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج 8 - ص 122.

3- (3) أى ليس هناك نص للخواص فى على عليه السلام بل ما نزل فيه أعلنه النبي صلى الله عليه وآله امام الناس.

4- (4) قال ابن قتيبة فى المعارف: قال: (ولى معاوية الخلافة عشرين سنة إلا شهراً، وتوفى سنة ستين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقال ابن إسحاق: مات وله ثمان وسبعون سنة وكانت علته النقابات وهى الدبيلة) المعارف - ابن قتيبة - ج 1 - ص 79.

حتى تلقونى على الحوض»(1).

فهذه الأمور التي أنكرها الصحابة المستضعفون وفدوا بها على النبي صلى الله عليه وآله وهو على الحوض، وعندها قام أمير المؤمنين وهو الرجل الواقف بين النبي وبين من يرد الحوض بطرد كبار الذين بدلوا وارتدوا إلى النار!

وتبديل الدين ابتداءً من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتوقف في زمان أمير المؤمنين يسيراً، ثم انطلق يسحق مبادئ الإسلام سحقاً ولم يبق منه إلا معالم يسيرة!

ومن مظاهر التبديل وتغيير المعالم ما رواه البخارى(2) عن الزهري قال «دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك؟ فقال: لا اعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت».

قال ابن بطال مخففاً من لهجة الحديث «قال المهلب: وقول أنس في الصلاة: (أليس قد ضيعت)، وفي حديث آخر: (أليس قد ضيعتم فيها)، يعنى تأخيرها عن الوقت المستحب لا أنهم أخرجوها عن وقتها كله. وقد قيل فى قوله تعالى:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) (مریم: 59).

قال: والله ما ضيعوها بأن تركوها ولو تركوها كانوا كفاراً، ولكنهم أخروها عن أوقاتها»(3).

ص: 116

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 8 - ص 87.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 1 - ص 134.

3- (3) شرح صحيح البخارى - ابن بطال - ج 2 - ص 175.

وهذا التغيير نسبه لعثمان وقد فعله عثمان اجتهادا أمام النصوص لأمر أعجبه! روى البيهقي وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه وابن عبد البر في التمهيد وغيرهم واللفظ للبيهقي(1) في سننه بسنده عن مغيث بن سمي قال «صلّيت مع ابن الزبير صلاة الفجر وكان يسفر بها فلما سلّم قلت لعبد الله بن عمر ما هذه الصلاة؟ وهو إلى جانبي قال: هذه صلاتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضی الله عنهما، فلما قتل عمر أسفر بها عثمان».

وروى محدّث المغرب ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله في باب «باب في إنكار أهل العلم ما يجدونه من الأهواء والبدع» قال «حدثنا عبد الله بن محمد بن أسد حدثنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا القعنبی عن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة»(2).

وروى البخارى(3) بسنده عن أم الدرداء قالت «دخل على أبو الدرداء وهو مغضب فقلت ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئا إلا أنهم يصلّون جميعا» وفي لفظ ابن بطّال «ما أعرف من محمد عليه السلام شيئا إلا أنهم يصلّون جميعا»(4).

فماذا بقى بعد تبديل الصلاة وتغيير معالمها حتى لقد رآها الصحابة مُضَيِّعة! ومن هم الذين تسلّطوا على الأمة حتى ضيّعت الصلاة في عصرهم؟!

ص: 117

1- (1) السنن الكبرى - البيهقي - ج 1 - ص 456.

2- (2) جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر - ج 2 - ص 199.

3- (3) صحيح البخارى - البخارى - ج 1 - ص 159.

4- (4) شرح صحيح البخارى - ابن بطّال - ج 2 - ص 278.

قال ابن تيمية نقلاً عن الشعبي وارتضاه وهو يتكلم عن الشيعة «فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة ولا تُجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة وجمعهم متفرق كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله. قلت (ابن تيمية) هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي كقوله لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا حمراً، ولو كانت من الطير لكانوا رخماً، فإن هذا ثابت عنه قال ابن شاهين حدثنا محمد بن العباس النحوي حدثنا إبراهيم الحري حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا مالك بن مغول فذكره وأما السياق المذكور فهو معروف عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي».

الجواب:

إن الاستشهاد بقول الشعبي - وهو المتهم بالنصب - في ردّ من هذا القبيل لا يعدو الاستشهاد بقول ابن تيمية فكيف يكون حجة؟! إن

ويكفي للحكم على الشعبي ودوره الخبيث في الرواية الأولى وموقفه من الفرق الإسلامية التحقيق الرائع الذي قام به المستشرق البروفيسور إيرلينغ ليدوك بيترسن في كتابه «على ومعاوية - في الرواية العربية المبكرة»⁽¹⁾ وأثبت فيه سهولة التآرجح عند رواة العهد الأول بين من يدفع أكثر ومن عنده الدنيا الزائلة، وقد مرّ علينا قول ابن أبي الحديد في الشعبي في شرحه على نهج البلاغة «وهو من الأربعة الذين لا يؤمنون على عليّ ابن أبي طالب»⁽²⁾ وابن أبي الحديد من أهل السنّة

ص: 118

1- (1) على ومعاوية - بيترسن - الأميرة للطباعة والنشر - بيروت - 2009 م.

2- (2) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد المعتزلي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط دار إحياء الكتب العربية - ج 4 - ص 98.

بالعنوان العام كما أقرّ بذلك ابن تيميّة فقال وهو يتكلم عن الشيعة «فمن صنّف منهم تفسير القرآن فمن تفاسير أهل السنة يأخذ كما فعل الطوسى والموسوى، فما فى تفسيره من علم يستفاد هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة، وأهل السنة فى هذا الموضوع من يقرّ بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون فى أهل السنة»⁽¹⁾ ونقل عنه قوله أيضا «وأما المعطلون (المعتزلة والجهمية وكل من أوّل تلك الصفات ن أهل السنّة)...»⁽²⁾.

ويكفى فى الاسترابة بحاله ما ذكره كبار أئمة الجرح والتعديل من تشكيكهم بروايته المباشرة عن أمير المؤمنين عليه السلام، هذا مع إكثاره من تلك الرواية بصيغة المباشرة ومن هؤلاء من ذكرهم العيني فى شرحه على صحيح البخارى إذ قال «اختلّف فى سماع الشعبي عن على بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنه، فقال الدار قطنى: لم يسمع منه إلا حرفا ما سمع غيره. وقال الحازمى: لم تثبت أئمة الحديث سماع الشعبي من على. وقال ابن القطان: منهم من يدخل بينه وبينه عبد الرحمن بن أبى ليلى، وسنه محتملة لإدراك على. وقال صاحب (التلويح): فكان البخارى لمح هذا فى على لا فى شريح، لأنه مصرح فيه بسماع الشعبي منه، فينظر فى تمريره الأثر عنه، على رأى من يقول: إنه إذا ذكر شيئا بغير صيغة الجزم لا يكون صحيحا عنده، وكأنه غير جيد، لأنه ذكر فى العتمة. ويذكر عن أبى موسى: كنا نتناوب بصيغة التمريض، وهو سند صحيح عنده»⁽³⁾.

ص: 119

-
- 1- (1) منهاج السنة - ابن تيميّة - ج 6 - ص 379.
 - 2- (2) الشيخ تقى الدين تبن تيميّة - دراسة فى فكره واجتهاداته - احمد حطيط - ط مؤسسة التراث الدرزي - 2009 م - نقلا عن العقيدة الحموية الكبرى لابن تيميّة.
 - 3- (3) عمدة القارى - العيني - دار إحياء التراث العربى - ج 3 - ص 306.

وقال الرازي في كتابه «الجرح والتعديل» «حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل حدثنا علي يعني ابن المديني قال سمعت يحيى يقول: قال شعبة: عامر الشعبي عن علي، وعطاء يعني - ابن أبي رباح - عن علي إنما هي من كتاب. فاسترجعت انا». (1) وهو اتهام صريح بالكذب عندما يقول الشعبي: رأيت علياً... وسمعت علياً... وقال عليُّ فكل هذا من كيس أبي هريرة! والظاهر أنه يدعى الرواية عن علي لأنه كان متهماً بالانحراف عنه فيريد أن يكذب عليه وينقل عنه حتى لا يدع مجالاً للشك!

ولو تمعنت في أحاديثه السياسية لعرفت اتجاه الرجل بلا تكلف فمثلاً يروى في طبقات ابن سعد (2) «جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة رهط من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو زيد وسعد بن عبيد». ولا يجعل لأمر المؤمنين عليه السلام نصيباً في ذلك!

ويروى له ابن سعد أيضاً (3) «أن الحسن بن علي صلى على علي بن أبي طالب فكبر عليه أربع تكبيرات، ودُفن على بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر، ثم انصرف الحسن بن علي من دفنه فدعا الناس إلى بيعته فبايعوه».

ومن المعلوم سيرة علي عليه السلام وآل بيته في التكبير خمساً في صلاة الميت، ومن المقطوع به أيضاً مكان دفن الإمام في ربوة النجف، والشعبي لم يحضر

ص: 120

1- (1) الجرح والتعديل - الرازي - مطبعة مجلس دار التراث العثمانية بحيدر آباد - الدكن - الهند الطبعة الأولى - 1953 م - ج 1 - ص 130.

2- (2) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - دار صادر - ج 2 - ص 355.

3- (3) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ج 3 - ص 37-38.

الدفن لكونه جرى في الليل فكيف عرف بمكانه وقد ظل سراً حتى منتصف القرن الثاني الهجري؟!

ومن أحاديثه السياسية ما رواه له ابن ماجّة في سننه (1) وإسناده كذبا لأمير المؤمنين عليه السلام عبر الحرث «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين. لا تخبرهما يا على! ما داما حيين».

مع أن الجنة ليس فيها كهول بل شباب إذ روى البخارى فى تاريخه الكبير بسنده عن انس بن مالك قال «أهل الجنة شباب جرد مرد مكحولون ينتهى بهم إلى شجر الجنة فيكسون منها ثيابا، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» (2).

والحديث وُجد لمواجهة حديث النبي صلى الله عليه وآله المتفق عليه «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» (3)!!

ص: 121

1- (1) سنن ابن ماجّة - محمد بن يزيد القزوينى - طبعة دار الفكر - تحقيق فؤاد عبد الباقي - ج 1 - ص 36.

2- (2) التاريخ الكبير - البخارى - ج 8 - ص 219.

3- (3) قرب الإسناد/الحميرى - مطبعة مهر - قم - 1413 هـ - /الخصال - الشيخ الصدوق - تصحيح وتحقيق على أكبر غفارى - 1403 هـ -- منشورات جماعة المدرسين - قم/مسند أحمد - دار صادر - ج 3 - ص 3 /نظم المتواتر من الحديث المتواتر - محمد جعفر الكتانى - 196.

قال ابن تيمية «وما ذكره (الشعبي) موجود في الرفضة وفيهم أضعاف ما ذكر مثل:

«تحريم بعضهم للحم الإورّ والجمل مشابهة لليهود».

قلت:

وهذا من البهتان! فلا اليهود حرّمت لحم الإورّ ولا الشيعة! جاء في العهد القديم (التوراة) «13 وهذه تكرهونها من الطيور. لا تؤكل. إنها مكروهة. النسر والأنوق والعقاب 14 والحدأة والباشق على أجناسه 15 وكل غراب على أجناسه 16 والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه 17 والبوم والغواص والكركي 18 والبجع والقوق والرخم 19 والقلق والبيغا على أجناسه والهدهد والخفاش»⁽¹⁾.

وليس فيها الإورّ!

وأما عند الشيعة فليس لقول ابن تيمية أصل وهو كذب قبيح، وكتب

ص:122

الشيعة منذ القدم تملأ الأرض ولم تحرمه تبعاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فالشيعة لا تبتدع الأحكام بل هي تتبع المفترض طاعته من أولى الأمر.

قال ابن تيمية «ومثل جمعهم بين الصلاتين دائماً فلا يصلون إلا في ثلاثة أوقات مشابهة لليهود»

قلت:

وأما الجمع بين الصلاتين فقد وجدنا القرآن لم يأت إلا بثلاثة أوقات وكذلك السنة لم تمنع من ذلك، قال تعالى:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ) (هود: 114).

وقال تعالى:

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (الإسراء: 78).

وقد وردت بها الأخبار في كتبهم كما كتبنا إلا أنهم أولوها بزمان بالمطر! جمعاً بين أمر النبي صلى الله عليه وآله وبين نهى عمر، قال الشافعي (1) «أخبرنا مالك عن أبي الزبير المكي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في سفره إلى تبوك فأخذنا نحن وأنتم به وخالفنا فيه غيرنا، فروى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع إلا بالمزدلفة، وروى عن عمر أنه كتب أن الجمع بين الصلاتين إلا من عذر من الكبائر، فكانت حجتنا عليه أن ابن مسعود وإن قال لم

ص: 123

يفعل فقال غيره فعل، فقول من قال فعل أولى أن يؤخذ به لأنه شاهد، والذي قال لم يفعل غير شاهد، وليس في قول أحد خالف ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حجة لما وصفت من أننا إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال شيئاً وغيره قال غيره فلا يشك مسلم في أن ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم كان أولى أن يؤخذ به» وهو واضح في نسبة الشافعي من خالفه الى اتباع قول عمر وترك قول النبي صلى الله عليه وآله.

وقد ألف الشيخ أبي الفيض احمد بن محمد بن الصديق الغماري وهو من شيوخ السلفية كتاباً مستقلاً أسماه «إزالة الخطر عمّن جمع بين الصلاتين في الحضر» أثبت فيه النصوص الصحيحة الصريحة في جواز ذلك (1). وأثبت أسماء أئمة أهل السنة الذاهبين لذلك ومنهم مبرّزون في المذهب المالكي خصوصاً.

قال ابن تيمية «ومثل قولهم إنه لا يقع الطلاق إلا بإشهاد على الزوج مشابهة لليهود».

قلت:

فإنّا قد تبعنا القرآن في ذلك والتشكيك بهذا الأمر طعن في القرآن إذ يقول تعالى:

(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) (الطلاق: 2).

ص: 124

1- (1) إزالة الخطر عمّن جمع بين الصلاتين في الحضر - احمد الغماري - مكتبة القاهرة.

فقوله:

(وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) .

صريح في الأمر باستشهاد عدلين وخلاف ذلك بدعة. والرجل مولع بالكذب على الجميع بلا استثناء! إذ ليس في شريعة اليهود استشهاد على الطلاق! بل يكتب الرجل لزوجته كتابا بتاريخ تخليه عنها وينتهي الأمر، جاء في قاموس الكتاب المقدس في معرض حديثه عن اليهود(1) «أما الطلاق فلم يكن أمرا قضائيا، بل كان الرجل يطلق زوجته بواسطة كتابة كتاب طلاق، وكانت المطلقة تتزوج بمن تشاء».

وقديما قيل: إذا لم تستح فاصنع ما شئت!

قال ابن تيمية «ومثل تنجيسهم لأبدان غيرهم من المسلمين وأهل الكتاب، وتحريمهم لذبائحهم، وتنجيس ما يصيب ذلك من المياه والمائعات وغسل الآنية التي يأكل منها غيرهم، مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهود ولهذا يجعلهم الناس في المسلمين كالسامرة في اليهود».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح فالإمامية لا تحكم بنجاسة أبدان المسلمين إلا النواصب، وهذا ما جاءت به الأخبار الصريحة عن المعصومين عليهم السلام، واختلفوا في المجسمة تبعاً لأئمتهم الثقل الثاني الذي أوصانا النبي صلى الله عليه وآله به. ولم يوصر باتباع الظلمنى والبربهارى ومن لف لفهما. وأما القول

ص:125

1- (1) قاموس الكتاب المقدس - مجمع الكنائس الشرقية - مكتبة المشغل - بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية - الطبعة السادسة - ص 617.

بنجاسة أهل الكتاب فهي مسألة خلافية في المذهب والمشهور في العصور المتأخرة ويكاد يكون إجماعاً هو القول بطهارتهم.

والغريب أن تكون الفتوى بالحكم بنجاسة أهل الكتاب مثار اعتراض، فتارة يتهمنا ابن تيمية بأننا نتبع اليهود بالفروع والأصول وتارة يتهمنا بأننا نشدد عليهم بالأحكام! فلو كنا تبعاً لليهود وقائدنا هو ابن سبأ اليهودي لكننا متساهلين معهم نعتقد معهم الاجتماعات بحجج مختلفة مثل التقريب بين الأديان وغيرها وتجويز السلام معهم! بينما ثبت الشيعة تبعاً للقرآن على رفض ذلك قال تعالى:

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ نُقَاةً وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (آل عمران: 28).

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: 82).

أمّا تحريم ذبائح أهل الكتاب فهي مسألة خلافية بين علماء المذهب، وأصل الخلاف حصل جرّاء اختلاف فهم العلماء من مقصود أهل الكتاب إذا سمّوا على الذبيحة هل يسمّون بالله الذي هو ما عليه المسلمون إم ما يؤمن به أهل الكتاب من تثليث وما شابه، قال الشيخ المفيد في حلية الذبيحة «ومن الشروط الأساسية، أن يذكر اسم (الله) عليه عند ذبحه. وقد وافق أهل الكتاب، شريعة الإسلام، في أصل هذا الشرط ومجمل ما قرره الشريعة. لكن فقهاء المسلمين اختلفوا في (ذبائح أهل الكتاب) هل يحل أكلها للمسلمين، أو لا؟ وأساس هذا الخلاف هو: هل أن تسمية أهل الكتاب على ذبائحهم، صحيحة يمكن اعتبارها، أو لا؟ فقولهم:

(باسم الله) هل يقصدون به: اسم (الإله الواحد الأحد، الفرد الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) هذا المسمى الذى هو شرط الذبح عند المسلمين؟ بينما أهل الكتاب: النصارى منهم يقولون بالتثليث! واليهود منهم يقولون: (عزير ابن الله) جل وعلا!!⁽¹⁾.

وقد وافقنا علماء أهل السنة ممن يسميهم ابن تيمية علماء السلف الصالح، قال الشافعى «أحل الله طعام أهل الكتاب وكان طعامهم عند بعض من حفظت عنه من أهل التفسير ذبائحهم، وكانت الآثار تدل على إحلال ذبائحهم، فإن كانت ذبائحهم يسمونها لله تعالى فهى حلال، وإن كان لهم ذبح آخر يسمون عليه غير اسم الله تعالى مثل اسم المسيح أو يذبحونه باسم دون الله تعالى لم يحل هذا من ذبائحهم»⁽²⁾.

ومن غرائب السلفيين أنهم يفتون بحرمة أكل الطعام الذى يذبح فى أيام عاشوراء بنية إهداء ثواب الإطعام الى روح الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الشهداء، بحجة أنه مذبح للحسين وليس لله! مع أنهم يعرفون أن الشيعة تذكر اسم الله على الذبيحة، بينما يحللون ذبيحة النصرانى واليهودى! بل لقد أفتى عالمهم ابن جبرين فى عام 1999 م بحرمة ذبيحة الراضى وحلية ذبيحة الكتابى!

قال ابن تيمية «ومثل استعمالهم التقيّة، وإظهار خلاف ما يظنون من العداوة، مشابهة لليهود ونظائر ذلك كثير».

ص: 127

-
- 1- (1) ذبائح أهل الكتاب - الشيخ المفيد - ص 5 / وراجع: مختلف الشيعة - العلامة الحلى - ج 8 - ص 296 / كشف اللثام - العلامة الهندى - ج 9 - ص 214 / جامع المدارك - الخوانسارى - ج 5 - ص 115.
- 2- (2) كتاب الأم - الإمام الشافعى - ج 2 - ص 254.

أما التقيّة فهي ثابتة عند جميع المسلمين، وإلا فلِمَ ذهب ابن تيمية لقازان قائد المغول عندما قرر الأخير دخول دمشق واسترحموه ليعفو عن المدينة! ألم تكن هذه مDAHنة وتقية لِمَ لم يعطوه السيف ويجاهدونه حتى الشهادة؟! والحنابلة ممن استعمل التقيّة لدرىء شر الشوافع والمالكية فى فتنة ابن تيمية إذ كانوا يتقونهم بالقول أنهم شافعية، لكنهم يشهرون مذهبهم وعقيدتهم عند أقرب فرصة! قال ابن حجر «ونودى بدمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله، خصوصا الحنابلة فنودى بذلك وقُرئ المرسوم، وقراها ابن الشهاب محمود فى الجامع ثم جمعوا الحنابلة من الصالحة وغيرها واشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعى!»(1).

فهذه هى التقيّة وكفى الله المؤمنين القتال!

وقد اتقى ابن عباس معاوية فى مسائل فقهية، قال البيهقى(2) «فعلى هذا الوجه كان إنكار ابن عباس على معاوية فيما كان يعتقد خلافه، فكيف يصحّ ما قال هذا الشيخ فى تصويب ابن عباس وتر معاوية؟! ولكن من يريد تصحيح الأخبار على مذهبه لا نجد بدا من أن يحمل السلام من الصلاة على التشهد دون السلام، وتر عثمان وسعد بركة على الوهم، وتصويب ابن عباس معاوية على التقيّة، ورواية أبى أيوب الأنصارى على مخالفة الإجماع والله المستعان».

فهل هناك صراحة أكبر من هذه فى استعمال التقيّة من حبر الأئمة؟!

ص:128

1- (1) الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة - ابن حجر - ص 46.

2- (2) معرفة السنن والآثار - البيهقى - ج 2 - ص 316.

وقال الشوكاني (1) «حكى البخارى عن أبى الدرداء أنه قال: إنا نبشّ فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم، ويدل على جواز التقيّة» (2)

وقال الأشعري (3) فى الطبعة السلفية للإبانة «ذكر سفيان ابن وكيع قال:

ص: 129

1- (1) فتح القدير - الشوكاني - ج 1 - ص 332.

2- (2) القوم عندهم مشكلة مع العناوين وإذا قمت بتغيير العنوان وأبقيت المضمون قبلوا ذلك! ومما أثار انتباهى انهم يحلّون زواج المتعة إذا لم تسمّه متعة! فقد سألتوا ابن باز فى ذلك فقال له أحدهم «سمعت لك فتوى على أحد الأشرطة بجواز الزواج فى بلاد الغربية، وهو ينوى تركها بعد فترة معينة، لحين انتهاء الدورة أو الابتعاث. فما هو الفرق بين هذا الزواج وزواج المتعة، وماذا لو أنجبت زوجته طفلة، هل يتركها فى بلاد الغربية مع أمها المطلقة أرجو الإيضاح؟ ج 4: نعم لقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة وأنا رئيسها بجواز النكاح بنية الطلاق إذا كان ذلك بين العبد وبين ربه، إذا تزوج فى بلاد غربة ونيته أنه متى انتهى من دراسته أو من كونه موظفا وما أشبه ذلك أن يطلق فلا بأس بهذا عند جمهور العلماء، وهذه النية تكون بينه وبين الله سبحانه، وليست شرطا. والفرق بينه وبين المتعة: أن نكاح المتعة يكون فيه شرط مدة معلومة كشهر أو شهرين أو سنة أو سنتين ونحو ذلك، فإذا انقضت المدة المذكورة انفسخ النكاح، هذا هو نكاح المتعة الباطل، أما كونه تزوجها على سنة الله ورسوله ولكن فى قلبه أنه متى انتهى من البلد سوف يطلقها، فهذا لا يضره، وهذه النية قد تتغير وليست معلومة وليست شرطا بل هى بينه وبين الله فلا يضره ذلك، وهذا من أسباب عفته عن الزنى والفواحش، وهذا قول جمهور أهل العلم، حكاه عنهم صاحب المغنى موفق الدين ابن قدامة رحمه الله». مجموع فتاوى ومقالات ابن باز - ج 4 - سؤال 4. والمتعة هى أيضا عقد بين المتزوجين بإشهاد الله! ثم إن السلفيين لا يضعون شرطا يالّا يكون هناك شرط للفترة فى الزواج حتى يحرموا المتعة ويحللوا الزواج بنية الطلاق! فتبين بأنهم يبيحون زواج المتعة ولكنهم يكرهون متابعة الشيعة على حلّيتها فيعطونها عنوانا آخر! ولا بد من صنعاء مهما طال السفر.

3- (3) الإبانة عن أصول الديانة - «وهو آخر ما صنّفه الإمام الأشعري وأقام فيه الحجة البالغة لمذهب السلف» - ص 77.

سمعت عمر بن حمّاد بن أبي حنيفة قال: اخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب فيه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله: القرآن مخلوق. قال: فتأب منه وطاف به في الخلق. قال أبي: فقلت له كيف صرت إلى هذا؟ قال: خفت والله أن يقوم على فأعطيته التقيّة». فهذا الإمام الأعظم عندهم يصرّح بالتقيّة من مسلم.

وروى الزبير بن بكار في «الموفقيّات» فقال «عن عمرو بن عبيد قال: كنّا جلوسا عند الحسن بن ابى الحسن إذ أتاه رجل فوقف على رأسه، فقال له: يا أبا سعيد انك سئلت عن علي بن ابى طالب - رضى الله عنه - فقلت له: لو كان في المدينة يأكل من حشفها وتمرها كان خيرا مما صنع. فرفع رأسه اليه فقال: يا ابن أخى كلمة باطل حقنت بها دمي، أما والله لقد فقدتموه سهما من سهام الله صائبا لعدو الله ليس بالسروقة مال الله، ولا بالنؤومة عن أمر الله ربّاني هذه الأمة في علمها وفضلها وقدمها، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله، حرّم حرامه وأحلّ حلاله حتى أورده ذلك على رياض مونتقة وحدائق مغدقة، ذاك على بن أبي طالب - رضى الله عنه - يا لكع»(1).

فانتهى لقوله «فقال: يا ابن أخى كلمة باطل حقنت بها دمي» وهذه هي التقيّة التي عند الشيعة كلمة كانت تقولها عندما كان الذبح أسهل شيء عند الظالمين لرقاب الشيعة، أمّا الآن وللشيعة جمهوريّة إسلامية، وحقوق يسترجعونها في كل مكان هم فيه، فهم لا يستعملون التقيّة التي استعملها ابو حنيفة وابن عباس والحسن البصريّ.

وهؤلاء استعملوا التقيّة في العصر الإسلامي الأوّل وكلهم أئمة كبار معترف

ص: 130

بهم عند ابن تيمية وغيره، وليس في زمان المشركين أفهل شابته الصحابة اليهود في هذا؟!!

وقال الكوثري في مقدمة السيف الصقيل في رد ابن زفيل(1) «وقال التقى الحصني: كان ابن تيمية ممن يعتقد ويفتي بأنَّ شدَّ الرحال إلى قبور الأنبياء حرام، لا تقصر فيه الصلاة، ويصرَّح بقبر الخليل وقبر النبي صلى الله عليهما وسلم، وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي وإسماعيل بن كثير الشركوين، فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر في الحرم ووعظ وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة: «ها أنا راجع ولا أزور الخليل. ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال: فلا- يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والى نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردَّد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته، وحكم بإسلامه وحقق دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية.. ثم أحضر ابن قيم الجوزية وأدعى عليه بما قاله في القدس الشريف وفي نابلس فأنكر، فقامت عليه البينة بما قاله فأدب وحُمل على جمل ثم أعيد في السجن ثم أحضر إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه ألا- أن قال إن القاضي الحنبلي حكم بحققن دمي وبإسلامي وقبول توبتي، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فأحضر وعُزِّر وضُرب بالدرَّة، وأركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية وردَّوه إلى الحبس..».

ص:131

1- (1) السيف الصقيل في رد ابن زفيل - التقى السبكي تقديم الكوثري.

والأمور التي تكلم فيها ابن تيمية وزعم مشابهة الشيعة لليهود بها هي في الفروع التي يقرّ هو أنّه يسوغ فيها الاجتهاد على أسوأ تقدير، لكن أين ذلك مما يملأ كتب السلف من روايات اليهود في كل فروع الشريعة أصولاً وغيرها، حتى باتوا لا يفرّقون بين ألفاظ النبي وبين ألفاظ التوراة والإنجيل التي اكتتبتها الطواغيت! قال ابن تيمية(1) «وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، وأمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع».

وهذه الجمل وردت بألفاظ قريبة في إنجيل متى إذ ورد «9 أبانا الذي في السماوات. ليتقدس اسمك. 10 ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. 11 خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. 12 واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا. 13 ولا تدخلنا في تجربة. لكن نجنا من الشرير. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين».(2)

وهي عين الألفاظ بتغيير يسير!

وقد نقل عن ابن تيمية ذهابه إلى أن الخلق بُدئ يوم الأحد وتم على يوم الجمعة ويوم التعطيل يوم السبت(3) وهو عين قول اليهود في التوراة إذ جاء في التوراة التي عند اليهود «1 فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. 2 وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله

ص:132

1- (1) الفتوى الحموية الكبرى - ابن تيمية - ص 9.

2- (2) الكتاب المقدس (العهد الجديد) - الكنيسة - ص 10-11.

3- (3) فيض الباري شرح صحيح البخاري - محمد أنور شاه الكشميري - ج 4 - ص 362.

الذى عمل. 3 وبارك الله اليوم السابع وقدسسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا»(1).

فابن تيمية إما أن يقبل أن الديانات تتشابه ببعض الوجوه وأما أن لا يقبل فإن قبل يجب أن يقر بذلك له ولنا، وإن لم يقبل فكيف وهو ينقل من الإنجيل والتوراة مباشرة!!

ص:133

1- (1) الكتاب المقدس (العهد القديم) - الكنيسة - ص 5.

ابن تيمية.. والتوت الشامى.. والعدد عشرة!

قال ابن تيمية عن الشيعة «وأما سائر حماقاتهم فكثيرة جدا مثل كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد مع أن النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه كانوا يشربون من آبار وأنهار حفرها الكفار، وبعضهم لا يأكل من التوت الشامى، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه كانوا يأكلون مما يجلب من بلاد الكفار من العجن، ويلبسون ما تنسجه الكفار بل غالب ثيابهم كانت من نسج الكفار، ومثل كونهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة حتى في البناء، لا يبنون على عشرة أعمدة ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم، يبغضون هؤلاء إلا على بن أبي طالب رضى الله عنه، ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة وقد أخبر الله أنه قد رضى عنهم»⁽¹⁾.

ص:134

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 13

وهذا من أقبح الكذب، فلم يكن شيء من هذا الذى حكاه ابن تيمية ولا حكاه احد صاحب عقل حتى من أعداء الشيعة وإنما هي من كيس ابن تيمية الذى سيلاقى ربه ليسأله عن كل حرف من بهتانته.

وأما الصحابة فبعضهم كانت منه هتات، ثم تابوا بدليل متابعتهم عليا فى حروبه فى الجمل وصفين والنهروان، والعجب من ابن تيمية كيف يقول «ويغضون سائر المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة وقد أخبر الله أنه قد رضى عنهم» وهو يعلم أن كتب الشيعة تطفح بالأخبار الدالة على أن جملة من الصحابة لم يميلوا حتى فى السقيفة فضلا عما بعدها من أحداث مثل حذيفة وسلمان والمقداد وأبو ذر الغفارى - وهو خامس أهل الإسلام - ويسمّون عند علماء الشيعة بالأركان الأربعة، وعمار بن ياسر - جلدة ما بين عيني رسول الله - والهيثم بن التيهان وعبد الله بن ديبيل وجابر بن عبد الله الأنصارى ومالك الأشتر وكثير غيرهم ممن ثبت من الصحابة، وبعضهم كان فى أمره تهاون فى البداية ثم ما لبث أن عرف حق الإمام عليه السلام.

ولكن أليس الأولى من ابن تيمية أن يحاسب معاوية على إشعاله حربا أدّت الى إزهاق أرواح أكثر من ثلاثمئة من أهل بيعة الشجرة، والعشرات من البدرين، وآلاف المسلمين بدل أن يبهت الشيعة بهذه الأقوال؟!

قال ابن تيمية «ومن حماقتهم أيضا أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرداب الذى بسامرا الذى يزعمون أنه غاب فيه، ومشاهد آخر وقد يقيمون هناك دابة إما بغلة وإما فرسا وإما غير ذلك ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إما فى طرفى النهار وإما فى أوقات آخر من ينادى عليه بالخروج: يا مولانا أخرج يا مولانا أخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم وفيهم من يقول فى أوقات الصلاة دائما لا يصلّى خشية أن يخرج وهو فى الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم فى أماكن بعيدة عن مشهده كمدينة النبى صلى الله عليه وسلم إما فى العشر الأواخر من شهر رمضان وإما فى خير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه» (1).

الجواب:

وهذا مما لا يستحق الرد لفحشه فى الكذب والاختلاق، ومن أين أتى ابن تيمية بهذا؟! أم هل رآه بعينه؟!

ص: 136

والعجب من السلفية الذين يصدّقون هذه السفاسف ألا يسألون أنفسهم لماذا لم ينقل هذه الأمور غير ابن تيمية؟! فهناك العديد من المؤرخين ومصنّفى الفرق لم يأت أحدهم على هذه التوافه!.

والمعاصرون من السلفية عندما يذكرون هذه الأمور فهم ينسبونها إلى ابن تيمية فقط وكأنه الشاهد الوحيد من دون الملايين الذى رأى الشيعة تحرم لحم الأوز والجمال(1)!!

قال تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) (البقرة: 165).

ص: 137

1- (1) من نظريات ابن تيمية الطريفة هى قوله بتشابه الأخلاق بين الحيوانات وبين من يسوسونها ويحتكّن بها إذ يتأثر الإنسان بأخلاق الحيوان إذ يقول «وكذلك: الآدمى إذا عاش نوعاً من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر فى أهل الإبل، وصارت السكينة فى أهل الغنم، وصار الجمالون، والبغالون فيهم أخلاق مذمومة، من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلابون، وصار الحيوان الإنسى، فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤلفة وقلّة النفرة. فالمشابهة والمشاكله فى الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشاكله فى الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفى». اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية - ج 1-548/ وقد تكون هذه النظرية كاشفة عن سبب وعورة أخلاق الوهابية! وعقولهم الصحراوية الجافية.

الشعبة وفرية تعظيم أبي لؤلؤة الفيروزي

قال ابن تيمية «ومنهم يعظم أبا لؤلؤة المجوسى الكافر الذى كان غلاماً للمغيرة بن شعبة لما قتل عمر، ويقولون واثارات أبى لؤلؤة فيعظمون كافراً مجوسياً باتفاق المسلمين لكونه قتل عمر رضى الله عنه»⁽¹⁾.

الجواب:

أن أبا لؤلؤة كان نصرانياً ولم يكن مجوسياً⁽²⁾، وهذه من حماقات النواصب فهم كالبيغاوات يكررون ما قاله ابن تيمية بدون التأكد من جهله بالتاريخ.

وفى قوله «لكونه قتل عمر» إرجاع علة مجوسيته وكفره لهذا الفعل، وليت شعري لِمَ يكون قاتل عثمان أشقى الناس، وقاتل عمر مجوسياً كافراً لكونه قتله، أما قاتل أمير المؤمنين عليه السلام فيوردون رواياته فى أصح كتبهم (البخارى) بل ويجدون له الأعذار، بل أن له أجراً واحداً بقتله نفس النبى صلى الله عليه وآله كما فعل ابن حزم فى المحلّى⁽³⁾ إذ يقول «لا خلاف بين أحد من الأمة فى أن عبد

ص: 138

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 16.

2- (2) تاريخ الطبرى - ج 3 - ص 263 / الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 3 - ص 49.

3- (3) المحلّى - ابن حزم - ط دار الفكر - ج 10 - ص 484.

الرحمن ابن ملجم لم يقتل علياً رضي الله عنه إلا متأولاً مجتهداً مقدراً أنه على صواب».

وعلى قوله هذا فإن ابن ملجم لا يدخل تحت التكفير الذي رموا به أبا لؤلؤة قاتل عمر، ولا قاتل عثمان، أو قاتل الزبير لكونهم قالوا «ومن شروط الحكم على المسلم المعين بالكفر... أن يكون عالماً بتحريم هذا الشيء...» (1).

ويقول سلفي آخر في الأمر المكفر «أن يكون أمر ذلك العمل غير مشتبه عليه لتأويل سائغ تأوله» (2).

وفي الوقت نفسه فهم يروون لمادح قاتل الإمام عليه السلام الحديث مع أنهم يشترطون في الراوي «الضبط والعدالة» (3) بلا خلاف بينهم فبهذه القرائن يصبح المماليء والمحرّض على قتل أمير المؤمنين عليه السلام عادلاً، والعاقل بتعريف الشافعي هو «العامل بطاعة الله تعالى، فمن رؤى عاملاً بها فهو عدل، ومن عمل

ص: 139

-
- 1- (1) ضوابط تكفير المعين - عبد الله بن عبد العزيز الجبرين - قراءة وتقديم عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين وعبد الله بن عبد العزيز الراجحي وعبد الرحمن بن ناصر البراك - ط 3 - ص 8.
 - 2- (2) عقيدة أدياء السلف - ابو عبد الله محمد بو النّيت المراكشي - ط دار البيارق - ط 2-2001 م.
 - 3- (3) فتح الملك العلي - محمد الصديق المغربي - مطابع نقاش جهان - 1403 هـ - تحقيق محمد هادي الاميني - ص 25 / تحفة الأحوذى - المباركفوري - ط دار الكتب العلمية - 1990 م - ج 1 - ص 304 / تناقضات الألباني الواضحات - حسن بن علي السقاف - دار الإمام النووي - عمان - 1992 م - ج 2 - ص 284 / معرفة الثقات - العجلى - مكتبة الدار المدينة المنورة - ط 1-1405 هـ - ج 1 - ص 104 / الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - الذهبي - تقديم محمد عوامة - تخريج نصوص احمد محمد نمر الخطيب - ط دار القبلة - جدة - 1992 - ج 1 - ص 37.

بل قال أبو ثور «من كان أكثر أمره الخير وليس بصاحب جريمة في دين ولا مصرّ على ذنب وإن صغر قبل وكان مستورا، وكل من كان مقيما على ذنب وإن صغر لم تقبل شهادته».(2)

وبتعريف الخطيب البغدادي(3) الحبر في مجاله «والواجب أن يقال في جميع صفات العدالة أنها أتباع أوامر الله تعالى والانتها عن ارتكاب ما نهى عنه مما يسقط العدالة، وقد علم مع ذلك أنه لا يكاد يسلم المكلف من البشر من كل ذنب ومن ترك بعض ما أمر به حتى يخرج الله من كل ما وجب له عليه وإن ذلك يتعذر، فيجب لذلك أن يقال إن العدل هو من عُرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقى ما نهى عنه وتجنب الفواحش المسقطّة وتحرى الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقى في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمي فاعلها فاسقا حتى يكون مع ذلك متوقيا لما يقول كثير من الناس انه لا يعلم أنه كبير، بل يجوز أن يكون صغيرا نحو الكذب الذي لا يقطع على أنه كبير ونحو التطفيف بحبة، وسرقة باذنجان، وغش المسلمين بما لا يقطع عندهم على أنه كبير من الذنوب، لأجل أن القاذورات وإن لم يقطع على أنها كبائر يستحق بها العقاب فقد اتفق على أن فاعلها غير مقبول الخبر والشهادة».

ص: 140

1- (1) عمدة القارى - العيني - ج 13 - ص 200.

2- (2) عمدة القارى - العيني - ج 13 - ص 200.

3- (3) الكفاية في علم الرواية - الخطيب البغدادي - تصحيح احمد عبد السلام - ط دار الكتب العلمية بيروت 1994 - ص 103.

فهل جعلتم إثم قتل أمير المؤمنين عليه السلام أقل من إثم سرقة باذنجانة؟! لا بل قتل أمير المؤمنين فيه ثواب واحد فهو اجتهاد خاطيء لا إثم فيه!!

وقالوا الأمر نفسه مع عمّار رضی الله عنه فقاتله مأجور وقاتل عثمان ملعون! قال ابن حزم «وعمار رضی الله عنه قتله أبو الغادية يسار بن سبع السلمی، شهد (عمار) بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بأنه علم ما فى قلبه، وأنزل السكينة عليه ورضى عنه، فأبو الغادية رضی الله عنه متأول مجتهد مخطيء فيه، باغ عليه مأجور أجرا واحدا، وليس هذا كقتلة عثمان رضی الله عنه لأنهم لا مجال للاجتهاد فى قتله، لأنه لم يقتل أحدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد إحصان ولا ارتد فيسوغ المحاربة تأويل، بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان، فهم فساق ملعونون»(1).

فهؤلاء هم:

(الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (الحجر: 91).

ص: 141

1- (1) الفصل - ابن حزم - ج 4 ص 161

قال ابن تيمية «أن الإمامة بتقدير الاحتياج إلى معرفتها لا يحتاج إليها من مات على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة، ولا يحتاج إلى التزام حكمها من عاش منهم إلى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يكون أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدين لا يحتاج إليه أحد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو ليس الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته واتبعوه باطنا وظاهرا ولم يرتدوا ولم يبدلوا هم أفضل الخلق باتفاق المسلمين أهل السنة والشيعة، فكيف يكون أفضل المسلمين لا يحتاج إلى أهم المطالب في الدين وأشرف مسائل المسلمين»⁽¹⁾.

الجواب:

في قوله «ولا يحتاج إلى التزام حكمها من عاش منهم إلى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم».

كيف يكون ذلك وتعالى سبحانه يقول:

ص: 142

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 26

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: 59).

وأولو الأمر هنا هم أصحاب الإمامة الذين فرض ابن تيمية «تقدير الاحتياج إلى معرفتها».

وهم الذين قصدهم الرسول صلى الله عليه وآله بقوله «يا أيها الناس! إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى» وربط عدم الضلال بالأخذ بهما ولن يفيد الارتباط بأحدهما دون الآخر وهو حديث اتفق المسلمون عليه. وصححه إمامهم الألبانى فى صحيحته. وقال «بعد تخريج هذا الحديث بزمن بعيد، كتب على أن أهاجر من دمشق إلى عمان، ثم أن أسافر منها إلى الإمارات العربية، أوائل سنة (1402) هجرية، فلقيت فى (قطر) بعض الأساتذة والدكاترة الطيبين، فأهدى إلى أحدهم رسالة له مطبوعة فى تضعيف هذا الحديث، فلما قرأتها تبين لى أنه حديث عهد بهذه الصناعة، وذلك من ناحيتين ذكرتهما له: الأولى: أنه اقتصر فى تخريجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة، ولذلك قصر تقصيرا فاحشا فى تحقيق الكلام عليه، وفاته كثير من الطرق والأسانيد التى هى بذاتها صحيحة أو حسنة فضلا عن الشواهد والمتابعات، كما يبدو لكل ناظر يقابل تخريجه بما خرجته هنا.. الثانية: أنه لم يلتفت إلى أقوال المصححين للحديث من العلماء ولا إلى قاعدتهم التى ذكروها فى "مصطلح الحديث": أن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق، فوقع فى هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح. وكان قد نوى إلى قبل الالتقاء به وإطلاعى على رسالته أن أحد الدكاترة فى (الكويت) يضعف هذا الحديث، وتأكدت من ذلك حين جاءنى خطاب

من أحد الإخوة هناك، يستدرک علی إیرادی الحدیث فی "صحیح الجامع الصغیر" بالأرقام (2453 و 2454 و 2745 و 7754) لأن الدكتور المشار إليه قد ضعفه، وأن هذا استغرب منی تصحيحه! ويرجو الأخ المشار إليه أن أعيد النظر فی تحقیق هذا الحدیث، وقد فعلت ذلك احتياطاً، فلعله يجد فيه ما يدل على خطأ الدكتور، وخطئه هو فی استرواحه واعتماده عليه، وعدم تنبهه للفرق بين ناشئ فی هذا العلم، وممكن فيه، وهي غفلة أصابت كثيراً من الناس اللذين يتبعون كل من كتب فی هذا المجال، وليست له قدم راسخة فيه. والله المستعان».

ولو لم يستلزم معرفة الإمامة لمن عاش بعد النبي فلماذا كانت بيعة الأول فلتة! ولم كانت الحروب التي خاضها طلحة والزبير طمعا في الخلافة وخاضتها عائشة بغضباً بعلی عليه السلام!؟ ولم قتل معاوية من المسلمين عشرات الآلاف وفيهم المئات من الصحابة في سبيلها؟!

أما قول ابن تيمية «فكيف يكون أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدين لا يحتاج إليه أحد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو ليس الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته واتبعوه باطنا وظاهراً ولم يرتدوا ولم يبدلوا هم أفضل الخلق باتفاق المسلمين أهل السنة والشيعة فكيف يكون أفضل المسلمين لا يحتاج إلى أهم المطالب في الدين وأشرف مسائل المسلمين».

الجواب:

كونهم اتبعوه باطنا وظاهراً لو اتفقنا على هذا لما ألفت العلامة الحلبي كتابه، ولما اضطرت ابن تيمية للرد عليه ولما كتبنا هذا الكتاب! فهذا غير متفق عليه ونقله ذلك عن الشيعة كذب مفضوح، وأما نقله عن السنة فكيف يدعى ذلك وقد رووا

ص:144

عن النبي صلى الله عليه وآله «وددت أنى لقيت إخوانى، فقال أصحابه: أوليس نحن إخوانك؟ قال: أنتم أصحابى ولكن إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى» (1). والواضح فى الحديث أن الصحابة لما فهموا من الإخوة اقرب من الصحبة قالوا كلمتهم «أوليس نحن إخوانك؟» وهكذا هو ابن تيمية حاطب ليل له علم فى المرويات!

وأما قول ابن تيمية «واتبعوه باطنا وظاهرا ولم يرتدوا ولم يبدلوا».

وغريب كلام ابن تيمية عن الباطن والظاهر فلو كانت الكتب تنقل ظاهر الصحابة فأنى له بمعرفة باطنهم؟! وحسبك قوله تعالى:

(وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) (101) سورة التوبة.

على أن الروايات تذكر صريحا وجود الذين ينافقون فى باطنهم، ولن تنفع كلمات ابن تيمية ولا غيره فى إخفاء ذلك وأخبار صحيحة البخارى التى نقلها فى طرد الصحابة عن الحوض خير دليل على ذلك.

روى الطبرانى فى معجمه الكبير (2) «حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا عبيدة بن أسود عن مجالد عن الشعبي قال قلنا كيف أصاب حذيفة ما لم يصب أبو بكر ولا عمر؟ قال صلة بن زفر: قد والله سألنا حذيفة عن ذلك فقال: كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

ص: 145

1- (1) جلاب المرأة المسلمة - الألبانى - ص 25 - ط دار السلام.

2- (2) المعجم الكبير - الطبرانى - ج 3 - ص 164.

مسير ذات ليلة فأدلجنا دلجة فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، فقال أناس لو دفعناه الساعة فوقع فاندقت عنقه استرحنا منه، فلما سمعتهم تقدمتهم فسرت بينه وبينهم فجعلت أقرأ سورة من القرآن فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا؟ قلت: حذيفة يا رسول الله قال: أدن، فدنوت فقال: ما سمعت هؤلاء خلفك ما قالوا؟ قلت: بلى يا رسول الله ولذلك سرت بينك وبينهم قال: أما إنهم منافقون، فلان وفلان وفلان».

فهؤلاء الذين تخصص بهم هذه الروايات صحابة ظاهرا، وقد حملوا بين جوانحهم نفاقاً وغدرا وغيظا على النبي صلى الله عليه وآله، وقد أرادوا قتل النبي ليلة العقبة في العام التاسع للهجرة في عودته من تبوك ولم يعلم غير حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر أسماءهم حتى كان عمر بن الخطاب في خلافته يأتي لحذيفة عند موت أحد المسلمين (ظاهراً!) ليسأله هل هو من المنافقين؟ لكي يصلى عليه أو يتركه!

بل إن حذيفة كان يفضح بعضهم روى الترمذى في سننه (1) «حدثنا سويد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا شعبة عن قتادة عن مجلز: "أن رجلاً قعد وسط الحلقة، فقال حذيفة: ملعون على لسان محمد. أو: لعن الله على لسان محمد من قعد وسط الحلقة"». قال الترمذى (2) «هذا حديث حسن صحيح». وقد جعلوا الخبر عن حذيفة دليلاً شرعياً على كراهة الجلوس في وسط الحلقة! إمعاناً في حرف الحديث عن حقيقته! قال المرزبان في «ذم الثقلاء» «حدثنا أبو محمد حدثنا عمر بن الصامت حدثنا يونس بن حماد عن قتادة: أن رجلاً قعد وسط الحلقة فقال لحذيفة: إن فلانا

ص: 146

1- (1) سنن الترمذى - الترمذى - ج 4 - ص 183.

2- (2) سنن الترمذى - الترمذى - ج 4 - ص 183.

أخاك مات، قال وأنت أحق على الله أن يميتك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة»(1).

ولكن بعض أصحاب الضمائر ممكن ان يصرح بالحقيقة في لحظة صحوه ضمير! قال البيهقي «قال الشيخ يحتمل أن يكون قد عرف منه نفاقاً»(2).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة. وقد ناشده عمر: أنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكى أحدا بعدك(3). فهل استعمل حذيفة التقيّة مع عمر كما مرّ علينا أن ابن عباس استعملها مع معاوية؟!

ولا أعلم كيف يكون عمر بن الخطّاب مبشراً بالجنة وهو يسأل من لم يبشّره الله بالجنة: هل أنا في المنافقين الذين يقول الله عنهم:

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (النساء: 145).

والفرق شاسع بين الجنة والدرك الأسفل من النار! ومن مضحك تخريجاتهم ما قالوه في الأثر المروى عن حذيفة في تفسيره لقوله تعالى:

(فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ) (التوبة: 12).

قال حذيفة: قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد(4) قال ابن حجر(5) عن

ص: 147

1- (1) ذم الثقلاء - محمد بن خلف بن المرزبان - ص 20.

2- (2) السنن الكبرى - البيهقي - ج 3 - ص 235.

3- (3) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ج 2 - ص 364.

4- (4) فتح الباري - ابن حجر - ج 8 - ص 243.

5- (5) فتح الباري - ابن حجر - ج 8 - ص 243.

بعضهم «والمراد بكونهم لم يقاتلوا أن قتالهم لم يقع لعدم وقوع الشرط، لأن لفظ الآية:

(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنتَهُونَ) (التوبة: 12).

فلما لم يقع منهم نكث ولا طعن لم يقاتلوا وروى الطبرى من طريق السدى قال المراد بأئمة الكفر كفار قريش ومن طريق الضحاك قال أئمة الكفر رؤوس المشركين من أهل مكة».

ولم يسأل أحد نفسه كيف يقول حذيفة وهو صاحب سرّ النبي في المناققين باتفاق الأمة، كيف يقول لم يقاتل أصحاب هذه الآية وهم الآن في عصر ما بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولم يحصل بعد فتح مكة قتال مع رؤوس المشركين من أهل مكة ولا غيرهم من معلى الكفر؟! وإنما قصد حذيفة قد يكون متوجها للمناققين أو مرضى القلوب الاثنى عشر الذين أرادوا قتل النبي ليلة العقبة، والذين لم يعرفهم سوى حذيفة وعمار وهم من مشاهير المسلمين بدليل معرفة عمار لهم بأسمائهم بل ومعرفة لرواحلهم التي تحملهم(1) فهل كان عمار يعرف كل جمال المسلمين! أم من كانت له مكانة معلومة مميزة يعرف من خلالها الناس اسم سيفه واسم درعه واسم دابته؟!

قال ابن تيمية «فإن قيل بل الإمامة في كل زمان هي الأهم والنبي صلى الله عليه وسلم كان نبيا إماما، وهذا كان معلوما لمن آمن به أنه كان إمام ذلك الزمان، قيل الاعتذار بهذا باطل من وجوه: أحدها أن قول القائل الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين إما أن يريد به إمامة الاثنى عشر أو إمام كل زمان بعينه

ص: 148

فى زمانه، بحيث يكون الأهم فى زماننا الإيمان بإمامة محمد المنتظر، والأهم فى زمان الخلفاء الأربعة الإيمان بإمامة على عندهم والأهم فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم الإيمان بإمامته، وإما أن يراد به الإيمان بأحكام الإمامة مطلقا غير معين وإما أن يراد به معنى رابعا. أما الأول فقد علم بالاضطرار أن هذا لم يكن معلوما شائعا بين الصحابة ولا التابعين بل الشيعة تقول إن كل واحد إنما يعين بنص من قبله فبطل أن يكون هذا أهم أمور الدين، وأما الثانى فعلى هذا التقدير يكون أهم المطالب فى كل زمان الإيمان بإمام ذلك الزمان ويكون الإيمان من سنة ستين ومائتين إلى هذا التاريخ إنما هو الإيمان بإمامة محمد بن الحسن ويكون هذا أعظم من الإيمان بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ومن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، ومن الإيمان بالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات وهذا مع أنه معلوم فساد بالاضطرار من دين المسلمين فليس هو مذهب الإمامية، فإن اهتمامهم بعلى وإمامته أعظم من اهتمامهم بإمامة المنتظر كما ذكره هذا المصنف وأمثاله من شيوخ الشيعة، وأيضا فإن كان هذا هو أهم المطالب فى الدين فالإمامية أخسر الناس صفقة فى الدين لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم الذى لم ينفعم فى دين ولا دنيا، فلم يستفيدوا من أهم الأمور الدينية شيئا من منافع الدين ولا الدنيا فإن قالوا إن المراد أن الإيمان بحكم الإمامة مطلقا هو أهم أمور الدين كان هذا أيضا باطلا للعلم الضرورى أن غيرها من أمور الدين أهم منها وإن أريد معنى رابع فلا بد من بيانه لتكلم عليه»(1).

الجواب:

ص:149

إن قوله «أن قول القائل الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين إما أن يريد به إمامة الاثنى عشر أو إمام كل زمان بعينه في زمانه بحيث يكون الأهم في زماننا الإيمان بإمامة محمد المنتظر والأهم في زمان الخلفاء الأربعة الإيمان بإمامة علي عندهم والأهم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإمامته وإما أن يراد به الإيمان بأحكام الإمامة مطلقاً غير معين وإما أن يراد به معنى رابعاً. أما الأول فقد علم بالاضطرار أن هذا لم يكن معلوماً شائعاً بين الصحابة ولا التابعين بل الشيعة تقول إن كل واحد إنما يعين بنص من قبله فبطل أن يكون هذا أهم أمور الدين».

قلت:

إما أن يقول بغير علم فهو إذن جهل قبيح فكيف جوّز لنفسه الرد على ما لا يعلمه وإما أن يكون عالماً بحديث «النقباء اثنا عشر» الوارد في كتبهم فيكون بذلك مدلساً كاذباً، كيف يكون هذا غير شائع بين الصحابة والتابعين وقد صحح (1) الألباني حديث «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة كلهم من قريش ثم يكون الهرج»؟! وكان الصحابة يعلمون إن هذا الدين يلي أمره اثنا عشر أميراً، ولم تجتمع الأمة على أحد كما اجتمعت على أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى الذين لا يقولون بوجوب طاعتهم والنص عليهم لم يختلفوا في فضلهم بخلاف غيرهم إذ لم يتولّ احد أمر الأمة إلا اختلف عليه المسلمون!

وأما قوله «بل الشيعة تقول إن كل واحد إنما يعين بنص من قبله فبطل أن يكون هذا أهم أمور الدين».

ص: 150

فهذه من مغالطاته فالشيعة لا تقول ذلك بل تقول إن الأئمة معروفون بعددهم، ومنصوص عليهم من لدن جدهم عليه الصلاة والسلام، ولكن أمر كل إمام يظهر في آخر دقيقة من حياة الإمام السابق لا أكثر، وهذا ليس نصًا وقتيا غير معروف بل هو إظهار للنص المعروف.

روى الصفار في بصائر الدرجات (1) «حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن علي بن أسباط عن الحكم بن مسكين عن بعض أصحابه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام متى يعرف الآخر ما عند الأول قال في آخر دقيقة تبقى من روحه». وفي معناه أحاديث.

وأما قول ابن تيمية «وأيضاً فإن كان هذا هو أهم المطالب في الدين فالإمامية أخسر الناس صفقة في الدين لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا فلم يستفيدوا من أهم الأمور الدينية شيئاً من منافع الدين ولا الدنيا».

قلت:

أن قرب رجال الدين السنة من السلطان جعل النفع الدنيوي مرتبطاً برئاستهم الدينية ولا يستطيعون التفريق في المقام بين الأمرين! فتراهم يفتون كل مع سلطانه ضد الآخر المسلم وكأنه من دين آخر، والأمر بسيط بينهم يكفي أن تعلم إن مراكزهم الدينية الموجودة لا تختار إمامها الأكبر بحرية، بل تنصبه السلطات الزمانية المتسلطة بالقهر والقوة على الشعوب المظلومة، وبالتالي يكون رجل الدين بوقاً لتعظيم السلطان كما كان ابن تيمية وغيره، وخطأً أول للدفاع

ص: 151

لئلا تضج الناس من الظلم وتخرج على السلطان فالخروج «حرام» بل «أطع واصبر»!!

وقد رأينا مفتى النواصب (إبن باز) يفتي بجواز السلام مع الكيان الصهيوني بعد أن وقَّعوا اتفاقيات أوسلو عام 1993 م. بل قد رأينا في أيامنا هذه (عام 2011 م) من الأعاجيب من علمائهم ما يحار معه العقل، فقد رأينا خلال الثورة المصريّة مفتى الجمهورية في مصر يقول من خلال التلفزيون المصري إن بيعة الرئيس حسنى مبارك بيعة شرعية ومن يخرج عليه يقتل! وقد أمر الملك السعودي عبد الله مفتى البلاط (وهو من نسل محمد عبد الوهّاب) بأن يفتي بأن المظاهرات بدعة، وقد رد الشيخ القرضاوى على هذين الشخصين بردود علميّة من خلال قناة الجزيرة، وأمر الرئيس اليمنى على عبد الله صالح مجموعة من رجال الدين - بعد ثمانية أشهر من بداية المظاهرات - أن يقوموا بإصدار فتوى بحرمة المظاهرات، وبعد نشر الخبر فى الفضائيات العالمية خرجت الفتوى (الشرعية!) بحرمة المظاهرات! فأى إمامة هذه التى يكون فيها المجتهد تبعاً لسكرتير الرئيس، يهرول وراءه عارضاً فتاويه، وكل فتوى بحسابها!.

فمعرفة النبى والإمام لا تضمرّ بعدم استطاعة هذا النبى أو الإمام من أداء مهمته لتقص فى الناس، أو لحكمة إلهية معينة وإلا فهل بطلت نبوة النبى صلى الله عليه وآله وهو مختفٍ متوارٍ عن الأنظار عند خروجه من مكة فى الهجرة؟! وقد كان بين خروجه من مكة ووصوله المدينة ما يقرب من خمسة عشر يوماً، ولكن هذا ظن الذين لا يوقنون، فالله لطيف بعباده ولا يمنع غياب الإمام عن النظر أن يكون له دور معين قد لا نعلمه، وهذا الإمام المهدي «عجل الله فرجه الشريف»

يقول للشيخ المفيد في رسالته إليه (1) «نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذى أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإننا نحيط علما بأبائكم، ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذى أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا- ناسين لذكركم، ولولا- ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهى أمانة لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون. اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهدية، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك فى الطعن منها السبل المرضية، إذا حلّ جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون فى الذى يليه».

فانتبه لقوله (عجل الله فرجه الشريف) «أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء» وهذا يدل على أن الإمام يتدخل بما فيه مصلحة شيعته والمؤمنين به ولكن من غير أن يعلموا ذلك، وهذا ما أوجزه الإمام عجل الله فرجه بقوله بتوقيع لإسحاق بن يعقوب (2)

ص: 153

-
- 1- (1) الاحتجاج - الشيخ الطبرسى - ج 2 - ص 322 - تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان - 1386-1966 م - دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.
 - 2- (2) إكمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص 485 تصحيح وتعليق: على أكبر الغفارى - محرم الحرام 1405-1363 ش - مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

«أما وجه الانتفاع بي في غيبتى فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإنى لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء».

ولا أحسب أن ابن تيمية يعلم علل كل ما يحيط به، ولو أردنا أن نشكك بكل ما صح الإيمان به من دون معرفة علته لكان لنا أن نأتي بمئات الأسئلة والتشكيكات حول ما ورد من سيرة النبي صلى الله عليه وآله، ولماذا حدث هذا ولم يحدث هذا، ولماذا انزل الله هذا ولم ينزل ذلك ولن ينتهي الأمر بسهولة، لكون إلقاء الشبهة ليس مثل استئصالها من القلوب والأذهان، فإلقاء الشبهة هيّن، يكفى لها أن لا يقتنع الشخص بجزئية معينة ليلقى إزاءها برأى آخر يحتمله الطرف، مما سيحتّم على من يريد صدّ الشبهة بأن يبذل الوسع ليردّها بأضعافها من النصوص، فليس عرض الحق كافياً لكي يتبعه الناس، ولكن الأسلوب الذى يُعرض به الحق يجب أن يكون كافياً ليقنع به الآخر، لذا تجد أهل البدع من الوهابية والزندقة، والبهائية والقاديانية وغيرهم يوجهون سهامهم بتشكيكات عقلية، من السهل إيجادها دائماً، لكون ما وصل عن التاريخ الواقعي للأحداث شىء قليل بالنسبة لما استغرقه الزمان، وعدد الأشخاص، وضخامة الوقائع، واختفاء الكثير من المصادر التاريخية خلال نوب الزمان، ووقائع الدهور والعصور، لذا فلا تجد شخصاً يحترم عقله قادراً على إعطاء أجوبة كافية لكثير من الجزئيات الواردة فى التاريخ، نعم ما لدى الشيعة الإمامية أعزهم الله كافٍ، شافٍ، لكون مصادرهم، ومصادر غيرهم تؤيد براهين لا يجد غير الشيعي لديه مثلها، والمذهب الشيعي هو المذهب الوحيد الذى - ولثقتة بما عنده - يستدل دائماً بما عند الآخرين على صدق ما عنده.

صاحب الزمان (عجل الله فرجه) والتكليف بما لا يطاق

قال ابن تيمية «وأيضاً فصاحب الزمان الذي يدعون إليه لا سبيل للناس إلى معرفته ولا معرفة ما يأمرهم به وما ينهاهم عنه وما يخبرهم به فإن كان أحد لا يصير سعيداً إلا بطاعة هذا الذي لا يعرف أمره ولا نهيه، لزم أنه لا يتمكن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة الله، وهذا من أعظم تكليف ما لا يطاق، وهم من أعظم الناس إحالة له، وإن قيل بل هو يأمر بما عليه الإمامية، قيل فلا حاجة إلى وجوده ولا شهوده، فإن هذا معروف سواء كان هو حياً أو ميتاً وسواء كان شاهداً أو غائباً، وإذا كان معرفة ما أمر الله به الخلق ممكناً بدون هذا الإمام المنتظر علم أنه لا حاجة إليه ولا يتوقف عليه طاعة الله ورسوله، ولا نجاة أحد ولا سعادته وحينئذ فيمتنع القول بجواز إمامة مثل هذا فضلاً عن القول بوجود إمامة مثل هذا، وهذا أمر بين لمن تدبره لكن الرافضة من أجهل الناس» (1).

الجواب:

إن ابن تيمية لا يميز بين الإمامة وهي طريق الهداية التي لا تقطع حتى بغيبة صاحبها، وبين الحكم الزماني الذي كان ابن تيمية يتنعم بفتاته عند سلاطين الشام

ص: 155

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 29.

ومصر! ويتنعم به نواصب زماننا بدولارات الزكاة وسحت الظالمين فى الخليج.

فللنبوة والإمامة هدف واحد لا ينتفى فى حال عدم اهتداء الناس بسبب بذنوبهم، وانتكاس قلوبهم، كأمر نبي الله نوح عليه السلام الذى عاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً كما أخبر الله جلّ وعلا.

ولا ينتفى فى حال قتل النبي كما هو حال النبي يحيى عليه السلام، ولا ينتفى الهدف فى حال غيبة النبي أو الإمام كغيبة موسى أربعين ليلة كما فى قوله تعالى:

(وَإِعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف: 142).

وغيبة النبي محمد صلى الله عليه وآله ما بين خروجه من المدينة إلى يوم وصوله إلى مكة وهى قرابة خمسة عشر يوماً. فالحجّة هى الحجّة، لا تزول بمجرد عدم قدرة القائم بها على نشرها ومباشرته لها.

وهم يجعلون الإمام وصاحب الأمر الواجب طاعته هو الحاكم الزمنى الذى يسوقهم بالقهر والقوة ويجمع المال من الفقراء بالغصب، ليتنعم به هو وفقهاء القصر.

ولو لم يكن قلبه منكوساً لكانت قراءته لنهج البلاغة تكفى لمعرفة منبع النور من هاوية الظلمة، ولكن أنى له ذلك وهو ابن تيمية.

قال ابن تيمية «والمقصود بالإمام إنما هو طاعة أمره فإذا كان العلم بأمره ممتنعاً كانت طاعته ممتنعة، فكان المقصود به ممتنعاً، وإذا كان المقصود به ممتنعاً لم يكن فى إثبات الوسيلة فائدة أصلاً بل كان إثبات الوسيلة التى لا يحصل بها

مقصودها من باب السفه والعبث والعداب القبيح باتفاق أهل الشرع، وباتفاق العقلاء القائلين بتحسين العقول وتبليغها بل باتفاق العقلاء مطلقاً فإنهم إذا فسروا القبح بما يضرب كانوا متفقين على أن معرفة الضار يعلم بالعقل والإيمان بهذا الإمام الذي ليس فيه منفعة، بل مضرة في العقل والنفس والبدن والمال وغير ذلك قبيح شرعاً وعقلاً، ولهذا كان المتبعون له من أبعد الناس عن مصلحة الدين والدنيا، لا تنتظم لهم مصلحة دينهم فدينهم إلا بالدخول في طاعة من هو خارج عن دينهم.... لأن مصلحة الدين والدنيا لا تحصل إلا به عندهم وهم لم يحصل لهم بعد المنتظر مصلحة في الدين ولا في الدنيا، والذين كذبوا به لم تقتهم مصلحة في الدين ولا في الدنيا بل كانوا أقوم بمصالح الدين والدنيا من أتباعه، فعلم بذلك أن قولهم في الإمامة لا ينال به إلا ما يورث الخزي والندامة وأنه ليس فيه شيء من الكرامة وأن ذلك إذا كان أعظم مطالب الدين فهم أبعد الناس عن الحق والهدى في أعظم مطالب الدين، وإن لم يكن أعظم مطالب الدين ظهر بطلان ما أدعوه من ذلك فثبت بطلان قولهم على التقديرين وهو المطلوب»(1).

الجواب:

ما المقصود بقوله «فإذا كان العلم بأمره ممتنعاً كانت طاعته ممتنعة فكان المقصود به ممتنعاً»؟ فإن كان الهدف من وجود الإمام كما الفائدة من وجود الملوك الذين كان ابن تيمية يقتات من موآئدهم صحّ ذلك، ولكن الأمر مختلف فكما العلم بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله في حقبة زمنية معينة واجب اعتقادي يوجب الأخذ بما جاء به من تعاليم، وما جاء به من قرآن كان أمر الإمام كذلك فما جاء به الأئمة من قبله متطابق لا يختلف فكان الواجب تجاه الإمام الثاني عشر

ص: 157

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 31.

هو الاعتقاد بوجوده طاعة لإرادة الله والنبى فقد أمر اله بإطاعة النبى بقوله سبحانه:

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النور: 56).

ولما ثبت عند الفريقين قوله صلى الله عليه وآله واللفظ من حديث جابر بن سمرة «لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثني عشر خليفة قال ثم تكلم بشيء لم أفهمه فقلت لأبى ما قال فقال كلهم من قريش»⁽¹⁾ ولما كان «نقل الطائفتين المختلفتين المتباينتين فى الاعتقاد يدل على صحة ما قد اتفقوا على نقله لان العادة جارية أن كل من اعتقد مذهبا وكان الطريق إلى صحة ذلك النقل، فإن دواعيه تتوفر إلى نقله، وتتوفر دواعى من خالفه إلى إبطال ما نقله أو الطعن عليه، والإنكار لروايته، بذلك جرت العادات فى مدائح الرجال وذمهم وتعظيمهم والنقص منهم. ومتى رأينا الفرقة المخالفة لهذه الفرقة قد نقلت مثل نقلها ولم تتعرض للطعن على نقله ولم تنكر متضمن الخبر دل ذلك على أن الله تعالى قد تولى نقله وسخرهم لروايته، وذلك دليل على صحة ما تضمنه الخبر»⁽²⁾.

ولما دل الدليل السابق على أن هؤلاء الاثنى عشر يلازمون الإسلام منذ ولادته الى يوم القيامة وهذا يدل على عدم جواز خلو الأرض من حجة على العباد، لذا كان الاعتقاد بوجود الإمام الثانى عشر واجبا تابعا لوجوب طاعة الله والنبى سواء رأينا هذا الإمام أم لم نره، عرفنا بتعاليمه أم لم نعلم. وتوطين النفس

ص: 158

1- (1) صحيح مسلم - مسلم النيسابورى - ج 6 - ص 3 /الخصال - الشيخ الصدوق - تصحيح وتعليق على أكبر غفارى - منشورات جماعة المدرسين - قم - 1403 هـ - .
2- (2) الغيبة - الشيخ الطوسى - ص 157 .

على طاعته عند ظهوره، وانتظار ظهوره من أكبر القربات لكونه اختبار الطاعة الحقيقي.

وأما قوله «وإذا كان المقصود به ممتنعا لم يكن في إثبات الوسيلة فائدة أصلا بل كان إثبات الوسيلة التي لا يحصل بها مقصودها من باب السفه والعبث والعذاب القبيح باتفاق أهل الشرع وباتفاق العقلاء القائلين بتحسين العقول وتبليغها بل باتفاق العقلاء مطلقا فإنهم إذا فسروا القبح بما يضرّ كانوا متفقين على أن معرفة الضار يعلم بالعقل والإيمان بهذا الإمام الذى ليس فيه منفعة بل مضرة فى العقل والنفس والبدن والمال وغير ذلك قبيح شرعا وعقلا ولهذا كان المتبعون له من أبعد الناس عن مصلحة الدين والدنيا لا تنتظم لهم مصلحة دينهم فدنياهم إلا بالدخول فى طاعة من هو خارج عن دينهم».

قلت:

هذا تخليط عجيب! فابن تيمية انتقل من القول المردود بعدم وجود الفائدة من وجود إمام لا يُعرف إلى القول بمضرة ذلك وكونه ضد اعتقاد العقلاء جميعا فأبطل وجوب اتّباع النبي بذلك؟! وليت شعري هل يبطل الاعتقاد بوجود النبي طوال الفترة التي قضاها في طريق الهجرة بين مكّة والمدينة لعدم وجود الفائدة من ذلك إلا بعد وصوله للمدينة؟ فهذا كهذا! وهل يبطل الاعتقاد بوجوب اتّباع موسى عليه السلام طوال فترة غيابه لأربعين يوما لعدم وجود الفائدة (حسب كلام ابن تيمية) إلا بعد رجوعه لقومه؟!!

ولو كان توقّف الحجّة عن ممارسة مهامه لخطب عارض يوجب على الأمة التصرّف بنفسها فتختار من تريد هي كما يراد القول! لكان على الصحابة أن لا

ص: 159

ينتظروا موت النبي صلى الله عليه وآله ثم يبايعوا أبا بكر! بل بمجرد كون النبي كان يفيق ثم يغمى عليه كما يصورونه في الأخبار وجب على العقلاء العلم بأن الحجّة لم يعد بإمكانه ممارسة دوره فيجب نصب حجّة ينوب عنه في ذلك! فلم لم يفعلوا ذلك؟!

الجواب واضح: لكون كل ما جاءوا به من بعد من الإشكالات حول عدم الفائدة من وجود الحجّة إذا كان متوقفاً عن أداء دوره باطل بالضرورة، وإنما ألجأهم الى ذلك الإلزام الذي فرضه عليهم علماء أهل البيت تبعاً لأنتمهم، فلما رأوا قوّة الحجّة الشيعية ابتدعوا هذه السفاسف!

وأما قوله «ولهذا كان المتبعون له من أبعاد الناس عن مصلحة الدين والدنيا لا تنتظم لهم مصلحة دينهم فديناهم إلا بالدخول في طاعة من هو خارج عن دينهم».

فقد تكفل التاريخ برد هذه الترهات فقد قامت دُول إسلامية شيعية وصلت مدى من التطور والقوة بما لم يجعل مجالاً للشك بعدم استلزام كلامه لهذا اللازم الباطل، وعلى سبيل المثال الدولة الصفوية والتي استمرت لقرنين من الزمان⁽¹⁾، وجمهورية إيران الإسلامية، وعدة دول شيعية غيرهما، وإذا ألزمتنا ابن تيمية بمن يعدّه من الشيعة لأدخلنا الدولة الفاطمية صاحبة السلطان العظيم من جبال أطلس إلى الشام واليمن، وغيرها من الدول القويّة عزيزة الجانب. بل لقد كانت بعض عصور الإسلام الأولى والبلاد بأغلبها شيعيّة يقول ابن كثير عن القرن الرابع الهجري «وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بنى بويه وبنى حمدان

ص: 160

1- (1) راجع كتاب: نشوء وسقوط الدولة الصفوية - عباس حسن الموسوي (كمال السيد) - ط سرور 2005 م/الطبعة الأولى.

والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرًا وشامًا وعراقًا وخراسان وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضًا، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثرت السب والتكفير منهم للصحابه»(1).

فلو كان الرفضية مذلولين - على منطلق ابن تيمية - فكيف حكموا البلاد مصرًا وشامًا وعراقًا وخراسان وغير ذلك من البلاد!

قال ابن تيمية وهو يتكلم عن الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف «ثم كيف يجوز أن يكلفنا الله بطاعة شخص ونحن لا نعلم ما يأمر به ولا ما ينهانا عنه، ولا طريق لنا إلى معرفة ذلك بوجه من الوجوه، وهم من أشد الناس إنكارًا للتكليف مالا يطاق فهل يكون في تكليف مالا يطاق أبلغ من هذا فقال إثبات هذا مبنى على تلك المقدمات، قلت لكن المقصود لنا من تلك المقدمات هو ما يتعلق بنا نحن، وإلا فما علينا ما مضى إذا لم يتعلق بنا منه أمر ولا نهى وإذا كان كلامنا في تلك المقدمات لا يحصل لنا فائدة ولا لطفًا ولا يفيدنا إلا تكليف مالا يقدر عليه علم أن الإيمان بهذا المنتظر من باب الجهل والضلال لا من باب المصلحة واللفظ، والذي عنه الإمامية من النقل عن الأئمة الموتى إن كان حقًا يحصل به سعادتهم فلا حاجة بهم إلى المنتظر، وإن كان باطلا فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر في رد هذا الباطل فلم ينتفعوا بالمنتظر لا- في إثبات حق ولا- في نفي باطل ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ولم يحصل لواحد منهم به شيء من المصلحة واللفظ المطلوب من الإمامة»(2).

ص: 161

1- (1) البداية والنهاية - ابن كثير - ج 11 - ص 264.

2- (2) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 35 و 36.

لقد كلف الله سبحانه بطاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وهو لم يولد بعد! كما فى قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (لأعراف: 157).

وقوله تعالى:

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (لأعراف: 158).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (البقرة: 89).

وقد جاء فى تفسيرها عن السمعاني «ومعنى الآية: أن المشركين من قبل كانوا يؤذون اليهود فربما تكون الغلبة لهم على اليهود فى القتال؛ فقالت اليهود -: اللهم انصرنا بالنبي الأمي الذى تبعته فى آخر الزمان، فكانوا ينصرون به، فلما

بعث كفروا به»(1).

وقد نقل عنهم ابن الجوزى قولهم «إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبى الأمى»(2).

وقال القرطبى فى تفسير قوله تعالى:

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأعراف: 167).

أى أعلم أسلافهم أنهم إن غيروا ولم يؤمنوا بالنبى الأمى بعث الله عليهم من يعذبهم»(3).

وقال ابن كثير تلميذ ابن تيمية فى تفسيره للقرآن:

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) (الأعراف: من الآية 158).

"صفة الله تعالى فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن الذى أرسلنى

ص: 163

1- (1) تفسير السمعانى - السمعانى - ج 1 - ص 108 تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1418-1997 م المطبعة: السعودية - دار الوطن - الرياض الناشر: دار الوطن - الرياض.

2- (2) زاد المسير - ابن الجوزى - ج 1 - ص 61 تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله الطبعة: الطبعة الأولى سنة الطبع: جمادى الأولى 1407 - كانون الثانى 1987 المطبعة: الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ملاحظات: تخريج الأحاديث أبو هاجر السعيد بن بسيونى زغلول.

3- (3) تفسير القرطبى - القرطبى - ج 7 - ص 309 الطبعة: الثانية سنة الطبع: 1405 المطبعة: دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان الناشر: مؤسسة التاريخ العربى. بيروت.

هو خالق كل شيء وربّه ومليكه الذى بيده الملك والإحياء والإماتة وله الحكم "وقوله:

(فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) (لأعراف: من الآية 158).

" أخبرهم أنه رسول الله إليهم ثم أمرهم باتباعه والإيمان به (النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) " أى الذى وعدتم به وبشرتم به فى الكتب المتقدمة فإنه مبعوث بذلك فى كتبهم ولهذا قال " (النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) " وقوله:

(الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) (لأعراف: من الآية 158).

" أى يصدق قوله عمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه " (وَآتَبَعُوهُ) " أى اسلكوا طريقه واقتفوا أثره " (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *) " أى الصراط المستقيم".(1)

وكل ما يورده ابن تيمية من تشكيكات هنا فهى من نفثات الشياطين، وكما قال تعالى:

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (آل عمران: من الآية 7).

وإنما الإسلام من التسليم فعند التسليم لما يريد الله والنبي تحصل الطاعة التى يثاب عليها الإنسان، وأما أن يريد ابن تيمية أن يعلم ما فى السموات والأرض وإلا لن يؤمن! فليس فى هذا الإيمان خير قال تعالى:

(قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاءٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ

ص:164

1- (1) تفسير ابن كثير - ابن كثير - ج 2 - ص 266 لطبعة: الثانية سنة الطبع: 1405 المطبعة: دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان
الناشر: مؤسسة التاريخ العربى - بيروت.

إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّْ وَ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (الأحقاف: 9).

وقول ابن تيمية «والذى عنه الإمامية من النقل عن الأئمة الموتى إن كان حقا يحصل به سعادتهم فلا حاجة بهم إلى المنتظر، وإن كان باطلا فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر فى رد هذا الباطل».

فهذا مردود، فأما قوله المُشعر بالتهكُّم «الأئمة الموتى» فهذا طعن بالقرآن الذى يقول:

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر: 30).

فإن كان موت النبى صلى الله عليه وآله لا يجعل فائدة فى ما تركه من سنّة فكيف يتّبع ابن تيمية الروايات التى وردت عن ميت، والمنصف لا يجد فرقا فى المقام.

ونحن هنا نقول: إن كان ما تركه النبى صلى الله عليه وآله حقا يحصل به سعادة ابن تيمية فلم أتعب نفسه فى معرفة هؤلاء الاثنى عشر الذين يبقى الدين عزيزا، منيفا، منيعا فى ظلهم؟! وأتى بالقرائن والشواهد على أنهم بنى أمية!

ولكنّا نقول أن ما جاء به النبى صلى الله عليه وآله تحصل به سعادة الدارين بشرط أن يؤخذ كله، ومنه الوصية بالتمسك بالثقلين حتى يأمن المسلم الضلال، والإمام المنتظر هو الإمام الثانى عشر الموصى به، والذى يجب علينا إطاعة للنبي الذى لا ينطق عن الهوى أن نعرفه ونوطن النفس على اتباعه. ومتى فعلنا ذلك انطبق علينا عنوان المؤمن المسلم، قال تعالى:

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: 65).

النزاع فى الإمامة.. ومسؤولية على عليه السلام؟

قال ابن تيمية «وذلك أن النزاع فى الإمامة لم يظهر إلا فى خلافة على رضى الله عنه، وأما على عهد الخلفاء الثلاثة فلم يظهر نزاع إلا ما جرى يوم السقيفة وما انفصلوا حتى اتفقوا ومثل هذا لا يُعدّ نزاعاً»(1).

الجواب:

فأقول: إن الخلاف كان منذ يوم السقيفة ولم ينته إلى الآن، قال الشهرستاني(2) «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سُلّ سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلّ على الإمامة فى كل زمان».

فانتبه لقوله «فى كل زمان»! والأمر كذلك فالأحزاب الإسلامية (الحزب العلوى والحزب الأموى) ظهرت إلى العلن فى يوم السقيفة واستمرت ليومنا هذا.

وقوله يستلزم أن دعوى الزبير وطلحة ومعاوية المطالبة بدم عثمان كانت كذبا وسلماً للوصول إلى الإمامة! إذن هذا ليس تأولا واجتهادا بل طمعا فى الدنيا.

ص:166

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 41.

2- (2) الملل والنحل - الشهرستاني - ج 1 - ص 24 دار المعرفة - بيروت - لبنان.

بيان ذلك: أن النزاع الذي ظهر في زمان على عليه السلام كان بين على عليه السلام من جهة وبين طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، وهو إماما على دم عثمان حيققة وإما على شىء آخر، ونحن نقول أن عائشة خرجت لبغضها عليا وخرج الزبير وطلحة ومعاوية طمعا فى وصول الخلافة إليهم، وابن تيمية هنا يوافقنا على ذلك! وإن كان فى مكان آخر قد ناقض نفسه، فالرجل يبدل عقيدته حسبما يريد والمهم عنده أن لا يعذر عليا فى شىء وان يدينه بكل ما جرى:

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف: 8).

ودعوى الاتفاق فى السقيفة دعوى سمجة، فعلى ماذا اتفقوا؟! ولو كان الثلاثة متفقين مع الإمام فأين ذكره خلال الأعوام الخمسة والعشرين التى حكموا فيها، ولماذا اختار اعتزالهم ولا تجد له ذكرا إلا نادرا هنا وهناك؟!

ولو وجدوا له ذكرا لأتوا به تأييدا لقولهم انه كان وزيرا للشيخين، فلما لم يجدوا إلا القليل من استعانة الشيخين به عند المعضلات علم أن ذلك إما أن يكون طمسا متعمدا لاسم الإمام، وبالتالي يتم كلامنا حول موقف حواشى الثلاثة مثل كعب الأخبار وزير عمر، ومروان بن الحكم وزير عثمان وبنى أمية، و معاوية منه وإما انه اختار العزلة وعدم المشاركة بالحروب التى شتوها لشرهم للسلطة، والأنا التى ما زالوا يلهثون وراءها حتى أردتهم.

قال ابن تيمية «الوجه الثالث أن قوله «إنه نصب أولياء معصومين لئلا- يخلي الله العالم من لطفه ورحمته»... فإن قيل المراد بنصبهم أنه أوجب على الخلق طاعتهم فإذا أطاعوهم هدوهم لكن الخلق عصوهم فيقال فلم يحصل بمجرد ذلك في العالم لا لطف ولا رحمة بل إنما حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إياهم وأيضا فالمؤمنون بالمنتظر لم ينتفعوا به ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة مع كونهم يحبونه ويوالونه، فعلم أنه لم يحصل به لطف ولا- مصلحة لا- لمن أقر بإمامته ولا- لمن جحدها، فبطل ما يذكرون أن العالم حصل فيه اللطف والرحمة بهذا المعصوم، وعلم بالضرورة أن هذا العالم لم يحصل فيه بهذا المنتظر شيء من ذلك لا لمن آمن به ولا لمن كفر به بخلاف الرسول والنبى الذى بعثه الله وكذبه قوم فإنه انتفع به من آمن به وأطاعه فكان رحمة فى حق المؤمن به المطيع له، وأما العاصى فهو المفرط وهذا المنتظر لم ينتفع به لا مؤمن به ولا كافر به وأما سائر الاثنى عشر سوى على فكانت المنفعة بأحدهم كالمنفعة بأمثاله من أهل العلم والدين من جنس تعليم العلم والتحديث والإفتاء ونحو ذلك، وأما المنفعة المطلوبة من الأئمة ذوى السلطان والسيف فلم تحصل لواحد منهم فتبين أن ما ذكره من اللطف

الجواب:

وما الذى عطف أيجاب الله سبحانه للطاعة بواقع عدم طاعة الناس؟! فالله سبحانه وتعالى أوجب طاعة الخلق للأنبياء ولم يطع الناس أغلب الأنبياء فهل حصل الفساد من وجود الأنبياء جراء ذلك؟! أم هل حصل العبث والعياذ بالله جرّاء إرسال الله لنبي لا يُطاع فى قومه؟! أم أن الفساد يحصل من لعصيان الناس للمراد الإلهى؟! وما علاقة هذا بذاك، فالتخليط فى كلام الرجل واضح.

والمقارنة التى أوردها بقوله «بخلاف الرسول والنبي الذى بعثه الله وكذبه قوم فإنه انتفع به من آمن به وأطاعه، فكان رحمة فى حق المؤمن به المطيع له، وأما العاصى فهو المفرط» فهذا غريب، فهب أن رجلاً مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وآله اضطرته الظروف الى عدم الهجرة للنبي صلى الله عليه وآله اليس ينتفع بإيمانه عند الله، فالإيمان بالإمام الغائب، والإيمان بالإمام الذى لم يستطع ممارسة الجانب الحكومى من إمامته كذلك، فالإيمان بالأئمة رحمة للمؤمنين والمعصية لهم وعدم الإيمان تقريظ بطاعة الله والنبي لكونها طاعة واحدة، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: 59).

وربط الطاعة لأولى الأمر بالطاعة للنبي المعصوم وللإرادة الإلهية يكشف عن وحدة الطاعة من جهة، وعن معصومية هؤلاء المأمور بطاعتهم من جهة أخرى

ص: 169

ولم يدع العصمة لأولى الأمر وهم الأئمة غير الشيعة الاثنى عشرية أيدهم الله ونصرهم. وأما كون أولى الأمر هم الحكّام الزمميون الذين يصلون للحكم بطرق عديدة منها تزوير الانتخابات ورشوة رجال الدين والانقلابات العسكرية وما شابه فكلام مضحك، وإنما لم يجدوا حلاً لهذا الإشكال فقالوا كلامهم، وليت شعري ما المصالح الدينية والدينية من وجود حكام ينخر حكوماتهم الفساد المالي والانحلال الخلقي، والقسوة والطغيان على الشعب المسكين، الذي ذنبه الوحيد أن رجال دينه يحوطهم الحاكم الطاغى بعطفه فيفتون له ويسبحون بحمده!

ولو كان الغرض من وجود الإمام هو مصالح الدين والدنيا للدولة والشعب فنظرة سريعة على الحكّام المسلمين منذ شهادة النبي صلى الله عليه وآله والى الآن فستجد أن الحكم عبارة عن فرصة ذهبيّة لاكتناز الذهب والفضّة، والقصور الفارهة، والبساتين والجنان المونقة، وفي كل قصر آلاف الجوارى، وفي كل قصر إباحيّة جنسية من نوع غريب تكشف عن الانحراف النفسى عند هؤلاء الطغاة، هذا الانحراف الذى جعل بلاد الإسلام «بستان قريش» على ما عبّر أحد ولاة عثمان، فبينما يتلوّى الفقراء والمعدّمون فى بلاد المسلمين من الجوع يترقّه البعض بأموال بيت المال فترى اليوم العوائل الحاكمة وهى تملك القصور المحلّلة بالذهب والفضّة والتي تضم مسابح تطلّى أرضيّتها بالذهب، وأرصدة هؤلاء الولاة المسروقة من أفواه الفقراء تذهب لتتكدّس فى مصارف الغرب فتدخل فى استثمار دور اللهو والدعارة والقمار ومصانع الخمور ولا من أمرٍ بالمعروف ولا ناهٍ عن المنكر! لكون أفواه رجال الدين قد ارتشفت الرشى، وعاد آخرهم يفتى كما أفتى أولهم (1) بأن المال لولى الامر وهو يصرفه بما يراه من مصلحة!

ص: 170

1- (1) قال ابن أبى الحديد «قال معاوية يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟ فقال

وإلا فكيف يأمر الله بطاعتهم مطلقا بغير تحديد وهم يقومون بكل أنواع المعاصى بل بعضهم يرتد عن دينه لكي يكون (من أولوا الأمر)!! كما حصل مع الملك مغيث الدين طغرل شاه ملك السنة الأتراك فى آسيا الصغرى، قال ابن الأثير(1) «كان أهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امرأة، وقد انتهى الملك إليها فوليته وقامت بالأمر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك نيابة عنها ويكون من أهل بيت مملكة فلم يكن فيها من يصلح لهذا الأمر. وكان صاحب أرزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرل شاه بن

ص:171

1- (1) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 12 - ص 416-417.

قلج أرسلان بن مسعود قلج أرسلان، وبيته مشهور من أكابر ملوك الإسلام وهم من الملوك السلجوقية، وله ولد كبير فأرسل إلى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من إجابته وقالوا لا- نفعل هذا لأننا لا يمكننا أن يملك أمرنا مسلم، فقال لهم: إن ابني يتنصّر ويتزوجها فأجابوه إلى ذلك! فأمر ابنه فتنصّر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل فيها وأقام عند الكرج حاكما في بلادهم واستمر على النصرانية».

فهذا من أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم على رأى ابن تيمية والأمويين! فهل يقبل بذلك مسلم؟!!

ولم تتوقف مخازى أمرائهم عند هذا فقد فعل عبد العزيز بن موسى بن نصير من العار ما لا تغسله بحار الدنيا، قال ابن الأثير فى سبب قتله «وكان سبب قتله أن أباه استعمله على الأندلس، كما ذكرنا عند عوده إلى الشام فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح فى إمارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيرا فاضلا وتزوج امرأة لذريق (الملك النصراني) فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على أن يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجه لذريق، فقال لها: إن ذلك ليس فى ديننا، فلم تزل به حتى أمر ففتح باب قصير لمجلسه الذى كان يجلس فيه فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع فرضيت به وصار كالسجود عندها»⁽¹⁾ فهل يأمر الله بطاعة أولى الأمر إذا أمروا بالركوع والسجود لهم من دون الله؟!!

وبعض هؤلاء الحكام من يقدم أقدم مقدسات المسلمين للحفاظ على

ص:172

1- (1) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 5 - ص 22.

الحكم، كما فى قصة تسليم بيت المقدس للروم، قال ابن الأثير (1) «فى هذه السنة أول ربيع الآخر تسلم الفرنج لعنهم الله بيت المقدس صلحا أعاده الله إلى الإسلام سريعا. وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج الأنبرور وملك الفرنج من بلاد داخل البحر إلى ساحل الشام، وكانت عساكره قد سبقته، ونزلوا بالساحل وأفسدوا من يجاورهم من بلاد المسلمين ومضى إليهم وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور، وأطاعوهم وصاروا معهم وقوى طمع الفرنج بموت الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق. ولما وصل الأنبرور إلى الساحل نزل بمدينة عكا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة أخيه المعظم وهو نازل بتل العجول يريد أن يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم وهو صاحبها يومئذ، وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له قد أرسل إلى عمه الملك الأشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه عنه فسار إلى دمشق فترددت الرسل بينه وبين أخيه الملك الكامل فى الصلح فاصطلحا واتفقا وسار الملك الأشرف إلى الملك الكامل واجتمع به. فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الأنبرور ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرت القاعدة على أن يسلموا إليه بيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقى البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين، ولا يسلم إلى الفرنج إلا بيت المقدس والمواضع التى استقرت معه. وكان سور بيت المقدس خرابا قد خربه الملك المعظم وقد ذكرنا ذلك وتسلم الفرنج بيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه، ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه

ص: 173

وعوده إلى المسلمين بمنه وكرمه، آمين».

فهذا من (أولوا الأمر) الذين أمر الله بطاعتهم على رأى ابن تيمية!

وكم لهم من مخازٍ سوّدت وجه التاريخ لا يذكرها أحد لكونهم من ناصرى السّنة!! «فالكامل والأشرف مثلا سلما القدس للملك الصليبي فريدريك الثاني... وقد مر تسليم خلفاء صلاح الدين القدس للصليبيين بالأدوار التالية:

1: بعد تسليم الكامل والأشرف القدس للملك الصليبي فريدريك الثاني سنة 655 هـ - 1228 م ظلت في يد الصليبيين حتى استردها منهم الناصر صاحب الكرك سنة 1239/637 م.

2: استنجد الصالح إسماعيل صاحب دمشق بالصليبيين ليساعده على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر، وعلى الناصر داود صاحب الكرك مسترد القدس. وأعاد إليهم لقاء ذلك القدس 1244/641 م، كما سلمهم صنفد وعسقلان وطبرية وأعمال كل منهما، وجميع جبل عامل بما منه قلاع هونين وتبنين والشقيق ومدينة صيدا أو سائر بلاد الساحل، وهكذا عادت القدس مرة ثانية إلى الصليبيين. وواعد الصالح إسماعيل الصليبيين أيضا بأنه إذا ملك مصر أعطاهم بعضها. فاستعد الصليبيون لمهاجمة مصر وزحفوا إلى غزة، في حين كوّن الصالح إسماعيل حلفا من بعض الملوك الأيوبيين في شمال الشام وزحفوا جميعا إلى حلفائهم الفرنج عند غزة. أما الصالح نجم الدين أيوب فقد تقدم من مصر إلى غزة لمواجهة هذا الهجوم. ولما بين لعساكر الشام حقيقة الموقف تمردوا على قوادهم ومالوا على الفرنج مع الصالح أيوب فالتزم الفرنج وانسحبوا إلى عسقلان، وفاوضوا الصالح أيوب سنة 1240/638 م فاعترف لهم بحقهم في

ملكية الشقيق ونهر الموجب أرنون وإقليم الجليل بالإضافة إلى القدس وبيت لحم ومجدل بابا وعسقلان. وهكذا فلم يكن الصالح أيوب خيرا من الصالح إسماعيل. وهنا تحالف الصالح إسماعيل مع الناصر داود واستنجدا من جديد بالصلبيين مقابل جعل سيطرتهم على القدس كاملة، بمعنى أن يستولى الصليبيون على الحرم الشريف بما فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهى الأماكن التى ظلت، ولو نظريا فى حوزة المسلمين عند ما سلمَ الكامل ولأشرف القدس للصلبيين سنة 1228/625 م. وهنا تقدم الصالح أيوب إلى الصليبيين طالبا مساعدتهم مقابل الثمن نفسه الذى عرضه منافسائه. وبذلك يكون الملوك الأيوبيون الثلاثة: الصالح أيوب والصالح إسماعيل والناصر داود قد أقروا مبدأ استيلاء الصليبيين على الحرم الشريف على حد تعبير بعض المؤرخين»(1).

وأفضل من وجدوا من (أولوا الأمر) الذين يبجلونهم هو صلاح الدين الأيوبي والذى يعدونه القائد المسلم المثالى، ونموذج لأولوا الأمر المأمور بطاعتهم ولا أدرى! ألا يقرأ هؤلاء تاريخهم المخزى؟! فهذا الرجل وأمثاله كانوا يؤخرون وجود الإفرنج على بلاد المسلمين إذا كان ذلك فى جانب بقائهم فى السلطة، قال ابن الأثير(2) «فى هذه السنة جرت أمور أوجبت أن تأثر نور الدين من صلاح الدين، ولم يُظهر ذلك وكان سببه أن صلاح الدين يوسف بن أيوب سار عن مصر فى صفر من هذه السنة إلى بلاد الفرنج غازيا ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيق على من به من الفرنج، وأدام القتال، وطلبوا الأمان واستمهلهو عشرة أيام فأجابهم إلى ذلك. فلما سمع نور الدين بما فعله صلاح

ص:175

1- (1) مستدركات أعيان الشيعة - حسن الأمين - ج 2 - ص 357-358.

2- (2) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 11 - ص 371-372.

الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الفرنج أيضا ليدخل إليه من جهة أخرى فقيل لصلاح الدين إن دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال أنت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق وأخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين، وإن جاء نور الدين إليك وأنت ههنا فلا بد لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكّم فيك بما شاء، إن شاء تركك أولا فقد لا يقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع إلى مصر. فرحل عن الشوبك عائدا إلى مصر ولم يأخذه من الفرنج وكتب إلى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصرية لأمر بلغته عن بعض شيعته العلويين وإنهم عازمون على الوثوب بها فإنه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلف بها فيخرجوهم وتعود ممتنعة وأطال الاعتذار».

فانتهى إلى قوله «يعتذر باختلال البلاد المصرية لأمر بلغته عن بعض شيعته العلويين» فهذا العذر قديم عندهم! فكلما وقعوا في حرج في الفتوى مثلا أو في السياسة كان الخوف من الشيعة أو مماثلتهم في الفتوى وما شابه عذرا يقبله كلهم!

ولم يكتف صلاح الدين نفسه بالسماح للصليبيين بالبقاء في فلسطين إذا كان بقاؤهم يسمح له بالتسلط على مصر، بل إنه يقوم بحماية ملك الفاطميين الذين يعدهم هو ومن بعدهم الوهابيون (ملاحظة!) وذلك في سبيل عدم وصول حكم نور الدين زنكي لمصر قال ابن الأثير (1) «كان سبب الخطبة العباسية بمصر أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصى كان

ص: 176

من أعيان الأمراء الأسدية كلهم يرجعون إليه، فكتب إليه نور الدين محمود بن زنكى يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة المستضئية، فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام أهل الديار المصرية عليهم لميلهم إلى العلويين. وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقاءهم خوفاً من نور الدين، فإنه كان يخافه أن يدخل إلى الديار المصرية يأخذها منه، فكان يريد أن يكون العاضد معه حتى إن قصده نور الدين امتنع به وبأهل مصر عليه».

والأمر كما ترى فالمجاهد (صلاح الدين) (1) يريد بقاء سلطة (الملاحدة) كما يسمونهم حتى لا يأخذ المجاهد نور الدين زنكى مصر منه وهو الذى يطمع أن يليها! وهذه القصص وغيرها تدل على تفكيرهم الدنيوى البحت، ولو أنهم كانوا يجاهدون الفرنج لإعلاء كلمة الله لكانوا تنازلوا عن هذه الأمور الصغيرة ووحدوا صفوفهم. فهل هذه هى المصالح الدينية والدنيوية التى نالها السلفيون من خلال بيعة أولئك الملوك؟!

وبعد هذا كله يكابرون فى تغطية عار هؤلاء لعدم وجود بديل يوافق عقيدتهم القلقة، قال ابن الأثير (2) «قال شبيب بن شبة: كنا جلوسا عند المهدي فذكروا الوليد فقال المهدي: كان زنديقا، فقام أبو علاثة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل أعدل من أن يولّى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا، لقد أخبرني من كان يشهد فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التى عليه المطايب المصبغة، ثم يتوضأ فيحسن

ص: 177

-
- 1- (1) قال ابن تيمية عن صلاح الدين الأيوبي بأنه من «ملوك المسلمين المجاهدين فى سبيل الله» الفتاوى الكبرى ج 4 ص 250 وبانه «من ملوك السنة» مسألة المرابطة فى الثغور - ص 19.
- 2- (2) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 5 - ص 291.

الوضوء ويؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلّى فيها، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه، فهذا فعال من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي بارك الله عليك يا أبا علاثة!».

ولا أعلم بعد هذا كيف يكون مؤمنا بالله! وهو إذا فرغ من الصلاة المزعومة يشتغل بشربه ولهوه والله تعالى يقول:

(اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت: 45).

وكيف لا يبارك الله بأبي علاثة الغيبي الدنيوي وكلامه يصب في صالح (الخليفة) (1)؟! وهؤلاء الفقهاء هم سبب البلاء على الأمة منذ أربعة عشر قرنا! فبواسطتهم يغيّر الدين، وبهم يحرم الحرام ويحرم الحلال، وتهلك الأمة بواسطة بإفساد هذه الأغيلمة.

فحاجة الناس للمعصومين وعدم احتياج المعصومين للناس لا ينكره إلا مكابر.

لذا فيجب على أولى الأمر ان يكونوا من المعصومين وإلا جرى ما نقلناه.

ص: 178

1- (1) فهذه النظرية تعنى أن وصول أى شخص لسدة الخلافة يعنى كونه منزّه عن الزندقة وما يشابهها وهو حكم بتعديله فى الحقيقة وهذا ما دغدغ مشاعر الخليفة المهدي العباسى!

قال ابن تيمية «والمقصود هنا أن أقوال الرافضة معارضة بنظيرها فإنّ دعواهم النصّ على علي كدعوى أولئك النصّ على العباس، وكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار ولم يقل أحد من أهل العلم شيئاً من هذين القولين، وإنما ابتدعهما أهل الكذب كما سيأتى إن شاء الله تعالى بيانه، ولهذا لم يكن أهل الدين من ولد العباس وعلى يدعوان هذا ولا هذا، بخلاف النصّ على أبي بكر فإن القائلين به طائفة من أهل العلم... والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمر متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضى الله عنه، فلو كان التعيين مما يشتهبه على الأمة لبينه النبي صلى الله عليه وسلم بيانا قاطعا للعدر لكن لما دلتهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود والأحكام بينها صلى الله عليه وسلم تارة

بصيغة عامة وتارة الصيغة خاصة، ولهذا قال عمر بن الخطاب فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر رواه البخارى ومسلم»(1).

الجواب:

قوله «فإن دعواهم النص على على كدعوى أولئك النص على العباس وكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار».

فهل هناك عاقل يقرن بين الأدلة العديدة القرآنية والحديثية الدالة على استخلاف أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه وآله، وبين دعوى العباسيين الخالية من أى حديث موجود إطلاقاً غير ترويجهم بأحقية وراثه العباس العم على البنت!!

ولو كانت مجرد الدعوى والكلام الذى لا طائل بعده يوجب قرنهما بما ثبت وتواترت حوله النصوص لكان جائزاً أن يقول قائل إن مسيلمة كان نبياً لكونه جاء بآيات زعم أنها من جبريل وقد قتله المسلمون ظلماً وجوراً، وليس لهذا القائل دليل سوى ادعاء مسيلمة ذلك وابتداعه بعض النصوص السخيفة، فهذه كتلك!

ولو قال قائل إن كوكب الأرض هرمى الشكل، فيردّ عليه آخر بأن الصور الملتقطه من الفضاء، والأدلة العلميّة التى لا صارت يقينيّة تثبت بأن الأرض مفلطحة، فيأتى ثالث فيقول: إن قول الأول بقبال قول الثانى فيتساقطان! أليس تنسبون الرجل الثالث الى الجنون! فأين اليقينيات والمبرهنات من الترهات!؟

ولما علم بطلان هذه الدعوى علم بطلان دعوى العباسيين الذين لم يبق

ص: 180

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 197 و 200.

معتقد بدعوى الوصية فيهم في زمان ابن تيمية أحد، وهذا كان كافياً للحكم ببطلان دعواهم فالنبي صلى الله عليه وآله بأن الأمة لا تخلو من القول بالحق!

وأما قوله «ولهذا لم يكن أهل الدين من ولد العباس وعلى يدعوان هذا ولا هذا بخلاف النص على أبي بكر فإن القائلين به طائفة من أهل العلم».

الأ- ذكر لنا من الذين هم «من أهل الدين» هؤلاء؟! ومن هم الذين قال عنهم أنهم «طائفة من أهل العلم» الذين قالوا بالنص على أبي بكر (1).

أن كلامه حول النص باستخلاف أبي بكر وختام قوله بنص من البخارى ومسلم هو لإرهاب المفكرين حتى لا تبلغ عندهم الجراءة لتقص كلامه، بل ولا تفكير بذلك حتى فكلامه مختوم بنص من البخارى!

ص: 181

1- (1) قال القرطبي في حديث عائشة «وقول السائل لعائشة: «من كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مستخلفاً لو استخلف؟» يدل على: أن من المعلوم عندهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يستخلف أحداً» المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - أبو العباس القرطبي. وغريب شأن الذين يقولون بالنص على أبي بكر وهم الشذاذ بهذا الرأي كابن تيمية فأين يتيهون عن النصوص التي صححوها وهي تناقضهم بالفصل الهزلي في السقيفة بدأ بقول أبي عبيدة لعمر «ابسط يدك أبايعك» لسان العرب - ابن منظور - ج 13 - ص 525 ثم ردها عمر له فقال لأبي عبيدة «ابسط يدك حتى أبايعك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنت أمين هذه الأمة» مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج 1 - ص 35. ثم انتهى بقول عمر لأبي بكر «أبسط يدك أبايعك، قال: فبسط يده فبايعته، فبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار» المصنف - عبد الرزاق الصنعاني - ج 5 - ص 444. فأين النص على أبي بكر فلو كان هناك نص فكيف وقعوا في حيص بيص أيهم يقدمونه ليرضى الأنصار وهم الذين اتفقوا على صاحبهم؟! كل هذا يعطينا صورة جرمية ان النص المدعى وضعوه في زمن متأخر حتما لكونهم رأوا قوة الدليل العقلي لوجوب نصب الإمام بعد النبي وقوة الدليل الثقلي عند أهل البيت.

وكيف فهم ابن تيمية من واقعة خميس الرزية أن الكتاب لأبي بكر وليس لغيره؟! وإذا فهم الصحابة غير ذلك فبمن نأخذ بفهمهم أم بفهم ابن تيمية؟! والأغرب من ذلك إن أكثر الصحابة منافحة عن أبي بكر وهو عمر اعترف بأن الكتاب الذي أراد النبي صلى الله عليه وآله كتابته هو لعلي عليه السلام وليس لغيره، بل لم يدر في خلد أحد انه لغيره إلا النواصب! قال ابن أبي الحديد المعتزلي (1) «وروى ابن عباس رضی الله عنه، قال: دخلت على عمر في أول خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة فدعاني إلى الأكل، فأكلت ثمرة واحدة واقتبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرققة له وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر قلت: خلفته يلعب مع أتراه، قال: لم اعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها! هل بقى في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصَّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربح في أمره وقتا ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفافا وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أنى علمت ما في نفسه، فامسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم. ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب

ص: 182

وروى الطبرى(1) عن ابن عباس «خرجت مع عمر فى بعض أسفاره فإنا لنسير ليلة وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال:

كذبتم وبيت الله يقتل أحمد ولما نطاعن دونه وناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال أستغفر الله ثم سار فلم يتكلم قليلا ثم قال:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمة من محمد

وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرّد

ثم قال أستغفر الله يا ابن عباس ما منع علياً من الخروج معنا؟ قلت: لا أدرى، قال: يا ابن عباس أبوك عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ابن عمه فما منع قومكم منكم؟ قلت: لا- أدرى، قال: لكنى أدرى، يكرهون ولا-يتكلم لهم، قلت: لم ونحن لهم كالخير؟ قال: اللهم غفرا يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحا بجحاً، لعلكم تقولون إن أبا بكر قفل ذلك لا- والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره، ولو جعلها لكم ما تفعلكم مع قربكم».

وهذه النصوص يعرضها الواقع الاجتماعى والدينى فى ذلك الزمان، لذا تجد أهل السنة المتحرّرين فهموا كل هذا بلا تبرّم من واقعها المر عليهم، مثل ابن أبى الحديد، وطه حسين.

ولو قرأنا رواية رزية الخميس فى صحيح البخارى(2) عن ابن عباس قال «لما

ص:183

1-1 (1) تاريخ الطبرى - الطبرى - ج 3 - ص 288.

2-2 (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 7 - ص 9.

حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول: قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضَلُّوا بِهِ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَوْمُوا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلِغَطِّهِمْ».

والنص لا يحتاج لشرح فمن السهل الوقوف على الحقيقة لو وجد قلب منشرح يطلب الحق، فلو كان الكتاب لأبي بكر فلم يمنع منه عمر فإن كان لرأى رآه عمر في أصل الاستخلاف فكيف أجاز استخلاف أبي بكر له؟! وإن كان الذي منعه من إمضاء ما أراد النبي خلاف مع أبي بكر فهذا ما يخالفه الواقع وحسبك كلامه في السقيفة. فلم يبق غير أن عمر فهم أن النبي سيكتب الكتاب لمن لا يريد عمر أن يكون خليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله. ومن الغريب أتأ في هذا المقام نصح ما هو غنى عن الإثبات!

ولما كان ابن تيمية يتتبع في كثير من منهجه أقوال ابن حزم فقد وضع نفسه في موقع الأزمة التي دخلها ابن حزم ولم يخرج منها بقوله (1) «أما أمر الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه يوم الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بأربعة أيام، فإنما كان في النص على أبي بكر رضي الله عنه، ولقد

ص:184

وهل عمر وكل من ساعده على ذلك، وكان ذلك القول منهم خطأ عظيماً، ولكنهم الخير أرادوا، فهم معذورون مأجورون، وإن كانوا قد عوقبوا على ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالخروج عنه، وإنكاره عليهم التنازع بحضرته. ولقد واد الامتناع من ذلك الكتاب من فرقة الأنصار يوم السقيفة ما كاد يكون فيه بوار الإسلام، لولا أن الله تداركنا بمنه، وولد من اختلاف الشيعة وخروج طوائف منهم عن الإسلام، أمراً يشجى نفوس أهل الإسلام، فلو كتب ذلك الكتاب لانتقطع الاختلاف فى الإمامة، ولما ضل أحد فيها، لكن يقضى الله أمراً كان مفعولاً. وقد أبى ربك إلا ما ترى. وهذه زلة عالم، نعى قول عمر رضى الله عنه يومئذ، قد حذرنا من مثلها».

فانظر لتهافت كلامه ومدى ضعفه! فكيف تكون زلة العالم وهو يعصى النبى بعدم إمضاء أمره بالكتاب والدواة(1)!

وقد قال الشريف المرتضى فى رد دعوى النص على أبى بكر فأجاد وأحسن

ص:185

1- (1) قضية تحريف حادثة الدواة والقلم وصلت حدًا أن قلبوها لصالح أبى بكر وعدّوها من أدلة صحّة خلافته بالوصيّة! قال عبد المحسن العباد فى استدلال ركيك ومتهافت «وأما الخلافة، فمعاذ الله أن يتولّاها أبو بكر رضى الله عنه وهى حقّ لغيره، وإنّما تولّاها بمبايعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّاه، وتحقّق بهذه البيعة ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبابكر" ، فقد روى البخارى (5666) ومسلم (2387) فى صحيحيهما - واللفظ لمسلم - عن عائشة رضى الله عنها قالت: "قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه: ادعى لى أبابكر وأخاك حتى أكتب كتاباً؛ فإنّى أخاف أن يتمنى مُتمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبابكر" . أغلّو فى بعض القرابة وجفاء فى الأنبياء والصحابة - عبد المحسن العباد - ص 41 / فكيف تولّاها بالمبايعة ثم يقول بوجود النصّ؟! !!

فقال (1) «الذى يدل على فساد النص على أبى بكر، وبعد المعارضة لمدعيه وجوه: منها، إنا نجد هذا المذهب حاصلًا فى جماعة لا تثبت بهم الحجة، ولا ينقطع العذر، وإنما حكى المتكلمون هذه المقالة فى جملة المقالات وأضافوها فى الأصل إلى جماعة قليلة العدد، معلوم حدوثها، وكيفية ابتدائها لمقالتها، كما حكوا فى جملة المقالات قول الشذاذ والإغفال من ذوى النحل المبتدعة، والمقالات المعلوم سبق الإجماع إلى خلافها، ثم إنا لا نجد فى وقتنا هذا ممن لقيناه أو أخبرنا عنه منهم إلا الواحد والاثنين، ولعل أحدنا يمضى عليه عمره كله لا يعرف فيه بكرىًا بعينه، ولو كان إلى إحصاء من ذهب إلى هذه المقالة فى العراق كله، وما والاها وجاوزه من البلدان سبيل لما بلغ عدتهم خمسين إنسانًا، وليس يمكن فيما كان طريقه الوجود إلا الإشارة والتنبيه، فالاعتراض بمن وصفنا حاله، وادعاء مساواته للشيعة مع تفرقها فى البلاد، ومع انتشارها فى الآفاق، فإنه لا يخلو كل بلد، بل كل محلة من جماعة كثيرة منهم، هذا إلى ما نعلمه من غلبتهم على كثير من كور البلاد، حتى أن مخالفهم فى تلك المواطن يكون شاذًا مغمورًا، إلى ما نعلمه من كثرة العلماء فيهم والمتكلمين والفقهاء والرواة، ومن صنف الكتب، ولقى الرجال، وناظر الخصوم، واستفتى فى الأحكام فى نهاية البعد، والمعول عليه على غاية الظلم، وليس لأحد أن يقول: كيف يصح أن تضعفوا هذه المقالة وأصحاب الحديث، أو أكثرهم داخلون فيها، لأن هذا القول غفلة من قائله، وتكثر فى المذاهب لمن هو خارج عن جملته، لأن أصحاب الحديث كلهم ينكرون النص على أحد بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ويثبتون إمامة أبى بكر من طريق الاختيار، وإجماع المسلمين، وليس يذهب من جملتهم إلى النص على أبى بكر من ذهب إليه من حيث كان صاحب

ص: 186

الحديث، وإنما يذهب إلى النص من حيث ارتضاه مذهبا يتميز به عن جملة أصحاب الحديث، ويلحق بأهل المقالة المخصوصة التي أخبرنا عن شدوذها، وقلة عددها فالتكثير بأصحاب الحديث لا وجه له. ومنها، إن الذى ترويه هذه الفرقة، وتحتج به للنص على أبى بكر ليس فى صريحه ولا فحواه نص على إمامته، هذا على أن طريقه كله الآحاد، ولو سلم لراويه، ولم ينازع فى صحته لما أمكن المعتمد عليه أن يبين فيه وجهها للنص بالإمامة، وذلك مثل تعلقهم بالصلاة وتقديمه فيها، وبما يروون من قوله: "اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر" و (إن الخلافة بعدى ثلاثون) وقد ذكر فى غير موضع الكلام على هذه الأخبار وبطلان دلالتها على نص بإمامة فشتان بين قولهم وقول الشيعة، لأن الشيعة تدعى نصا صريحا لا مجال للتأويل عليه، وما تدعيه من النصوص التى يمكن أن تدخل شبهة فيها، وفى تأويلها قد بينوا كيفية دلالتها على النص، وبطلان ما قدح به خصومهم فيها، وسنذكر ذلك فى مواضعه وكل هذا غير موجود فى البكرية. ومنها، ظهور أفعال وأقوال من ادعى النص عليه ومن غيره تنافى النص وتبطل قول مدعيه مثل احتجاج أبى بكر على الأنصار لما نازعت فى الأمر، ورامت جره إليها بقوله عليه السلام: (الأئمة من قريش) وعدوله عن ذكر النص، وقد علمنا أن النص عليه لو كان حقا كما تدعيه البكرية لما جاز من أبى بكر مع فطنته ومعرفته بمواقع الحججة أن لا يحتج به ويذكر الأنصار سماعه إن كانوا سهوا عنه أو نسوه، أو أظهروا تناسيه، أو يفيدهم إياه إن كانوا لم يسمعوا به - وإن كان ذلك بعيدا - كما أفادهم حصر (الأئمة من قريش) وهم لا يسمعوه إلا من جهته فيقبله من يقبله منهم حسن ظن به، ونحن نعلم أن الاحتجاج بالنص فى ذلك المقام أولى وأحرى، لأن الاحتجاج به يتضمن حظر ما رامته الأنصار فى الحال، لأن المنصوص عليه إن

كان أبو بكر لم يجز لأحد من الأنصار في تلك الحال الإمامة، ويتضمن أيضا تخصيص الإمامة في من خصه الرسول بها، وليس لأحد أن يجعل الحجّة بالخبر الذي احتج به أبو بكر أثبت من جهة أن فيه إخراجا لكل من عدا قريشا من الإمامة، وليس مثله في ذكر النص على أبي بكر، لأنه وإن كان كذلك ففي الاحتجاج بغير النص إخلال بتعيين موضع الإمامة الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوجب على من أشار إليه باستحقاق القيام به، والذبّ عنه فلا- أقل من أن يجب ادعائه وإمراره على سمع الحاضرين، وإن لم يسغ الاقتصار على الاحتجاج بالخبر الذي رواه لما بيناه من الإخلال لم يسغ أيضا الاقتصار على ذكر النص لما ذكره وسلمناه تبرعا، فالواجب الجمع بين الأمرين في الاحتجاج ليكون أخذًا للحجة بأطرافها ومزيلا للشبهة في أنه ليس بمنصوص عليه، وليس لهم أن يقولوا: مثل هذا لازم لكم من قبل أن أمير المؤمنين عليه السلام مع أنه منصوص عليه عندكم لم يحضر السقيفة ولا احتج بالنص عليه على من رام دفعه في ذلك الموطن، ولا في غيره من المواطن كالشورى وغيرها لأن الفرق بين قولنا وقولهم في هذا الموضع ظاهر واضح من قبل. إن أمير المؤمنين عليه السلام أولا- لم يحضر السقيفة ولا- اجتمع مع القوم، ولا- جرى بينه وبينهم في الإمامة خصام ولا حجاج وأبو بكر حضر وخصم ونازع واحتج واستشهد، وعذر أمير المؤمنين عليه السلام إذا قيل فما باله لم يحضر ويحاج القوم وينازعهم؟ ظاهر لائح لأنه عليه السلام رأى من إقدام القوم على الأمر وإطراحهم للعهد فيه وعزمهم على الاستبداد به مع البدار منهم إليه، والانتهاز له ما آيسه من الانتفاع بالحجة وقوى في نفسه صلوات الله عليه ما تعقبه المحاجة لهم من الضرر في الدين والدنيا، هذا إلى ما كان متشاغلا به من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه عليه السلام لم يفرغ من

بعض ما وجب عليه من تجهيزه ونقله إلى حفرتة، حتى اتصل به تمام الأمر ووقوع العقد، وانتظام أمر البيعة، وليس هذا ولا بعضه في أبي بكر لأنه لم يشغله عن الحضور والمنازعة شاغل، ولا - حال بينه وبين الاحتجاج حائل، ولا كانت عليه من القوم تقية لأنه كان في حيز المهاجرين الذين لهم التقدم والتقدم، وفيهم الأعلام، ثم انحاز إليه أكثر الأنصار، وكل أسباب الخوف والاحتشام عنه زائلة لا سيما وعند جماعة مخالفينا أن القوم الحاضرين بالسقيفة إنما حضروا للبحث والتفتيش والكشف عما يستحق الإمامة ليعقدوها له، ولم يكن حضورهم لما تدعيه الشيعة من إزالة الأمر عن مستحقه، والعدول به عن وجهه، فأى عذر لمن لم يذكر من حاله في الإنصاف وطلب الحق هذه بعهد الرسول صلى الله عليه وآله ونصه عليه، وهذا أوضح من أن يحتاج إلى زيادة في كشفه فأما المانع لأمير المؤمنين عليه السلام من الاحتجاج بالنص في الشورى فهو المانع الأول مع أنه في تلك الحال قد ازداد شدة واستحكاما لأن من حضر الشورى من القوم كان معتقدا لإمامة المتقدمين، وبطلان النص على غيرهما، وأن حضورهم إنما كان للعقد من جهة الاختيار فكيف يصح أن يحتج على مثل هؤلاء بالنص الذي لا شبهة في أن الاحتجاج به تظليم للمتقدمين وتضليل لكل من دان بإقامتهما، وامتلح حدودهما، وليس بنا حاجة إلى ذكر ما كان عليه صلوات الله عليه في ذلك لظهوره. ومما يدل من أقواله على بطلان النص عليه قوله مشيرا إلى أبي عبيدة وعمر في يوم السقيفة: بايعوا أى الرجلين شئتم، وليس هذا قول من لزمه فرض الإمامة، ووجب عليه القيام بها لأنه قد عرض بهذا القول عقد الرسول للحل وأمره للرد وليس يجوز هذا عند مخالفينا على أبي بكر جملة ولا عندنا فيما يختص به ويرجع إليه، وقوله في خلافته لجماعة المسلمين "أقبلوني" وليس يجوز أن يستقيل الأمر

من لم يعتقه له ولا تولاه من جهته، وقوله عند وفاته: "وددت أنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذا الأمر فيمن هو فكنا لا ننازعه أهله". وهذا قول صريح فى إبطال النص عليه ويدل أيضا على ذلك قول عمر: "كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه". وليس يصح أن يوصف ما عقده الرسول وعهد فيه بأنه فلتة، وقوله لأبى عبيدة: "أمدد يدك أبايحك". حتى قال له أبو عبيدة: "ما لك فى الإسلام فهة غيرها" لأن النص على أبى بكر لو كان حقا لكان عمر به أعلم، ولو علمه لم يجز منه أن يدعو غيره إلى العمل بخلافه، ولا حسن من أبى عبيدة أيضا: ما روى عنه من الجواب لأن المروى "مالك فى الإسلام فهة غيرها أتقول هذا وأبو بكر حاضر" على سبيل التفصيل لأبى بكر، والتقديم له على نفسه، وذكر النص على أبى بكر لو كان حقا فى الجواب أولى وأشبه بالحال، وقول عمر أيضا لما حضرته الوفاة: "إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى" يعنى أبا بكر "وإن أترك فقد ترك من هو خير منى". يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله ومثل هذا لا يجوز أن يقوله عمر وهو يعلم بحال النص على أبى بكر، ولو قاله بحضرة المسلمين لما جاز أن يمسكوا عن رده لو كان النص على أبى بكر حقا. ومنها، أنه لو كان النص عليه حقا لوجب أن يقع العلم به لكل من سمع الأخبار على حد وقوعه بما كان منه من النص على عمر، وبما وقع من نص عمر على أصحاب الشورى، إلى غير ما ذكرناه من الأمور الظاهرة، وفى علمنا بمفارقة ما يدعى من النص على أبى بكر لما عددناه دليل على انتفائه وإنما أوجبنا وقوع العلم به على الحد الذى نعتناه من حيث كانت جميع الأسباب الموجبة لخفاء ما تدعيه الشيعة من النص على أمير المؤمنين عليه السلام عنه مرتفعة، وجميع ما يقتضى الظهور وارتفاع الشك

والشبهات فيه حاصلا لأن الرئاسة بعد الرسول صلى الله عليه وآله له انعقدت، وفيه حصلت، ولم يكن بعد استقرار إمامته من أحد خلاف ولا رغبة عنه، ثم استمرت ولايته على هذا الحد وتلاها من الولايات ما كانت كالمبنية عليها، والمشيدة لها، فلا سبب يقتضى خفاء النص عليه وانكتمه.... فلا بد من الظهور، وكيف يجوز أن لا يدعى النص - لو كانت له حقيقة - أبو بكر نفسه في طول ولايته، وفي حال العقد لنفسه، ويقول لمن قصد إلى أن يعقد الإمامة له ويوجبها من طريق الاختيار - لا حاجة إلى اختياركم إياي إماما وقد اختارني رسول الله صلى الله عليه وآله لكم، ورضيني للتقدم عليكم. وكيف يجوز أن يمسك مع سلامة الحال وزوال كل سبب للخوف والتقية عما ذكرناه وفي إمساكه عن ذلك تضييع لما لزمه، وإغفال لتنبية القوم على موضع النص عليه وأقل الأحوال أن يكون الإمساك موهما لارتقاع النص وموقعا للشبهة؟ وكيف يجوز أيضا إذا لم يدع ذلك هو لنفسه أن لا يدعيه له أحد في طول أيامه وأيام عمر التي تجرى مجرى أيامه ولا يذكره ذاكر؟ ونحن نعلم يقينا أن الرؤساء وذوى السلطان والمالكين للأمر والنهي والرفع والوضع يتقرب إليهم فى الأكثر بما يقتضى تعظيمهم وتبجيلهم وإن كان باطلا توضع فيهم الأخبار ويوضع لهم المدائح، وإذا كانت هذه العادة مستقرة فكيف يجوز أن يعلموا تفضيله الذى يجرى مجرى النص بالإمامة فلا- يذكرونها ويشدون بها ولا تقية عليهم، ولا مانع لهم، وهذا أظهر من أن يخفى، وليس لأحد أن يقول: إنكم جعلتم حصول الأمر فى أبى بكر وإجماع الناس عليه سببا لظهور النص وهو بالضد مما ذكرتموه لأنه وإن كان انعقد له وإنما انعقد بالاختيار لا بالنص، فكيف يكون حصول ضد الشىء سببا لظهوره؟ وذلك أن الأمر وإن كان جاريا على ما ذكره هذا المعترض ففيه أوضح دلالة على بطلان النص لأن وقوع

العقد له من جهة الاختيار لو كان هناك نص عليه لم يجز أن يقع من تلك الجهة لأنه إذا كان القوم الذين عقدوا له لم يرغبوا عنه، ولا عدلوا إلى غيره، ولا همت نفس أحدهم بجر الأمر إليها والاستبداد به، فلا بد من امثالهم النص ولو كانت له حقيقة والعمل عليه دون غيره، اللهم إلا- أن يكون القوم إنما كان قصدهم خلاف الرسول صلى الله عليه وآله مجرداً لأنهم غير متهمين بقصد المنصوص عليه، وقد عقدوا له واجتمعوا معه وناضلوا من خالفه حتى استوسق الأمر له وانتظم، ولم يبق في عدولهم عن ذكر النص وامثاله مع ارتقاع التهمة عنهم فيما رجع إلى المنصوص عليه إلا أن يكونوا قصدوا إلى خلاف الرسول صلى الله عليه وآله الذى وقع النص منه وليس القوم عند مخالفتنا ولا عندنا بهذه الصفة. ومنها، اتفاق الكل على ارتقاع العصمة عن أبي بكر، وإذا كنا قد دللنا فيما تقدم على أن الإمام لا بد أن يكون معصوماً وجب نفى الإمامة عن علمنا انتفاء العصمة عنه، ووجب علينا القضاء ببطلان النص عليه، لأن النص من الرسول صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يقع على من لا يصلح أن يكون إماماً».

والفرق الأكبر بين ادعاء النص بين العلويين والبكرين هو أن النصوص التي تدل على على عليه السلام اتفق الطرفان على صحتها كلاً أو بعضاً واختلفوا في معناها وفي أخبار النص على أبي بكر اختلفوا في أصل وجودها فأنكرها الشيعة وحكموا بوضعها بينما اختلف أهل السنة في إثباتها واختلفوا في مداليلها! فأين المجمع عليه من المختلف فيه والمختلف به؟!

ولما كان أمر النصّ ضعيفاً لا يؤبه له ولم يكن هناك إجماع على خلافة أبي بكر كما قال ابن أبي الحديد المعتزلى (1) «قلت: أما إذا احتج أصحابنا على إمامة

ص: 192

أبي بكر بالإجماع، فاعتراض حجتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد، وليس يقول أصحابنا في جوابه: «هؤلاء شدّاذ فلا نحفل بخلافهم، وإنما المعتبر بالكثرة التي يثبتون هذا، وحجتهم الإجماع ولا إجماع ولكنهم يجيبون عن ذلك «بأن سعدا مات في خلافة عمر، فلم يبق من يخالف في خلافة عمر، فانعقد الإجماع عليها، وبايع ولد سعد وأهله من قبل، وإذا صحت خلافة عمر صحت خلافة أبي بكر، لأنها فرع عليها» ومحال أن يصح الفرع، ويكون الأصل فاسدا، فهكذا يجيب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع».

وهذا استدلال جيد على من قال بالإجماع على خلافة أبي بكر كما ادعى ذلك ابن تيمية. فلم يبق غير النص على من لم يضعه في موضعه حيث وضعه الله وهو الوحيد الذي رويت عنه روايات النص هو الوحيد الذي ادعى ذلك وتحدى الناس عليه فلم يقدرُوا رده بالعلم فخرجوا عليه مَرّاقا وناكثون وقاسطون!

ثم لو كان هناك نص فلم لم يدعه احد في السقيفة والمسلمون كانوا على حافة حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس ولم اكتفى عمر وأبو بكر بذلك «الائمة من قريش» وكيف يقول عمر في خلافته ناقلا قول احد الصحابة ومؤكده «إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت الا وأنها قد كانت كذلك ولكن الله وفي شرها»⁽¹⁾ فكيف تكون فلتة أي أمر متسرع مفاجيء غير محكم وقد أوصى به النبي على ما زعم الزاعم؟!!

ص: 193

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 8 - ص 26 / قال الفراهيدى «والفلتة: الأمر الذى يقع من غير إحكام، يقال: كان ذلك الأمر فلتة أى مفاجأة». كتاب العين - الخليل الفراهيدى - ج 8 - ص 122.

قال ابن تيمية «والكلام هنا فى مقامين أحدهما فى كون أبى بكر كان هو المستحق للإمامة وأن مبايعتهم له مما يحبه الله ورسوله فهذا ثابت بالنصوص والإجماع والثانى أنه متى صار إماما فذلك بمبايعة أهل القدرة له وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماما لما بايعوه وأطاعوه ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبى بكر ولم يبايعوه لم يصر إماما سواء كان ذلك جائزا أو غير جائز فالحل والحرمة متعلق بالأفعال»(1).

الجواب: وكيف يحب الله ورسوله خلاف على والنسبى يقول(2) «على مع الحق أو الحق مع على حيث كان» وقول حذيفة صاحب علم الفتن «كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم فرقتين يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف فقلنا يا أبا عبد الله وإن ذلك لكائن فقال بعض أصحابه يا أبا عبد الله فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان قال انظروا الفرقة التى تدعو إلى أمر على فالزموها فإنها على الهدى». وهو برواية الثقات.

وقول النبى صلى الله عليه وآله(3) «ألا- أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الموفون المطيبون إن الله يحب الحنفى التقى، قال ومر على بن أبى طالب فقال الحق مع ذا الحق مع ذا». وهو برواية الثقات.

وقد أعلن على خلافه على السلطة وطالب بحقه فى خلافة الثلاثة وبعدها وحسبك الخطبة الشقشقية التى يقول فيها(4) «أما والله لقد تقمصها فلان وإنه

ص:194

-
- 1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 204.
 - 2- (2) مجمع الزوائد - الهيتمى - ج 7 - ص 235-236.
 - 3- (3) مجمع الزوائد - الهيتمى - ج 7 - ص 234-235.
 - 4- (4) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 1 - ص 30-31.

ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي. ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير. فسدت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا. وطفقت أرتأى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير. ويشيب فيها الصغير. ويكدهح فيها مؤمن حتى يلقي ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى. وفي الحلق شجا أرى تراثى نهبا».

فهل ياترى ابن تيمية يتهم عليا بأنه كان يعلم باستخلاف أبى بكر ثم يعد الخلافة تراثه المنهوب، ومن أخذها تقمصها تقمصاً؟!

نعم اثبت ابن أبى الحديد وهو التحرير فى مجاله صحة الخطبة الششقية وهذا المعتزلى من أهل السنة هنا كما اقر بذلك ابن تيمية بقوله عن الشيعة «فمن صنف منهم تفسير القرآن فمن تفاسير أهل السنة يأخذ كما فعل الطوسى والموسوى فما فى تفسيره من علم يستفاد هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة وأهل السنة فى هذا الموضوع من يقر بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون فى أهل السنة»⁽¹⁾.

وأما الإجماع فقد كفانا ابن أبى الحديد المعتزلى⁽²⁾ مؤنة ادعائها فقال: قلت: أما إذا احتج أصحابنا على إمامة أبى بكر بالإجماع، فاعتراض حجتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد، وليس يقول أصحابنا فى جوابه: هؤلاء شذاذ فلا نحفل بخلافهم، وإنما المعتبر بالكثرة التى بإزائهم.

وكيف يقولون هذا، وحجتهم الإجماع ولا إجماع ولكنهم يجيبون عن ذلك: بأن سعدا مات فى خلافة عمر، فلم يبق من يخالف فى خلافة عمر، فانعقد الإجماع عليها، وبإيع ولد سعد وأهله من قبل، وإذا صحت خلافة عمر صحت

ص: 195

-
- 1- (1) منهاج السنة - ابن تيمية - ج 6 - ص 379.
 - 2- (2) شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد - ج 3 - ص 6.

خلافه أبى بكر، لأنها فرع عليها، ومحال أن يصح الفرع، ويكون الأصل فاسداً، فهكذا يجب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع».

وهو كلام جميل.

أما قوله «أنه متى صار إماماً فذلك بمبايعة أهل القدرة له وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماماً لما بايعوه وأطاعوه، ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبى بكر ولم يبايعوه لم يصير إماماً سواء كان ذلك جائزاً أو غير جائز فالحل والحرمة متعلق بالأفعال».

فأقول:

ما الدليل على ذلك؟! إنما ذلك رأى ابن تيمية. فما دخل القدرة بالقيام بالإمامة بكونها شرط في النص عليه أو استحقاقها له، فهذا نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام كان أمة على قلة من كان معه، وهذا يحيى عليه السلام يقتل ولا احد يمنع حوزته وهذا زكريا يذبح وغيرهم من الأنبياء، فهل يشترط لاستحقاقه للنبوته أن يضمن كونه سينجح في هداية الناس وأن تطيعه الناس؟ ولو كان ذلك كذلك لكان نبي الله نوح اكبر الفاشلين والعياذ بالله لكونه أعطى ألف سنة إلا خمسين عاماً ولم يؤمن غير ثمانين نفساً على ما قيل.

وقد اختار الله موسى وقد كان في لسانه لثغة على ما رووا فقال تعالى:

(وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (القصص: 34).

فطلب إعانة أخيه على الأمر! فلو كان يرى بنفسه الوقوف لوحده لما طلب هذا الأمر، ومن هنا فالاختيار الإلهي يأتي لحكمة قد نقف عليها وقد لا نقف

ص: 196

والملاحظ أنهم يتبعون سنة بنى أمية فى كون المؤهل للخلافة هو من يصل إليها ولو على تلال الهياكل العظمية والجماجم وظهور الدبابات وموجات الإعدامات، وإلا كيف نفسر وقوف وعاظ السلاطين وراء أغلب أن لم نقل كل الطواغيت من حكام أهل السنة؟!

قال ابن تيمية «والمقصود أن الخلاف فى خلافة على وحروبه كثير منتشر بين السلف والخلف، فكيف تكون مبايعة الخلق له أعظم من مبايعتهم للثلاثة قبله رضى الله عنهم أجمعين فإن قال: أردت بقولى أن أهل السنة يقولون إن خلافة انعقدت بمبايعة الخلق له لا بالنص، فلا ريب أن أهل السنة وإن كانوا يقولون إن النص على أن عليا من الخلفاء الراشدين لقوله خلافة النبوة ثلاثون سنة، فهم يروون النصوص الكثيرة فى صحّة خلافة غيره وهذا أمر معلوم عند أهل العلم بالحديث يروون فى صحّة خلافة الثلاثة خصوصا كثيرة، بخلاف خلافة على فإن نصوصها قليلة فإن الثلاثة اجتمعت الأمة عليهم فحصل بهم مقصود الإمامة وقوتل بهم الكفار وفتحت بهم الأمصار، وخلافة على لم يقاتل فيها كفار ولا فتح مصر، وإنما كان السيف بين أهل القبلة وأما النصّ الذى تدّعيه الرافضة فهو كالنصّ الذى تدّعيه الراوندية على العباس وكلاهما معلوم الفساد بالضرورة عند أهل العلم، ولو لم يكن فى إثبات خلافة على إلا هذا لم تثبت له إمامة قط كما لم تثبت للعباس إمامة بنظيره»(1).

الجواب:

مقصود الإمامية أن خلافة على عليه السلام أعظم من خلافة غيره بل وما

ص: 197

القياس بينه وبينهم إلا كما قال عليه السلام «متى اعترض الريب فى مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر»(1) كونها جاءت للمعصوم المنصوص عليه بالاسم والصفة، بل ولو لم ينص عليه لكان الأسلم للأمة توليته لأفضليته وعدم وجود مغمز لا فى صفاته ولا أعماله على الإطلاق بخلاف غيره، وحسبك ما يقوله عليه السلام(2) «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسة فى سلطان، ولا التماس شىء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح فى بلادك. فى آمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك. اللهم إنى أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقنى إلا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة».

فهو ما تصدى إلا ليرد معالم الدين بعدما مُسِّخت من قبل من تصدى للخلافة، ولو تمعنت فى الصفات التى استعرضها الإمام لوجدت انه الوحيد الذى يخلو من هذا الصفات لو قورن بالثلاثة من قبله، وهذا الذى يجعله الخيار الأوحى للمسلمين لو لم يكن عليه نص فكيف الحال ومخالفته ضلال!؟

ومخالفوه كانوا يعلمون ذلك فهذا عمر يقول فيه «أن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم»(3).

ص:198

1- (1) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 1 - ص 34-35.

2- (2) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 2 - ص 13-14.

3- (3) الاستيعاب - ابن عبد البر - ج 3 - ص 1154.

وقول أبي بكر (1) «فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم» وهو يشير لعليّ في كلامه لأنه ليس غير علي كان ينازعه عند الناس.

وأما كلام ابن تيمية حول النصوص القليلة والكثيرة فإن النصوص التي في علي قال فيها الإمامية أنها نصوص استخلاف، وقال فيها المعتزلة من أهل السنة أن فيها ترشيحاً وتفضيلاً لعلي، وقال بقيّة أهل السنة من غير المعتزلة أنها فضائل، أمّا ما ادّعى في الثلاثة فقد أنكرها وكذبها الإمامية، وقال المعتزلة وبعض المنصفين من الأشاعرة بوضع أكثرها، وقال بقيّة أهل السنة بما صحّ منها أنها فضائل فأين ما ينسب لعلي من نصوص علي جلالتها بما ينسب لغيره علي ضعفتها؟!

ويكفي هنا أن نورد ما قاله أحمد بن حنبل الخبير بأحاديثهم إذ يقول «ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب» (2) وهو يشير إلى عظمة المرويات في حقه، وصحّتها واختصاصها به دون غيره، هذا مع ما جاهد بنو أمية وأشياهم في إخفائه ومنعه حتى لقد سنّوا قتل من يتسمّى بعلي! فكان أحد فقهاء أهل السنة وهو (علي بن رباح) يقول إن أبي سمانى عليّاً (بالتصغير) وليس عليّاً! (3).

وأما قوله «فإن الثلاثة اجتمعت الأمة عليهم فحصل بهم مقصود الإمامة وقوتل بهم الكفار، وفتح بهم الأمصار وخلافة علي لم يقاتل فيها كفار ولا فتح مصر وإنما كان السيف بين أهل القبلة».

قلت:

ص: 199

1- (1) الثقات - ابن حبان - ج 2 - ص 157.

2- (2) فتح الباري - ابن حجر - ج 7 - ص 61.

3- (3) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ج 5 - ص 102.

إن اجتماع الأمة لو كان به رضا الله فأنعم به لو وُجد، ولكن (الأمة) التي يقصدها ابن تيمية خالفت النصّ ورضا الله والنبى، وهذه منقصة وليست كرامة، يقول تعالى:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل: 120).

فوصفه بالأمة لكونه على الحق ولو كان واحدا وليست الكثرة من علامات الصحة يقول تعالى:

(وَإِنْ تَطَعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنعام: من الآية 116)

والأمة لم تجتمع على الثلاثة، ففيهم شيعة على لم يقبلوا بأحد غيره، إذن ليس هناك إجماع! وقد مرّ علينا ما قاله ابن أبى الحديد حول دعوى الإجماع على أبى بكر.

ثم إن القضايا التي يراد التقرب بها الى الله تقاس بقربها وبعدها عن الحق، وأتى يكون في نياتهم الإخلاص وقد حرصوا على الدنيا وأذوا النبى في أهل بيته وخالفوا النصوص وإنما يطاع الله من حيث يريد لا من حيث يريد الناس.

ثم أن المفسدة التي حصلت بتولية غير على عليه السلام كانت عظيمة، نعم هم استولوا على أراضى الكفار من الدول القائمة من الصين الى الأندلس، ولكن الإسلام جاء ليستولى على القلوب والأرواح، وليس على الأراضى، فالإسلام دين إقناع، لذا فما زالت المناطق التي فتحها المتقّمصون للخلافة تعيش الى الآن عُقد الأقليات الدينية والتشدرّ والتطيّف، والعنصريات القومية والنعرات الفكرية

الى غيرها من مفاسد لم تكن لو ان من فتح البلاد كان على مستوى مؤهل للقيادة وإقناع الناس بالدين الجديد، لذا فما أسسه الأولون سار عليه الآخرون فبنوا على بنیان معوج، انهار عند أول اختبار أمام الزحف الفكرى الغربى المادى فترى البلدان تسمى إسلامية وهى خالية من الإسلام وخاوية من الهدى، فالعادات جاهليّة، والثقافات لقيطة من هنا وهناك، وتطبيق الإسلام بين مدّ وجزر تطرف هنا وميوعة هناك، والكل يدعى أنه هو الإسلام، هذا يسند رأيه بما فعله عمر عن رأيه، وذاك يستشهد بما ابتدعه معاوية فى فعله، الى الكثير من الأمور التى نبتت نابتها منذ يوم السقيفة ولله الأمر.

وكلام ابن تيمية يدل على بغضه لأمر المؤمنين عليه السلام ونصبه العداة الجلى له، وإلا فما ذنب على أن خرج عليه الخارجون الراضون له وللنبى ولحكّم الله بل وللمسلمين، فلو كان مقصود الإمامة حصل باجتماع الأمة والمقصود بهم أهل المدينة ثم الناس فأهل المدينة بايعوا عليا بالإجماع فلماذا لا يعامل من يخرج عليه كما يعامل من خرج على يزيد الفاسق؟! فيزيد على فسقه وفجوره قالوا بعدم جواز خروج الخارج عليه لاستلزامه المفسدة، هذا وكل من استشهد فى خروج من خرج عليه فى كربلاء والحرة ومكة عدة مئات بينما بلغت ضحايا الحروب التى قادها المتمردون على خلافة على عليه السلام فى الجمل وصفين والنهروان أكثر من سبعين ألفاً من المسلمين، فلم يتحمل علىّ المسؤولية وهو المظلوم وليس الظالم؟!

قال ابن تيمية «فلو قَدِّرْ أن ما تدعيه الراضة من النص هو حق موجود وأن الناس لم يولوا المنصوص عليه لكانوا قد تركوا من يجب توليته، وولوا غيره وحينئذ فالإمام الذى قام بمقصود الإمامة هو هذا المولى دون ذلك الممنوع

المقهور، نعم ذلك يستحق أن يولّى لكن ما ولىّ فالإثم على من ضيع حقه وعدل عنه لا على من لم يضيع حقه ولم يعتد وهم يقولون إن الإمام وجب نصبه لأنه لطف ومصلحة للعباد فإذا كان الله ورسوله يعلم أن الناس لا يولون هذا المعين إذا أمروا بولايته كان أمرهم بولاية من يولونه وينتفعون بولايته أولى من أمرهم بولاية من لا يولونه ولا ينتفعون بولايته، كما قيل في إمامة الصلاة والقضاء وغير ذلك فكيف إذا كان ما يدعونه من النص من أعظم الكذب والافتراء والنبى صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بما سيكون وما يقع بعده من التفرق فإذا نص لأئمة على إمامة شخص يعلم أنهم لا يولونه بل يعدلون عنه ويولون غيره يحصل لهم بولايته مقاصد الولاية وأنه إذا أفضت النوبة إلى المنصوص حصل من سفك دماء الأمة ما لم يحصل قبل ذلك ولم يحصل من مقاصد الولاية ما حصل بغير المنصوص كان الواجب العدول عن المنصوص، مثال ذلك أن ولى الأمر إذا كان عنده شخصان ويعلم أنه إن ولى أحدهما أطيع وفتح البلاد وأقام الجهاد وقهر الأعداء وأنه إذا ولى الآخر لم يطع ولم يفتح شيئاً من البلاد بل يقع في الرعية الفتنة والفساد كان من المعلوم لكل عاقل أنه ينبغي أن يولّى من يعلم أنه إذا ولاه حصل به الخير والمنفعة لا من إذا ولاه لم يطع وحصل بينه وبين الرعية الحرب والفتنة»(1)

الجواب:

قوله «وأن الناس لم يولوا المنصوص عليه» استبعاد لعصيان الناس كلهم لهذا النص الثابت وهذا باطل فالمسألة لا تفهم بعدد الناس الذين عصوا وكلما زاد عددهم استبعد العصيان بل تقاس بدرجة الوعي الذى يحمله الناس لمعنى النص وهل كانوا يرونه نصاً مقدساً؟! وهذا مما لا يستفاد من السنة الصحيحة المروية

ص:202

فهم كثيرا ما ناقشوا النبي في ما يقوله من كلام عن الله! قال ابن أبي الحديد(1) «سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد وقد قرأت عليه هذه الأخبار - فقلت له: ما أراها إلا تكاد تكون دالة على النص، ولكنني أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة على رد نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين، فقال لى رحمه الله: أبيت إلا ميلا إلى المعتزلة! ثم قال: إن القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة إلى أنها من معالم الدين وأنها جارية مجرى العبادات الشرعية، كالصلاة والصوم، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية ويذهبون لهذا مثل تأمير الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية وما كانوا يباليون في أمثال هذا من مخالفة نصوصه صلى الله عليه وآله إذا رأوا المصلحة في غيرها ألا تراه كيف نص على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة ولم يخرجوا لما رأيا أن في مقامهما مصلحة للدولة ولللملة وحفظا للبيضة ودفعا للفتنة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف وهو حى في أمثال ذلك فلا ينكره لا يرى به بأسا ألت تعلم أنه نزل في غزاة بدر منزلا على أن يحارب قريشا فيه، فخالفته الأنصار وقالت له: ليس الرأى في نزولك هذا المنزل فاتركه، وانزل في منزل كذا، فرجع إلى آرائهم! وهو الذى قال للأنصار عام قدم إلى المدينة: (لا تؤبروا النخل)، فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تثمر حتى قال لهم: (أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم) وهو الذى أخذ الفداء من أسارى بدر فخالفه عمر، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلص الأسرى ورجعوا إلى مكة، وهو الذى أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنه، فأتى سعد

ص: 203

بن معاذ وسعد بن عباد فخالفاه، فرجع إلى قولهما وقد كان قال لأبي هريرة: اخرج فناد في الناس (من قال لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة) فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره، حتى وقع على الأرض، فقال: لا تقلها، فإنك إن تقلها يتكلوا عليها، ويدعوا العمل فأخبر أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فقال: (لا تقلها وخلصهم يعملون)، فرجع إلى قول عمر! وقد أطقت الصحابة إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كإسقاطهم سهم ذوى القربى وإسقاط سهم المؤلفه قلوبهم وهذان الأمران أدخل في باب الدين منهما في باب الدنيا وقد عملوا بأرائهم أمورا لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة، كحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا، ولم يحد رسول الله صلى الله عليه وآله شراب الخمر وقد شربها الجهم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلفه عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجح كثير منهم القياس على النص، حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة. قال النقيب: وأكثر ما يعملون بأرائهم فيما يجرى مجرى الولايات والتأشير والتدبير وتقرير قواعد الدولة وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول صلى الله عليه وآله وتدابيره إذا رأوا المصلحة في خلافها كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظا وكأنهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله وتقدير ذلك القيد (افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة). قال: وأما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين

وليس بمتعلق بأمور الدنيا وتدابيراتها فإنه يقل جداً، نحو أن يقول: (الوضوء شرط في الصلاة)، فيجمعوا على رد ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول: (صوم شهر رمضان واجب) فيطبقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوالاً - عوضاً عنه، فإنه بعيد، إذ لا غرض لهم فيه، ولا يقدر على إظهار مصلحة عشرها عليها خفيت عنه صلى الله عليه وآله. والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أن العرب لا تطيع علياً عليه السلام، فبعضها للحسد، وبعضها للوتر والثأر وبعضها لاستحداثهم سنة، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعهم عنهم، وبعضها كراهة اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد وبعضها للخوف من شدة وطأته وشدته في دين الله وبعضها خوفاً لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حي لوصولهم إليها ثابتاً مستمراً، وبعضها ببغضه، لبغضهم من قرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله - وهم المنافقون من الناس، ومن في قلبه زيغ من أمر النبوة فأصفق الكل إصفاً واحداً على صرف الأمر عنه لغيره، وقال رؤسائهم: إنا خفنا الفتنة وعلمنا أن العرب لا تطيعه ولا تتركه، وتألوا عند أنفسهم النص، ولا يُنكر النص وقالوا: إنه النص ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب والغائب قد يترك لأجل المصلحة الكلية وأعانهم على ذلك مسارعة الأنصار إلى ادعائهم الأمر وإخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة - فيما زعموا - واختلط الناس وكثر الخبط وكادت الفتنة أن تشتعل نارها، فوثب رؤساء المهاجرين، فبايعوا أبا بكر وكانت فلتة - كما قال قائلهم - وزعموا أنهم أطفئوا بها نائرة الأنصار، فمن سكت من المسلمين، وأغضى ولم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه، ومن قال سرّاً أو جهراً: إن فلاناً قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره أو نصّ عليه أو أشار إليه أسكتوه في

الجواب بآثا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة واعتذروا عنده ببعض ما تقدم، إما أنه حديث السن أو تبغضه العرب، لأنه وترها وسفك دمائها، أو لأنه صاحب زهو وتيه، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد! بل قد قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأؤكد قالوا: أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه لا سيما وعمر يعضده ويساعده والعرب تحب أبا بكر ويعجبها لينة ورفقه وهو شيخ مجرب للأمر لا يحسده أحد ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغضه أحد، وليس بذى شرف في النسب فيشمخ على الناس بشرفه ولا بذى قربي من الرسول صلى الله عليه وآله فيدل بقربه، ودع ذا كله فإنه فضل مستغنى عنه قالوا: لو نصبنا عليا عليه السلام، ارتد الناس عن الإسلام وعادت الجاهلية كما كانت، فأياها أصلح في الدين؟ الوقوف مع النص المفضى إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدين وإن كان فيه مخالفة النص!.

قال رحمه الله: وسكت الناس عن الإنكار، فإنهم كانوا متفرقين فمنهم من هو مبغض شانيء لعل عليه السلام، فالذى تم من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه، وبرد فؤاده، ومنهم ذو الدين وصحة اليقين، إلا أنه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه، ظنّ أنهم إنما فعلوا ذلك لنص سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله ينسخ ما قد كان سمعه من النص على أمير المؤمنين عليه السلام لا سيما ما رواه أبو بكر من قول النبي صلى الله عليه وآله (الأئمة من قريش) فإن كثيرا من الناس توهموا أنه ناسخ للنص الخاص، وأن معنى الخبر أنكم مباحون في نصب إمام من قريش من أى بطون قريش كان فإنه يكون إماماً. وأكد أيضا في نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله

وآله: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)، وقوله عليه السلام: (سألت الله ألا يجمع أمتي على ضلال، فأعطانيها فأحسنوا الظن بعاقدي البيعة). وقالوا: هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله صلى الله عليه وآله من كل أحد فأمسكوا وكفوا عن الإنكار ومنهم فرقة أخرى - وهم الأكثرون - أعراب وجفاة، وطغام أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، فهؤلاء مقلدون لا يسألون ولا يُنكرون، ولا يبحثون، وهم مع أمرائهم وولاتهم، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها، فلذلك أمحق النص وخفى ودرس، وقويت كلمة العقادين لبيعة أبي بكر، وقواها زيادة على ذلك اشتغال على وبنى هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله وإغلاق بابهم عليهم وتخليتهم الناس يعملون ما شاءوا وأحبوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد ما فات، وهيئات الفئات لا رجعة له!. وأراد على عليه السلام بعد ذلك نقض البيعة فلم يتم له ذلك وكانت العرب لا ترى الغدر، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأ وقد قالت له الأنصار وغيرها: أيها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك أحداً ولكننا قد بايعنا فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها!.

قال النقيب: ومما جرأ عمر على بيعه أبي بكر والعدول عن علي - مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره - أنه أنكر مراراً على الرسول صلى الله عليه وآله أموراً اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله إنكاره بل رجع في كثير منها إليه وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته، فأطمعه ذلك في الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة، مما هي خلاف النص، وذلك نحو إنكاره عليه في الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق، وإنكاره فداء أسارى بدر وإنكاره عليه تبرج نسائه للناس، وإنكاره

قضية الحديبية وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان ابن حرب وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة وإنكاره أمره بالنداء: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) وإنكاره أمره بذبح النواضح وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله هيتهن له دون رسول الله صلى الله عليه وآله... إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: (اتتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعدى) وقوله ما قال، وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عنه. وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار فبعضهم، يقول: القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول الله: وقد كثر اللغظ، وعلت الأصوات (قوموا عنى فما ينبغي لنبى أن يكون عنده هذا التنازع) فهل بقى للنبوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين وميل المسلمون بينهما، فرجح قوم هذا وقوم هذا فليس ذلك دالا على أن القوم سؤوا بينه وبين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق إلى نصرة واحد منهما، كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص! ومن الذى كان ينكر عليه ذلك، وهو فى القول الذى قاله للرسول صلى الله عليه وآله فى وجهه غير خائف من الأنصار ولا ينكر عليه أحد لا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا غيره وهو أشد من مخالفة النص فى الخلافة وأقطع وأشنع.

قال النقيب: على أن الرجل ما أهمل أمر نفسه، بل أعدّ أعذارا وأجوبة وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص: إن رسول الله صلى الله عليه وآله

رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه وأوهمهم أن ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة! ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواطن كلها، شدتها ورخائها، رضيك لديننا أفلا نرضاك لدينانا. ثم عاب علياً بخطبته بنت أبي جهل فأوهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كرهه لذلك ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص، فروى حديثاً افتعله واختلقه على رسول الله قال: سمعته يقول: (إن آل أبي طالب ليسوا لى بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين) فجعلوا ذلك كالنسخ لقوله صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فهذا مولاه).

قلت للنقيب: أيصح النسخ في مثل هذا؟ أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضى وقت فعله؟ فقال: سبحان الله! من أين تعرف العرب هذا! وأنى لها أن تتصوره فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه فهل يفهم حذاق الأصوليين هذه المسألة، فضلاً عن حمقى العرب! هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ويستمالون بأضعف سبب وتبنى الأمور معهم على ظواهر النصوص وأوائل الأدلة وهم أصحاب جهل وتقليد لا أصحاب تفصيل ونظر.

قال: ثم أكد حسن ظن الناس بهم أنهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها وسلخوا مسلك الرفض لزيبتها والرغبة عنها والقناعة بالطفيف النزر منها وأكلوا الخشن ولبسوا الكرايس ولما ألفت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها وفرقوا الأموال على الناس، وقسموها بينهم ولم يتدنسوا منها بقليل ولا كثير فمالت إليهم القلوب وأحببتهم النفوس وحسنت فيهم الظنون، وقال: من كان في نفسه شبهة منهم أو وقفة في أمرهم لو كان هؤلاء قد خالفوا النص لهوى

أنفسهم لكانوا أهل الدنيا ولظهر عليهم الميل إليها والرغبة فيها والاستئثار بها وكيف يجمعون على أنفسهم مخالفة النص وترك لذات الدنيا ومآربها فيخسروا الدنيا والآخرة! وهذا لا يفعله عاقل والقوم عقلاء ذوو الباب وآراء صحيحة، فلم يبق عند أحد شك في أمرهم ولا ارتياب لفعالهم وثبتت العقائد على ولايتهم وتصويب أفعالهم ونسوا لذة الرياسة وإن أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى المأكل والمشرب والمنكح، وإنما يريدون الرياسة ونفوذ الأمر كما قال الشاعر:

وقد رغبت عن لذة المال أنفس وما رغبت عن لذة النهى والأمر»

وهو كلام نفيس لولا بعض الهفوات البسيطة كحادثة تأبير النخل وما شابه، وهذا التحليل الاجتماعي للأمر يمكن أن يوصل لنتائج باهرة وللأسف فهو قليل في كتب الاستدلال.

ثم إن ابن تيمية يصصر على الكلام وفق مبانيه هو والتي لا تستند لأي نص بل هي أفعال وأقوال (صحابية) و (تابعون) بعضهم قالها خوفاً وبعضهم قالها طمعا، بينما نتكلم عن إمامة إلهية بنص قاطع وبالتالي مخالفتها يدخل في الضلال، يقول تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: 64-65).

فأين التسليم من الصحابة الذين يعلنون مخالفتهم للنبي لمصالح يرونها زعموا

كما يقول عمر: (1) «لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربح في أمره وقتا ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الإسلام لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها».

فعمر يعلم ما في نفس النبي صلى الله عليه وآله فخالفه وفق مبدأ الفوضى الخلاقة فصخب القوم واختلفوا فطردهم النبي كما في خبر رزية الخميس فتحقق ما سعى إليه عمر.

وهذا معاوية يعلم قول النبي ويخالفه أمام الصحابة، يقول ابن أبي الحديد (2) في معاوية «أما أفعاله المجانبة للعدالة الظاهرة، من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء، فقال له: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم)، وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أبدا».

وقد مر علينا في أخبار تضييع الصلاة أن المصلي في زمان ابن الزبير استغرب الصلاة التي صلاها في غلس الليل حتى قال له ابن عمر إنها صلاة النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وقد غيرها عثمان ثم أرجعها ابن الزبير! فهل أنكرت الأمة تغيير وقت الصلاة من قبل عثمان؟! أم أنها أنكرت على من غير صلاة عثمان من بعد؟!

ص: 211

1- (1) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 12 - ص 20-21.

2- (2) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 5 - ص 130.

وروى عن عكرمة قوله «قال صلّيت خلف شيخ بمكة فكثير في صلاة الظهر ثنتين وعشرين تكبيرة، فأتيت ابن عباس فقلت إنّي صلّيت خلف شيخ أحمق فكبر في صلاة الظهر ثنتين وعشرين تكبيرة، قال: ثكلتك أمك تلك سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم»(1).

فما الذي حصل في الإسلام حتى باتت صلاة أبي القاسم عليه الصلاة والسلام والذي يقول «صلوا كما رأيتموني أصلي»(2) باتت صلاته يصفها مولى حبر الأمة بأنها صلاة الحمقى! وهي «عمود الدين»(3) وقد صلاها بينهم طوال ثلاثة وعشرين عاماً، فماذا حدث في الدين من اضطراب إذن؟!

وبعد هذا أيلح أن نتخذ ما فعلوه من شوري السقيفة المزعومة أو استخلاف بعضهم بعضاً سنة في الأرض وهي بدعة(4).

ص:212

-
- 1- (1) مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج 1 - ص 292 تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.
- 2- (2) الإقناع في حل الفاظ ابي شجاع - محمد الشربيني - ج 1 - ص 115 / مواهب الجليل - الحطاب الرعيني - ج 2 - ص 529 / حاشية الدسوقي - الدسوقي - ج 1 - ص 233 / الثمر الداني - الآبي الأزهرى - ص 137 / بدائع الصنائع - أبو بكر الكاشاني - ج 1 - ص 91 / بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ابن رشد الحفيد - ج 1 - ص 92 / احكام الجنائز - الألباني - ص 97.
- 3- (3) فيض القدير - شرح الجامع الصغير - المناوى - ج 4 - ص 326.
- 4- (4) ومن غرائب النصوص وصحاحها ما روى عن أن المسلمين لم يكونوا يعرفون الزكاة الفطر حتى علمهم ابن عباس وهو أمير على البصرة من قبل علي بن أبي طالب!! قال احمد بن حنبل «إن الحسن قال: خطب ابن عباس الناس في آخر رمضان فقال يا أهل البصرة أدّوا زكاة صومكم قال فجعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض فقال من ههنا من أهل المدينة قوموا فعلموا إخوانكم فإنهم لا يعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض صدقة رمضان نصف صاع من بر

إن طريقة الاستخلاف التي يتكلم عنها ابن تيمية تصلح للتطبيق في عوائل منحرفة كبنى أمية وبنى العباس وبنى عثمان، ومن لف لفهم
فهؤلاء همّهم الدنيا من

ص:213

الولاية فيقتلون في سبيلها الأبرياء، ويخربون بلاد المسلمين ويستعينون بالنصارى وغيرهم، بل ويتنصر بعضهم كما مر علينا من احد سلاطين أهل السنة.

وما شهدناه في أنظمة الحكم المعاصرة في القرن العشرين من مخازى تجاه بعضها وتجاه شعوبها، إنما هي نتيجة هذه النظريات البشرية الناقصة والتي لا تستلهم أى تجربة نبوية في حياتها بل خلافة هنا تحصل بالخدعة والغصب، وخلافة هناك تحصل بسبب المنافس، ومُلك هنا حصل بالاغتيال والختل والغدر، ولا احد منهم ينسب تجربته للنبي صلى الله عليه وآله، وإنما طريقة استخلاف الإمام عند الإمامية هي الوحيدة التي تنتسب لتعاليم الإسلام السمحاء والتي تروى عن المعصومين. ووصل الحد من سلاطين أهل السنة أن تنازلوا للصليبيين عن بيت المقدس أولى القبلتين حرصاً على المنصب!

وأما قول ابن تيمية «مثال ذلك أن ولى الأمر إذا كان عنده شخصان ويعلم أنه إن ولى أحدهما أطيع وفتح البلاد وأقام الجهاد وقهر الأعداء وأنه إذا ولى الآخر لم يُطع ولم يفتح شيئاً من البلاد بل يقع فى الرعية الفتنة والفساد كان من المعلوم لكل عاقل أنه ينبغى أن يولّى من يعلم أنه إذا ولاه حصل به الخير والمنفعة لا من إذا ولاه لم يطع وحصل بينه وبين الرعية الحرب والفتنة».

قلت:

لم تكن هناك فتنة حتى يرد هذا المثال، وكيف تكون هناك فتنة والله تعالى يقول:

(الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ

ص:214

ديناً) (المائدة: من الآية 3).

فالدين كامل والنعمة تامة فمن أين تأتي الفتنة؟!

والنبي صلى الله عليه وآله أقام الحجّة وهو الذى يقول «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا»⁽¹⁾.

لذا لم تكن هناك فتنة، بل كانت هناك سبل واضحة، وأدلة لائحة، والنصوص النبوية صريحة فى اتباع على أينما ذهب وكيفما قال، فحروب الناكثين والقاسطين والمارقين لم تكن حروب فتنة بل حروب بغى من بعض الصحابة، وقد أراهم الله السيف على يدى أمير المؤمنين عليه السلام فشفى الغليل.

قال ابن تيمية «أما قوله «لما عمت البليّة على كافة المسلمين بموت النبي صلى الله عليه وسلم واختلف الناس بعده وتعددت آراؤهم بحسب أهوائهم، فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق وبايعه أكثر الناس طلبا للدنيا كما اختار عمر بن سعد ملك الرى أياما يسيرة لما خير بينه وبين قتل الحسين مع علمه بأن فى قتله النار وإخباره بذلك فى شعره» فى هذا الكلام من الكذب والباطل وذم خيار الأمة بغير حق مالا يخفى وذلك من وجوه أحدها قوله «تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم» فىكونون كلهم متبعين أهواءهم ليس فيهم طالب حق ولا مرید لوجه الله تعالى والدار الآخرة ولا من كان قوله عن اجتهاد واستدلال، وعموم لفظه يشمل عليا وغيره وهؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله عليهم هو ورسوله ورضى عنهم ووعدهم الحسنى كما قال تعالى:

ص: 215

(وَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: 100).

قلت فى الجواب:

تعميم خطاب المدح إلى جميع الصحابة غير مقبول، بل باطل، فمنهم من ذهب إلى النار كقزمان الصحابى، ومنهم من كان منافقا كابن أبى سلول ثم السبق هنا إلى ماذا فهلا بينتم التعلق ببيان قاطع؟! قال الشريف المرتضى فى «الشافى» (1) «لنا فى الكلام عليه وجهان: أحدهما أن ننازع فى أن السبق ها هنا السبق إلى الإسلام، والوجه الآخر أن نسلم ذلك فنبين أنه لا حجة فى الآية على ما ادعوه، والوجه الأول بين لأن لفظة (السابقين) فى الآية مطلق غير مضاف، ويحتمل أن يكون مضافا إلى إظهار الإسلام، واتباع النبى صلى الله عليه وآله بل المراد به السبق إلى الخيرات والتقدم فى فعل الطاعات، ويكون قوله "الأولون" تأكيدا لمعنى السبق كما يقولون: فلان سابق فى الفضل إلى الخيرات سابق فيؤكدون باللفظين المختلفين، وقد قال الله تعالى:

(وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (الواقعة: 10-11).

وقال تعالى:

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر: 32).

ص: 216

فإن قيل: إذا كان المراد ما ذكرتم فأى معنى لتخصيص المهاجرين والأنصار ولولا أنه أراد السبق إلى الإسلام. قلنا: لم نخصّ المهاجرين والأنصار دون غيرهم لأنه تعالى قال:

(وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) (التوبة: من الآية 100).

وهو عام فى الجميع على أنه لا يمتنع أن يخص المهاجرين والأنصار بحكم هو لغيرهم، إما لفضلهم وعلو قدرهم أو لغير ذلك من الوجوه. فأما الوجه الثانى فالكلام فيه أيضا بيّن، لأنه إذا سلم أن المراد بالسبق هو السبق إلى إظهار الإسلام فلا بد من أن يكون مشروطا بالإخلاص فى الباطن، لأن الله تعالى لا يعد بالرضا من أظهر الإسلام ولم يبطنه، فيجب أن يكون الباطن معتبرا ومدلولا عليه فيمن يدعى دخوله تحت الآية حتى يتناوله الوعد بالرضا، ومما يشهد بأن الإخلاص مشروط مع السبق إلى إظهار الإسلام قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) (التوبة: من الآية 100).

فشرط الإحسان الذى لا بد أن يكون مشروطا فى الجميع على أن الله تعالى قد وعد الصابرين والصادقين بالجنان، فقال:

(قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (المائدة: 119).

وقوله تعالى:

(وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

ص: 217

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) سورة البقرة 155-157.

ولم يوجب ذلك أن يكون كل صابر وصادق مقطوعاً له بالجنة، بل لا بد من شروط مراعاة فكذلك القول في السابقين على أنه لا يخلو المراد بالسابقين من أن يكون هو الأول الذى لا-أول قبله أو يكون من سبق غيره، وإن كان مسبوقاً والوجه الأول هو المقصود لأن الوجه الثانى يودى إلى أن يكون جميع المسلمين سابقين إلا الواحد الذى لم يكن بعده إسلام أحد، ومعلوم خلاف هذا فلم يبق إلا الوجه الأول ولهذا أكدته تعالى بقوله: (الأولون) لأن من كان قبله غيره لا يكون أولاً بالإطلاق، ومن هذه صفته بلا خلاف أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة وجعفر وخباب بن الأرتّ وزيد بن ثابت وعمار ومن الأنصار سعد بن معاد وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فأما أبو بكر ففى تقدم إسلامه خلاف معروف فعلى من ادعى تناول الآية أن يدل أنه من السابقين».

وهو كلام نفيس.

ثم السؤال هو هل ثبتوا على السبق لو كانوا كذلك؟! إن ما أورده القوم فى كتبهم يناقض ذلك روى البخارى (1) «عن أبى هريرة انه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى فيجلّون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابى فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى».

ص: 218

وروى البخارى(1) «حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب انه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري».

فكيف يكون التعميم بالصحابة والسبق ولا يعلم أعيان هؤلاء الذين ارتدوا القهقري بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله؟

ص:219

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 7 - ص 208.

إن من الواضح ما افتعله القصاصون والوضّاعون من منزلة للصحابة ككلّ ليدخلوا في ذلك الجمع مجموعة من الطلقاء، وليبرقعوا بالقدسيّة مجموعة من البغاة والعصاة والناكثين وغيرهم ممن كان لهم دور في إشعال الحروب ضد الحكومة الشرعية، حكومة العدل الإلهي التي كان على رأسها أمير المؤمنين عليه السلام، فتجد انهم يثرثرون كثيراً حول أحكام خاصّة لأهل بدر وكونهم جميعاً من أهل الجنة، زعموا! وأن من شارك ببدر خُتم له بالخير فلا يمكن أن يحاسب على سيئة فعلها من بعد! وكثير من هذه البدع التي قرأناها وشاهدنا اصحاب العقول المتحجّرة يتحدّثون بها من خلال شاشات الفضائيات الطائفية(1) لا تصمد أمام

ص:220

1- (1) هؤلاء المتمسلفين يقدّمون نوعين من الخطاب بازدواجية مقبولة، فهم في الكتب (العلمية) الدعوية المخصصة لإعداد الدعاة يتحدّثون بهدوء وبأخلاق عالية ولكنهم عندما يخرجون على شاشات الفضائيات وهم يعلمون أن العامة تشاهدهم، وأن العامة لا تفهم في بعض الأحيان إلا الصوت العالي والكلام العاطفي الخالي من الأدلة، فهم يتصرفون بلا ضوابط أخلاقية أو علمية فهذا أحدهم يقول في كتاب مخصص للدعاة «أن هناك صفات للداعية، لها أثر بالغ على المدعوين، يجب على الداعية أن يتحلى بها، ومن هذه الصفات: الأولى: الإخلاص والتقوى.

قليل من التفكير، إذا كان المفكر منصفاً، وإلا فالآيات القرآنية كفيّلة بنسف هكذا عقائد بالية مفتعلة، وخذ على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في سورة آل عمران:

(وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لَكِنَّا لَنَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ

ص: 221

عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155) سورة آل عمران

فهذه الآيات نزلت لتعاتب المسلمين بما فعلوا يوم أحد، وتظهر مكنونات بعض انفسهم فلو تمعن المنصف في ما أظهره الله من ضعف إيمان الكثرة الكاثرة منهم.

وقوله تعالى:

(مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ).

وتذكر أن القوم في المعركة وهم مقبلون على القتل والاستشهاد ويريد بعضهم الدنيا! علم المستوى الإيماني الضحل الذي كان عليه هؤلاء بل اقرأ قوله تعالى:

(إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُؤُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ).

وهذه الآية تثير عجبى كلما قرأتها! فلو كان خروجهم لأجل الشهادة او النصر - والكلام حول الاكثرية التي تركت النبي وحيدا في ساحة القتال! - فما لهم أعطوا أذبارهم للمشركين(1). بل تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وحيدا وسط

ص: 222

1- (1) الفرار من الزحف من المواقف التي يستحق عليها العبد النار راجع: كتاب الكبائر - محمد بن عبد الوهاب - ص 27 - ط جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية/السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية - ابن تيمية - ق 1 - ص 87 /الفتاوى الكبرى - ابن تيمية - ج 4 - ص 295 /قاعدة في الانغماس في العدو - ابن تيمية - ص 41 /القواعد النورانية الفقهية - ابن تيمية - ص 247 /رسالة التلخيص لوجوه التلخيص - ابن حزم الاندلسي - ج 3 - ص 145 /كتاب

سيوف الكفر حتى كُسرت رباعيته وشُجَّ رأسه الشريف وظن بعضهم أنه قتل.

وتصوّر النبي يصيح في أхраهم وهم يفرون ذات اليمين وذات الشمال! فعلام خرجوا؟! اليس نصره لله وللنبي! فمن ماذا يفرون وماذا ينتظرون ويرجون؟! الدنيا الدنيّة؟! بل لو شئت قرأت قوله تعالى:

(وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا) .

واعجب مما كان هؤلاء يضمرونه في صدورهم من شكوك بالرسالة، بل إنهم لما رأوا ما حصل بفعل انفسهم لم يقفوا مع انفسهم وقفة صدق ويندموا على ما فعلوا بل ظنوا بالله ظن الجاهلية الكافرة! واعجب مما تحمله جملة.

(يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) .

من شكوك بل من جاهلية نكراء فهم إما ينتصرون ويغنمون ويرجعون الى نسائهم محمّلين بما غلا ثمنه وعندها يكون النبي صادقا ويكون الله هو الحق وما دونه هو الباطل، وإما ينهزمون فيجب الوقوف والتوجه بالسؤال الذي يكشف سوء النيات وضعف الإيمان وهو:

(يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا) .

فهو إقرار بعدم وجود رسالة مؤيدة من الله، ولو كانت هناك رسالة سماوية لنصر الله رسوله ولم يتركه بين أيدي المشركين!

فهل هذا منطق موحد موضح بدمه وماله في سبيل الرسالة، ولندكر اتنا في العام الخامس عشر للبعثة على المشهور فبعد كل هذه السنين لم يكن هناك إيمان عند الأكثرية الكاثرة على أن تقدي النبي صلى الله عليه وآله بأنفسها، بل فرّوا بأنفسهم وتركوا نفس رسول الله بين سيوف المشركين ولم يبق معه سوى على عليه السلام ونفر من بني هاشم وسيأتي في الأوراق القادمة بعض تفاصيل ما حدث من مخاز من الفارين والذين وصل بعضهم للبحر الأحمر هرباً ووصل الأمر لبعضهم الى ان أراد طلب الصلح من المشركين بحجة (1) «إنهم لعشائرننا وإخواننا!» والله تعالى يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) سورة التوبة 23-24.

وأي هذا من الذين قال الله تعالى عنهم:

(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

ص: 224

1- (1) جامع البيان - ابن جرير الطبري - ج 4 - ص 151.

مِنْهُمْ وَانْقَدُوا أَجْرَ عَظِيمٍ) (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسَّ بِنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
(173) فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (174) إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ
فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (175) سورة آل عمران 172-175.

فهؤلاء من القوم لكنهم مؤمنون لم يبالوا بما حصل في أحد، فخرجوا بعد المعركة على إصابتهم وما أصابهم في المعركة نصرة لله والرسول
صلى الله عليه وآله فتراهم عندما يبث الطابور الخامس شائعاته عن قوة جيش المشركين تكون قلوبهم أصلب من زبر الحديد (فزادهم إيماناً
وقالوا حسَّ بِنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ولما صدقوا الموقف مع الله ورسوله (فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله و
الله ذو فضل عظيم) وهذا ما يكافىء الله به المؤمنين من المسلمين.

ولكن الكلام كل الكلام حول الذين ارتعدوا خوفاً وارتعدوا ومد يد العلاقة للمشركين بعدما قطع الله العلائق والولائج بالإسلام وأخى بين
المؤمنين وعادى بين المسلمين والكفار فهؤلاء وصفهم الله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ) فالذين خافوا وهربوا وأعطوا أذبارهم اتبعوا الشيطان الذى ألقى الرهبة فى قلوبهم من المشركين ووالوا الشيطان فى تلك اللحظات
الرهيبه، التى كادت أن تودى بالرسالة الى المجهول لولا صمود النبى صلى الله عليه وآله وأخيه أمير المؤمنين عليه السلام ثم التحق بهم
الناس، والبون شاسع فى الإيمان والتصديق والتضحية بينهم وبين الصابرين الصادقين كعلى عليه السلام وخلص الصحابة.

وبعد كل هذا يقول قائل إن الكلام على الصحابة يؤدي بالالتزام الى القول بفشل الرسالة!!

والآن لنرجع الى عواهن ابن تيمية!

قال ابن تيمية وهو يشير الى فضائل الصحابة في القرآن: «وقال تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: 29).

الجواب عليها:

من هم الذين معه؟! أنا نقول بكل بساطة بأن بعض الصحابة ليسوا معه، لأن بعضهم مردوا على النفاق، وبعضه ارتد كما روى البخارى وغيره. ولا- يخلو قوله تعالى «والذين معه» إما أن يكونوا معه دائما بقلوبهم وأفعالهم، وإما بعض الوقت فإن قال قائل هم معه دائما بقلوبهم وأفعالهم خالف الضرورة التي اتفق عليها الجميع بعضيان كثير من الصحابة في حياة النبي وبعده(1) وإن قال بعض

ص: 226

1- (1) روى ابن حزم عن جحادة بن دثار «أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شربوا الخمر بالشام وأن يزيد بن أبي سفيان كتب فيهم إلى عمر فذكر الحديث، وفيه أنهم احتجوا على عمر بقول الله تعالى: (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعمالوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا) فشاور فيهم الناس فقال لعلى ماذا ترى؟ فقال: أرى أنهم قد شرعوا في دين الله ما لم يأذن به فان زعموا أنها حلال فاقتلهم فإنهم قد أحلوا ما حرم الله تعالى وان زعموا أنها حرام فاجلدتهم ثمانين ثمانين فقد افتروا على الله

الوقت دون بعضه فهذا يخالف ظاهر الآية ويجب على القائل أن يأتي بدليل قاطع للعدر ودونه خرط القتاد.

قال الشريف المرتضى (1) «أما قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) الآية فأول ما يقال فيها أن الألف واللام إذا لم تفد الاستغراق بظاها من غير دليل، لم يكن للمخالف متعلق بهذه الآية لأنها حينئذ محتملة للعموم وغيره على سواء وقد بينا أن الصحيح غير ذلك، وأن هذه الألفاظ مشتركة الظاهر، ودللنا عليه في غير موضع، ولو سلمنا مذهبهم في العموم أيضا لم نسلم أما قصدوه لأن قوله تعالى: (وَالَّذِينَ مَعَهُ) لا يعدو أحد أمرين أحدهما من كان في عصره وزمانه وصحبته، والآخر من كان على دينه وملته، والأول يقتضى عموم أوصاف الآية وما تضمنته من المدح لجميع من عاصره وصحبه عليه السلام، ومعلوم أن كثيرا من هؤلاء كان منافقا خبيث الباطن لا يستحق شيئا من المدح ولا- يليق به هذه الأوصاف، فثبت أن المراد بالذين معه من كان على دينه وتمسكا بملته، وهذا يخرج الظاهر من يد المخالف وينقض غرضه في الاحتجاج به، لأننا لا نسلم له أن كل من كان بهذه الصفة فهو ممدوح مستحق لجميع صفات الآية، وعليه أن يبين أن من خالفنا فيه له هذه الصفة حتى يحصل له التزام، وليس لهم أن يقولوا: نحن نحمل اللفظ على الصحبة والمعاصرة، ونقول إن الظاهر والعموم يقتضيان حصول جميع الصفات لكل معاصر مصاحب إلا من أخرجته الدليل،

ص: 227

فالذى ذكرتم ممن يظهر نفاقه وشكته نخرجه بدليل، وذلك أنها إذا حملت على الصحة والمعاصرة وأخرج بالدليل بعض من كان بهذه الصفة كانت الآية مجازاً لأننا إنما نتكلم الآن على أن العموم هو الحقيقة والظاهر، ومتى حملناها على أن المراد بها من كان على دينه عمت كل من كان بهذه الصفة فكانت الآية حقيقة على هذا الوجه، وصار ذلك أولى مما ذكره، وليس لهم أن يقولوا: إن الظاهر من لفظة (مَعَهُ) يقتضى الزمان والمكان دون المذهب والاعتقاد لأننا لا نسلم ذلك، بل هذه اللفظة مستعملة في الجميع على سواء، ولهذا يحسن استفهام من قال: فلان مع فلان عن مراده، وقد يجوز أن يكون في أصل اللغة للمكان أو الزمان، ويكون العرف وكثرة الاستعمال قد أثر في احتمالها لما ذكرناه، على إنا لو سلمنا ذلك أيضاً لكان التأويلان جميعاً قد تعادلا في حصول وجه من المجاز في كل واحد منهما، وليس المخالف بأن يعدل إلى تأويله هرباً من المجاز الذى فى تأويلنا بأولى ممن عكس ذلك وعدل عن تأويله للمجاز الذى فيه، وإذا تجاذب التأويلان وتعادلا بطل التعلق بالظاهر، ولم يكن فى الآية دليل للمخالف على الغرض الذى قصده».

وبالتالى أنّ لهم إثبات عدالة كل الصحابة من هذا الآية؟!

ولو كان فى قوله تعالى (وَ الَّذِينَ مَعَهُ) إشارة لكل الذين كانوا معه وقتئذ لكان فى قصة حاطب بن أبى بلتعة خير دليل على نقض ذلك، وهى القصة التى اجتمعت الأمة على تصحيحها قال البخارى بسنده عن على عليه السلام (1) «بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى

ص: 228

انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالطعينة، فقلنا: أخرجى الكتاب فقالت ما معى من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب: ما هذا؟ قال يا رسول الله: لا تعجل على أنى كنت امرءً ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد صدقكم فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق قال إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فكيف يكونوا (أشداء على الكفار) وقد راسلوهم ليكون لهم عندهم يدا؟! فدل على أن المقصود إما من هم معه فى عصره باطنا وظاهرا وتشملهم الصفات الواردة فى الآية أو أن يكونوا معه على دينه باطنا وظاهرا فى كل زمان ومكان. قال ابن تيمية: «وقال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوُوا وَ نَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَ إِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال: 72) إلى قوله (وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هَاجَرُوا)

(وَ جَاهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الأنفال: 75).

الجواب عليها:

الكلام فى انطباق هذه الآيات على جميع المهاجرين وجميع الأنصار فى المقام الأول. وأتى إثبات ذلك والآية فى مقام أفعال الجوانح لا الجوارح! والجوانح لا يمكن التكهن بها من كثير من هؤلاء فقوله سبحانه «فى سبيل الله» نفى لكل نية أخرى ونحن نعرف أن العديد منهم كانوا اسلموا لطمع أو حمية أو الأمل فى الخلاص من واقع بائس يعيشونه، ثم إن العبرة عدم التبديل والتغيير ودون إثبات ذلك خرط القتاد. ويكفى أن نطلع على ما روه هم فى قصة الصحابى قزمان وقصة الصحابى شهيد الحمار(1) لتعرف إن القضية تحسم بالنيات لا بالرشى وتزوير الروايات!

قال ابن تيمية: وقال تعالى:

(وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد: 10).

الجواب عليها:

ظاهر الآية تمييز من اجتمعت فيه خصلتان قبل الفتح وهما الإنفاق والقتال، وهى بالتأكيد لا تشمل كل المسلمين فمنهم من كان مقاتلا لا منفقا ومنهم من

ص: 230

كان منفقا لا- مقاتلا، ومنهم من لم يكن لا منفقا ولا مقاتلا، ولو ثبت اجتماعهما في بعضهم فهم اقل القليل، فمن أين التعميم على كل الصحابة بهذا الإدخال في عموم الآية. والمعلوم عدم شمولها لأبي بكر مثلا فلم يذكر المؤرخون أنه قاتل يوما ما، ولا لعمر وإن ذكر المؤرخون أنه قتل كافرا واحدا!! وأما الإنفاق فبال تأكيد لا يشمل هم كلهم قال أبو الصلاح الحلبي (1) «أما المال، فالمعلوم من حال أبي قحافة كونه صياد القمارى بمكة، فلما أضر صار مناديا لمائدة عبد الله بن جدعان، وأبو بكر في الجاهلية خياطا، وفي الإسلام يبيع الخلفان، وعمر في الجاهلية جزّارا، وفي الإسلام كآ على غيره من المسلمين، وقد عد الناس الأغنياء من قريش فلم يعدهما أحد، وعدوا عفان وابنه عثمان. وأما الزمان، فلا يخلو أن يكون قبل الهجرة أو بعدها، وفي أي الحالين كان اقتضى حصول العلم بوجه الذى وقع فيه الإنفاق من حالتي مكة والمدينة. وكذلك القول في الجهة مما يجب العلم بعينها، أفي مصالح حال النبي صلى الله عليه وآله والمتبعين له، أو مداراة الكفار، أو تجيش الجيوش؟ وكل ذلك لا سبيل إلى إثبات شيء منه ييقين، وإنما هو مختص بالإرجاف، لا يجد مدعيه سبيلا إلى إثبات شيء غير ابتياع بلال وعتقه، وهو من أوضح برهان على عدم الإنفاق، لاختصاص الدعوى به، مع بعده من صفة الإنفاق. وأما الجهاد، فقد بينا خلو القوم منه، وثبوت ضده من الانهزام في موطن بعد موطن. وإذا خلوا من دعوى القتال الثابت في الآية بغير شبهة، فلو ثبت الإنفاق لم ينفع، لأن الوعد في الآية يتوجه إلى من جمع بينهما، دون من انفرد بأحدهما، وبهذا يخرج عثمان من مقتضى الظاهر، لخروجه عن جملة المجاهدين وإن كان له إنفاق، وانتفاء الصفتين عنهم أو أحدهما كاف في خروجهم عن مقتضى

ص:231

الآية. ولم نسلم كونهم ذوى إنفاق وقتال - مع تعذر ذلك - لم يقتض توجّه الخطاب إليهم، لأنه لا حكم ولا إنفاق ولا قتال من دون الإيمان الذين هم براء منه. ولافتقار صحتهما لو ثبت إيمان فاعلها إلى إقائهما للوجه الشرعية على جهة الإخلاص، فليثبتوا ذلك. ومما يوضح نفي القتال والإنفاق عنهم، أو وقوعهما - لو كانا ثابتين - لغير وجههما، أنهما لو كانا كذلك لوجب النص عليهما به وارتفاع اللبس فيه، كجهاد على وحمزة وجعفر عليهم السلام وأمثالهم المعلوم ضرورة ثبوت النص بوقوعه موقع المستحق، وتعظيم الرسول صلى الله عليه وآله لأجله، وشهادته لهم به، ونزول القرآن بإيثار على عليه السلام على نفسه وأهله المسكين واليتيم والأسير، وتصدقه فى حال الركوع وليلا ونهارا وسرا وعلانية، وتقديمه على المناجاة دون سائر الأمة، وحصول الإجماع بذلك والنص على وقوعه موقع القربة والقطع بثوابه».

قال ابن تيمية: وقال تعالى:

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيُنصِرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (10) سورة الحشر 8-9.

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من

بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين وفي قلوبهم غل عليهم ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك وهذا نقيض مذهب الرافضة»(1).

الجواب عليها:

إن الصفات المذكورة في الآية يجب اجتماعها حتى يدخل الشخص ضمن الممدوحين بهذه الآية وهذه الصفات:

أن يكون من فقراء المهاجرين

أن يكونوا مخرجين من ديارهم وأموالهم

أن يكون إخراجهم وخروجهم لنيّتهم ابتغاء فضل الله ورضوان الله

أن يكون خروجهم بنية نصر الله ورسوله

هذه الصفات في المهاجرين الممدوحين

وأيضاً:

أن يتبنوا الدار والإيمان من قبلهم في المدينة

يحبون قلبيا من هاجر إليهم

ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

هذا في الأنصار

ص: 233

وأنت ترى أن جُل هذه الصفات صفات نفسية جوانحية لا سبيل الى إثباتها غالبا، فالله هو المطلع على الضمائر، فكيف ندخل عشرات الألوف ممن ثبتت لهم الصحبة الزمنية في كل هذه الآيات؟!

قال الشريف المرتضى في هذه الآية (1) «أما قوله: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) فأول ما فيه أن أبا بكر يجب أن يخرج عن هذه الآية على أصول مخالفتنا لأنهم على أصولهم كان غنيا مؤسرا كثير المال، واسع الحال، وليس لهم أن يتأولوا الفقراء هاهنا على أن المراد به الفقر إلى الله دون ما يرجع إلى الأموال، لأن الظاهر من لفظ الغنى والفقر ينبىء عن معنى الأموال دون غيرها. وإنما يحتمل أن على ذلك بدليل يقتضى العدول عن الظاهر، وما قلناه في الآية الأولى من أن الألف واللام لا يقتضيان الاستغراق على كل حال يطعن أيضا على معتقدتهم في هذه الآية، وبعد فإن سياق الآية يخرج ظاهرها عن أيديهم ويوجب الرجوع عليهم إلى غيرها لأن الله تعالى قال: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصَرُّونَ لِلَّهِ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فوصف بالصدق من تكاملت له الشرائط، ومنها ما هو مشاهد كالهجرة والإخراج من الديار والأموال، ومنها ما هو باطن لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو ابتغاء الفضل والرضوان من الله ونصرة الرسول، والله تعالى لأن المعتبر في ذلك ليس بما يظهر بل بالبواطن والنيات فيجب على الخصوم أن يثبتوا اجتماع هذه الصفات في كل واحد من الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، ولا بد في ذلك من الرجوع إلى غير الآية».

ص: 234

وهو ردّ قوى للاستدلال بالآية.

قال ابن تيمية وقال تعالى:

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: 18).

وقد أخبر سبحانه أنه رضى عنهم وأنه علم ما فى قلوبهم وأنه أثابهم فتحاً قريباً وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن فى المسلمين من يتقدم عليهم بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم لأن الله تعالى بيّن فضلهم فى القرآن»(1).

الجواب:

قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) لو كان الذين تنازعنا فيهم من المؤمنين لما تنازعنا! بل لكونهم خلطوا أفعالهم بالحسنة بالسيئة صاروا موضع اخذ وردّ بيننا وبين غيرنا، ثم إن قوله تعالى «المؤمنين» يثبت الإيمان الكامل للمبايعين من المؤمنين لا للمبايعين كلهم! ولو تدبرنا فى القرآن لوجدنا إن الذين ثبت لهم الإيمان بمراحله ثلاثة أصناف:

(الذين آمنوا) و (المؤمنون) و (المؤمنون حقاً).

والذى يظهر للمتدبر أن هناك اختلافاً واضحاً فى استعمال هذه المركبات والمصطلحات فى القرآن، فمثلاً لو أتينا على (المؤمنون) و (المؤمنات) فسنرى:

قوله تعالى:

(إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

ص: 235

وقوله تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْأَلُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور: 62).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب: 22).

وقوله تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: 15).

وقوله تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5).... (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المؤمنون 1-9).

إذا ارتبط (المؤمنون) بالتوكل في عدة مواضع من القرآن، يقول الله عن المتوكلين عليه.

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: 3).

فما ظنك بمن يجتبيه الله ويكون هو المدافع عنه؟!

ونحن نرى من صفات المؤمنين فى الآيات سابقة الذكر:

إنهم متوكلون على الله

إنهم يرجعون فى كل شأنهم للنبي ويستأذنونه بذلك

إنهم يزدادون إيماناً وتصديقاً فى المواقف الصعبة

من علامات تصديقهم أنهم يبذلون أموالهم وأنفسهم ولا يرتابون من بعد ذلك

خاشعون فى صلاتهم

مُعْرِضُونَ عَنِ اللُّغُو

لِلزَّكَاةِ فَاعْلَمُوا

حافظون لفروجهم

يراعون العهد والأمانة

يحافظون على الصلاة

وجزاء هؤلاء أنهم:

(يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: 11).

فهم يُخَلَّدُونَ فى جنة الفردوس

أما الذين آمنوا:

فهم ممدوحون بشروط وقيود معينة، مع كثرة ورود النصيحة والتوجيه دون المدح المطلق فى القرآن وهذا ما يميزهم عن (المؤمنين) كما

فى قوله تعالى:

ص: 237

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: 25).

وقوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: 62).

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة: 104).

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: 153).

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتَاءَهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة: 172).

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ

ص: 238

ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (البقرة: 178).

وقوله تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: 183).

وقوله تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (البقرة: 208).

وقوله تعالى:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلا مَأْتِكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة: 214).

وقوله تعالى:

(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَن لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: 249).

وقوله تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعَ فِيهِ وَ لا خُلَّةً وَ لا شَفَاعَةً وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: 254).

ص: 239

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (البقرة: 267).

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) (البقرة: 282).

وقوله تعالى:

(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) (البلد: 17).

وقوله تعالى:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر: 3).

وأنت تلاحظ في هذه الآيات:

إن الذين آمنوا اشترط عليهم العمل بالصالحات مرة

والتواصى بالصبر والمرحمة مرة أخرى

والتواصى بالحق والصبر مرة ثالثة

الاستعانة بالصبر والصلاة مرة رابعة

والإيمان بالله واليوم الآخر مرة خامسة

ص: 240

اشترط لمدحهم أن يكونوا مع الأنبياء وليس لوحدهم مما يجعلك تعلم بأنهم قد لا يستقيمون بعدهم.

أكثر التوجيهات الأخلاقية والأحكام الشرعية والاستعتاب فهو موجه إليهم دون سواهم.

من هنا فالذين آمنوا قد يكونون أناس لم يبلغوا درجة المؤمنين لذا احتاجوا لكل هذه النصائح والتعليمات.

أما المؤمنون حقاً فقد ورد ذكرهم في القرآن لمرتين:

في قوله تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (2) (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال 2-4).

وقوله تعالى:

(وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَا وَ نَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: 74).

من هنا فصفات هؤلاء - المؤمنون حقاً - هي:

توجل قلوبهم عند ذكر الله

يزدادون إيماناً عند تلاوة آياته عليهم

متوكلون بشكل مطلق عليه

دخل الإيمان في قلوبهم في سبيل الله

ص: 241

هاجروا فى سبيل الله

جاهدوا فى سبيل الله

آووا فى سبيل الله، نصروا النبى والمهاجرين فى سبيل الله

وهذه صفات يجمعها قولنا أنهم مخلصون ومؤمنون وهو أرقى درجات الإيمان.

على أن هناك تقريبا بين (الذين آمنوا) من جهة و (الذين آمنوا معه) من جهة أخرى، إذ أن المجموعة الثانية مع النبى صلى الله عليه وآله، وبالتالي تكون قريبة من مجموعة (المؤمنون) كما قال تعالى:

وقوله تعالى:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبُاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة: 214).

وقوله تعالى:

(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: 249).

وقوله تعالى:

(لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ

لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (التوبة: 88).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) (هود: 58).

وقوله تعالى:

(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) (هود: 66).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ) (هود: 94).

وقوله تعالى:

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) (غافر: 25).

وهذا تجده جلياً في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التحریم: 8).

ففرق سبحانه بين ابتداء الكلام فقال (الذين آمنوا) وبين المجموعة التي

وردت بعد ذلك فقال (الذين آمنوا معه)، والمجموعة الأخيرة قد تكون مستثناة من (الذين آمنوا) وقريبة من منزلة (المؤمنين).

لذا فال تفريق واجب بين (المؤمنين) وغيرهم. فالمؤمنون على أفضل الأحوال قد تشمل بعض الصحابة، فهي بالإسناد قد تكون للمعصوم والقريب من العصمة. فالخطاب في الآية التي استدلت بها ابن تيمية ينبيء عن الرضوان الآلهي عن مجموعة معينة هي (المؤمنون) لا غير.

وللشريف الرضي كلام جميل في المقام إذ قال في «الشافى»⁽¹⁾ «أما قوله تعالى: (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) فأول ما فيه أنا لا نذهب أن الألف واللام للاستغراق لكل من يصلحان له، بل الظاهر عندنا مشترك متردد بين العموم والخصوص، وإنما يحمل على أحدهما بدلالة غير الظاهر. وقد دللنا على ذلك في مواضع كثيرة، وخاصة في كلامنا المنفرد للوعيد من جملة جواب مسائل أهل الموصل وإذا لم يكن الظاهر يستغرق جميع المبايعين تحت الشجرة فلا حجة لهم في الآية. على أنا لو سلمنا ما يقترحونه من استغراق الألف واللام لم يكن في الآية أيضا دلالة على ما ادعوه لأن الله تعالى علق الرضا في الآية بالمؤمنين ثم قال: (إذ يبايعونك تحت الشجرة) فجعل البيعة حالا للمؤمنين أو تعليلا لوجه الرضا عنهم وأى الأمرين كان فلا بد فيمن وقع الرضا عنه عن أمرين: أحدهما: أن يكون مؤمنا والآخر أن يكون مبايعا، ونحن نقطع على أن الرضا متعلق بمن جمع الأمرين فمن أين أن كل من بايع تحت الشجرة كان جامعا لهما فإن الظاهر لا يفيد ذلك على أنه تعالى قد وصف من رضى عنه ممن بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنها لم تحصل لجميع المبايعين، فيجب أن يختص

ص:244

1- (1) الشافى في الإمامة - الشريف المرتضى - ج 4 - ص 17-18.

الرضا بمن اختص بتلك الأوصاف لأنه تعالى قال: (فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) ولا خلاف بين أهل النقل فى أن الفتح الذى كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر وعمر فرجع كل واحد منهما منهزما ناكصا على عقبيه فغضب النبى صلى الله عليه وآله وقال. (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله تعالى ورسوله ويحبه الله ورسوله كرازا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه) فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وكان أرمدا فتفل فى عينه فزال ما كان يتشكاه وأعطاه الراية فمضى متوجها وكان الفتح على يديه، فيجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية ومن كان معه فى ذلك الفتح من أهل البيعة تحت الشجرة لتكامل الشرائط فيهم. ويجب أن يخرج عنها من لم يجتمع له الشرائط، وليس لأحد أن يقول: إن الفتح كان لجميع المسلمين، وإن تولاه بعضهم. وجرى على يديه فيجب أن يكون جميع أهل بيعة الرضوان ممن رزق الفتح وأثيب به، وهذا يقتضى شمول الرضا للجميع وذلك لأن هذا عدول عن الظاهر لأن من تولى الشىء نفسه هو الذى يضاف إليه على سبيل الحقيقة، ويقال إنه أثيب به، ورزق إياه، وإن جاز أن يوصف بذلك غيره ممن يلحقه حكمه على سبيل التجوز لجاز أن يوصف من كان بخراسان من المسلمين بأنه هازم جنود الروم. ووالج حصونهم وإن وصفنا بذلك من يتولاه، ويجرى على يديه».

قال ابن تيمية: «وقال للمؤمنين:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)
(المائدة: 51).

ص: 245

إلى قوله:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة: 55-56).

وقال:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: 71).

فأثبت الموالاة بينهم وأمر بموالاتهم والرافضة تبرأ منهم ولا تتولاهم وأصل الموالاة المحبة وأصل المعاداة البغض، وهم يبغضونهم ولا يحبونهم وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى أن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل وكذبه بين من وجوه كثيرة منها:

ص: 246

ابن تيمية وآية التصدق بالخاتم

قال ابن تيمية «أن قوله «الذين» صيغة جمع وعلّي واحد.

والجواب على هذا الإشكال:

إن هذا الأسلوب (أسلوب مخاطبة المفرد بصيغة الجمع) شائع في مخاطبة العرب وكما قال الأميني (1) «وما أكثر له من نظير في لسان الذكر الحكيم وإليك نماذج منه:

قال تعالى:

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) (آل عمران: من الآية 181).

ذكر الحسن: أن قائل هذه المقالة هو حبي بن أخطب. وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق: هو فنحاص بن عازوراء. وقال الخازن: هذه المقالة وإن كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقاتته هذه فنسبت إلى جميعهم. راجع تفسير القرطبي، تاريخ ابن كثير، تفسير الخازن.

ص: 247

وقال تعالى:

(وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ) (التوبة: من الآية 61).

نزلت في رجل من المنافقين إما في الجلاس بن سويلا، أو: في نبتل بن الحرث أو: عتاب بن قشير، راجع تفسير القرطبي، تفسير، الخازن، الإصابة.

قال تعالى:

(وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) (النور: من الآية 33).

نزلت في صبيح مولى حويطب بن عبد العزى، قال: كنت مملوكا لحويطب فسألته الكتابة، ففي أنزلت والذين يبتغون الكتاب. أخرجه ابن مندة وأبو نعيم والقرطبي كما في تفسيره، أسد الغابة، الإصابة.

وقال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا) (النساء: 10).

قال مقاتل بن حيان: نزلت في مرثد بن زيد الغطفاني. (تفسير القرطبي، الإصابة)

وقال تعالى:

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُعَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: 8).

نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك: أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت

ص: 248

عليها المدينة بهدايا وهي مشرقة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية، ولا تدخل على بيتي حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها. أخرجه البخارى، ومسلم، وأحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، كما فى تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير، تفسير الخازن.

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة: 41).

ذكر المكي فى تفسيره: أنها نزلت فى عبد الله بن سوريا. تفسير القرطبي 6:177، الإصابة 2:326.

قال تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ) (البقرة: من الآية 118).

نزلت فى رافع بن حريملة، وأخرج محمد بن إسحاق عن ابن عباس قال. قال رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله فى ذلك الآية، تفسير ابن كثير..

قال تعالى:

ص:249

(وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لَأَجْرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (النحل: 41).

أخرج ابن عساکر في تاريخه من طريق عبد الرزاق عن داود بن أبي هند: أن الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل العامري. وذكره القرطبي في تفسيره من جملة الأقوال الواردة فيها.

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرُجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) (فاطر: 29).

نزلت في حصين بن المطلب بن عبد مناف كما في الإصابة.

قال تعالى في سورة العصر:

(وَ الْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)) السورة.

عن أبي بن كعب قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة والعصر فقلت: يا رسول الله بأبي وأمي أفديك ما تفسيرها؟ قال: والعصر قسم من الله بآخر النهار، إن الإنسان لفي خسر: أبو جهل بن هشام. إلا الذين آمنوا: أبو بكر الصديق. وعملوا الصالحات: عمر ابن الخطاب. وتواصوا بالحق: عثمان بن عفان. وتواصوا بالصبر على بن أبي طالب. الرياض النضرة. قال الأميني: نحن لا نوافق القوم على هذه التأويلات المحرفة المزيفة، غير أنا نسردها لإقامة الحجة عليهم بما ذهبوا إليه.

قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ

ص: 250

عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران: 77).

نزلت في عيدان بن أسوع الحضرمي، قاله مقاتل في تفسيره. الإصابة.

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: 59).

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، وأحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه كما في تاريخ ابن عساکر، وتفسير القرطبي وغيرهم: أنها نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي.

قال تعالى:

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران: 173).

المراد من الناس الأول هو نعيم بن مسعود الأشجعي، قال النسفي في تفسيره: هو جمع أريد به الواحد، أو: كان له أتباع يشبطون مثل تشبيطه. وقال الخازن: فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص. وأخرج ابن مردويه بإسناده عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقبهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت فيهم هذه الآية. تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير، تفسير الخازن.

قال تعالى:

ص: 251

(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرُهُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النساء: 176).

نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري. وهو المستفتي، وكان يقول: أنزلت هذه الآية في تفسير القرطبي، تفسير الخازن، تفسير النسفي هامش الخازن.

قال تعالى:

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة: 215).

نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق؟! وعلى من ننفق؟! فنزلت الآية. تفسير القرطبي، تفسير الخازن.

قال تعالى:

(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (الأنعام: 26).

ذهب القوم إلى أنها نزلت في أبي طالب.

قال تعالى:

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ

ص: 252

الإيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (المجادلة: 22).

نزلت في أبي عبيدة الجراح حين قتل أباه يوم بدر. أو: في عبد الله بن أبي. تفسير القرطبي، نوادر الأصول للحكيم الترمذى.

قال تعالى:

(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة: 102).

نزلت في أبي لبابة الأنصاري خاصة. تفسير القرطبي، الروض الأنف.

قال تعالى:

(يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) (التوبة: 62).

إن رجلا من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرفنا، وإن كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير. فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار، فسعى بها الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعا، فقال: ما حملك على الذى قلت؟ فجعل يلتعن ويحلف بالله بأنه ما قال ذلك، وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدق الصادق، وكذب الكاذب. فأنزل الله الآية تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير.

وروى البخارى فى (باب سكر الأنهار) بسنده عن عبد الله بن الزبير «انه حدثه ان رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم فى شراج

ص: 253

الحرّة التي يسقون بها النخل فقال الأنصارى: سرح الماء يمر، فأبى عليه فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصارى فقال: إن كان ابن عمّتك، فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، فقال الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك:

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: 65)(1).

فكان خطاب الله بالجمع والمقصود به الزبير.

وروى البخارى فى الصحيح عن ابن عباس فى تفسير الآية:

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: من الآية 59).

قال نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى(2) فكان الخطاب بالجمع وصاحب القضية مفرد.

وروى الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عباس فى تفسير الآية:

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَصْعَوْا سُلْحَاتِكُمْ) (النساء: من الآية 102).

قال نزلت فى عبد الرحمن ابن عوف كان جريحاً(3).

وروى الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عباس:

ص: 254

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 3 - ص 76.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 5 - ص 180.

3- (3) المستدرک - الحاكم النيسابورى - ج 2 - ص 308.

(وَ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 4).

قال نزلت في عائشة خاصة»(1)

وقال البيهقي (قال الشافعي) رحمه الله وقول الله:

(وَ لَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى) (النور: من الآية 22).

نزلت في رجل حلف ألا ينفع رجلا فأمره الله ان ينفعه»(2)

وروى البخارى في صحيحه في قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ إِيمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...) (آل عمران: من الآية 77).

«قال سليمان في حديثه فمر الأشعث ابن قيس فقال ما يحدثكم عبد الله قالوا له فقال الأشعث نزلت فيّ وفي صاحب لي في بئر كانت بيننا»(3).

فإن قالوا: إنما نزلت هذه الآيات بالخصوص وعمت بالأحكام لذا فهي تختلف عن المورد الذي أشكلناه عليكم، قلنا: فما تفعلون بما رواه كبار رواةكم:

كأحمد الدورقي الذي روى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال «نزلت فيّ. وربما قال مصعب بن سعد: نزلت في أبي أربع آيات، أصبت سيفاً يوم بدر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، نقلني، فقال: ضعه من حيث

ص: 255

1- (1) المستدرک - الحاكم النيسابورى - ج 4 - ص 10-11.

2- (2) السنن الكبرى - البيهقي - ج 10 - ص 36.

3- (3) صحيح البخارى - البخارى - ج 7 - ص 224.

أخذته، ثم عدت الثانية، فقلت: يا رسول الله، نقلني، أترك كمن لا غناء له؟ فنزلت: (يسألونك الأنفال) وهي قراءة عبد الله»(1).

وهي واضحة في نسبتها السؤال لشخص وهي رواية للحادثة لكنها بصيغة الجمع والنسبة لمفرد.

والبخارى الذى روى فى صحيحه عن أنس بن مالك قال «نرى هذه الآية نزلت فى أنس ابن النضر:

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: 23)»(2).

وقال الثعلبى فى تفسيره (فنادته الملائكة): يعنى جبريل وحده نظيره قوله فى هذه السورة (وإذ قالت الملائكة يا مريم) يعنى جبريل وحده، وقوله فى النحل: "(ينزل الملائكة): يعنى جبريل ما يروح بالوحى؛ لأن الرسول إلى جميع الأنبياء جبريل (عليه السلام)، يأت عليه قوله ابن مسعود، فناداه جبريل (وهو قائم يصلى فى المحراب) وهذا جائز فى العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم: ركب فلان فى السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، وخرج على بغال البريد، وإنما على بغل واحد، وسمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد نظير قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس): يعنى نعيم بن مسعود. (إن الناس قد جمعوا لكم). يعنى أبا سفيان ونحوها كثيرة»(3).

ص: 256

1- (1) مسند سعد بن أبى وقاص - أحمد بن إبراهيم الدورقى - ص 90.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 6 - ص 22.

3- (3) تفسير الثعلبى - الثعلبى - ج 3 - ص 60.

والرجل إمام في العربية(1) وقوله فصل في المقام.

وقد قال ابن تيمية في كتابه «مقدمة في أصول التفسير»(2) «ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضاً، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والاتلاف والعلم والبيان فيه أكثر. ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به؛ ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره. والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة، كما تلقوا عنهم».

لذالم يعترض احد التابعين على نزول الآية في على بما اعترض به ابن تيمية أفهل يكون أعلم من التابعين الذين تلقوا الخبر فإما عمّموا وإما خصّوا عليا به

ص: 257

1- (1) قال عنه عمر كحالة «أحمد الثعلبي (000-427 هـ -) (000-1035 م) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري (أبو إسحاق) مفسر، مقرئ، واعظ، أديب. توفي لسبع بقين من المحرم من تصانيفه: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، العرائس في قصص الأنبياء، وريبع المذكورين». معجم المؤلفين - عمر كحالة - ج 2 - ص 60.

2- (2) مقدمة في أصول التفسير - ابن تيمية - ص 10.

بدون أن يعترضوا بان الخطاب إذا كان للفرد فكيف جاء بلفظ الجماعة؟!

قال ابن تيمية: «ومنها أن الواو ليست واو الحال إذ لو كان كذلك لكان لا يسوغ أن يتولى إلا من أعطى الزكاة في حال الركوع فلا يتولى سائر الصحابة والقراية».

والجواب: وهذا ما نقول به لأن الولاية هنا الخلافة وليست النصر، لذا جاءت خاصّة بمن تزكى وتصدّق حال الركوع.

قال ابن تيمية «ومنها أن المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب، وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس واجبا ولا مستحبا باتفاق علماء الملة فإن في الصلاة شغلا».

الجواب:

إيتاء الزكاة عمل مستحب بنفسه وعليه يمدح الفاعل، سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، ما لم يستلزم عملا مخالفاً بالصلاة، وهو خارج كلامنا، فالتصدّق عمل يسير لا يستلزم الإخلال بالصلاة والخروج عن مقاصدها، نعم هناك أفعال مباحة داخل الصلاة فإن استعمل المباح للاستحباب استحب هذا فمثلا الحركة البسيطة للمصلّي مباحة فهذه الحركة تضمّنت نزع الخاتم ومدّ اليد لطالب الصدقة وهنا الاستحباب.

قال ابن تيمية «ومنها: أنه لو كان إيتاؤها في الصلاة حسنا لم يكن فرق بين حال الركوع وغير حال الركوع بل إيتاؤها في القيام والقعود أمكن».

قلت:

وهذا ما نقول به لان الآية حالية وليست تشريعية فهي تصف حال الإمام

ص: 258

حين تصدق لا أكثر وهو ما نقول به، فإن الحال كان حال ركوع الإمام وقد جاء السائل يطلب صدقة فنزلت الآية تصف الحال لا غير.

قال ابن تيمية «ومنها أن عليا لم يكن عليه زكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم».

قلت:

الغريب أن بعض كبار مفسري أهل السنة فهم منها حكماً فقهياً بعكس ما فهمه ابن تيمية! قال الجصاص في ذيل آية التصدق بالخاتم (1) «دل على أن صدقة التطوع تسمى زكاة، لأن عليا تصدق بخاتمه تطوعاً، وهو نظير قوله تعالى:

(وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) (الروم: من الآية 39).

قد انتظم صدقة الفرض والنفل، فصار اسم الزكاة يتناول الفرض والنفل كاسم الصدقة وكاسم الصلاة ينتظم الأمرين». ونقل القول أيضاً عن الكيا الطبرى (2).

قال ابن تيمية: ومنها «أنه لم يكن له أيضاً خاتم ولا كانوا يلبسون الخواتم حتى كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى كسرى فقيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من ورق ونقش فيها محمد رسول الله».

قلت:

بل كان له خاتم يتختم به، وهذا وارد بروايات عديدة، وأهل البيت أعلم بما

ص: 259

1- (1) أحكام القرآن - الجصاص - ج 2 - ص 558.

2- (2) جامع أحكام القرآن - القرطبي - ج 6 - ص 221.

فيه، ثم إن ما جاء فى قصّة اتخاذا الخاتم مضطرب فبعضها أن النبى صلى الله عليه وآله اتخاذا الخاتم قبيل مراسلته للروم، وبعضها قبيل مراسلته لملك فارس وبعضها عمم «للأعاجم» وعلى كل حال فالمرورى أن اتخاذا الخاتم لم يتعدّ السنة السابعة للهجرة فقد تكون الآية نزلت بعد ذلك.

قال ابن تيمية «ومنها أن إيتاء غير الخاتم فى الزكاة خير من إيتاء الخاتم فإن أكثر الفقهاء يقولون لا يجرى إخراج الخاتم فى الزكاة».

الجواب: وهذا الكلام يعتمد على ما ادعاه من الزكاة الاصطلاحية وإنما قلنا أن الزكاة لغوية هنا والمقصود صدقة التطوع.

قال ابن تيمية «ومنها أن هذا الحديث فيه أنه أعطاه السائل والمدح فى الزكاة أن يخرجها ابتداءً ويخرجها على الفور لا ينتظر أن يسأله سائل».

الجواب: كما فى الذى قبله فالزكاة هنا ليست اصطلاحية.

قال ابن تيمية «ومنها أن الكلام فى سياق النهى عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين كما يدل عليه سياق الكلام» (1).

الجواب:

الآيات التى تتكلم عن النهى عن موالاة الكفار معزولة عن سياق هذه الآية فأيات النهى عن موالاة الكفار فى سياق نهى عام وهنا فى إثبات خاص.

ثم إن ابن تيمية أراد الإيهام بأن آيات النهى عن الكفار تسبق هذه الآية مباشرة أو هكذا يفهم بينما الأمر ليس كذلك قال تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

ص: 260

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)) المائدة 51-57.

فبدأ سبحانه بالكلام عن الكفار، ثم عن مرضى القلوب، ثم خصّ فذكر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والسؤال هنا من هم مرضى القلوب؟!

والسؤال مهم فما علاقة مرضى القلوب بالإشارة لولاية علي عليه السلام؟

قال تعالى في كتابه الكريم:

(إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال: 49).

ص: 261

وقال تعالى:

(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (الأحزاب: 12).

وقال تعالى:

(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب: 60).

في الآيات الكريمة نلاحظ أنه سبحانه تكلم عن فئتين اقترنتا في الموارد الثلاثة، وقد سبقت مجموعة «المنافقون» مجموعة «الذين في قلوبهم مرض» في الترتيب في الموارد جميعاً، وتعاقبتا بواو العطف، مما يقتضى تغايرهما، ومن الغريب أن كثيراً من المفسرين لم يفرّق بين هؤلاء وهؤلاء! فحملوا المرض الذي في القلوب على أنه النفاق، وهذا خلاف السياق القرآني، كما فعل كل من:

القمّي في تفسيره فقال في آية الأحزاب قال «نزلت في قوم منافقين»⁽¹⁾.

الطوسي في تفسيره نقل عن أبي علي (والظاهر انه الجبائي) قوله «كلهم في معنى المنافقين»⁽²⁾.

الطبرسي قال في آية الأحزاب «قيل هم بنو سالم من المنافقين»⁽³⁾.

مكارم الشيرازي⁽⁴⁾ في الأمثل إذ قال بعد إشارته إلى إحدى الآيات السالفة

ص: 262

1- (1) تفسير القمّي - ج 2 - ص 192.

2- (2) التبيان - الطوسي - ج 5 - ص 136.

3- (3) مجمع البيان - الطبرسي - ج 8 - ص 140.

4- (4) الظاهر أن الشيخ مكارم الشيرازي كان مشرفاً على التفسير وليس مؤلفاً له.

«والحق أن مثل هذه الأخبار والمبشرات اعتبرها المنافقون...» (1) مما يجعله يوافق من سبقه بحمل المرض على النفاق.

عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره إذ قال في الأحزاب 12 «هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين» (2).

احتمله الطبري في تفسيره ونقل عن الحسن البصري ما نقله الصنعاني آنفاً (3).

واحتمله ابن أبي حاتم في تفسيره أيضاً (4).

وأورد النحاس في معانيه: إنهم المنافقون (5).

وكذلك فعل السمرقندي وقال في المرض (6): «شكًا ونفاقًا».

وكذلك ابن زمنين مع انه في البداية فسر المرض بأنه (الشك) (7).

وكذلك فعل الثعلبي وقال «شك ونفاق» (8).

وقال الواحدى إنها نزلت في المنافقين (9).

ص: 263

-
- 1- (1) الأمثل - ناصر مكارم الشيرازي - ج 13 - ص 186.
 - 2- (2) تفسير القرآن - الصنعاني - ج 2 - ص 260.
 - 3- (3) جامع البيان - الطبري - ج 10 - ص 244.
 - 4- (4) تفسير ابن أبي حاتم الرازي - ج 5 - ص 1716.
 - 5- (5) معاني القرآن - النحاس - ج 5 - ص 330.
 - 6- (6) تفسير السمرقندي - ج 2 - ص 26.
 - 7- (7) تفسير ابن زمنين - ج 2 - ص 182.
 - 8- (8) تفسير الثعلبي - ج 4 - ص 366.
 - 9- (9) أسباب نزول الآيات - الواحدى النيسابورى - ص 65.

واحتمل ابن الجوزى انه النفاق(1).

ونقل ابن عطية فى تفسيره عن قتادة «إنهم الذين أعلنوا النفاق»(2).

وأشار الفخر الرازى إلى كونها فى المناققين(3).

وغيرهم من المفسرين ممن تركنا آراءهم.

علما أن بعض هؤلاء الذين سردنا أسمائهم لم يقتصر على هذا الرأى بل أنه احتمله مضموماً لآراء أخرى ولم يبت فى الرأى الخاص به، مما جعلنا نحمله مسؤولية هذا الرأى لكونه لم ينفه.

وباقى المفسرين - ممن لم يحملوا مرض القلب على النفاق - اختلفوا، فمنهم من قال إنه الشك والريب، ومنهم من قال إنه الزنا.

فأما الشك والريب فهو احتمال منفى طبعاً لنفس علة نفى معنى (النفاق) عن معنى (المرض)، إذ يقول سبحانه وتعالى:

(أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ اذْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (النور: 50).

فلو كان مرض القلب هو الريب لما كان هناك داع لهذا الاستفهام من العالم المتعال؟ أرايت لو قال لك رجل عاقل (أفى قلوبهم مرض أم فى قلوبهم مرض!!) وهو يقصد التفصيل أرايت هذا الكلام معقول ويؤدى غرضه؟! طبعا كلا، وهذا ما نقوله.

ص: 264

1- (1) زاد المسير - ابن الجوزى - ج 6 - ص 185.

2- (2) تفسير القرآن - ابن عطية الأندلسى - ج 1 - ص 95.

3- (3) تفسير الرازى - ج 10 - ص 158.

قال تعالى:

(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ) (المدثر: 31).

وهنا كذلك نفس الإشكال، فلو كان للذين (في قلوبهم مرض) معنى المرتاب والشاك لم يكن هناك داعٍ لتغيير اللفظ! فلماذا استعمل اليقين في مقابل الريب علمنا بالمعنى الواضح لهذين المصطلحين، ولكنه لما جعل (الذين في قلوبهم مرض) في مقابل (الذين أوتوا الكتاب) وبمقابل (زيادة إيمان الذين آمنوا) صار لعدم المطابقة معنى، إذن فمرض القلب لا يعنى الريب وإلا لذكره بهذا اللفظ كما ذكر مصطلح (الريب) قبله.

ثم إن الذين قالوا بأن (مرض القلب) هو الشك والريب فهل أن (الشك والريب) أمرٌ واحد وشعور واحد؟! طبعا كلا، فلو كان أمرا واحدا لما قال تعالى:

(قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) (هود: 62).

ص: 265

وقال تعالى:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) (هود: 110).

وقال تعالى:

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) (إبراهيم: 9).

زيادة الريب على الشك وكونه صفة له يفيد كونهما متباينين، فمرة يكون الشك مريباً ومرة يكون خالياً من هذه الصفة. لهذا قال أبو هلال العسكري (1) «الفرق بين الريب والشك: الشك: هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء. وأما الريب فهو شك مع تهمة. ودل عليه قوله تعالى: ذلك الكتاب لا-ريب فيه". وقوله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، فإن المشركين - مع شكهم في القرآن - كانوا يتهمون النبي بأنه هو الذي افتراه وأعانه عليه قوم آخرون!». وهو كلام نفيس لم أجد أحداً تطرق له، والله اعلم.

والملاحظ أن أغرب الأقوال هو قول قتادة الذي نقله ابن عطية الأندلسي من أنهم «الذين أعلنوا النفاق»!! فهو أراد أن يهرب من القول بترادف النفاق والمرض فسقط بالأدهى! فكيف يعلن عن النفاق والنفاق لا يكون إلا عن طريق إسرار الكفر وإظهار الإيمان؟! فإعلان الكفر هو مرحلة لاحقة لإسراجه، ونفاق الناس به، أما إظهار النفاق فليس له موضوع أصلاً فكيف كان هو مرض القلوب؟!

والسؤال الذي يوجهه إلى الذين قالوا بأن مرض القلب هو النفاق: لماذا قال الله «المنافقون والذين في قلوبهم مرض»؟! فلو كان المعنى واحداً فهل يقول

ص: 266

العاقل (المنافقون والمنافقون)؟ أليس هم يقولون بأن الأصل في العطف أن يقتضى المغايرة؟!

والآن لنحاول الاستدلال على معنى (مرض القلب) قرآنيًا:

فلقد ذكر مصطلح (المرض) مرتبًا (بالقلب) في القرآن في اثني عشر مورداً، منها قوله تعالى:

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة: 10).

وقوله تعالى:

(فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ نُصِيبَ بِبَلَاءٍ مِمَّا نَعْتَسِي اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضَوِّبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) (المائدة: 52).

وقوله تعالى:

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَآتَوْا وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة: 125).

وقوله تعالى:

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (الحج: 53).

وذكر النفاق مع اشتقاقاته في سبعة وثلاثين مورداً، وذكر الشك في خمسة عشر مورداً، وذكر الريب مع اشتقاقاته في ستة وثلاثين مورداً.

خواص مرض القلب:

ص: 267

إن المتتبع للآيات التي ذُكر فيها (مرضى القلوب) يرى أن الله سبحانه نفى عنهم صفة (الإيمان) وجعلهم مجموعة في قبال الذين آمنوا فقال:

(وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ (20)) (طاعةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (21)) (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22)) (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (32)) (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)) (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (25)) (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26)) (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَصَدُّونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27)) (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (28)) (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ (29)) (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ سَيِّمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (30)) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ (32)) (سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم 20-32).

وقد تطرق سبحانه لقضية هؤلاء الذين ينتظرون نزول سورة القتال أيضا في سورة التوبة بقوله:

(وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ

آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124)) (وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ (125)) (أَوْ لَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَ لَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126)) (وَ إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)) (التوبة 124-127).

وقد وصفهم في سورة البقرة فقال سبحانه:

(وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)) (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (9)) (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)) (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)) (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (12)) (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13)) (وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)) (اللَّهُ يَسَّ تَهْزِئًا بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)) (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)) (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)) (صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)) (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (9)) (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

وإذا تتبعنا مصطلح (الذين فى قلوبهم مرض) فى باقى الموارد مع هذه الموارد لوجدنا أنهم:

مجموعة فى قبائل المنافقين والمؤمنين والكافرين والشاكرين والمرتابين.

إنهم يدعون الإيمان ظاهرا

يدعون الإصلاح مما يجعلهم مجموعة متنفذة لها مشاريعها الخاصة لا مجموعة هامشية

يجعلون لأنفسهم جاه وسلطة فلا يريدون أن يكونوا مؤمنين (مثل السفهاء) كما يقولون مما يجعلنا نقول أنهم شخصيات بارزة وأسماء معروفة.

كانوا يكرهون القتال مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

كانوا يضمرون العداة لأرحامهم عندما يتولون فى الأرض (بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم طبعاً).

إنهم ملعونون وحكم عليهم بالصمم والعمى عن الهدى جزاء لعملهم الشنيع.

قلوبهم المريضة مقفلة بالضلال.

عملهم السابق مُحَبَّبٌ لكونهم يكرهون رضوان الله ولا يطيعون أوامر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الإلهية ويُسرِّون غير ما يظهرون.

إنهم يبغضون أناساً لم يذكرهم القرآن صريحاً ويحملون الضغينة والحقد لهم.

إنهم كفروا وصدوا عن السبيل وشاقوا النبى ولكن بقيد مهم وهو (من بعد

ما تبين لهم الهدى).

إنهم رجس ولا يموتون إلا وهم كافرون (فى النهاية)

إنهم كاذبون فى حياتهم

إن هؤلاء كانوا يتمركزون فى المدينة بشهادة قوله سبحانه:

(لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب: 60).

إنهم كانوا يتصلون بأهل الكتاب سرًا ليأمنوهم على أنفسهم كما قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52)) المائدة 51-52.

ولوراجعت ما كتبه المؤرخون حول بعض المسلمين الذين اتصلوا بالمشركين بعد موقعة أحد ليتوسطوا لهم برجوعهم إلى مكة (بعد ما قُتل النبى بحسب ظنهم)!! لعرفت من هم!

إنهم كانوا يتعاونون مع المنافقين ويمثلون طابوراً خامساً للعدو كما قال تعالى:

(إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (أنفال: 49).

ص: 271

إذ ورد بأن القائلين قالوا هذه العبارة عند خروج المسلمين إلى بدر، فرأى المنافقون ومرضى القلوب أن الخروج بهذا العدد الضئيل إنما غرور ليس بعده نجاة، وانتبه لقوله تعالى «عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ» إذ أن القائل لا ينسب دين الإسلام لنفسه بل للمسلمين مما يفيد خروجه من جماعتهم.

ولوراجعت ما كتبه المؤرخين عن استشارة البعض وما ردّوا به مما سبب الإحباط عند بعض المسلمين لعرفت من هم!

إنهم كانوا على شكل مجموعة مُنظّمة تخترق المسلمين، تتلاقى فيما بينها وتنسق جهودها ويدل عليه قوله تعالى:

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَامْتُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ (125) أَوْ لَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ (126) وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)) التوبة 125-127.

من هذه الآيات وغيرها نرجح بأن (مرضى القلوب) هو الذين اسلموا وارتدّوا سرّاً، ولم يُعلم بهم في حياتهم حتى النبى صلى الله عليه وآله، وقد يكون قد علم إجمالاً ولم يعلم تفصيلاً من الله تعالى، ولكن الله أرشده إلى أنه ممكن أن يعلمهم من خلال سلوكهم المنحرف، ويدل عليه قوله تعالى:

(وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَّفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) (محمد: 30)

فلا هم بالمنافقين والذين نافقوا (فهم يفترون عن المنافقين بأنهم آمنوا بالنبى

فى البداية ثم ارتدوا سرًا ولجئوا للنفاق، بينما استعمل المنافقون النفاق من البداية)، ولا بالمشركين والذين أشركوا، ولا بالكافرين والذين كفروا، ولا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فلم يبقَ غير أنهم جماعة أسلمت وارتدت سرا، وما أدل الآية على ذلك التى تقول:

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) (البقرة: 17).

فهم استوقدوا فلما أضاءت النار ما حوله وأنارت ذهب الله بنورهم جزاء على ضلالتهم وارتدادهم سرا.

ومن نُكت القرآن الطريفة أن ارتباط المرض بالقلب - وهى علامة هؤلاء - قد جاءت فى اثنى عشر موضعا فى القرآن، وهى قيمة تمثل عدد مرضى القلوب فى المسلمين وهى تقابل عدد المعصومين من الأئمة وهم اثنا عشر إماما. وعدد مرضى القلوب هو العدد نفسه للمتأمرين فى ليلة العقبه!! والواردة فى روايات عديدة من السنة والشيعه:

إذ روى ابن سعد فى طبقاته الكبرى (1) «قال محمد بن عمر قال حمزة بن عمرو لما كنا بتبوك وأنفر المنافقون بناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبه حتى سقط بعض متاع رحله، قال حمزة: فنور لى فى أصابعى الخمس فأضىء حتى جعلت القط ما شدَّ من المتاع السوط والحباء وأشباه ذلك».

وقال المقرئى فى الإمتاع (2) «ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ص: 273

1- (1) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ج 4 - ص 315.

2- (2) إمتاع الأسماع - المقرئى - ج 5 - ص 116-117.

متوجهاً لماء تبوك فأصبح في منزل، فضلت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم القصواء، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارة ابن حزم عَقَبَى بدرى قُتِل يوم اليمامة شهيداً، وكان في رحله زيد بن أبي اللصيت أحد بنى قينقاع، كان يهودياً فأسلم وناق، وكان فيه خبث اليهود وغشهم - وكان مظاهراً لأهل النفاق - فقال زيد وهو في رحل عمارة، وعمارة عند النبي صلى الله عليه وسلم: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء؟ وهو لا يدري أين ناقتة!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن منافقاً يقول: إن محمداً يزعم أنه نبي وهو يخبركم بأمر السماء؟ ولا - يدري أين ناقتة!! وإني والله لا - أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا - أشار لهم إليه - حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى أتوا بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: العجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه، قال: كذا وكذا للذي قال زيد، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائل هذه المقالة زيد قبل أن يطلع علينا، قال: فأقبل عمارة على زيد بن اللصيت يجأه في عنقه ويقول: والله إن في رحلي لداهية، وما أدري، أخرج يا عدو الله من رحلي. وكان الذي أخبر عمارة بمقالة زيد أخوه عمرو بن حزم، وكان في الرحل مع رهط من أصحابه، والذي ذهب فجاء بالناقة من الشعب الحارث بن خزمة الأشهلي، وجدها وزمامها قد تعلق في شجرة، فقال زيد بن اللصيت: لكأني لم أسلم إلا اليوم، قد كنت شاكاً في محمد، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة، فأشهد أنه رسول الله، فزعم الناس أنه تاب، وكان خارجة بن زيد بن

ثابت ينكر توبته ويقول: لم يزل فسلاً (1) حتى مات!!

وقيل بأنه نزلت في تلك الحادثة آيات تتلى، قال تعالى:

(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْرِضُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64)) (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65)) (لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)) (التوبة 64-66).

والآية وإن تكلمت عن المنافقين ولكن ربطت النفاق بما في القلب.

وقد روى نزولها في ليلة العقبة ومنافقيها الاثنى عشر العديد من مفسري أهل السنة منهم ابن الجوزي (2) والرازي (3) والعز بن عبد السلام (4) والبيضاوي (5) وأبو حيان الأندلسي (6) وابن كثير (7) والسيوطي (8) والكثير غيرهم، ومن الملفت للنظر ان بعض من ورد اسمه في أسماء مرضى القلوب في ليلة العقبة ظل يعيش هاجس الفضيحة طول عمره إذ انه ورد أحدهم كان يسأل حذيفة بن اليمان (9) صاحب

ص: 275

1- (1) الفسل: الرذل النذل الذي لا مروءة له ولا جلد: العين - الفراهيدي - ج 7 - ص 260.

2- (2) زاد المسير - ابن الجوزي - ج 3 - ص 314.

3- (3) تفسير الرازي - ج 16 - ص 120.

4- (4) تفسير العز بن عبد السلام - ج 2 - ص 31.

5- (5) تفسير البيضاوي - ج 3 - ص 155.

6- (6) تفسير البحر المحيط - ج 5 - ص 76.

7- (7) تفسير ابن كثير - ج 2 - ص 381.

8- (8) الدر المنثور - السيوطي - ج 3 - ص 254.

9- (9) قال ابن الاثير في العام الرابع والثلاثين للهجرة «في هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل

سر النبي على المنافقين «هل أنا من المنافقين» (1) يعنى الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم له!! بل إن جُملة من الصحابة كانوا يعيشون هاجس الفضيحة ويربو عددهم على ثلاثين كما روى البخارى عن ابن أبى مليكة «أدرکت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه» والأحرى أن يقول (كلهم يخاف الفضيحة على نفسه!!)

وكون حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان صاحب سر النبي على المنافقين شىء متسالم عليه عند أصحاب السير، قال ابن الأثير (2) «وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمر أفى عمالى أحد من المنافقين قال نعم واحد قال من هو؟ قال لا أذكره. قال حذيفة: فعزله كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وان لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر».

ولما كان هؤلاء المرضى يعيشون خوف الفضيحة ليل نهار ولما لم يكن الزمان يمر بعيدا بغزوة تبوك، ولما حج النبي حجة الوداع نرى أن أحدهم يسأل النبي: أنزل فى شىء (3)؟!

ص: 276

1- (1) الهجوم على بيت فاطمة - عبد الزهراء مهدي - ص 467 / الغدير للأمينى نقلا عن الباقلانى فى التمهيد - ج 6 - ص 241.

2- (2) أسد الغابة - ابن الأثير - ج 1 - ص 391.

3- (3) عمدة القارى - العينى - ج 18 - ص 260.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفي نزول شيء فيه ولم ينفِ كونه من مرضى القلوب!! ومن الملاحظ إن محاولة اغتيال النبي الفاشلة تلك في تبوك جاءت بعد وقت بسيط بعد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشهور لعلي بن أبي طالب «أنت منى كهارون من موسى لولا انه لا نبي بعدى» إذ أجمعت المصادر الإسلامية على قوله هذا انه كان عند تاهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخروج إلى تبوك، لذا فقوله سبحانه:

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (محمد: 22).

يكشف عن اتفاق للغدر بعلي بعد النبي وقطع رحم النبي به، لهذا نفهم الآن لم سُميت سورة التوبة بأسماء كثيرة مثيرة منها براءة والمقشقة والمبعثرة والمخرزية والفاضحة والحافرة والمنكّلة والمدممة وسورة العذاب والمشردة إلى آخر الأسماء، وحتى سورة المنافقين لم تُسمَّ بهذه الأسماء، فهي بعثت المرتدين المرضى وشردتهم وحفرت عنهم ونكلت بهم وعذبتهم لذا فلما سمع بعض الأعراب هذه السورة بعد وفاة النبي بوقت طويل قال (1) «هذه السورة أظنها آخر ما أنزلت، فقلت له: ولم؟ فقال: أرى عهداً تنبذ، وعقوداً تنقض». فهذا الأعرابي مع انه لم ير النبي ولم يسمع منه لكنه ولأول وهلة من سماعه الآية عرف أنها كذلك، وأنها سوف تكون سيفاً مشهوراً على مرضى القلوب تقضحهم وتبعثرهم.

ومن هنا فالآيات التي قال ابن تيمية أنها في سياق الكلام عن النهي لموالات الكفار ليست كذلك فمرضى القلوب ليسوا من الكفار في القرآن، بل مجموعة متميزة بأفعالها واسمها كانت تحيط بالنبي صلى الله عليه وآله وأرادت قتله ليلة

ص: 277

العقبة لمآرب دنيوية قد يكون من بينها محاولة الإمساك بزمام المبادرة للتحكم بالخلافة لذا فهذه الآية أشارت إليهم ثم خصت فقالت «إنما وليكم...». وكأنه نهى عن موالاة غيره وخصوصا من تكلمت عنهم الآية قبل قليل وسمتهم «مرضى القلوب».

وقد مورست أساليب عديدة فى إخفاء ما حدث فى محاولة الاغتيال تلك وأهم شىء أخفى عنّا هو أسماءهم، فى مسند البزار(1) حدثنا على بن المنذر، قال: حدثنى محمد بن فضيل، قال: أخبرنا الوليد بن جميع، عن أبى الطفيل، عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك: لا يسبقنى إلى الماء أحد»، قال أحمد(2) بقى فيه كلام تركته!!.

وروى البخارى(3) فى باب «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم»:

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا إسماعيل حدثنا زيد بن وهب قال كنا عند حذيفة فقال ما بقى من أصحاب هذه الآية(4) إلا ثلاثة ولا من المنافقين إلا أربعة فقال أعرابى إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تخبرونا فلا ندرى فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفساق أجل لم يبق منهم إلا أربعة أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده» فمن هذا الشيخ؟!.

ص:278

1- (1) مسند البزار - ج 7 - ص 274.

2- (2) هو البزار نفسه، واسمه أحمد البزار.

3- (3) صحيح البخارى - البخارى - ج 5 - ص 203.

4- (4) الآية هى قوله تعالى: (فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (التوبة: من الآية 12).

قد نعرف الجواب من كلام ابن حجر العسقلاني(1) في شرحه على الصحيح «روى الطبرى من طريق السدى قال المراد بأئمة الكفر: كفار قريش، ومن طريق الضحاك قال أئمة الكفر رؤوس المشركين من أهل مكة! (قوله إلا ثلاثة) سمي منهم فى رواية أبى بشر عن مجاهد أبو سفيان بن حرب وفى رواية معمر عن قتادة أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وتعقب بأن أبا جهل وعتبة قتلا بيدرو إنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حى فيصح فى أبى سفيان وسهيل بن عمرو وقد أسلما جميعا (قوله ولا من المنافقين إلا أربعة) لم أقف على تسميتهم».

وغريب قوله «فيصح فى أبى سفيان وسهيل بن عمرو وقد أسلما جميعا» وهو يقرُّ تبعا للحديث الصحيح عن حذيفة صاحب السرِّ «ما بقى من أصحاب هذه الآية...». فهو إقرار بأنهم بقوا إلى زمان بعد النبى وحذيفة يشهد بأنهم أحياء يرزقون!

ولما كان مع النبى صلى الله عليه وآله رجلا فى ليلة العقبة اطلعا على هؤلاء الاثنى عشر أحدهما عمار فقد كان عمار بن ياسر لا يستسرُّ بالأمر كما يفعل حذيفة فى بعض الأحيان جاء فى الديباج على مسلم(2) عن قيس بن عباد قال «قلنا لعمار أرأيت قتالكم رأيا رأيتموه فان رأى يخطىء ويصيب، أو عهدا عهدته إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس كافة وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن فى أمتى قال شعبة واحسبه قال حدثنى حذيفة وقال غندر أراه

ص: 279

1- (1) فتح البارى - ابن حجر - ج 8 - ص 243.

2- (2) الديباج على مسلم - جلال الدين السيوطى - ج 6 - ص 137-138.

قال: فى أمتى اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل فى سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم من صدورهم".

وروى فى مغازى الواقدى (1) عن جابر رضى الله عنه قال «تنازع عمّار بن ياسر ورجل من المسلمين فى شىء فتسابا، فلما كاد الرجل يعلو عمّارا فى السباب قال عمّار: كم كان أصحاب العقبة؟ قال: الله أعلم، قال: أخبرنى عن علمك بهم، فسكت الرجل، فقال بعض الحاضرين: بين لصاحبك ما سألك عنه، وإنما يريد عمّار أشياء قد خفيت عليهم، فكره الرجل أن يحدثه فأقبل القوم على الرجل يسألونه، فقال الرجل: كنا نتحدث أنهم كانوا أربعة عشر رجلا، فقال عمّار: فإنك كنت فيهم فهم خمسة عشر، فقال الرجل: مهلا، أذكرك الله أن تفضحنى، فقال عمار: والله ما سميت أحدا منهم ولكنى أشهد أن الخمسة عشر رجلا، فاثنا عشر منهم حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (غافر: 52).

وقد أعلن عمار رضوان الله عليه أن منهم معاوية وعمرو فى روايات صحيحة قال الهيثمى (2) «وعن سفينة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا

ص: 280

1- (1) المغازى - الواقدى - ص 207.

2- (2) قال تقى الدين المكى «أبو الحسن الهيثمى على بن أبى بكر بن سليمان بن أبى بكر بن عمر بن صالح المصرى الشافعى الامام الأوحد الزاهد الحافظ نور الدين أبو الحسن ولد فى شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فلما كان قبيل الخمسين صحب الحافظ أبا الفضل العراقى ولازمه أشد ملازمة إلى أن بلغ حمامه فخدمه وانتفع به وصاهره على ابنته فرزق منها أولادا وحصل له بركته فسمع معه غالب مسموعاته وكتب الكثير من مصنفاته وربما سمع الشيخ أحيانا بقراءته،

فمر رجل على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق فقال لعن الله القائد والسائق والراكب. رواه البزار ورجاله ثقات.

وعن المهاجر بن قنفذ قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على بعير فقال الثالث ملعون. رواه الطبراني فى الكبير ورجاله ثقات.

وعن سعد بن حذيفة قال قال عمار بن ياسر يوم صفين وذكر أمرهم وأمر الصلح فقال والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعوانا أظهروه. رواه الطبراني فى الكبير وسعد بن حذيفة لم أر من ترجمه»⁽¹⁾ وليس يذكر

ص: 281

1- (1) مجمع الزوائد - الهيثمى - ج 1 - ص 113.

فى كتب الحديث والرجال غير سعد بن حذيفة وهذا عدّه ابن حبان فى الثقات(1).

وقد وصفهم بالمستسلمين لا المسلمين غير عمار من الصحابة! روى ابن عساكر(2) بطريقين عن محارب بن دثار قال «كان مروان على المدينة فأمر الناس أن يبايعوا ليزيد وأرسل إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أهل الشام يدعوهم إلى البيعة، قال: فخرج رجل أشعث أغبر ربّ الهيئة، فقال: يأمرنى مروان أن أبايع لقوم ضربتهم بسيفى حتى أسلموا ولكن استسلموا، فقال أهل الشام: مجنون».

فهم استسلموا عند فتح مكة ولم يسلموا! لذا ذكر ابن حجر عن بعضهم ان ائمة الكفر منهم ابو سفيان!.

ومن الملفت للنظر أن الهيثمى يروى خبر عمّار فى ذم معاوية وعمرو مع أخبار لعن أصحاب البعير! فمن هم هؤلاء الذين أخفى التاريخ أسماءهم حتى صار بعيرهم أشهر منهم؟!.

هم أبو سفيان ومعاوية وأخوه، ذكر ذلك مزاحم المنقرى وقال(3) عن «نصر، عن بليد بن سليمان، حدثنى الأعمش، عن على بن الأقرم قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايته. فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدثنا ما شهدت ورأيت. قال: إن هذا أرسل إلى - يعنى معاوية - فقال: لئن بلغنى أنك تحدث لأضربن عنقك. فجثوت على ركبتي بين يديه ثم قلت: وددت أن أحد سيف فى جندك على عنقى. فقال: والله ما كنت

ص:282

1- (1) الثقات - ابن حبان - ج 4 - ص 294.

2- (2) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 21 - ص 89.

3- (3) وقعة صفين - ابن مزاحم المنقرى - ص 220.

لأقاتلك ولا أقتلك. وأيم الله ما يمنعني أن أحدثكم ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه. رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إليه يدعوه - وكان يكتب بين يديه - فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه فهل ترونه يشبع؟ قال: وخرج من فج فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه، أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم العن القائد والسائق والراكب". قلنا: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وإلا فصممت أذناي، كما عميتا عيناي»..

وقد تعرضت هذه الرواية الى تشويه يهدف الى حصر اللعن في شخصية واحدة من هذه الشخصيات الثلاث، بهدف التقليل من التأثير السلبي للرواية على المعنيين، بها إذ رويت بصيغة أخرى في مجمع الزوائد (1) وهي «عن المهاجر بن قنفذ قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على بعير فقال الثالث ملعون» إذ أدت هذه الصيغة المطلوب منها فضلاً عن ان هذه الصيغة حُرِّفَتْ أيضاً! فقد فسرها المناوى في شرح الجامع الصغير بقوله (2) «(الثالث) أى الإنسان الذى ركب على البهيمة وعليها اثنان فكان هو الثالث وكانت لا تطيق ذلك، (ملعون) أى مطرود عن منازل الأبرار يطهر بالنار فقوله (يعنى على الدابة) مدرج من كلام الراوى لا من تنمة الحديث فلو بيته المصنف لكان أولى ثم إنه إنما قال فى ثلاثة أقبلوا من سفر على هذه الهيئة فالكلام فى ثلاثة مخصوصة ودابة معينة فلا يلزم منه حرمة ركوب أى ثلاثة كانوا على أية دابة»!!

ص: 283

1- (1) مجمع الزوائد - الهيثمى - ج 1 - ص 113.

2- (2) فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوى - ج 3 - ص 447.

وقد روى ابن عساكر (1) وابن كثير (2) والشوكاني (3) واللفظ له «أخرج ابن أبي خيثمة وابن عساكر عن الربيع بن أنس قال: لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى فلانا، وهو بعض بنى أمية على المنبر يخطب الناس، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله:

(وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) سورة الأنبياء - 111.

والمعنى هو معاوية بن أبي سفيان، وإن كانت القصة قد دفت بشكل نهائي بهذا اللفظ لكن القصة المماثلة والتي هي (أخف وطأة) وجدت لها متنفساً لتظهر بشكل خجول على صفحات بعض الكتب فقد روى ابن عساكر (4) ابن كثير (5) «قال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد، عن سفيان الثوري، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت بنى أمية يصعدون منبري فشق ذلك على فأنزلت: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) سورة القدر - 1. فيه ضعف وإرسال.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا عبد الله بن نمير، عن سفيان الثوري، عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله: (وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) سورة الإسراء - من الآية 60 قال: رأى ناساً من بنى أمية على المنابر فسأه ذلك، فقيل له: إنما هي دنيا يعطونها وتضمحل عن

ص: 284

-
- 1- (1) تاريخ مدينة دمشق - ج 57 - ص 342.
 - 2- (2) البداية والنهاية - ابن كثير - ج 10 - ص 53.
 - 3- (3) فتح القدير - الشوكاني - ج 3 - ص 433-434.
 - 4- (4) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 57 - ص 341-342.
 - 5- (5) البداية والنهاية - ابن كثير - ج 10 - ص 53.

وروى ابن حجر (1) عن البخارى الحديث «يهلك الناس هذا الحى من قريش، قالوا فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم». وقال فى شرحه عليه «قوله: فقال مروان لعنة الله عليهم غَلَمَة) فى رواية عبد الصمد لعنة الله عليهم من أغيلمة، وهذه الرواية تفسر المراد بقوله فى رواية المكى فقال مروان غلمة كذا اقتصر على هذه الكلمة فدلّت رواية الباب أنها مختصرة من قوله لعنة الله عليهم غلمة فكان التقدير غلمة عليهم لعنة الله أو ملعونون أو نحو ذلك، ولم يرد التعجب ولا الاستثبات (قوله فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت) فى رواية الإسماعيلي من بنى فلان وبنى فلان لقلت وكأن أبا هريرة كان يعرف أسمائهم وكان ذلك من الجراب الذى لم يحدث به وتقدمت الإشارة إليه فى كتاب العلم، وتقدم هناك قوله لو حدثت به لقطعتم هذا البلعوم (قوله فكنت أخرج مع جدى) قائل ذلك عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو وجده سعيد بن عمرو وكان مع أبيه لما غلب على الشام ثم لما قتل تحول سعيد بن عمرو إلى الكوفة فسكنها إلى أن مات (قوله حين ملكوا الشام) أى وغيرها لَمَّا ولوا الخلافة وإنما خُصَّت الشام بالذكر لأنها كانت مساكنهم من عهد معاوية (قوله فإذا رأهم غلمانا أحداثا) هذا يقوى الاحتمال الماضى وأن المراد أولاد من استخلف منهم وأما تردده فى أيهم المراد بحديث أبى هريرة فمن جهة كون أبى هريرة لم يفصح بأسمائهم، والذى يظهر أن المذكورين من جملتهم وأن أولهم يزيد كما دل عليه قول أبى هريرة رأس الستين وإمارة الصبيان فإن يزيد كان غالبا ينتزع الشيوخ من إمارة البلدان الكبار ويوليها الأصغر من أقاربه».

ص: 285

والحديث كله يشير الى بنى أمية! وأما قوله وأولهم يزيد فهذا من جراب ابن هريرة!

وحتى هذه الرواية لم تنج بنفسها من التضليل، فقد أخفى جزء منها وقطعت أوصالها في بعض الكتب كما في الدر المنثور إذ قال السيوطي (1) «أخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن الربيع بن أنس رضى الله عنه قال لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين يقول هذا الملك»..

وأنت لا تفهم شيئاً من الرواية فقد أخفوا ما أخفوه منها!.

وقد جدّ حذيفة وعمار في فضح رؤوس النفاق ومرضى القلوب وأشهرهم أبو سفيان ومعاوية وعمرو فنراهم يصرحون بلا مرية بأنهم كفار في باطنهم ومن موافقهم ما رواه نصر بن مزاحم في (وقعة صفين) (2) عن يحيى بن يعلى، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة عن زيد بن أبي رجاء، عن أسماء بن الحكم الفزاري قال «كنا بصفين مع على بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر، ارتفع الضحى - استظللتنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يستقرى الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال: إن لى حاجة إليك فأنطق بها علانية أو سرا؟ قال: اختر لنفسك أى ذلك شئت. قال: لا، بل علانية. قال: فأنطق. قال: إنى خرجت من أهلى مستبصراً فى الحق الذى نحن عليه لا أشك فى ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتى هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادينا فشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونادى بالصلاة، فنادى مناديتهم

ص: 286

1- (1) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي - ج 4 - ص 342.

2- (2) وقعة صفين - ابن مزاحم المنقري - ص 320-322.

بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتابا واحدا، ورسولنا واحد، فأدركنى الشك فى ليلتى هذه، فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت: لا. قال: فالحق فانظر ما يقول لك فاتبعه. فجتتك لذلك. قال له عمار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتى فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هى بخيرهن ولا أبرهن، بل هى شرهن وأفجرهن. أشهدت بدرا وأحدا وحنينا أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لو ددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقا للذى نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعته وذبحته. والله لدمأؤهم جميعا أحلّ من دم عصفور. أفترى دم عصفور حراما؟ قال: لا، بل حلال. قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم، أترانى بينت لك؟ قال: قد بينت لى. قال: فاختر أى ذلك أحببت. قال: فانصرف الرجل ثم دعاه عمار بن ياسر فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا. والله ما هم من الحق على ما يقذى عين ذباب. والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل. وأيم الله لا يكون سلما سالما أبدا حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم فى الجنة وموتاهم. ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم فى الجنة، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم فى النار،

وكان أحياءهم على الباطل».

وروى الحاكم فى المستدرک (1) بسند صحيح عن سعد بن حذيفة بن اليمان قال «رفع إلى حذيفة عيوب سعيد بن العاص فقال: ما أدري أى الأمرين أردتم تناول سلطان قوم ليس لكم، أو أردتم رد هذه الفتنة فإنها مرسله من الله ترتعى فى الأرض حتى تطأ خطامها ليس أحد رادها ولا أحد مانعها وليس أحد متروك يقول الله الله إلا قتل، ثم يبعث الله قوما قزعا كقزع الخريف قال القزع القطعة من السحاب الرقيق كأنها ظل إذا مرت تحت السحاب الكبير». قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقد ورد فى روايات أهل البيت أن هؤلاء القوم الذين وصفتهم الروايات انهم كقزع الخريف هم أصحاب الإمام المهدي عليه السلام الذى يملأها عدلاً وقسطاً.

ص: 288

1- (1) المستدرک - الحاكم النيسابورى - ج 4 - ص 503.

قال ابن تيمية: قال تعالى:

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ) (النمل: 59).

قال طائفة من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها:

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33)) (فاطر 32-33).

فأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى وقد أخبر الله أنهم الذين اصطفى»(1).

ص: 289

اختلف السلف بين من يقول أن المصطفين هم الأنبياء، وبعضهم قال بأنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ولو أورش الله هؤلاء الصحابة الكتاب فكيف يختلفون فيه إلى حد الحرق وغلّ المصاحف وقراءة على سبعة أوجه وعشرة أوجه، وضرب السياط على من يقرأ قراءة حمزة أحد القراء السبعة.. قال سليمان ابن الأشعث (1) «سمعت أبا داود يقول: سمعت أحمد بن سنان يقول: كان يزيد يكره قراءة حمزة كراهية شديدة. قال أبو داود: سمعت ابن سنان يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: لو كان لى عليه سلطان على من يقرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره ويطنه».

وكيف تتقاتل هذه الأمة بين أبنائها حتى يُقتل من المسلمين سبعون الفاً ثم تقتل الأمة سبى النبي بأشع قتلة، وتحرق الكعبة، وتهتك أعراض النساء فى دار هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى غيرها من الطامات! نعم إن الأمة مصطفاة وليس أبنائها على التعميم الذى يريده ابن تيمية وأتباعه وإنما يعمّمون حتى يدخلوا طامات الأمويين مع حسنات غيرهم بحجة الأمة الواحدة!

وكيف اختلفوا فى تفسير الكتاب إلى هذا الحد وهم وارثوه؟! فلو كان الله قد أورثهم الكتاب وهو يعلم بأنهم سيختلفون الى الحد الذى يقولون فيه بأرائهم فتطير المعانى ذات اليمين وذات الشمال تبعا لجهل صاحبة او علمه فما اللطف فى ذلك وهو اللطيف؟!

ثم إن الله تعالى يقول «وسلام على عباده الذين اصطفى» وقوله تعالى «ثم

أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» وذكر «عبادنا» ولم يكن هناك تفصيل عند ابن تيمية: لم خص المذكورين هنا بلفظ «العباد» دون غيره؟!!!

إن إضافة العباد إليه تعالى بقول (عباده) وقوله (عبادنا) يفيد أنهم من أرقى شرائح المؤمنين وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن اثنا عشر مرة وهو من لطائف الإشارات قال تعالى:

عبدنا: 5 مرات وقد وصف به أنبياء الله نوح وداود وإيوب ومحمد (لمرتين) صلى الله عليهم اجمعين.

عبده: 7 مرّات وقد وصف الله النبي محمد صلى الله عليه وآله بأنه (عبده) خمس مرات وذكريا عليه السلام مرة واحدة

عبدا: 6 مرّات

العبد: 7 (مشتق العبادة)

عباده: 34 مرّة

عبادي: 17 مرّة

عبادنا: 12 مرّة

العباد: 2 مرّة

عبدين: 2 مرّة

عباد: 4 مرّة

عبادا: 2 مرّة

عبادك: 7 مرّات

ص: 291

والذى يظهر بعد التأمل أن العباد يختلفون عن العبيد فى المصطلح القرآنى إذ ورد مصطلح (العبيد) فى خمسة مواضع هى:

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) (آل عمران: 182).

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) (الأنفال: 51).

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) (الحج: 10).

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت: 46).

(مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) (ق: 29).

وهى وان لم تكن صريحة فى الذم ولكنها مرتبطة بالحساب وبالتالى العدل الربانى من العقاب وهى إشارة الى هوية هؤلاء.

أما العباد فقد اختص المصطلح بالاصطفاء لمرتين قال تعالى:

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) (النمل: 59)

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر: 32).

ثم ثنى الله بدخولهم الجنة فقال:

«جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِيَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)» فاطر 33-35.

وقد وصف به أنبياء الله نوح وداود وأيوب ومحمد (لمرتين) صلى الله عليهم أجمعين بأن أطلق لفظ (عبدنا) على كل واحد منهم، وجاء لفظ (عبادنا) في اثني عشر مورداً في القرآن كلها مع المعصومين أو الممدوحين، فهؤلاء العباد داخلون للجنة كلهم وهذا لا ينطبق على الصحابة الذين روى محدثو أهل السنة روايات ارتداد بعضهم ومنع بعضهم من الحوض كما في البخاري (1) «عن سهل بن سعد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إنى فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم قال أبو حازم فسمعنى النعمان بن أبى عياش فقال هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: اشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته وهو يزيد فيها فأقول إنهم منى فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدى، وقال ابن عباس سحقا بعدا يقال سحيق بعيد سحقه واسحقه أبعده».

فكيف يرثون الكتاب ويُختتم لهم بالجنة ووفى رواية أخرى في البخاري (2) عن النبي صلى الله عليه وآله «حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم قلت

ص: 293

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 7 - ص 207-208.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 7 - ص 208-209.

أين قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» (1).

وفى رواية أخرى للبخارى (2) «عن ابن شهاب عن ابن المسيب انه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلّون عنه فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري».

فكيف ولم يبق منهم إلا مثل همل النعم؟! علما إن بعض الصحابة شرب الخمر وبعضهم قتل النفس المحترمة وبعضهم ارتدّ ولحق بالنصارى وبعضهم كان يقبل الرشى حتى يكذب على النبي صلى الله عليه وآله إذ نقل إبراهيم بن محمد الثقفي عن أبي جعفر الاسكافي المعتزلى قوله (3) «إن معاوية - لعنه الله - بذل لسمرّة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (205)) سورة البقرة.

وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم الملعون وهى:

ص: 294

-
- 1- (1) قال ابن الأثير «حديث الحوض" فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم" الهمل: ضوال الإبل، واحدها: هامل. أى إن الناجى منهم قليل فى قلة النعم الضالة» /النهاية فى غريب الحديث - ابن الأثير - ج 5 - ص 274.
 - 2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 7 - ص 208.
 - 3- (3) الغارات - إبراهيم بن محمد الثقفى - ج 2 - ص 840-843.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ) (البقرة: 207).

فلم يقبل فبذل له مائتي ألف، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل.

بينما العباد المصطفون داخلون للجنة وممدوحون في كل القرآن ولو أخذنا موارد «عبادنا» لوجدنا قوله تعالى:

(لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: 24).

وقوله تعالى:

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاءَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (الكهف: 65).

وقوله تعالى:

(تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) (مريم: 63).

وقوله تعالى:

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر: 32).

ووصف تعالى نوح فقال:

(إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (الصافات: 81).

ص: 295

ووصف تعالى إبراهيم فقال:

(إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (الصفات: 111).

ووصف موسى وهارون فقال:

(إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (الصفات: 122).

ووصف تعالى الرسل فقال:

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) (الصفات: 171).

وذكر الأنبياء فقال:

(وَإِذْ كُنَّا عِبَادِنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) (ص: 45).

وقال تعالى:

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى: 52).

وقال تعالى:

(صَدَّرَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) (التحریم: 10).

لذا فارتباط (عبادنا) بالرسل فقط في القرآن يشير الى كون (عبادنا) خاصة للمعصومين فقد اضافهم الله لنفسه لذا فقولته تعالى:

ص: 296

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ) (النمل: 59).

لذا فأورثهم الله الكتاب لعدم تناقضهم فيه وكلهم واحد قال تعالى:

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)) فاطر 32-34.

وقوله تعالى:

(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

هو إخبار عن حال الذين أورثهم المصطفون الكتاب فيهم لا حال المصطفين أنفسهم كيف وهم ممدوحون ومختوم لهم بالجنة.

وقد يُطعن بهذا الفهم (للعباد) بالآية القرآنية:

(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (يس: 30).

وسيقال بأن العباد هنا مُتَحَسِّرٌ عليهم لكونهم في انحراف! فكيف يُمدح هؤلاء؟!!

والجواب:

إن جمعا من الصحابة إضافة لقراءة اهل البيت عليهم السلام قرأوا «يا

ص: 297

حسرة العباد» وعُدَّ منهم أبي بن كعب وابن عباس وقتادة والإمام زين العابدين عليهم السلام(1) وبالتالي يكون العباد هم المتحسرون لا المتحسّر عليهم! فيسقط الاعتراض.

أما قوله تعالى:

(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ*) .

فهى قد لا تكون راجعة على العباد بل على ما قبلها.

لذا لا يجوز تطبيق الآية على الصحابة بل على من أشارت لهم الآيات! وهم الأئمة الاثنا عشر كما جاء عن طرق أهل البيت عليهم السلام:

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه زين العابدين عليه السلام قال:

«ما بعث الله نبيا إلا أعطاه من العلم بعضه ما خلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أعطاه من العلم كله فقال:

(تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) (النحل: من الآية 89).

وقال لموسى:

(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) (الأعراف: من الآية 145)».

وقال:

(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) (النمل: من الآية 40).

ولم يخبر أن عنده علم الكتاب، والمن لا يقع من الله على الجميع وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: 298

1- (1) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسى - ج 3 - ص 138 و تفسير الطبرى - ج 23 - ص 4 وغيره من تفاسير أهل السنة.

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) (فاطر: من الآية 32).

فهذا الكل ونحن المصطفون، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: رب زدنى علما، فهي الزيادة التي عندنا من العلم الذي لم يكن عند أحد من الأوصياء والأنبياء ولا ذرية الأنبياء غيرنا، فهذا العلم علمنا بالبلايا والمنايا وفصل الخطاب»(1)

قد أراد ابن تيمية شيئا وأراد الله شيئا قال تعالى:

(قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) (النحل: 26).

قال ابن تيمية «وقال تعالى:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسَّ تَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسَّ تَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55).

فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرا عظيما، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه لهم كما قال تعالى:

(وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: من الآية 3).

وبدلهم من بعد خوفهم أمنا، لهم منه المغفرة والأجر العظيم، وهذا يستدل

ص: 299

1- (1) تفسير فرات الكوفي - فرات بن إبراهيم الكوفي - ص 145.

به من وجهين يستدل به على أن المستخلفين مؤمنون عملوا الصالحات لأن الوعد لهم لا لغيرهم ويستدل به على أن هؤلاء مغفور لهم ولهم مغفرة وأجر عظيم لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فتناولتهم الآياتان آية النور وآية الفتح، ومن المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثمان فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف وتمكّن الدين والأمن بعد الخوف لما قهروا فارس والروم، وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وإفريقية، ولما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئاً من بلاد الكفار بل طمع فيهم الكفار بالشام وخراسان وكان بعضهم يخاف بعضاً، وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن، والذين كانوا في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن وأدركوا زمن الفتنة كعلي وطلحة والزبير وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمر وبن العاص دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكّنوا وأمنوا⁽¹⁾.

الجواب:

ما الدليل على حصر الاستخلاف والأمن على فترة حكم الثلاثة دون سواهم مع أن الآية مطلقة تفيد زماناً قابلاً للاستمرار لا الانقضاء.

ثم إن الآية لم تتحقق إلى الآن فقوله تعالى:

(وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) .

فالأمة في زمان أبي بكر وعمر إذ خلطوا حقاً وباطلاً كانت ساكنة لا تعرف ماذا كسبت لآخرتها من دنياها، وقد رأيت ذلك عياناً في زمن عثمان حيث سلط

ص:300

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدريّة - ابن تيمية - ج 1 - ص 223-225.

أقاربه على رقاب الناس، ولما تحركت الأمة لم تهناً بثورتها، فتسلط عليها معاوية والذي يقول في عصره أمير المؤمنين عليه السلام(1):

«أما بعد أيها الناس. فأنا فقأت عين الفتنة، ولم تكن ليحراً عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبيها واشتد كلبها. فاسألوني قبل أن تفقدوني. فوالذي نفسى بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ويموت منهم موتاً. ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين. وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق، وضافت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم. إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت. ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات. يحمن حول الرياح يصبن بلداً ويخطئن بلداً. ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمى عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدى. كالناب الضروس تعذب بفيها وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه. والصاحب من مستصحبه. ترد عليكم فتنهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية. ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة».

ص: 301

1- (1) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 1 - ص 182-184.

وقد أشارت الزهراء عليها السلام إلى ذلك فقالت(1) لساء المهاجرين والأنصار في علتها التي استشهدت فيها «أصبحت عاتفة لديناكم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد، وخور القناة وخطل الرأي.

(لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ) (المائدة: من الآية 80).

لقحت، فنظرة ريشما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا، وذعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما أسس الأولون. طم طيبوا عن أنفسكم أنفسا، واطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فينكم زهيذا، وجمعكم حصيدا، فيا خسرى لكم، وأنى بكم وقد عميت عليكم:

(أَنْزَلْنَاهُمْ مَكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) (هود: من الآية 28).

والحمد لله رب العالمين، والصلاة على أبي سيد المرسلين".

فأين الأمن المدعى؟! وهذه الآية لن تنطبق إلا على زمان القائم المهدي عليه السلام الذي سيملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

ولأبي الصلاح الحلبي(2) رد على من استدل بالآية على فترة الخلفاء الثلاثة إذ يقول «افتقارهم في تخصيصهم بها إلى إقامة برهان على ثبوت صفات المذكورين فيها لهم، وثبوته يغنى عن الآية في المقصود باتفاق، وإذا تعذر ذلك عليهم خرج

ص: 302

1- (1) دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعة) - ص 128-129.

2- (2) تقريب المعارف - أبو الصلاح الحلبي - ص 374-376.

الظاهر من أيديهم بغير إشكال. ومنها: أنه لا يخلو أن يكون المراد بالاستخلاف المذكور في الآية توريث ديار الكفار، كقوله تعالى:

(وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)، (وَ أَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطُوهَا)، (وَ يَسِّرْ تَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)، (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ)، (إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ).

أو الخلافة على العباد وتديير البلاد، كآدم عليه السلام في قوله:

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً).

وطالوت في قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا).

وداود في قوله:

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ).

وسليمان في قوله سبحانه:

(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ).

وقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ).

وهارون عليه السلام في قوله تعالى:

(وَ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ اصْلِحْ).

ورسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى:

(وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

فكان للناس، وعلم من دينه صلوات الله عليه وآله كونه خليفة على أهل الأرض ورئيسا لجميعهم. أو ظاهر التصرف في البلاد وأهلها بالقهر والاضطرار. فإن كان أراد الأول فلا مزية لبعض المستخلفين في الديار على بعض، وليس من الخلافة المطلوبة في شيء. وإن أراد على الوجه الثاني فهو خطاب لغيرهم، لعدم النص أو ما يستند إليه من المعجز على استخلافهم، كاستخلاف من ذكرناه من الأنبياء عليهم السلام. ولا يعترض هذا قولهم: أن ثبوت خلافتهم من اختيار مأذون لهم فيه يقتضى إضافتها إليه تعالى من وجوه: أحدها: أنه مبنى على أن الله تعالى قد نص على الاختيار، وقد بينا فساد ذلك. ومنها: أن من أذن لغيره أن يختار وكيفا لنفسه أو صيا من بعده فاختار، فإن الوكيل وكيل له والوصى كذلك، دون من أذن له، ولا يقول أحد: هذا وصى فلان، وهذا وكيله، وإن كانت الوكالة والوصية باذنه. ومنها: أن ظاهر الآية يقيد وقوع الاستخلاف للمذكورين فيها به تعالى، كاستخلاف من قبلهم، وقد علمنا أن الله تعالى لم يستخلف واحدا منهم باختيار الأمة، وإنما دل على ذلك بمعجز أو نص يستند إلى معجز، فيجب كون المستخلفين بها كذلك. وهذا يختص الآية بأئمتنا عليهم السلام، لثبوت النص من الكتاب والسنة والمعجز على خلافتهم. ولا يجوز أن يريد تعالى الاستخلاف على الوجه الأخير، لأنه سبحانه أضافه إليه، وذلك يقتضى حسنه وإباحة التصرف له، وتملك البلاد والعباد على جهة الغلبة قبيح لا يجوز إضافته إليه سبحانه، ولا يحسن معه التصرف على كل حال. فإن جاز للمجبرة إضافة خلافتهم إلى الله تعالى - من حيث تم لهم تملك أمر الأمة وتصريفهم على إرادتهم

دد لم يجز ذلك لأهل العدل، ويلزمهم عليه إضافة خلافة كل متغلب إلى الله تعالى من بنى أمية وبنى عباس، بل عباد الأصنام، فإن التزموا ذلك ارتفعت المزية، ولم ينازعهم في استحقاق القوم سمة الخلافة على الوجه الذى يستحقه كل متغلب وظالم، إذ ذلك صريح مذهبنا المدلول عليه، وليس مما يريدونه فى شىء، وإنما يمنعهم من إثبات خلافتهم على وجه يحسن معه إضافتها إلى الله تعالى حسب ما اقتضته الآية، فأما على وجه يقبح لا يجوز مع إضافتها إلى الله تعالى فغير منازعين فيه، والآية أجنبية منه».

وهو كلام جميل فى المقام.

قال ابن تيمية «فإن قيل: لم قال:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: من الآية 29).

ولم يقل وعدهم كلهم قيل: كما قال:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) (النور: من الآية 55).

ولم يقل وعدهم و (من) تكون لبيان الجنس فلا يقتضى أن يكون قد بقى من المجرور بها شىء خارج عن ذلك الجنس كما فى قوله تعالى:

(فَأَجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) (الحج: من الآية 30).

فإنه لا يقتضى أن يكون من الأوثان ما ليس برجس وإذا قلت ثوب من حرير فهو كقولك ثوب حرير، وكذلك قولك باب من حديد كقولك باب حديد وذلك لا يقتضى أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذى يتصوره كليا فإن الجنس الكلى هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وإن لم

يكن مشتركاً فيه في الوجود فإذا كانت من لبيان الجنس كان التقدير وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذا الجنس وإن كان الجنس كلهم مؤمنين مصلحين...»(1).

الجواب:

اختلف النحويون في المراد من قوله تعالى (منهم) فمنهم من قال هي للجنس ومنهم من قال هي للتبعيض كما نقل ذلك النحاس(2) والزجاج(3) وجزم الزمخشري بأنها للتبعيض(4)، ولو تركنا أقوال المفسرين والنحويين وأغراضهم المذهبية والعصبية واتجهنا إلى ما هو ملموس من البشر من يوم وجدوا على الأرض والى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلن نجد جماعة بهذا العدد معصومة إلى الدرجة التي يشملها الله كلها بالجنة والرضوان لأنهم كلهم مؤمنون عاملون للصالحات، أجمعون، أكتعون، أبصعون!! كيف وقد روى أهل السنة قبل غيرهم اختلاج الكثير من الصحابة عن الحوض فأين ذهب النفاق والطمع وحب الدنيا وغيرها مما تجده ماثلاً في الروايات التي تنقل أجواء تاريخهم، قال السيد الطباطبائي(5) «والذي يمتاز به الصدر الأول من المسلمين هو أن مجتمعهم كان مجتمعاً فاضلاً، يقدمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويغشاهم نور الإيمان ويحكم فيهم سيطرة الدين، هذا حال مجتمعهم من حيث إنه مجتمع، وإن كان

ص:306

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 226.

2- (2) تفسير السمعاني - ج 5 - ص 211.

3- (3) تفسير زاد المسير - ج 7 - ص 175.

4- (4) الكشاف - الزمخشري - ج 2 - ص 514.

5- (5) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج 4 - ص 417-418.

يوجد بينهم من الأفراد الصالح والطالح جميعاً وفي صفاتهم الروحية الفضيلة والرذيلة معا وكل لون من ألوان الأخلاق والملكات. وهذا هو الذى يذكره القرآن من حالهم ويبيئه من صفاتهم قال تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: 29).

فقد بدأ تعالى بذكر صفاتهم وفضائلهم الاجتماعية مطلقة وختم بذكر المغفرة والأجر لأفرادهم مشروطة).

والغريب من أهل السنة أنهم يؤوّلون ما يرد من أخبار فى ما سيحدث من شر فى الأمة بأنه لا يمكن لكونها أفضل الأمم، ويتناسون ما روه بأن السنن التاريخية لا تتغير وان البشر هم أنفسهم بصفاتهم السيئة فى كل زمان ومكان، ثم إن النبى صلى الله عليه وآله انذر أن سيحصل فى هذه الأمة ما حصل فى الأمم من قبلها إذ روى الحاكم عن إبراهيم بن همام قال(1) «كنا عند حذيفة فذكروا من لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون.. فقال رجل من القوم: إن هذا فى بنى إسرائيل، فقال حذيفة: عم الإخوة بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر كلا والذى نفسى بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفى معناه أحاديث عدة أجمعت

ص: 307

الأمة عليها فهي حجة ودليل قاطع على ما يلتمسه الإنسان من عموم الناس وموقفهم من الشريعة، وخير من حلال طبيعة الناس تجاه الدنيا الإمام الحسين عليه السلام إذ يقول(1) «إن الناس عبید الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معانثهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون».

وهو ما يحصل دائماً وأول من يحصل منهم هم بعض الملتفتين على المصلحين والأنبياء والأئمة فهم أقرب إلى مصدر الجاه والسلطة الدينية التي تهيمن على قلوب الناس، وعندها يكون الاختبار العظيم بين النوازع الشخصية السيئة ومحاولة تجيير هذه السلطات للنفس وجعلها الغاية، وبين تطويعها لخدمة المبدأ الذي يشترك به مع الملتفتين حوله ليكون واحدا منهم بدل أن يكون فوقهم، والذي حصل أن الناس حديثو عهد بالإسلام فلما بايعوا علياً في خم قالوا: انه ابن عمه فلا مشكلة، ولما رأوا أنهم في السقيفة بايعوا أبا بكر قالوا: احد أسن أصحابه ومن عشيرته فلا فرق ما داموا قد ارتضوه في عشيرته.

وهذا حق، فالناس لم تكن تعرف التفاصيل الشرعية والدقائق وموجبات الردة والكفر وما حدود الطاعة، وإلا لما كانوا يردون على النبي صلى الله عليه وآله كلامه تارة ويعصونه تارة أخرى، روى البخارى في صحيحه قصة صلح الحديبية إلى قوله(2) «... فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف

ص:308

1- (1) تحف العقول - ابن شعبة الحرّاني - ص 245.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 3 - ص 182.

به؟ قال: بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بعرزاه فوالله انه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك انك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال فإنك آتية ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا، ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ..). (الممتحنة: من الآية 10).

فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة».

فانظر كيف يكلم عمر النبي صلى الله عليه وآله بهذا الأسلوب الخشن وعمر مسلم منذ خمسة عشر عاما في هذه الواقعة! وانظر كيف يستمر عمر بزواجه من مشركة تعبد الأوثان لخمس عشرة عاما بعد إسلامه! أفهل يقول قائل إنهم يعرفون الإسلام؟! بل كان بعضهم لا يرى لكلام النبي صلى الله عليه وآله وزنا أكثر من كلامه! نقل ابن أبي الحديد في شرحه على النهج شرب معاوية بآنية الذهب والفضة ونقل استنكار أبي الدرداء لذلك فقال له «إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إن الشارب فيها ليحجر في جوفه نار جهنم)، وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أبدا».(1)

ولهذا الحديث وغيره حكم الشيعة وبعض أهل السنة (المعتزلة) على معاوية بالنفاق لكون من يجعل كلامه بمنزلة كلام النبي لا يرى للنبي صلى الله عليه وآله فضلا عليه وهذا من النفاق بل الكفر.

ص: 310

المنافقون فى زمان النبى... مغمورون مقهورون!

قال ابن تيمية «وبالجملة فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين أذلاء مقهورين لا سيما فى آخر أيام النبى صلى الله عليه وسلم وفى غزوة تبوك لأن الله تعالى قال:

(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: 8).

فأخبر أن العزة للمؤمنين لا- للمنافقين فعلم أن العزة والقوة كانت فى المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم، فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعزّ المسلمين من المنافقين، بل ذلك يقتضى أن من كان أعزّ كان أعظم إيماناً ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الخلفاء الراشدين وغيرهم كانوا أعزّ الناس، وهذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين فى المؤمنين فلا يجوز أن يكون الأعزاء من الصحابة منهم، ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من الرافضة وغيرهم والنفاق والزندقة فى الرافضة أكثر منه فى سائر الطوائف، بل لا بد لكل منهم من شعبة نفاق فإن أساس النفاق الذى بنى عليه الكذب وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس فى قلبه كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون

بأسنتهم ما ليس فى قلوبهم، والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسميه التقية وتحكى هذا عن أئمة أهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك حتى يحكوا عن جعفر الصادق أنه قال: التقية دينى ودين أبائى.

وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمان وكان دينهم التقوى لا التقية وقول الله تعالى:

(لَا يَجِدِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّبِعُوا مِنْهُمْ نُفَاةً وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (آل عمران: 28).

إنما هو الأمر بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب والله تعالى قد أباح لمن أكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان لكن لم يكره أحد من أهل البيت على شىء من ذلك حتى أن أبا بكر رضى الله عنه لم يكره أحدا لا منهم ولا من غيرهم على مبايعته فضلا أن يكرههم على مدحه والثناء عليه بل كان على وغيره من أهل البيت يظهر ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم والترحم عليهم والدعاء لهم ولم يكن أحد يكرههم على شىء منه باتفاق الناس وقد كان فى زمن بنى أمية وبنى العباس خلق عظيم دون على وغيره فى الإيمان والتقوى يكرهون منهم أشياء ولا يمدحونهم ولا يثنون عليهم ولا يقربونهم ومع هذا لم يكن هؤلاء يخافونهم»(1).

الجواب:

لا أعرف كيف يكون المنافقون أذلاء مغمورون مقهورون ثم تنزل فيهم

ص: 312

سورة قرآنية كاملة! بل أن من يقرأ سورة براءة ويتأمل في أسمائها مثل «الفاضحة» إذ فضحت المنافقين و«المثيرة» أثارت مثالبهم وعوراتهم و«المبعثرة» لأنها بعثرتهم و«الحفارة» لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين هذا وقد نزل معظمها في تبوك في السنة التاسعة للهجرة قبل عام من شهادة النبي صلى الله عليه وآله، فإذا كان هذا حال المنافقين قبل عام من رحيل النبي صلى الله عليه وآله، فما الذي جعلهم يؤمنون فجأة وهم لم يؤمنوا طوال ثلاثة وعشرين عاماً؟!!

وأما قول ابن تيمية «وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعزّ المسلمين من المنافقين».

فيقال:

إن كثرة الآيات القرآنية المدنية التي نزلت في المنافقين تجعلهم مرهوبى الجانب وإلا لما ركزت تلك الآيات على خطر المنافقين وصار خطر المشركين بجنبه صغيراً لا يؤبه له!

ثم ما العزة التي يقصدها ابن تيمية؟ فإن كانت السيطرة المادية الظاهرة فهي في زمان النبي للمسلمين، وإن كان كلام المنافقين في الآية يدل على أنهم يرون لهم قوة لا يستهان بها وإلا لم ظنوا أنهم أعزّ من غيرهم وسيخرجون الأذلّ من المدينة؟!!

لكن باطن الأمور والغرف المظلمة كانت تدل على أمور أخرى وهو عمل دؤوب للمنافقين ومرضى القلوب في سبيل تهديم الإسلام من الباطن، ومن يراجع كتب التاريخ السنّية يجد بعض من يقول ابن تيمية بصحابتهم يظهرون نفاقهم كابى سفيان ابن حرب فى حنين إذ يقول فرحا «لا تنتهى هزيمتهم دون البحر» وكانت

الأزلام معه فى كنانته(1) ويقول كلدة بن حنبل وهو المسلم ظاهرا وقد جاء ليقا تل مع النبى صلى الله عليه وآله «ألا بطل السحر اليوم»(2) ويقول شيبه بن عثمان «اليوم أدرك تأرى»(3) أى من النبى فقد أراد قتل النبى عندما رأى المسلمين وقد انهزموا عن النبى صلى الله عليه وآله!

ولو تم كلامه لما أخبر النبى صلى الله عليه وآله عن طرد بعض الصحابة عن الحوض إذ يذودهم (رجل!) يخرج من بينه وبينهم فيأخذهم ذات الشمال كما ورد فى البخارى.

ثم ما قولهم فيمن سحب النبى وارتد نصرانيا ورووا له الحديث، كربيعة بن خلف الجمحى، أو من ارتد كافرا ثم رجع للإسلام تحت حد السيف كالأشعث بن قيس(4)؟!!!

والظاهر أن العزة التى يفهمها الرجل هى الغلبة ظاهرا وإن كان المقصود رجلا سيئا فى ذاته بينما ما يفهمه أهل البيت هو أن العزة فى طاعة الله، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام «إذا أردت عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل»(5).

ولو تنازلنا عن كل ذلك فقولته تعالى «إن العزة... للمؤمنين» فإيمان على عليه السلام زمن نزول الآية ثابت بإجماع الأمة بمن فيهم الخوارج بينما إيمان غيره

ص:314

- 1- (1) تفسير جامع البيان - الطبرى - ج 2 - ص 347.
- 2- (2) تفسير جامع البيان - الطبرى - ج 2 - ص 347.
- 3- (3) تفسير جامع البيان - الطبرى - ج 2 - ص 347.
- 4- (4) فتح البارى - ابن حجر - ج 7 - ص 3.
- 5- (5) كفاية الأثر - الخزّاز القمى - ص 228.

موضع شك وعليه النزاع فلا يدخلون في هذه العزة إلا بدليل قاطع.

وأما قوله في آية التقيّة «إنما هو الأمر بالاتّقاء من الكفّار لا الأمر بالنفاق والكذب»

قلت:

الواجب أن يقول «إنما هو الأمر بالاتّقاء من الكفّار لا بالاتّقاء من المسلمين»، وإلا فتسميته التقيّة بالنفاق والكذب طعن بالقرآن وبعمل عمّار بن ياسر رضى الله عنه. وبالتالي توصيفه لهذا الصحابي الجليل بالمنافق!

وقد نقلنا عمل ابن عبّاس وأبي حنيفة والحسن البصرى بالتقيّة، وعمل الحنابلة بها أيام فتنة ابن تيميّة.

قال ابن تيميّة «وهكذا أمر أهل السنة مع الرافضة في أبي بكر وعلى، فإن الرافضى لا يمكنه أن يثبت إيمان على وعدالته وأنه من أهل الجنة فضلا عن إمامته إن لم يثبت ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان، وإلا فمتى أراد إثبات ذلك لعلى وحده لم تساعده الأدلة، كما أن النصراني إذا أراد إثبات نبوة المسيح دون محمد لم تساعده الأدلة»(1).

الجواب:

وهذا يضحك الثكلى فلو لم يكن سوى الإجماع على إيمان على واختلافهم على غيره من الثلاثة لكان كافياً، فالنبي يقول «إن الله قد أجاز أمّتي من أن تجتمع على ضلالة» وقد حسّنه الألباني في صحيحته(2).

ص: 315

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيميّة - ج 2 - ص 33.

2- (2) سلسلة الأحاديث الصحيحة - الألباني - ج 3 - ح 1331.

ولو لم يكن سوى قرون العداة لعلى عليه السلام من خلال العوائل الحاكمة التى تخاف من حق آل على فى الخلافة فتعمد إلى محاولة إطفاء نور أفضليته وأحاديث الولاية فيه، وفى الوقت نفسه خلق الأكاذيب للثلاثة لعدم خوفهم من دعوى حق الهى من ذرارهم لكان كافياً، فمع كل هذه الظروف وصل لعلى ما يفوق الثلاثة حتى ألّفوا فيه الخصائص التى لم تكن لغيره.

ولو افترضنا أن ردّة احد الصحابة ثبتت عند أهل السنة فلم يجب أن تكون ردة غيره قد ثبتت أيضاً؟!

وما الرابط بين إيمان احدهم بإثبات إيمان الآخر، مع اختلاف ظروف إيمانهم واختلاف مراتبهم فبعضهم يعبد الله على حرف وبعضهم فى أرقى مراحل الإيمان فلو أخذنا إيمان على وإيمان ابى بكر فعلى عليه السلام لم يعبد وثناً طرفة عين بينما ظل أبو بكر أربعين سنة وهو يعبد الأوثان ويتقرب إليها مشركاً كافراً رجساً نجساً، حتى منّ الله عليه بالنبى منذراً، وأين هذا من على الذى يقول عن نفسه (1) «أنا وضعت فى الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر. وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعتى فى حجره وأنا ولد يضمنى إلى صدره، ويكنفنى إلى فراشه، ويمسنى جسده ويشمنى عرفه. وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه. وما وجد لى كذبة فى قول، ولا خطلة فى فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه

ص:316

علما ويأمرنى بالاعتداء به. ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى. ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبى. ولكنك وزير وإنك لعلى خير»..

وبالتالى فقد اتفقت الأمة الإسلامية على إيمان على عليه السلام وإمامته واختلفت على غيره، فالشيعة وهى شطر عظيم من المسلمين تقول بعصمته وبالنص عليه وبالتالى إيمانه وإمامته والإشاعة والماتريديّة وهم الجزء الأعظم من المسلمين تقول بإيمانه وإمامته واحتياج الناس إليه وعدم احتياجه لغيره وأن الواصل من روايات فى علو منزلته لم يصل مثلها لغيره، إضافة لإيمان وخلافة الثلاثة وخالفوا الشيعة بأفضليته على الثلاثة فقط، والمعتزلة تقول بإيمانه وأكثرهم قال بتفضيله على غيره، وحتى الخوارج لم ينقصوا من عظيم منزلته وإنما قالوا بأن الإمام عليه السلام ارتد بعد قبوله تحكيم الرجال فى كتاب الله، من هنا فقد اتفقت الامة كلها على إيمانه وصحة خلافته وعدم تبديله وتغييره بل وكونه الحد الفاصل بين الجنة والنار، بينما اختلفت الأمة اختلافا عظيما فى غيره ممن تسلط على الأمة بالقهر والغلبة. فالميزة عندنا أننا يمكننا أن نثبت إيمان على وصحة خلافته بينما لا يستطيع غيرنا ذلك، فإنه إن استدل على إيمانهم وخلافتهم بما يقوم لديهم من أدلة كان ذلك لا يلزمنا، وإن استدلوا على إيمانهم وخلافتهم بأدلتنا لم يستطيعوا لكون قولهم سيرجع للحكم بصحة خلافة على وعدم تصحيح خلافة غيره، وبإيمان وتفضيل على وعدم الحكم لغيره، فظهر مدى متانة أدلة مذهبنا

وَأَتَّسَقَهَا وَخَلَوَّهَا مِنَ التَّنَاقُضِ، وَظَهَرَ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ مَدَى ضَعْفِ أَدْلَتِهِمُ الْمَهْلَهْلَةَ، وَكَوْنَهَا أَقْوَالِ رِجَالٍ لَا يَعْضُدُهَا الْقُرْآنُ وَلَا السَّنَّةُ.

قال تعالى:

(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس: 35).

ص: 318

على عليه السلام... كان ظالماً طالباً للدنيا!!

قال ابن تيمية «فإذا قالت له الخوارج الذين يكفرون علياً أو النواصب الذين يفسقونه: إنه كان ظالماً طالباً للدنيا، وإنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفاً من المسلمين حتى عجز عن انفراده بالأمر، وتفرّق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه. فهذا الكلام إن كان فاسداً ففساد كلام الرافضى فى أبى بكر وعمر أعظم، وإن كان ما قاله فى أبى بكر وعمر متوجهاً مقبولاً فهذا أولى بالتوجه والقبول، لأنه من المعلوم للخاصة والعامّة أن من ولّاه الناس باختيارهم ورضاهم من غير أن يضرب أحداً لا بسيف ولا عصاً ولا أعطى أحداً ممن ولّاه مالا واجتمعوا عليه فلم يولّ أحداً من أقاربه وعترته، ولا خلف لورثته مالا من مال المسلمين وكان له مال قد أنفقه فى سبيل الله، فلم يأخذ بدله وأوصى أن يُرد إلى بيت مالهم ما كان عنده لهم وهو جرد قطيفة وبكر وأمة سوداء ونحو ذلك حتى قال عبدالرحمن بن عوف لعمر أتسلب هذا آل أبى بكر؟ قال كلا والله، لا يتحنث فيها أبو بكر وأتحميلها أنا، وقال: يرحمك الله يا أباً بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك، ثم مع هذا لم يقتل مسلماً على ولايته ولا قاتل مسلماً بمسلم، بل قاتل بهم المرتدّين عن دينهم، والكفار حتى شرع بهم فى فتح الأمصار

واستخلف القوى الأمين العبقرى الذى فتح الأمصار ونصب الديوان وعمر بالعدل والإحسان»(1).

الجواب:

لاحظ انه قال قبل قليل «فإن الرافضى لا يمكنه أن يثبت إيمان على وعدالته» فتكلم عن أصل إيمانه من عدمه وربط ذلك بإثبات إيمان أبى بكر مثلاً، ولكنه الآن يتكلم عن إيمانه فى فترة خلافته مع حروبه أم لا، وهذا أمر آخر، وابن تيمية لم يغيب عن هذا ولا جرى ذلك من سهو القلم! ولكنه يعلم انه إن ادعى ذلك لم يستطع، فتكلم عن عدم إمكان إثبات إيمان على إلا بإثبات إيمان أبى بكر ثم تكلم عن فترة خلافة على وما يقوله الخوارج والنواصب عنها!

ثم إن محاولة نسب الكلام للخوارج أو النواصب محاولة فاشلة منه، فالكلام له ولكن كيف يمكن أن يقوله وهو فى الظاهر يتولّى الإمام عليه السلام كخليفة رابع؟!!

وإلا فعلى مذهب من يتولاه كخليفة رابع راشدى (كأهل السنة) فمن الضرورة بطلان ما يقوله النواصب والخوارج بالتالى فأشكاله لا يتوجه أصلاً.

ولا ادرى ما هذا التخليط فما دخل مقام أمير المؤمنين عليه السلام الباسق والذى لا تجد له خطلة فى فعل، ولا سهواً فى كلام، ونشأته فى كنف التوحيد، بالمقارنة مع من كانوا من عبدة الأصنام وملأوا حياتهم بالمعاصى وشرب الخمر والفسق قبل الإسلام ومثلت حياتهم بالبدع والتناقضات بعده؟!!

وما قوله «لأنه من المعلوم للخاصة والعامة أن من ولّاه الناس باختيارهم

ص:320

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 34.

ورضاهم من غير أن يضرب أحدا لا بسيف ولا عصا ولا أعطى أحدا ممن ولاه مالا واجتمعوا عليه فلم يول أحدا من أقاربه وعترته ولا خلف لورثته مالا من مال المسلمين وكان له مال قد أنفقه في سبيل الله فلم يأخذ بدله...».

إلا دليل على خبث سريرته لذا فلا نعجب ممن وصمه بالنفاق من أهل زمانه(1)، وإلا فما قيل هنا عن أمير المؤمنين عليه السلام ينطبق على النبي صلى الله عليه وآله والنبي عيسى بن مريم عليه السلام، فدعوة النبي عيسى كانت دعوة أخلاقية لم يحمل فيها سيفاً ولا عصى بينما يقول النبي «لقد جئكم بالذبح»(2)، وبلغت غزوات النبي ما يقرب من ثمانين غزوة، قتل فيها المئات وترملت فيها المئات ويثم الألو ف هل نقول بالقياس الباطل الذي قاسه ابن تيمية بأن نبوة عيسى أفضل لعدم وجود قتلى وغيره؟! كلا وألف كلا وهذا ما نقوله في علي عليه السلام فهو مأمور بقتال القاسطين والمارقين والناكثين بأمر النبي صلى الله عليه وآله ومدلول على أتباعه بالأوامر الجليلة فلا يقال هذا الكلام في الحروب التي خاضها ثم انه ما بدأ قوماً قط بقتال حتى يقاتلوه فقتاله كان لإحقاق حق وهو الإمام الشرعي فبالتالي يبطل بالضرورة أى إشكال لابن تيمية واتباعه من النواصب على سيرته. بل أن ابن تيمية نسي ما فعله ابو بكر بقتاله للمتوقف في

ص:321

1- (1) قال ابن حجر العسقلاني «ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم ولقوله أنه كان مخذ ولا حيث ما توجه وأنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها وإنما قاتل للرياسة لا للديانة ولقوله أنه كان يحب الرياسة وأن عثمان كان يحب المال ولقوله أبو بكر أسلم شيخاً يدرى ما يقول وعلى أسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه على قول وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل... فألزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم: ولا يبغضك إلا منافق» الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ص 50.

2- (2) مسند احمد - ج 2 - ص 218 / ورجاله رجال الصحيح.

خلافته من قبيل مالك بن نويرة فلم يقل عنه احد انه مرتد بدليل سعى عمر لإقامة الحد على خالد بتهمة قتل مسلم والزنا بزوجه ولم يرد أحد على عمر بأن مالك بن نويرة مرتد! فظهر هنا تدليس ابن تيمية.

والمسألة ليست قولاً مقابل قول حتى يتساقطا للتساوى، فنسقط قول الشيعي لكون الناصبي له قول! بل ينظر في الدليل والأخبار الصحيحة، لهذا كان امتياز الشيعة أعزهم الله لكون دليلهم تام من كتبهم وكتب غيرهم بينما تجد غيرهم يتمسك بعواهن سرعان ما تنهار امام سيل الحقيقة.

والمفترض أن الحوار بين إمامي وآخر من أهل السنة والطرفان متفقان على إيمان على عليه السلام ومختلفان حول مرتبة الإمام عليه السلام فالشيعي يقول انه الخليفة المنصب من الله وهو الذي لا يقاس به أحد والثاني يقول هو الخليفة الرابع وهو بالفضل يأتي رابعاً، الذي يفعله ابن تيمية انه لا يناقش حسب مبانيه في ذلك بل حسب مباني النواصب! فكلما أشكل عليه الجواب يأتي بإشكالات النواصب ليقول: فإذا قلت... قال النواصب! فالمعروف أن الشيعة وأهل السنة يؤمنون ببطلان ما يقوله النواصب! وهو غريب إلا إن كان ابن تيمية يتبنى ذلك ولكنه لا يستطيع البوح به! للتقية مثلاً.

قال ابن تيمية «فإن جاز للرافضي أن يقول: إن هذا كان طالباً للمال والرياسة أمكن الناصبي أن يقول: كان على ظالماً طالباً للمال والرياسة قاتل على الولاية حتى قتل المسلمين بعضهم بعضاً ولم يقاتل كافراً ولم يحصل للمسلمين في مدة ولايته إلا شر وفتنة في دينهم وديارهم، فإن جاز أن يقال: على كان مريداً لوجه الله والتقصير من غيره من الصحابة أو يقال: كان مجتهداً مصيباً وغيره مخطئاً،

مع هذه الحال فأن يقال: كان أبو بكر وعمر مريدين وجه الله مصيبين والرافضة مقصرون في معرفة حقهم مخطئون في ذمهم بطريق الأولى والأحرى فإن أبا بكر وعمر كان بعدهما عن شبهة طلب الرياسة والمال أشد من بعد علي عن ذلك، وشبهة الخوارج الذين ذموا عليا وعثمان، وكفروهما أقرب من شبهة الرافضة، الذين ذموا أبا بكر وعمر وعثمان وكفروهم فكيف بحال الصحابة والتابعين الذين تخلفوا عن بيعته، أو قاتلوه، فشبهتهم أقوى من شبهة من قدح في أبي بكر وعمر وعثمان، فإن أولئك قالوا: ما يمكننا أن نبايع إلا من يعدل علينا ويمنعنا ممن يظلمنا ويأخذ حقنا ممن ظلمنا، فإذا لم يفعل هذا كان عاجزا أو ظالما وليس علينا أن نبايع عاجزا أو ظالما، وهذا الكلام إذا كان باطلا فبطلان قول من يقول: إن أبا بكر وعمر كانا ظالمين طالبيين للمال والرياسة أبطل وأبطل وهذا الأمر لا يستريب فيه من له بصر ومعرفة» (1).

الجواب:

هذا الكلام المتهافت لا يليق بمن يلقب بشيخ الإسلام، فالفرق بين الأقوال والوقائع فرق شاسع، فأين الظلم من علي؟! وأين طلبه للرياسة من زهده المشهور عند الجميع؟! وأين قتاله على الولاية وقد أوصاه النبي صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين؟! وإما غيره فالأمة مختلفة فيه فمن يعتبرهم عصاة، ومن يقول بإيمانهم ومفضوليتهم، ومن قائل بأفضليتهم على تفصيل، وأين هذا من ذاك! لكن أنى لهذه القلوب المنكوسة التفريق؟!

ص: 323

ثم نقول: إن ابن تيمية يقول انه من أهل السنة وهو يؤمن ببطلان هذه الأقوال الفاسدة وإلا لأصبح ناصبياً علناً! ومن هنا، فلو تبني ابن تيمية أو أتباعه هذه الأقوال فسند عليها بشكل مفصل ومع عدم تبنيها وإعلانهم ببطلانها ابتداءً طبعاً (لكونهم ليسوا نواصب) فلن نسوّد الصفحات بررود افتراضية.

بيان ذلك: إن النواصب والخوارج لا حظ لهم من الإسلام فهم يمرقون كمروق السهم من الرميّة بحكم المسلمين شيعة وسنة، وبالتالي فأقوالهم مسفّهة عند الجميع، محكوم عليها بالبطلان من لدن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

وما محاولة ابن تيمية إلا بيان لنقص الاستدلال، ودليل ضعف واضح لكونه لا يملك أدلة على بطلان قول الشيعة، لا من كتب أهل السنة ولا من كتب الشيعة، لذا تطفّل على آراء النواصب والخوارج ليجد ضالّته ويأبى الله والمؤمنون.

قال ابن تيمية «وإذا قالوا ما تقوله أهل الفرية من أن أبا بكر وعمر كانا منافقين في الباطن عدوين للنبي صلى الله عليه - وآله - وسلم، أفسدا دينه بحسب الإمكان، أمكن الخارجي أن يقول ذلك في علي، ويوجه ذلك بأن يقول: كان يحسد ابن عمه والعداوة في الأهل، وأنه كان يريد فساد دينه فلم يتمكن من ذلك في حياته وحياة الخلفاء الثلاثة حتى سعى في قتل الخليفة الثالث وأوقد الفتنة حتى تمكن من قتل أصحاب محمد وأمته بغضاً له وعداوة، وأنه كان مباطناً للمنافقين الذين ادَّعوا فيه الإلهية والنبوة، وكان يظهر خلاف ما يبطن لأن دينه التقيّة، فلما أحرقهم بالنار أظهر إنكار ذلك، وإلا فكان في الباطن معهم، ولهذا كانت الباطنية من أتباعه وعندهم سرّه، وهم ينقلون عنه الباطن الذين ينتحلونه، ويقول الخارجي مثل هذا الكلام الذي يروج على كثير من الناس أعظم مما يروج كلام الرافضة في الخلفاء الثلاثة، لأن شبه الرافضة أظهر فسادا من شبه الخوارج والنواصب والخوارج أصحّ منهم عقلاً وقصدا والرافضة أكذب وأفسد ديناً»(1).

ص: 325

المقارنة فاسدة للشواهد العديدة على دنيوية هؤلاء وعدم وجود شاهد واحد على ما قالوه ضد أمير المؤمنين عليه السلام!

وأين جهلهم من علمه وأين ظلمهم من عدله، وأين طمعهم بالدنيا والحكم من زهده فيه، وهو الوحيد الذي يبيع في المدينة بدون معارضة.

ويكفى إجماع الأمة على إيمان على في حياة النبي بلا شذوذ إطلاقاً وخلافهم على غيره، مع العلم أن الخوارج لم يقولوا مطلقاً هذه الأقوال بل هم يقولون إن الإمام كفر بتحكيم الرجال في كتاب الله وآراؤهم معروفة مبسوطة وما نقله ابن تيمية من الكذب عليهم!.

والمنصف يجب أن يتمعن في السبب الذي دعى ابن تيمية ليجعل الاعتراض المفترض في هذه الأبواب من الناصبي لا غيره! أليس لكونه أسقط ما في يده لقيام الأدلة الشيعية القوية بالمطلوب؟!

فلو كانت هنالك أدلة سنّية لقالها ابن تيمية، واحتجّ بها، ولم يتنطع الى أقوال النواصب ليجعلها إزاء أدلة الشيعة الناصعة!.

فظهر هنا قوة الاستدلال الشيعي، ووضوح عدم قدرة علم الكلام السنّي بردّ الأدلة الشيعية قرآنياً وروائياً، حتى احتاجوا لمن يعلم أن أقوالهم باطلة بدهامة من خلال كتب الشيعة والسنة سوياً.

وقال ابن تيمية «وأما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية وأمثالهم من الداخلين في الشيعة، فإنهم يعترفون بأنهم في الحقيقة لا يعتقدون دين الإسلام وإنما يتظاهرون بالتشيع لقلّة عقل الشيعة وجهلهم ليتوسلوا بهم إلى أغراضهم وأول هؤلاء بل خيارهم هو المختار بن أبي عبيد الكذاب فإنه كان أمير الشيعة وقتل عبيدالله بن زياد وأظهر الانتصار للحسين حتى قتل قاتله وتقرّب بذلك إلى محمد بن الحنفية وأهل البيت ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير، فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد وكان المبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن المعلوم أن عمر بن سعد أمير السرية التي قتلت الحسين مع ظلمه وتقديمه الدنيا على الدين لم يصل في المعصية إلى فعل المختار بن أبي عبيد الذي أظهر الانتصار للحسين وقتل قاتله بل كان هذا أكذب وأعظم ذنبا من عمر بن سعد فهذا الشيعي شرٌّ من ذلك الناصبي، بل والحجاج بن يوسف خير من المختار بن أبي عبيد فإن الحجاج كان مبيرا كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم

يسفك الدماء بغير حق والمختار(1) كان كذاباً يدعى النبوة وإتيان جبريل إليه وهذا الذنب أعظم من قتل النفوس فإن هذا كفر، وإن كان لم يتب منه كان مرتدًا والفتنة أعظم من القتل وهذا باب مطرد لا تجد أحدا ممن تذمه الشيعة بحق أو باطل إلا وفيهم من هو شر منه ولا تجد أحدا ممن تمدحه الشيعة إلا وفيمن تمدحه الخوارج من هو خير منه، فإن الروافض شر من النواصب والذين تكفروهم أو تقسقهم الروافض هم أفضل من الذين تكفروهم أو تقسقهم النواصب»(2).

الجواب: إن قوله «وأما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم» وهذا من الكذب فليس هناك من يقول انه قصد من سيرته إفساد دين الإسلام! ومن دلائل كذب هذا النقل أن السلفيين لم يستطيعوا أن يأتوا بدليل واحد يدين فرقة واحدة منتحلة

ص: 328

1- (1) يقول الدكتور السلفي حسن بن فرحان المالكي «وقفت أخيراً على رسالة في تبرئة المختار مما أتهم به من إدعاء الوحي ونحو ذلك؛ ويرى صاحب الرسالة أنه لم يصح إسناد في ذمه وأن ذمه جاء من خصومه الذين ساءهم أخذه بثأر أهل البيت من النواصب! وأن زوجاته التابعيات كنّ على تبرئته وهن أعلم الناس به، لا سيما وأن إحداهن ابنة لسعيد بن زيد، والأخرى ابنة للنعمان بن بشير حتى أن إحداهن قُتلت لأنها شهدت له بأنه كان صوّماً قواماً وأصرت على ذلك حتى قتلها المصعب بن الزبير، وأن ابن الحنفية وابن عمر وابن عباس كان رأيهم فيه حسناً وكانوا يقبلون عطايها، وأن معظم اتهاماته جاءت من المجالد بن سعيد وهو ضعيف جداً، أموى الهوى، وزاد صاحب الرسالة أن المختار صحابي على شرط أهل الحديث! وعلى هذا فأنا الآن متوقف في أمره إلى أن أبحث أحواله، لكنني أعترف بأن الأسانيد في اتهام الوليد والحكم ومعاوية أقوى من الأسانيد في اتهام المختار، والذي يتهم المختار ويبرئ الوليد وأبا الغادية والحكم والوليد ونحوهم سيتناقض منهجه ويضطرب حتماً». مع سليمان العلوان في كتابه الاستنفار - حسن بن فرحان المالكي /شاهد شاهد من أهلها!

2- (2) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 237.

للتشيع من كتبها بهذا الشأن، طوال سبعة قرون ومنذ تأليف ابن تيمية كتابه!

وهو قول مغرض فالمفترض أن ابن تيمية فى مقام الرد على ابن المطهر الحلى احد علماء الإمامية الاثنى عشرية، وهذه الطائفة تكفر الباطنيين الذين ينحرفون عن أصول الدين المتفق عليها، أى أنهم يتفقون مع أهل السنة بذلك فكيف يحتج عليه بمن يحكم بكفره؟.

وأما قوله «وهذا باب مطرد لا تجد أحدا ممن تدمه الشيعة بحق أو باطل إلا وفيهم من هو شر منه ولا تجد أحدا ممن تمدحه الشيعة إلا وفيمن تمدحه الخوارج من هو خير منه فإن الروافض شر من النواصب والذين تكفرهم أو تنسقهم الروافض هم أفضل من الذين تكفرهم أو تنسقهم النواصب».

قلت: فهذا حق أن كان المتكلم معوجّ القريحة، منكوس القلب، إذ لا يمكن أن يحكم بغير ذلك. ولكن من ينظر بإنصاف لا يمكن إلا أن يعجب من هذه الأحكام التى يلحد بها هذا الرجل. ولو نظرنا إلى حكمه بأفضلية عمر بن سعد على المختار لكان وحده دالاً على صاحبه الناصبى فكيف تحكمون بكفر مبغض الصحابى ولا تحكمون بكفر من يقتل الصحابى؟! فعمر بن سعد قتل الصحابى الإمام الحسين عليه السلام! والغريب ما نقله عن الكذاب والمبير، فلو كان الحجاج مبيراً فكيف روى له البخارى فى (الأدب المفرد)؟!!

نقل ابن تيمية رواية عن زر بن حبيش قال «قال عبدالله بن مسعود: إن الله تبارك وتعالى نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ،

وفى رواية قال أبو بكر بن عياش الراوى لهذا الأثر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه وقد رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر»(1).

الجواب: إن الرواة الذين نقل عنهم اثر عبد الله بن مسعود نواصب جميعهم! فأبو بكر بن عياش وعاصم بن أبي النجود وزر بن حبيش معروفون بالنصب.

فأبو بكر بن عياش نص علماء الجرح والتعديل على عثمانيته(2).

وعاصم بن بهدلة قال فيه العجلي(3): كان عثمانياً..

وأما زر بن حبيش قال فيه العجلي(4) - وهو الخبير بالنواصب - «كان شيخاً قديماً إلا أنه كان فيه بعض الحمل على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه» وكرّر هذا الحكم فى كتابه أكثر من مرة.

وبالتالى فلا عبرة بما ينقله ابن تيمية عن النواصب لكونهم من معسكره! وغريب أمر الرجل الذى يدعى كونه على سنة النبى صلى الله عليه وآله، فردوده منقولة عن النواصب، وهو يفضل النواصب - الحجّاج ويزيد - على المتشيعين - كالمختار -، وحتى رواياته فيفضل أن يكون فى سندها النواصب!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام «ما أضمر أحد شيئاً الأظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه»(5)!

ص: 330

-
- 1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 239-240.
 - 2- (2) سوالات الأجرى لأبى داود - سليمان بن الأشعث - ج 1 - ص 229.
 - 3- (3) معرفة الثقات - العجلي - ج 2 - ص 6.
 - 4- (4) معرفة الثقات - العجلي - ج 1 - ص 370.
 - 5- (5) شرح كلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام - عبد الوهاب - ص 63.

ليس في أئمة الفقه ولا الحديث ولا الزهد... رافضئ

قال ابن تيمية «ولهذا لا تجد أحدا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد من ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس، ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضئ، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيَّدة المنصورة جيش رافضئ، ولا في الملوك الذين نصرروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوّه من هو رافضئ، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضئ، وأكثر ما تجد الرافضة إما في الزنادقة المنافقين الملحدين، وإما في جهّال ليس لهم علم لا بالمتنقولات ولا بالمعقولات، قد نشئوا بالبوادى والجبال أو تحيَّروا عن المسلمين، فلم يجالسوا أهل العلم والدين وإما في ذوى الأهواء ممَّن قد حصل له بذلك رياسة ومال أو له نسب يتعصَّب له كفعل أهل الجاهلية، وأما من هو عند المسلمين من أهل العلم والدين فليس في هؤلاء رافضئ لظهور الجهل والظلم في قولهم»(1).

الجواب:

أن مثله في قوله «ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضئ ولا

ص: 331

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 239-240.

فى أئمة الحدفث ولا فى أئمة الزهد والعبادة» كمثمل رءل دعا إلى ولىمة وخصَّ بها من له صفة معىنة كالشراء مثلاً؁ فلما التتم الشممل افتخر فقال؁ سبحان الله لا يأتىنى غير الثرى!!

فكففى يكون الرافضى من أئمة الفقه وانتم تكفرونه فمن كان فقىها رافضياً قلتتم عنه: رافضى محترق؁ وما دام كذلك فلىس بفقىه!؁ وكفى يكون من أئمة الحدفث وانتم لا تروون عنه وتتجنبونه بحجة البدعة بىنما تأخذون عن النواصب والخوارء وعن كل من عادى اهل البىت بحجج مءتلفة؁ ومع هذا تجد كتب الحدفث تعج بأسماء الشىعة ممن كانوا شيوخا لبعض مؤلفى الصحاح والسنىن. وما ذلك إلا لاضطرارهم؁ فلو لم يأخذوا عنهم لبقى شطر من الفقه والتفسىر والحدفث بلا نصوص؁ وهذا اعتراف بواقع الحال الذى لا يعترفون به باللسان؁ ولو لم يكن إلا الحاكم النىسابورى صاحب المستدرء الذى قال عنه بعض علمائهم⁽¹⁾ «قال ابن طاهر سألت أبا إسماعىل الأنصارى عن الحاكم فقال: ثقة فى الحدفث رافضى خبىث - ثم قال ابن طاهر: كان شدىد التعصب للشىعة فى الباطن؁ وكان يظهر التسنى فى التءدىم والخلافة؁ وكان منصرفا عن معاوية وآله متظاهرا بذلك ولا يعتذر منه».

لكان كافياً.

والسالبة الكلية تنقضها موءبة جزئية؁ ومن ملوك الرافضة خدابنده وسىف الدولة الحمءانى؁ وقد حكم الفاطمىون (الذىن يلزمنا بهم ابن تىمة فى كتابه) شرق الأرض وءربها وخطب لهم فى عاصمة الخلافة العباسة لأسبوعىن؁ وكانت لهم سطة على الممالك والدول فى العالم؁ ومن دول الشىعة دولة الأءارسة فى المغرب

ص:332

ودولة أبناء الحسن في الديلم وهي من الدول التي دامت لقرون، ودولة الزيدية في اليمن، ودولة البويهيين الذين ازدهر العراق في زمنهم، ودولة الصفويين ودامت لقرونين وتيف، ولو كان ابن تيمية يعيش في أيامنا لمات كمدا وهو يرى قوة الرافضة في إيران والعراق ولبنان إذ هزم الشيعة في جنوب لبنان ما عجز أكثر من عشرين نظاما سنيا من هزيمته طوال نصف قرن!

و ماذا يقول عن جهاد حزب الله ومكانته الإسلامية، وعن رجال دين السلاطين الذين يجوزون السلام مع اليهود مثل ابن باز(1) وأزلام الأنظمة من

ص:333

1- (1) لم اظفر بما يشفى الغليل بالطريقة التي وصل بها هذا الرجل الى ما وصل اليه لكن انبطاحه أمام (أولياء الأمور)! كما يسمونهم هم مصدر نجاحه الأول بالوصول الى كرسي الفتوى وإلا فكتبه مليئة بالجهل في أبسط قواعد الإسلام اقرأ مثلاً قوله في سؤال وجه اليه «الأعور الدجال هل ذكر أنه يكشف عن ساقه، أو لا يكشف عن ساقه؟ الجواب: لم يذكر في الحديث شىء من هذا فيما أعلم، إنما كشف الساق ثابت لله سبحانه وتعالى يوم القيامة كما قال الله سبحانه: سورة القلم الآية 42 «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ» والواجب إثباته لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به. من غير أن يشبه خلقه في ذلك كما قال جل وعلا: سورة الشورى الآية 11 «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أما الدجال فإنه يدعى أشياء أخرى ويعمل أشياء أخرى يلبس بها على الناس ولهذا سمي دجالا لكثرة كذبه وغرائب ما يأتي به. مثل أمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، وقتله بعض الناس ثم يقوم حيا، ثم ينكشف أمره، وهو يدعى أولا أنه نبي، ثم يدعى أنه رب العالمين، وهذا هو أعظم الدجل والكذب، ثم ينزل الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتله بباب لد في فلسطين مع اليهود كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم». مجموع فتاوى ومقالات ابن باز - ج 9 - ص 262 /وهذا يدل على جهل الرجل فلو جاز على أحد أن يحيى ويميت فكيف للإنسان المكلف بالبحث عن الدليل أن يرفض الانسياق وراءه مع أن

الذين يبيعون دينهم بأزهد الأثمان.

ثم لو كان ابن تيمية صادقا في وصفه للشيعة بعدم وجود فقهاء منهم ومحدثين وغيره فكيف يقول تلميذه ابن القيم وهو يناقش مسألة عدم وقوع الطلاق المحلوف به فقال عنهم «إن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت. وهب أن مكابرا كذبهم كلهم وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد، وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتج به المسلمون، ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم ويبحثون معهم والقوم وإن أخطأوا في بعض المواضع لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ حتى يرد عليهم هذا لو انفردوا بذلك عن الأمة، فكيف وقد وافقوا في قولهم من قد حكينا قولهم وغيره ممن لم تقف على قوله».

والغريب من ابن القيم إذ يعترف هنا بأن نقل الإمامية عن جعفر بن محمد عليه السلام في هذه المسألة متواتر أي قطعي النسبة والصحة! فلم تنكرون انتساب الإمامية إلى جعفر بن محمد حين تشتهون، وتنسبونهم إليه حين تحتاجون؟!!

(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: من الآية 82).

بناء المساجد على القبور... وشركيات الشيعة!

قال ابن تيمية «وكذلك الغلاة في العصمة، يُعرضون عما أمروا به من طاعة أمرهم والإقتداء بأفعالهم إلى ما نهوا عنه من الغلو والإشراك بهم فيتخذونهم أربابا من دون الله، يستغيثون بهم في مغيبيهم وبعد مماتهم وعند قبورهم ويدخلون فيما حرمه الله تعالى ورسوله من العبادات الشركية التي ضاهوا بها النصارى، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند موته: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

يحذر ما فعلوه قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا.

وفي الصحيحين أيضا أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة وذكر حسناتها وتصاوير فيها فقال: إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

وفي صحيح مسلم عن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس: ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك، وإني أبرأ إلى كل خليل من خليله

ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله يعنى نفسه.

وفى السنن عنه أنه قال: لا تتخذوا قبورى عيداً، وصلوا علىّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى.

وفى الموطأ وغيره أنه قال: اللهم لا تجعل قبرى وثناً يُعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفى المسند وصحيح أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»(1).

الجواب:

إن الروايات فى النهى عن البناء على القبور واردة فى أهم كتب الحديث الشيعة والسنية، وإنما قد يكون الخطأ فى استنباط المراد منها، وسأحاول إثبات رأى ثالث لم يظن له الطرفان، وسأعتمد على القرآن فى ذلك قدر استطاعتي:

قال تعالى فى قصة أصحاب الكهف:

(إِذِ يَنْتَازِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسَاجِدًا) (الكهف: من الآية 21).

ذهب أغلب المفسرين الى كون الطرفين المتنازعين فى هذه الآية طرف مؤمن وهو الأول، وطرف كافر وهو الثانى، وخالف الطبرى فقال إن الأمر يحتمل الخيارين، أى أنه من الممكن أن يكون أصحاب الرأى ببناء البنيان مؤمنين أو

ص: 336

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 1 - ص 448.

كافرين، وأصحاب الرأي ببناء المسجد كذلك، والحقيقة أنى لم أجد عند المفسرين من تكلم عن قرآنية واضحة فى المقام تودى الى ترجيح القول بإيمان أو كفر أحد الطرفين، ممّا يوحى بأنهم اعتمدوا فى ذلك على ما ورد من روايات وأغلبها عن اليهود الذين (أسلموا)! نعم للسيد الطباطبائى رأى سنورده فى نهاية البحث، والجدير بالملاحظة إن الطرفين المذكورين فى هذه الآية لم يختلفا فى أصل البناء على قبور أصحاب الكهف، إنما كان الرأى: أنبنى بنياناً أم مسجداً؟ نعم ناقش البعض بكون الآية تخصّ ديناً منسوخاً وشريعةً غابرةً وليس من دليل على أنها تشملنا، خصوصاً مع وجود روايات دالّة على عدم جواز بناء المساجد فى شريعتنا، منها ما رواه الشيخ الحرّ العاملى فى كتابه الجليل (وسائل الشيعة) (1) وقد أورد العاملى الروايتين تحت عنوان «باب كراهة بناء المساجد عند القبور» فقال: «محمد بن على بن الحسين بإسناده عن سماعة بن مهران أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها، فقال: أما زيارة القبور فلا بأس بها، ولا يُبنى عندها مساجد.

ورواه الكلينى عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: سألته، وذكر مثله. قال: وقال النبى صلى الله عليه وآله: لا تتخذوا قبرى قبلة ولا مسجداً، فإن الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وقد ورد عند أهل السنة مثل ذلك إذ أورد البخارى (2) فى صحيحه تحت عنوان «باب: هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبى

ص: 337

1- (1) وسائل الشيعة - الحر العاملى - ج 2 - ص 887-888.

2- (2) صحيح البخارى - البخارى - ج 1 - ص 110-111.

صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وما يكره من الصلاة فى القبور ورأى عمر أنس بن مالك يصلى عند قبر فقال: القبر القبر ولم يأمره بالإعادة» فقال «حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا يحيى عن هشام قال أخبرنى أبى عن عائشة إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تيك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

وأورد فى باب الجنائز (1) عن عائشة إن النبي قال فى مرضه الذى مات فيه «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً».

وفى الحقيقة فهناك موضوعان فى هذه الأحاديث:

الموضوع الأول: وهو دلالة الأحاديث

فأما الحديثين اللذين أوردهما العاملى فالذى قد يظهر منهما أن الكراهة التى قصدها كراهة التحريم لا كراهة التنزيه، لكون موضوع الحديثين واحد ولكون اللعن متجه الى من يفعل ذلك، واللعن هو الطرد من رحمة الله، ومن الواضح إنه لا يمكن أن نقول على من يخالف الأولى بأنه ملعون مع عدم وجود القرينة الصارفة عن الحرمة! ولكن بعض الفقهاء لما رأوا أن التحريم لا يتلائم مع إجماع الطائفة على البناء على القبور بلا- اختلاف عندهم ذهبوا على القول بالكراهة، كما قال النراقى (2) «والنهي فيهما وإن كان حقيقة فى التحريم إلا أنه يحمل فيهما على الكراهة لئلا يلزم استعمال اللفظ فى معنيه... مضافاً إلى عدم قول بالحرمة

ص: 338

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 2 - ص 90-91.

2- (2) مستند الشيعة - المحقق النراقى - ج 4 - ص 436.

هنا قطعاً. وبه يُدفع دلالة النهى عن جعل القبر مسجداً عليها أيضاً مع إمكان حملها على جعله محل السجدة للقبور».

وكذلك الشيخ الحائري (1) «وعن البعض تقوية الحرمة... وتقييد بعض الصحاح النافية للبأس عن الصلاة بين القبور بما إذا لم يكن إليها، وفيه إنه إخراج للفرد الغالب كما لا يخفى، فالأولى الحمل على الكراهة لمكان بعض الصحاح النافية للبأس عن الصلاة بين القبور مطلقاً، بقى هنا إشكال وهو أن النهى عن الصلاة إلى القبور سواء حملناه على التحريم أم على الكراهة ينافي الأخبار المستفيضة الآمرة بالصلاة خلف قبور الأئمة عليهم السلام...». وهو واضح في كون الأخبار تحتمل الحرمة لولا وجود الأخبار المعارضة لها وعمل الإجماع لذا حملت على الكراهة لهذا السبب فقط!.

وقال الشهيد الأول (2) «روى الصدوق عن سماعة، إنه سأله عليه السلام عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها، قال: زيارة القبور لا بأس بها، ولا يبنى عندها مساجد. قال الصدوق: وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تتخذوا قبور قبلى قبلة، ولا مسجداً، فإن الله تعالى لعن اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قلت: هذه الأخبار رواها الصدوق والشيخان وجماعة المتأخرين في كتبهم، ولم يستثنوا قبراً، ولا ريب أن الإمامية مطبقة على مخالفة قضيتين من هذه: إحداهما البناء، والأخرى الصلاة، وتأنك ما في المشاهد المقدسة. فيمكن القدح في هذه الأخبار لأنها آحاد، وبعضها ضعيف الإسناد، وقد عارضها أخبار أشهر منها، وقال ابن الجنيد: لا بأس بالبناء عليه، وضرب الفسطاط يصونه ومن يزوره. أو تخصص

ص: 339

1- (1) كتاب الصلاة - شيخ عبد الكريم الحائري - ص 110.

2- (2) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة - الشهيد الأول - ج 2 - ص 37-39.

هذه العمومات بإجماعهم في عهود كانت الأئمة ظاهرة فيهم وبعدهم من غير نكير، وبالأخبار الدالة على تعظيم قبورهم وعمارتها وأفضلية الصلاة عندها، وهي كثيرة منها... الخ».

فالشهيد الأول هنا يتكلم عن السيرة في مخالفة الاحاديث ثم يقول «أحدهما البناء» والحديثان لا يتكلمان عن مطلق البناء بل يتكلمان عن اتخاذ المساجد! وهذا أخص من المدعى!

ثم إنه على هذا البناء اللغوي الخاطيء تصور أنها معارضة لأحاديث أخرى، بينما الذى يتمعن فى الروايات التى قيل بمخالفتها لا يجد فيها شيئاً من ذلك، فالأحاديث التى ساقها تتكلم عن البناء أو الصلاة عند القبور وقد أورد جملة منها فقال «منها: ما رواه الشيخ فى التهذيب عن عامر البنانى، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن النبى صلى الله عليه وآله، انه قال لعلى عليه السلام: يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعروسة من عرصاتهما. وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها، تقرباً منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا على المخصوصون بشفاعتى، والواردون حوضى، وهم زوارى غدا فى الجنة. يا على، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنها أعان سليمان على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام(1)، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه،

ص: 340

1- (1) انتبه لقوله عليه السلام (بعد حجة الإسلام) لا كما فهم أصحاب العقول المتحجرة من أن الشيعة تعد زيارة الأضرحة خير من حج الإسلام فالإمام يتحدث عن الحجة المستحبة وليست الواجبة، لو صح الحديث.

فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت، ولا إذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي.

وقد روى كثير من أهل الحديث، وذكر تعبير الحثالة الحافظ ابن عساكر من علماء العامة. قال المفيد رحمه الله: وقد روى أنه لا بأس بالصلاة إلى قبلة فيها قبر إمام، ويصلى الزائر مما يلي رأس الامام، وهو أفضل.

وقال الشيخ: وقد روى جواز الصلاة إلى قبور الأئمة عليهم السلام، خاصة في النوافل. قلت: الذي رواه في التهذيب بإسناده إلى محمد بن عبد الله الحميري، قال: كتبت إلى الفقيه أسأله عن الرجل يزور قبور الأئمة، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز للمصلي أن يقوم وراء القبر ويجعله قبلة؟ فأجاب: أما السجود على القبر فلا يجوز في نافلة، ولا فريضة، ولا زيارة، ولكن يضع خده الأيمن على القبر. وأما الصلاة فإنها خلفه، ولا يجوز أن يصلى بين يديه، لأن الأمام لا يتقدم، ويصلى عن يمينه وشماله.

وقد روى المفيد عن ابن قولويه، بسنده إلى ابن أبي عمير، عمن روى عن الباقر عليه السلام: ان الصلاة الفريضة عند قبر الحسين تعدل عمرة. وبسنده إلى أبي علي الحراني، عن الصادق عليه السلام: من أتاه وزاره، وصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات، كتبت له حجة وعمرة. قال وكذلك لكل من أتى قبر إمام مفترض الطاعة، قال: نعم. وبسنده إلى شعيب العرقوفى، عن الصادق (عليه السلام): ما صلى عنده أحد صلاة إلا قبلها الله منه، ولا دعا عنده أحد دعوة

إلا- استجيب له عاجلة وآجلة. والأخبار في ذلك كثيرة، ومع ذلك فقبر رسول الله صلى الله عليه وآله مبني عليه في أكثر الأعصار، ولم يتقل عن أحد من السلف إنكاره بل جعلوه أنسب لتعظيمه. وأما اتخاذ القبور مسجداً، فقد قيل هو لمن يصلّي فيه جماعة، أما فردى فلا»..

ولا أعلم هذا (القبيل) ما مستنده بعد وضوح كلمة (المسجد)؟!

وأنت ترى أن هذه عمدة الأخبار التي تصوروا أنها معارضة للحديثين سالفى الذكر، ولا- معارضة هناك فيها، فهي لا تتكلم عن بناء المساجد على قبور أهل البيت لذا لا نجد مسجداً بُني على قبور أهل البيت عليهم السلام، بل مشاهد وأبنية تحفظ الزوّار وتوفر لهم الملجأ من الحر والبرد وليقوموا بمراسم الزيارة وقراءة القرآن.

وليس بعيداً عن هذا الكلام ما سطره الفاضل الهندي في كتابه الكبير (كشف اللثام)(1) والشيخ يوسف البحراني في (الحدائق الناضرة)(2).

ومن لم يجد مجالاً لإسقاط روايات النهي عن بناء المساجد على القبور بدعوى المعارضة - مثل الميرزا القمّي - قام بتأويلها تأويلاً بعيداً فقال(3) «أما ما رواه الصدوق في العلل في الحسن لإبراهيم بن هاشم، عن زرارة، عن الباقر عليه السلام قال، قلت له: الصلاة بين القبور، قال: بين خللها، ولا تتخذوا شيئا منها قبلة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وقال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً، فإن الله لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". وروى في

ص:342

1- (1) كشف اللثام - الفاضل الهندي - ج 3 - ص 300-303.

2- (2) الحدائق الناضرة - المحقق البحراني - ج 4 - ص 139-141.

3- (3) غنائم الأيام - الميرزا القمّي - ج 2 - ص 221.

الفقيه كلامه صلى الله عليه وآله مرسلًا، إلا أنه قال: "لعن اليهود لأنهم اتخذوا "الحديث، فنحملها على المنع من جعلها كالكعبة يصلى إليها من كل جانب" ..

وهذه التأويلات موجودة عند أهل السنة، قال السيوطي في تنوير الحوالك «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قال بن عبد البر: قيل معناه النهى عن السجود على قبور الأنبياء وقيل النهى عن اتخاذها قبلة يصلى إليها» (1).

ولا أعلم كيف يؤول قوله «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً»؟! فإن كان اتخاذها قبلة تعنى أن يصلى إليها من جميع الجهات فما معنى قوله «ولا مسجداً»!؟

نعم يمكن حمل المسجد هنا على كونه يُصلى عليه، أى فوقه وذلك يلزم أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد لفظها على وزن (مَفْعَل) لا على وزن (مَفْعَل) فالفرق بين (المَسَّجِد) الذى يُسجد عليه و (المَسَّجِد) الذى يُسجد فيه واضح، نقل ابن منظور قول سيبويه (2) «وأما المَسَّجِد فإنهم جعلوه اسماً للبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال فى المُدَقِّ إنه اسم للجلمود، يعنى أنه ليس على الفعل، ولو كان على الفعل لقليل مدق لأنه آلة، والآلات تجيء على مَفْعَل كِمِخْرَزٍ وَمِكْنَسٍ وَمِكْسَحٍ» ..

ونقل ابن منظور تفريق ابن الاعرابي بين المسجد والمسجد فقال (3) «مَسَّجِدٌ، بفتح الجيم، محراب البيوت، ومصلى الجماعات مَسْجِدٌ، بكسر الجيم».

ص: 343

1- (1) تنوير الحوالك - جلال الدين السيوطي - ص 189.

2- (2) لسان العرب - ابن منظور - ج 3 - ص 204.

3- (3) لسان العرب - ابن منظور - ج 3 - ص 204.

ومع أهمية التفريق بين (المَسَّ جَد) وال (المَسَّ جَد) وعند مراجعة مئات المصادر فإنني لم أظفر بمن فرّق بين المصطلحين عند مناقشته حديث اتخاذ الأرض مسجداً وطهوراً الا عند الرازي المفسّر إذ انه اكتفى بنقل الأقوال المتضاربة فيها فقال(1) «اختلفوا في المساجد على وجه أحدها: وهو قول الأكثرين: أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين، وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس، فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد.

وثانيها: قال الحسن: أراد بالمساجد البقاع كلها قال عليه الصلاة والسلام: " جعلت لى الأرض مسجداً "كأنه تعالى قال: الأرض كلها مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغير خالقها.

وثالثها: روى عن الحسن أيضاً أنه قال: المساجد هي الصلوات فالمساجد على هذا القول جمع مَسَّ جَد بفتح الجيم والمَسَّ جَد على هذا القول مصدر بمعنى السجود.

ورابعها: قال سعيد بن جبير: المساجد الأعضاء التي يسجد العبد عليها وهي سبعة القدمان والركبتان واليدين والوجه، وهذا القول اختيار ابن الأنباري، قال: لأن هذه الأعضاء هي التي يقع السجود عليها وهي مخلوقة لله تعالى، فلا ينبغي أن يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى، وعلى هذا القول معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مسجّد بفتح الجيم.

وخامسها: قال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما: يريد بالمساجد مكة

ص:344

بجميع ما فيها من المساجد، وذلك لأن مكة قبلة الدنيا وكل أحد يسجد إليها، قال الواحدى: وواحد المساجد على الأقوال كلها مسجّد بفتح الجيم إلا على قول من يقول: إنها المواضع التي بنيت للصلاة فإن واحدها بكسر الجيم لأن المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين إلا فى أحرف معدودة وهى: المسجّد والمطلّع والمنسك والمسكن والمنبت والمفرق والمسقط والمجزر والمحشر والمشرق والمغرب، وقد جاء فى بعضها الفتح وهو المنسك والمسكن والمفرق والمطلّع، وهو جائز فى كلها وإن لم يسمع».

لذا قال النبى صلى الله عليه وآله فيما رواه عنه أمير المؤمنين عليه السلام (1) «أعطيت ثلاثاً لم يُعطهنّ نبى قبلى، نُصرت بالرعب، وأُحلت لى الغنائم، وجُعلت لى الأرض مسجداً وتراها طهوراً» إذ لا يمكن ان يكون قد لفظها (مسجداً) لوضوح كونها لا تصح كذلك الا بوقف صريح بينما هو يتكلم هنا عن جواز السجود على الأرض، بل كونه أحد موارد الحصر فى ما يجب أن يسجد عليه. وأتى لأحد اليوم التأكد بضرس قاطع على كون النبى صلى الله عليه وآله قد لفظها (مسجداً) فى قوله الشريف: «لا تتخذوا قبرى قبلة ولا مسجداً»!

لكن الذى لم ينتبه له الجميع ممن راجعت أقوالهم هو انه لا معارضة أصلاً بين احاديث النهى عن بناء المساجد على القبور وبين جواز بناء أبنية على القبور وهو ما استفدناه من قول الطرفين فى سورة الكهف فالآية فرقت بين من يقول:

(فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) (الكهف: من الآية 21).

وبين من قال:

ص: 345

(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) (الكهف: من الآية 21).

فالعبارة بالفرق بين البناء والمسجد، وبمعونة اللعن الموجّه باتفاق المسلمين لليهود والنصارى يترجح ان الذين اتخذوا المسجد من المنحرفين وليس من المؤمنين! وهذا خلاف الذى يذهب اليه أغلب المفسرين، فإذن الذين أرادوا بناء البنيان هم اهل الاستقامة لكون النبي صلى الله عليه وآله لعن الطرف الثانى صريحاً، وبالتالي لا يتوجه لوم لمن بنى بناءً على قبر ولم يبنِ مسجداً عليه. لذا فلا معارضة بين الأحاديث إذا قُوِّمَتْ بهذا التقويم، وبالتالي لا إسقاط لأحاديث لها دلالة قرآنية تتسق معها بلا اختلاف.

الموضوع الثانى

إن الذى يحدث الآن من صراع طائفى وتأجيج لحقد تكفيرى ضد الشيعة فى العالم بأنهم قبورىون، وأن النبى صلى الله عليه وآله نهى عن بناء المساجد على القبور وهم يبنون وتكفيرهم واجب لهذا العمل وما تلازمه من شركيات، لا يصبح له أى مجال إذ أن الشيعة لا تبنى المساجد على قبور الأئمة أصلاً، والأئمة نهوا عن ذلك كما أوردنا أحاديثهم، فهى تبنى أبنية ومشاهد لم يقم احد بتوقيفها مساجد حتى يشملهم اللعن المتوجه لمن فعل هذا الفعل، وبهذا لا تعارض بين ما ذكره علماؤنا وأدى بهم الى رفع الحرمة الظاهرة فى معانى الأحاديث، فلما كانت الحرمة متّجهة لمن بنى المساجد وكانت الإباحة بل الاستحباب ببناء البنيان على القبور صار هذا بحكم القولين اللذين لا تناقض بينهما، فأين التعارض! وهذا مما نشترك فيه مع أهل السنة يقول المليبارى (1) فى كتاب الوقف «و من الصرائح

ص: 346

قوله: جعلت هذا المكان مسجداً فيصير به مسجداً، وإن لم يقل لله، ولا أتى بشيء مما مر: لان المسجد لا يكون إلا وقفاً... ولا يثبت حكم المسجد من صحة الاعتكاف وحرمة المكث للجنب لما أضيف من الأرض الموقوفة حوله إذا احتيج إلى توسعته على ما أفتى به شيخنا ابن زياد وغيره. وعلم مما مر أن الوقف لا يصح إلا بلفظ، ولا يأتي فيه خلاف المعاطاة. فلو بنى بناء على هيئة مسجد وأذن في إقامة الصلاة فيه: لم يخرج بذلك عن ملكه».

وهذا موضع وفاق بين المسلمين إذ يقول السيد روح الله الخميني رحمه الله(1) «لا بد في وقف المسجد من قصد عنوان المسجدية، فلو وقف مكاناً على صلاة المصلين وعبادة المسلمين صحَّ لكن لم يصير به مسجداً ما لم يكن المقصود عنوانه، والظاهر كفاية قوله: جعلته مسجداً وإن لم يذكر ما يدل على وقفه وحبسه، والأحوط أن يقول: وقفته مسجداً أو على أن يكون مسجداً».

ويقول السيد الخوئي رحمه الله(2) «إذا لاحظ الواقف منفعة خاصة مثل الصلاة أو الذكر أو الدعاء أو نحوها من أنحاء العبادة فقال: وقفت هذا المكان على المصلين أو الذاكرين أو الداعين أو نحو ذلك لم يصير مسجداً ولم تجرِ عليه أحكام المسجد وإنما يصير وقفاً على الصلاة أو غيرها مما لاحظ الواقف ويكون من القسم الأول الذي له موقوف عليه وهو الذي لاحظ الواقف فيه المنفعة».

ويقول السيد السيستاني حفظه الله(3) «إذا وقف مكاناً على المسلمين لينتفعوا منه ببعض ما ينتفعون به في المساجد أو بجمعها من الصلاة والذكر والدعاء

ص: 347

-
- 1- (1) تحرير الوسيلة - السيد الخميني - ج 2 - ص 62-63.
 - 2- (2) منهاج الصالحين - السيد الخوئي - ج 2 - ص 231.
 - 3- (3) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج 2 - ص 388.

والتدريس وغير ذلك لم يصير مسجداً ولم تجرِ عليه أحكام المساجد من حرمة التنجيس ونحوها، وإنما يصير وقفاً على الصلاة وغيرها مما لاحظته الواقف من المنافع».

إذن فالمكان لا يصبح مسجداً إلا بوقف لفظي صريح، أما كون البناء له مآذن أو له قبة فلا عبرة بالشكل، أرايت ان بنى احدهم بيتا له وجعل له قبة أيصبح مسجداً لكونه يشبه المسجد؟!!

اذن فالشيعة لها مرافد واضرحة ومشاهد، وتوجد أحياناً بجانبها مساجد وليس فوقها أصلاً.

وبمراجعة تاريخ بناء المرقد العلوي الشريف على سبيل المثال يتضح أنه لم يُوقَف مسجداً بل عبارة عن هو بناء مشهد يشير الى أهمية صاحب القبر الشريف، ولانتفاع الزوار من خدمات ذلك البناء إذ أن العمارات التي انشئت على الضريح كانت خمس(1):

1 - عمارة هارون الرشيد الخليفة العباسي بنى الرشيد على الضريح المقدس سنة 170 هـ - قبة وجعل لها أربعة أبواب وهي من طين أحمر وطرح على رأسها حبرة خضراء، وأما نفس الضريح الطاهر فإنه بناه بحجارة بيضاء ووضع عليه قنديلا من الفيروز المرصع بالجواهر اليتيمة.

2 - عمارة محمد بن زيد المعروف بالداعي المتوفى عام 287 هـ - 900 م بنى محمد بن زيد الداعي على القبر الشريف قبة وحائط فيه سبعون طاقا، وقد ذكر هذه العمارة ابن أبي الحديد في شرحه ولكنه اقتصر على ذكر القبة فقط. وقد

ص:348

طرات على هذه العمارة عمارة الرئيس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فإنه عمر مرقد جده من خالص ماله. وكان يحيى هذا من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قتل سنة 250 هـ - وحمل رأسه في قوصرة إلى المستعين العباسي وقد ذكر عمارة ابن الداعي الإمام الصادق عليه السلام قبل وقوعها إذ قال: "زار الإمام الصادق جده أمير المؤمنين في النجف فقال عليه السلام لا تذهب الليالي والأيام حتى يبعث الله رجلا ممتحنا في نفسه في القتل يبني عليه حصنا فيه سبعون طاقا.

3 - عمارة عضد الدولة البويهى هي العمارة الثالثة وقد بناها السلطان عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه القمي، وكانت عمارته تُعدُّ من أجل العمارات ومن أحسن ما توصل إليه الفن المعماري في ذلك الوقت وأنها أنشئت سنة 338 هـ - وقد بقيت قائمة إلى سنة 753 هـ - وقد صرف عضد الدولة البويهى على هذه العمارة أموالا كثيرة وستر حيطانها بخشب الساج المنقوش وعين لها أوقافا لإدارتها، وقد وأصل إصلاح هذه العمارة سائر الملوك والوزراء من البويهيين والحمدانيين وبعض العباسيين الذين تشيَّعوا كالمستنصر العباسي، وأولاد وأحفاد جنكيز خان وغيرهم، وجميع هؤلاء قد تبرَّعوا بسخاء مفرط للعمارة نفسها سواء كان بجلب الأحجار الكريمة أو الآثاث النفيسة أو إجراء إصلاحات فنيَّة في الروضة الحديدية المطهرة مما جعل العمارة آية في الإبداع ومعجزة ذلك القرن كما أنبأتنا الكتب التاريخية القديمة.

4 - العمارة الرابعة بعد احتراق العمارة الثالثة وما اختلف فيها من الأخبار: بعد احتراق العمارة الثالثة سنة 753 هـ -- 1352 م أنشئت العمارة الرابعة في عام 760 هـ -- 1358 م ولم يذكر مؤرخو القرن الثامن للهجرة اسم

صاحبها ولم ينسبها إلى أحد إلا أن بعض المتأخرين يرتأى أنها من آثار السلطان أويس بن الشيخ حسن الجلائرى مستشهداً على ذلك بالخدمات الكثيرة التي أسداها إلى أهل البيت عليهم السلام وما قاله السماوى فى أرجوزته:

فقام فى بناء ذاك الدائر أويس بن حسن الجلائرى

واعراض من أخشابه الرخاما هياكلا منحوتة ضخاما

مرصوفة على اعتدال سمت فى حسن شكل وبديع نحت

رأيت منها قطعاً رواقى فى جوف سرداب من الرواق

وتم فى خمس سنين تهيئته فى سنة الستين والسبع مئة

وأدخل الشاه عباس الأول إصلاحات كبيرة على هذه العمارة يوم زار النجف سنة 1032-1622 م فإنه عمّر الروضة المطهّرة والقبة والصحن الحيدرى.

5 - عمارة الشاه صفى حفيد الشاه عباس الأول فى عام 1047 هـ -- 1637 م بدأ الشاه صفى حفيد الشاه عباس الأول ببناء العمارة الحاضرة بعد أن شاهد تضعضاً فى القبة المنوّرة، وضيّق ساحة الصحن الشريف، فأمر الشاه المذكور بهدم بعض جوانب الصحن الشريف وتوسيعه وتوسيع ساحة الحرم العلوى المطهر. والذى تصدّى لهذه الخدمة وزيره ميرزا تقى المازندرانى بأمر من الشاه واستمر العمل ثلاث سنين وصرف لها أموالاً طائلة وجلب أمهر المعمارين والمهندسين مما جعلها بديعة الشكل، مُتقنة الصُّنع، وأوجد فيها معرفة أوقات الزوال وعدم اختلافه صيفاً وشتاءً وما تقف عنده أساتذة الفن من تحكيم بزوغ الشمس فى الضريح المقدس، وما التزم بها من المقابلة والمجانسات الفنية)).

وكل هذه العمارات لم يوقفها أحد مساجد او غير مساجد، بل كانت احتراماً وإجلالاً لهذه البقعة الشريفة ولتوفير المكان المناسب للزوار لتأدية الزيارة ولكي يلجأ لها الزوار من الحر والبرد وغيرها.

والآن نرجع الى الآية القرآنية فقولته تعالى:

(إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً) (الكهف: من الآية 21).

لا- يدل على أكثر من أن هناك طرفان يتنازعان، الطرف الأول يريد بناء بنيان يشير الى أهمية هذا الموقع، لكن الموقع على أهميته فهو مجهول التفاصيل ويبدو منه أن هؤلاء لم يتم لديهم فهم ما حصل، ولم يستوعبوه فيظهر منهم الاحتياط في التصرف وأيكال علمه الى الله وهو من صفات الراسخين في العلم كما قال تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (آل عمران: 7).

فالراسخون في العلم يسلمون لله حتى إن لم يعلموا ما الذي حصل بالتفصيل اذا آمنوا بأنه من الله. يقول أمير المؤمنين عليه السلام (1) «واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز

ص: 351

عن تناول ما لم يحيطوا به علما. وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا».

وروى الشيخ الصفار عن زرارة بن حمران(1) «كان يجالسنا رجل من أصحابنا فلم يكن يسمع بحديث الا قال: سلّموا حتى لُقّب، فكان كلما جاء قالوا: قد جاء سلّم، فدخل حمران وزرارة على أبي جعفر عليه السلام فقال: إن رجلاً من أصحابنا إذا سمع شيئا من أحاديثكم قالوا: سلّموا، حتى لُقّب، وكان إذا جاء قالوا: جاء سلّم، فقال أبو جعفر عليه السلام: قد أفلح المسلمون إن المسلمين هم النجباء».

أمّا الطرف الثانی فهم الذى يظهر أنهم شملهم لعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» ولنعلم أن اصحاب الكهف كانوا إما قبل ولادة المسيح عليه السلام كما هو مفاد إحدى الروايات، وإما بعده كما هو مفاد غيرها (وهو المرجّح) وبالتالي فالعصر الذى كانوا فيه هو بعد الميلاد أى ابتداءً من القرن الميلادى الأول، ولما كان لبثهم فى الكهف كما ذكر القرآن:

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) (الكهف: 25).

فخروجهم من الكهف قد يكون فى بداية القرن الخامس على أقل تقدير، إن لم يكن أبعد بما لا يتعدى نسبة خطأ ثلاثة قرون إذ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بُعث فى العام الميلادى 610 للميلاد ومن هنا فبلاد الروم المشرقية - وهى الأناضول والشام ومصر - تعيش زمن الدولة الرومانية المسيحية وليست الوثنية

ص:352

بعدهما أعلن (قسطنطين) إن الدين الرسمي للدولة هو الدين المسيحي، لذا فلا يوجد في هذه الفترة الا جيوب صغيرة للوثنية، فليس هناك كفاً بل هناك نصارى بعضهم على الحق وبعضهم ليس عليه، كما هو حال كل دين بعد وفاة نبيه، لذا فقول المفسرين واختيارهم بين الطرفين بأن هذا الطرف مؤمن والطرف الثاني كافر مما لا دليل عليه إطلاقاً، لكنه اعتقاد خاطيء عند الرعييل الأول من المفسرين جرّاء روايات أجمع العلماء على ضعفها، إذ أن المشهور أن عامة روايات قصص الأنبياء لا تثبت بطرق معتبرة، وهذا القول الناتج من روايات ضعيفة ترسّخ الى أن وصل الى المتأخرين وصار لا يقبل التأويل!!

وأقوى ما يستدل به المستدل هو رأى الطباطبائي في تفسيره إذ يقول(1) «وقوله:

(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) (الكهف: من الآية 21).

" هؤلاء القائلون هم الموحدون ومن الشاهد عليه التعبير عما اتخذوه بالمسجد دون المعبد فإن المسجد في عرف القرآن هو المحل المتخذ لذكر الله والسجود له قال تعالى:

(وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ) (الحج: 40)».

وهذا المعنى غير راجح، فالطرف الأول لو كان متيقناً من تفسير ما حدث وهو أمر خارج عن العادة فقد يكونوا هم من يطلبون بناء المسجد باعتقاد أنه أمر راجح، فالأمر يدور بين طرفين متشابهين بالعقيدة لا بين كفار ومؤمنين، ثم إن

ص: 353

الطرف الأول لم يُرد بناء معبد حتى تكون القرينة بالمقابلة بين المعبد والمسجد، إضافة لكون المسجد في القرآن مصطلح لغوي لا علاقة له بمضمون استعماله وذلك كقوله تعالى:

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجاً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة: 107).

فهنا أتى ذكر المسجد بكونه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين وإزواجاً لمن حارب الله ورسوله، إذن فكلمة مسجد بنفسها لا تدل على كون من يتخذه من المستقيمين.

نعم قد يكون في قوله تعالى:

(وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا) (الكهف: 21).

هذا القول منه تعالى قد يشير الى ما أفادته بعض الروايات من كون أهل الكهف قد خرجوا في زمان كان فيه النصارى قد اختلفوا في مسألة البعث والنشور وبالتالي نعلم بهذا إن الطرفين من النصارى وأحدهم مستقيم والآخر منحرف.

وبذلك يتبين أن ما فهمه ابن تيمية وغيره من حرمة اتخاذ المساجد على القبور وما فهمه غيره لا ينطبق على ما تفعله الشيعة وهذا خارج تخصصاً عن مورد دلالة النصوص التي رواها الشيعة والسنة.

قال ابن تيمية فى طاعة الأئمة «أحدها أن يقال إن كان أتباع الأئمة الذين تُدعى لهم الطاعة المطلقة وأن ذلك لا يوجب لهم النجاة واجبا كان أتباع خلفاء بنى أمية الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقا ويقولون إن ذلك يوجب النجاة مصيبين على الحق وكانوا فى سبهم عليا وغيره وقتالهم لمن قاتلوه من شيعة على مصيبين لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة فى كل شىء وأن الإمام لا يؤاخذ الله بذنب وأنه لا ذنب لهم فيما أطاعوا فيه الإمام، بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبهم وأيدهم وملّكهم فإذا كان من مذهب القدرية أن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح لعباده كان تولية أولئك الأئمة مصلحة لعباده، ومعلوم أن اللطف والمصلحة التى حصلت بهم أعظم من اللطف والمصلحة التى حصلت بإمام معدوم أو عاجز ولهذا حصل لأتباع خلفاء بنى أمية من المصلحة فى دينهم ودنياهم أعظم مما حصل لأتباع المنتظر، فإن هؤلاء لم يحصل لهم إمام يأمرهم بشىء من المعروف ولا ينهاهم عن شىء من المنكر، ولا يعينهم على شىء من مصلحة دينهم ولا دنياهم بخلاف أولئك فإنهم انتفعوا بأئمتهم منافع كثيرة فى دينهم ودنياهم أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم»(1).

ص:355

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 155.

الجواب:

إن الرجل يفصح عن نصبه بداعٍ وبدونه! وإلّا فما علاقة ما تقوله الإمامية امتثالاً للقرآن والسنة بما ابتدعه بنو أمية حتى يقول ابن تيمية بارتباط المقولتين!

فسبحانه تعالى يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: من الآية 59).

فربط طاعة أولى الأمر الذين لا- يمكن أن يكونوا غير معصومين، لأسنه لو أمر بطاعتهم على الإطلاق كما هو المورد لكان الله قد طلب إطاعتهم في وقت المعصية وغيرها وهذا باطل، لأنه ينتج حينئذ تناقض القرآن وهذا لا يمكن، فثبت أن طاعة أولى الأمر مرتبطة بطاعة الله والنبي لكونهم معصومين، وحديث الثقلين الذي يربط الأخذ بالكتاب والعترّة للنجاة وعدم الضلال فهذا استدلت الإمامية على الأخذ بطاعة الأئمة مطلقاً أما بنو أمية فقد كانوا أئمة ظلم وجور متسلّطين على الأمة بالقهر والقوّة الغاشمة، يسفكون الدم الحرام ويحرقون الكعبة ولا يعظمون ما يعظمه الله ورسوله وينتهكون أعراض المسلمين وبعد هذا فأى وزن لقولهم وكيف يربطه ابن تيمية باستدلال الإمامية؟!

وقد حكم الرازي من أهل السنة بعصمة أولى الأمر فقال(1) «اعلم أن قوله: (وأولى الأمر منكم) يدل عندنا على أن إجماع الأمة حجة، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن

ص:356

معصوما عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعتها، فيكون ذلك أمرا بفعل ذلك الخطأ والخطأ لكونه خطأ منهى عنه، فهذا يفضى إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وانه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوما عن الخطأ، فثبت قطعا أن أولى الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوما، ثم نقول: ذلك المعصوم إما مجموع الأمة أو بعض الأمة، لا جائز أن يكون بعض الأمة؛ لأننا بينا أن الله تعالى أوجب طاعة أولى الأمر في هذه الآية قطعا، وإيجاب طاعتهم قطعا مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أننا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضا من أعضائ الأمة، ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله: (وأولى الأمر) أهل الحل والعقد من الأمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة».

ولما كان الرازي يحاول التملص من إلزام الشيعة لأهل السنة في هذه المسألة فقال بعصمة الأمة! صرح في موضع آخر بأن المعصوم هنا العلماء وليس غيرهم فقال:

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: من الآية 59).

والمراد من أولى الأمر العلماء في أصح الأقوال»(1)!!

ومن هنا يعلم «إن عصمة أولى الأمر ووجوب طاعتهم أمر مفروغ منه لدى

ص: 357

أغلبية المسلمين ولكن الاختلاف الكبير هو في تحديد أولى الأمر الذين وجب عليهم طاعتهم، ونرى أن الشيعة في الوقت الذي أسرعوا فيه بتحديد المقصود بأولى الأمر وأعلنوا أنه الإمام المعصوم بصورة مطابقة وموافقة كلياً لعناصر صياغتهم المنطقية وأصولها ومقوماتها ومنذ أمد بعيد أخذ هال السنة يدورون في رحاب المعاني والتعابير عليهم يجدون مخرجا لما وقعوا فيه من إخراج» (1) وهكذا في كل مرة لا يكون الحل إلا بالعودة لمنابع الإسلام النقيّة وهي القرآن والسنة النبوية التي نقلها أهل بيت النبي عليهم السلام والصحابة المنتجبون.

وانتبه لقول ابن تيمية عن ملوك بني أمية «بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصّبهم وأيدهم وملّكهم»
فأئمة الضلال الأمويون «أقامهم الله ونصّبهم وأيدهم وملّكهم»!!

كيف أقامهم؟! ومتى نصّبهم؟! وما دليل تأييد الله لهم؟! وهل كان تمليكهم برضى الله أم بمشيئة الله؟!

وهل يستطيع الأمويون أن يناضلوا عن أنفسهم بأفضل مما ناضل عنهم ابن تيمية! وكيف يكونون منصّبين ومقامين ومؤيدين من الله وهم الشجرة الملعونة في القرآن؟! كيف يكونون منصّبين من الله وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بقتل معاوية إذا صعد المنبر - سياطيك تخريجه - إن تأييد الله ليزيد وتصيبيه له يجعل حرقه الكعبة وقتله الحسين وأصحابه وشربه المسكر ولعبه بالقروذ وإباحته المدينة لعسكر الشام النصارى ليعيشوا بمدينة النبي الفساد يجعل كل ذلك حلالا زلالا شرعيا فعلام لعنه ابن الجوزي الحنبلي وكثير من أعلام السنة إذن؟!

ص: 358

وعلام اعترض من اعترض لما وجدوا ابو داوود قد روى له فى سننه؟!!

ومن هؤلاء المنصّبين المؤيّدين من أراد شرب الخمر فوق الكعبة وهو المعروف بالوليد الزنديق وأخباره اشهر من أن يسأل عنها.

إن الأمر أوضح من أن يُستدل عليه. ورحم الله المتنبى الشاعر:

وإذا استطال الشىء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

فقد وجدتنى وأنا اعدّد بعض موبقات بنى أمية كشخص أدخل إصبغه فى بحر وأخرجه فتبلل بشىء يسير من الماء وبقي البحر على حاله وإلا فسيئاتهم كالبحر لا يمكن أن نحيط بكل قطره فانتشار موبقاتهم وما جرّت على الأمة من ويلات وعذابات لا ينكرها إلا زنديق.

وانظر الى قول ابن تيمية «ومعلوم أن اللطف والمصلحة التى حصلت بهم أعظم من اللطف والمصلحة التى حصلت بإمام معدوم أو عاجز، ولهذا حصل لأتباع خلفاء بنى أمية من المصلحة فى دينهم ودنياهم أعظم مما حصل لأتباع المنتظر، فإن هؤلاء لم يحصل لهم إمام يأمرهم بشىء من المعروف ولا ينهاهم عن شىء من المنكر ولا يعينهم على شىء من مصلحة دينهم ولا دنياهم، بخلاف أولئك فإنهم انتفعوا بأئمتهم منافع كثيرة فى دينهم ودنياهم أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم».

قلت:

فوالله إن المرء يكاد يصمت من العجب فأى مصلحة دينية حصلت بتولية بنى أمية؟! وهم المبتدعة الذين قلبوا الإسلام رأساً على عقب؟! أما المصلحة الدنيوية فهى كما قال لكونهم أهل دنيا كما هو ابن تيمية. وسيأتيك من النصوص الصحيحة فى وجوب لعن معاوية إن سعد المنبر، وكونه ملعون على لسان النبى صلى الله عليه وآله.

ص: 359

قال ابن تيمية «فإن الأئمة الذين يُدعى فيهم العصمة قد ماتوا منذ سنين كثيرة، والمنظر له غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنة وعند آخرين هو معدوم لم يوجد والذين يطاعون شيوخ من شيوخ الرافضة أو كتب صنفها بعض شيوخ الرافضة وذكروا أن ما فيها منقول عن أولئك المعصومين وهؤلاء الشيوخ المصنّفون ليسوا معصومين بالاتفاق، ولا مقطوعاً لهم النجاة فإذا الرافضة لا يتبعون إلا أئمة لا يقطعون بنجاتهم ولا- سعادتهم فلم يكونوا قاطعين لا- بنجاتهم ولا بنجاة أئمتهم الذين يباشرونهم بالأمر والنهي وهم أئمتهم حقاً وإنما هم في انتسابهم إلى أولئك الأئمة بمنزلة كثير من أتباع شيوخهم الذين ينتسبون إلى شيخ قد مات من مدة ولا يدرون بماذا أمر وما نهى، بل له أتباع يأكلون أموالهم بالباطل ويصدون عن سبيل الله يأمرونهم بالغلوة(1) في ذلك الشيخ وفي خلفائه

ص: 360

1- (1) الشيخ ابن تيمية يتكلم عن الغلو في المشايخ!! ولو تصفحت ما كتبه اصحاب ابن تيمية فيه لوجدت الغرائب من الغلو، ومنها ما جاء في العقود الدرية في مناقب ابن تيمية إذ يقول المؤلف عن الشيخ ابن تيمية «هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم سيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر شيخ الإسلام بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقى الدين أبو العباس احمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن أبي محمد عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله ابن تيمية الحراني نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها... العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين أوحد علماء الدين بركة الإسلام حجة الأعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة وقامت به على أعدائه الحجة واستبانته ببركته وهدية المحجة... أعلى الله مناره وشيد به من الدين أركانه... ماذا يقول

وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَرْبَابًا» (1).

الجواب:

إن الكثير من رواة الأخبار الذين يأخذ عنهم أهل السنة رواياتهم كانوا شيعة رووا لنا رواياتنا عن الأئمة فلم يكونوا منقطعين عند روايتهم لنا ويكونوا متصلين عند روايتهم للسنة؟!!

ولو أردنا ان نمائل الإشكال لقلنا إن النبي صلى الله عليه وآله توفي منذ مئات السنين وما ينقل اليوم من سيرته هي ما كتبت من قبل أقرباء السلطنة بعد أكثر من قرن من رحيله والعديد من روايتهم نواصب كانوا اتخذت منهم الأموية أئمة للإسلام فضلوا وأضلوا فكيف تعرفون انتساب دينكم إلى النبي؟!!

لكن الفرق بيننا وبينهم ظاهر، فما عندنا من علوم دينية مقصورة في النقل عن معصومين تركوا لنا علوم الدين مشفوعة بطرق الوصول الى الصحيح منه والمكذوب، وبذلك كنا تبعاً لهم ليس لنا رأى، ولا نقيس، ولا نعمل عقولنا في مقاصد الشريعة إلا بدليل من الثقل الأكبر أو الأصغر.

وقد أوصى الأئمة عليهم السلام أتباعهم بكتابة كلامهم وحفظه وبقى منه أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنف قام المحدثون بجمعها في أربعة كتاب وبالتالي فمذهب أهل البيت متواتر بطرق يستحيل التشكيك بها.

وأي هذا من اتباع أقوال عمر، وبدع عثمان، ودين معاوية وبنى امية؟!!

ص: 361

نصف الأمة وأكثر لم يبايع علياً عليه السلام!

قال ابن تيمية «الثالث أن قوله هؤلاء الأئمة أن أراد بذلك أنهم كانوا ذوى سلطان وقدرة معهم السيف فهذا كذب ظاهر، وهم لا يدعون ذلك بل يقولون إنهم عاجزون ممنوعون مغلوبون مع الظالمين، لم يتمكن أحد منهم من الإمامة إلا-على بن أبي طالب مع أن الأمور استصعبت عليه ونصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه، بل كثير منهم قاتلوه وقتلهم وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه وفي هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقتلوا معه وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع على مثلهم بل الذين تحلفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقتل معه، وإن أراد أنه كان لهم على ودين يستحقون به أن يكونوا أئمة فهذه الدعوى إذا صحّت لا توجب كونهم أئمة يجب على الناس طاعتهم، كما أن استحقاق الرجل أن يكون إمام مسجد لا يجعله إماماً واستحقاقه أن يكون قاضياً لا يصيره قاضياً واستحقاقه أن يكون أمير الحرب لا-يجعله أمير الحرب والصلاة لا تصحّ إلا خلف من يكون إماماً بالفعل، ولا خلف من ينبغى أن يكون إماماً، وكذلك الحكم بين الناس إنما يفصله ذو سلطان وقدرة لا من يستحق أن يولى القضاء وكذلك الجند إنما يقاتلون مع أمير عليهم لا مع من لم يؤمر وإن

كان يستحق أن يؤمر»(1).

الجواب:

قوله «ونصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه وفي هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقاتلوا معه وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع على مثلهم بل الذين تحلفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقاتل معه».

قلت:

هذا الكلام فيه كذب بين، فالبيعة للإمام كانت بيعة عامة وهي الوحيدة التي جرت بدون تهديد ووعيد ومؤامرات، وقد بايعه أهل المدينة كلهم ماعدا سعد بن مالك وعبد الله بن عمر وقيل: أسامة بن زيد، وبايعه أهل العراق وأذربيجان وخراسان وأهل مصر، ولم يبق غير الشام فكيف يقول ابن تيمية «ونصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه» إلا إذا كان ابن تيمية قد قام بإحصاء سكانى شامل قرر بموجبه تلکم النتيجة! وقوله «بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه».

قلت:

إن كان يقصد الصحابة، كما فى ما قاله بعد هذا الكلام فهذا غريب فابن أبى ليلى كان يقول إن صفيين شهدها من أهل بدر سبعون رجلا(2) ، وكلهم مع أمير المؤمنين عليه السلام ويكفى أن يكون فيهم خزيمة ذو الشهادتين وعمار بن

ص: 363

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 192 و 193.

2- (2) العلل - احمد بن حنبل - ج 1 - ص 287.

ياسر، ولكن ابن تيمية أراد إسقاط تلك الفضيلة من الميزان هنا لان معاوية وعمرو بن العاص كانوا من (مسلمة) الفتح ولم يكن في جانب معاوية رجل بدرى، فتكلم ابن تيمية بالعموم للتشويش وتضييع تلك الحقيقة.

وفى قوله «وفى هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقاتلوا معه وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع على مثلهم بل الذين تخلفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقاتل معه».

وهو يقرر هنا إن الذى تخلف عن أمير المؤمنين وعن معاوية كانوا أفضل من عامة الصحابة! وأعدائه والذين تخلفوا بضعة رجال منهم سعد بن مالك وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد والأول على ما يروون من العشرة فى الحديث الموضوع. ولا اعرف كيف يكون عبد الله بن عمر أفضل من خزيمة ذو الشهادتين وأفضل من عمار وأفضل من مالك الأشر وأبو الهيثم بن التيهان!! إلا إذا كانت معايير الأفضلية مرتبطة عند ابن تيمية بالموقف من على عليه السلام، فمن خذل عليا فهو فاضل ومن سار معه فهو مشكوك فى أمره. والعكس صحيح بالنسبة لمعاوية فكل شىء فى معاوية ومعه حسن عند ابن تيمية!.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَقَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال: 73).

قال ابن تيمية «الوجه السادس أن يقال: قوله (لم يتخذوا ما اتخذه غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصى) كلام باطل وذلك أنه إن أراد أهل السنة يقولون إنه يؤتم بهؤلاء الملوك فيما يفعلونه من معصية الله فهذا كذب عليهم، فإن علماء أهل السنة المعروفين بالعلم عند أهل السنة متفقون على أنه لا يقتدى بأحد

فى معصية الله، ولا يتخذ إماما فى ذلك، وإن أراد أن أهل السنة يستعينون بهؤلاء الملوك فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله ويعاونونهم على ما يفعلونه من طاعة الله فيقال لهم إن كان اتخاذهم أئمة بهذا الاعتبار محذورا فالرافضة أدخل منهم فى ذلك فإنهم دائما يستعينون بالكفار والفجار على مكالبهم ويعاونون الكفار والفجار على كثير من ماربهم وهذا أمر مشهود فى كل زمان ومكان»(1).

الجواب:

هلا أعطانا ابن تيمية شاهدا على ما قال؟! بل هو يعلم أن لا شاهد له لذا فهو يعمم ويبالغ فى افتراءاته، والشيعية لا تقصد الأمرين، وابن تيمية يعلم بالمراد، فالبيعة الشرعية عندهم تكون لازمة للحاكم الفاسق الفاجر بدون طاعة للمعصية التى يفعلها - نظريًا - وكونه فاجرا فاسقا لا يغير من وجوب طاعته عندهم إلا فى معصيته كما يقولون، وعلى ارض الواقع لا يطبقون هذا بل يطيعونه حتى فى معاصيه وقد شهدنا فى عصرنا هذا حادثة نوردها كنموذج على ما نقول فقد أفتى علماء السلفية (ومنهم الشيخ جاسم السعيدى من أهالى البحرين) حكموا بحرمة مشاركة المرأة بالانتخابات فى البحرين، ولما أعطى ملك البحرين أمرا بجواز مشاركة المرأة بالانتخابات قال هذا الشيخ على شاشات تلفزيون BBC وقد رآه الملايين: لقد أمر ولى الأمر بذلك ولا كلام لنا بعد!!

فإن كان هذا حراما فقد أطمعتموه فيه، وإن كان حلالا فكيف حرّمتموه؟!

ومن مخازيهم ما فعله أحد كبارهم أثناء شن العدو الصهيونى حربه على لبنان فى صيف 2006 م ولما كان موقف السعودية السياسى سلبياً من حزب الله

ص:365

اللبناني فقد أفتى أحد فقهاء السلطة والمسّمى (عبد الله الجبرين) فتوى بتحريم نصره حزب الله ضد الصهاينة الذين غزوا لبنان ودمروا بلاد المسلمين وعاثوا في الأرض الفساد!! وهذا نص الفتوى:

عنوان الفتوى: هل يجوز نصره (ما يسمّى) حزب الله الرفضى

المفتى العلامة الدكتور/عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين

رقم الفتوى 15903

تاريخ الفتوى: 1427/6/21 هـ -- 2006/7/17

السؤال: هل يجوز نصره (ما يسمّى) حزب الله الرفضى؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنة؟

الجواب:

لا يجوز نصره هذا الحزب الرفضى، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرؤوا منهم، وأن يخذلوا من ينضموا اليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديماً وحديثاً على أهل السنة، فإن الرفضة دائماً يضمرون العدا لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والظعن فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والاهم دخل فى حكمهم لقول الله تعالى:

(وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) .

فمن الذى يعاون اليهود والنصارى ضد المسلمين إذن؟! والغريب منه أنه وبعد تغير الموقف السعودى من الحرب إثر نشر الصحف الغربية المباحثات السرية

ص:366

التي كان فيها السياسيون السعوديون يظهرون الشماتة بحزب الله، أصدر هذا الشيخ فتوى ثانية قال فيها أن هذه الفتوى كانت قديمة وقد أصدرت سنة 2002 م وأن بعض الطلبة كان قد جدّدها في هذا الوقت، فأى دين هذا الذي تكون فتاواه تبعا للسياسة ودهاليز القصور؟!

وحسبك ما جرى هذه الأيام (في يوم 1-10-2011) إذ طلب طاغية اليمن من مفتي البلاد أن يصدر فتوى بحرمة المظاهرات التي تدعو الى الكرامة والانتخاب الحر والقضاء على الفساد، فأصدر المفتي في اليوم اللاحق ذلك بلا حرج!

قال ابن تيمية «الوجه التاسع أن يقال: إمام قادر ينتظم به أمر الناس في أكثر مصالحهم بحيث تأمن به السبل ويقام به ما يقام من الحدود ويدفع به ما يدفع من الظلم ويحصل به ما يحصل من جهاد العدو، ويستوفى به ما يستوفى من الحقوق، خير من إمام معدوم لا حقيقة له، والرافضة تدعو إلى إمام معصوم وليس عندهم في الباطن إلا إمام معدوم وفي الظاهر إمام كفور أو ظلوم، فأئمة أهل السنة ولو فرض ما فرض فيهم من الزلل والذنوب خير من الأئمة الظاهرين الذين يعتقدهم الرافضة وخير من إمام معدوم لا حقيقة له، وأما الأئمة الباكون الذين كانوا موجودين فأولئك يأتّم بهل أهل السنة كما يأتّمون بأمثالهم فهو وأمثالهم أئمة ومن أتّم بهؤلاء مع أمثالهم من سائر المسلمين كان خيرا ممن أتّم بهم وحده فإن العلم رواية ودراية كلما كثر فيه العلماء اتفقوا على ذلك كان أقوى وأولى الاتباع فليس عند الشيعة خير إلا وأهل السنة يشركونهم فيه والخير الذي اختص به أهل السنة لا يشركهم فيه الشيعة»(1).

ص:367

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 196.

الجواب:

إن كلامه يستلزم أن بنى أمية والعباس الذين هم عند ابن تيمية على هذا الفرض عندهم (زلل وذنوب) خير من أتقى أهل زمانهم! وهذا الخلاف في الأصل يتبع إلى كيف يكون الرجل إماما فعندما قلنا بالتنصيب الإلهي قالوا بالغلبة والشورى والعهد لذا فتناقضهم يفرضى الى هكذا أحكام جائزة.

أما قوله «وأما الأئمة الباقون الذين كانوا موجودين فأولئك يأتهم بهل أهل السنة كما يأتون بأمثالهم فهو وأمثالهم أئمة ومن أئمتهم بهؤلاء مع أمثالهم من سائر المسلمين كان خيرا ممن أئمتهم بهم وحده».

قلت:

كيف اقتديتم بهم وكتبكم تخلوا أو تكاد من أرائهم الفقهية وفتاويهم وقراءاتهم، بل إنكم كنتم تضربون بالسوط من يقرأ بقراءتهم القرآنية قال الذهبي (1) «قلت: قد انعقد الإجماع بأخرة على تلقي قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلم فيها، فقد كان من بعض السلف في الصدر الأول فيها مقال. وكان يزيد بن هارون ينهى عن قراءة حمزة، رواه سليمان بن أبي شيخ وغيره عنه. وقال أحمد بن سنان القطان: كان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهية شديدة. وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: لو كان لى سلطان على من يقرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره. وكان أحمد بن حنبل يكره قراءة حمزة. وحكى زكريا الساجي أن أبا بكر بن عياش قال: قراءة حمزة بدعة».

وكل هذا لان حمزة قرأ على أهل البيت عليهم السلام!

ص: 368

قال السيد حسن الصدر «وجد بخط الشيخ الشهيد محمد بن مكى عن الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن الحداد الحلبي ما صورته: قرأ الكسائي القرآن على حمزة، وقرأ حمزة على أبي عبد الله الصادق، وقرأ عن أبيه، وقرأ على أبيه، وقرأ على أبيه، وقرأ على أمير المؤمنين علي. قلت: وحمزة على الأعمش أيضاً، وعلى حمران بن أعين، وهما من شيوخ الشيعة أيضاً»(1).

وخير مثال على ذلك أفضل كتاب جامع للصحيح عندهم فهو يروى عن أكثر من ستين من النواصب بينما لا يرى البخاري الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام سيد أهل زمانه!

بل لو لم يكن إلا هذا الكتاب المسمى ظلماً (منهاج السنة) لكان من أكبر الأدلة على ما يضمرونه من مرتبة وضعية لأهل البيت وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا بشهادة المخالف والمؤلف. فكم من حديث صحيح يكذبه ابن تيمية كما صرح بذلك الألباني في صحيحته.

فقال في الحديث الوارد في علي عليه السلام «هو ولي كل مؤمن بعدى» ما نصه: «فقد جاء من حديث ابن عباس، فقال الطيالسي: حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: أنت ولي كل مؤمن بعدى. وأخرجه أحمد ومن طريقه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وواقفه الذهبي وهو كما قال. وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلى مولاه... فمن العجيب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في "منهاج السنة!".

ص: 369

وقال ابن حجر فى كلامه حول كتاب ابن تيمية منهاج الاعتدال(1) «طالعت الرد المذكور فوجدته كما قال السبكى فى الاستيفاء لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية فى رد الأحاديث التى يوردها ابن المطهر وان كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات لكنه رد فى رده كثيرا من الأحاديث الجياد التى لم يستحضر حالة التصنيف مظانها لأنه كان لاتساعه فى الحفظ يتكل على ما فى صدره والإنسان عامد للنسيان وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضى أدته أحيانا إلى تنقيص على رضى الله عنه وهذه الترجمة لا يحتمل إيضاح ذلك وإيراد أمثله».

وكثير مثل ذلك وهى خير دليل على النصب.

بل ان ابن تيمية قد تناقض هنا وجاء بما تستخفُّ العقول معه! إذ يقول فى موضع آخر من منهاجه الأموى فى رد دعوى العلامة الحلى فى كون الناس استفادت من على عليه السلام علوم الإسلام فقال ابن تيمية «فهذا باطل فان أهل الكوفة التى كانت داره كانوا قد تعلموا الإيمان والقران وتفسيره والفقه والسنة من ابن مسعود وغيره قبل أن يقدم على الكوفة، وإذا قيل أن أبا عبد الرحمن قرأ عليه فمعناه عرض عليه وإلا فأبو عبد الرحمن كان قد حفظ القران قبل أن يقدم على الكوفة وهو وغيره من علماء الكوفة مثل علقمة والأسود والحارث التيمى وزر ابن حبيش الذى قرأ عليه عاصم بن أبى النجود اخذوا القران عن ابن مسعود وكانوا يذهبون إلى المدينة فيأخذون عن عمر وعائشه ولم يأخذوا عن على كما اخذوا عن عمر وعائشة، وشريح قاضيه إنما تفقه على معاذ بن جبل باليمن وكان يناظره فى الفقه ولا يقلده، وكذلك عبدة السلماني كان لا يقلده بل يقول له رأيك مع عمر فى الجماعة احب إلينا من رأيك وحدك فى الفرقة.

ص:370

وأما أهل المدينة ومكة فعلمهم أيضا ليس مأخوذا عنه وكذلك أهل الشام والبصرة فهذه الأمصار الخمسة الحجازان والعراقان والشام هي التي خرج منها علوم النبوة من العلوم الإيمانية والقرآنية والشريعة وما اخذ هؤلاء عنه فان عمر رضى الله عنه كان قد أرسل إلى كل مصر من يعلمهم القرآن والسنة وأرسل إلى أهل الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وغيرهما وأرسل إلى العراق ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وغيرهما»(1).

وبهذا فالأمصار الخمسة لم تأخذ شيئا عن على عليه السلام! فما فضل على على التابعين، فضلا عن بعض الصحابة. وكيف كان رابعا فى الفضل على ما يدعون؟!

ص:371

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 4

الظهور بالسنان واللسان... هو نصر الله في الدنيا!

قال ابن تيمية «الوجه الحادى عشر قوله (قالت الإمامية فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء وهو خير الحاكمين) فيقال للإمامية: إن الله قد حكم بينهم فى الدنيا بما أظهره من الدلائل والبيّنات وبما نصر به أهل الحق عليكم فهم ظاهرون عليكم بالحجة والبيان وباليد والسنان كما أظهر دين نبيه على سائر الأديان قال تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة: 33).

وكان من دينه قول أهل السنة الذى خالفتموهم فيه فإنه ظاهر عليكم بالحجة والسنان كظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأديان، ولم يظهر دين محمد صلى الله عليه وسلم قط غير غيره من الأديان إلا بأهل السنة، كما ظهر فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ظهورا لم يحصل لشيء من الأديان وعلى رضى الله عنه مع أنه من الخلفاء الراشدين ومن سادات السابقين الأولين فلم يزهروا فى خلافة دين الإسلام بل وقعت الفتنة بين أهله،

ص: 372

وطمع فيهم عدوهم من الكفار والنصارى والمجوس بالشام والمشرق وأما بعد على فلم يعرف أهل علم ودين ولا أهل يد وسيف نصر الله بهم الإسلام إلا على أهل السنة وأما الراضنة فإما أن تعاون أعداء الإسلام وإما أن تمسك عن نصر الطائفتين ولا ريب أن الله تعالى يحكم يوم القيامة بين السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وبين من عادهم من الأولين والآخرين كما يحكم بين المسلمين والكفار»(1).

الجواب:

إن نسبه ظهور دين الإسلام الى الثلاثة يضحك الثكلى وإلا فلم لم يكونوا يتصدون للمعضلات التي كانت تأتيهم من النصارى واليهود وكانوا يولولون منها ولا يجدون محيصا من المجيء إلى على عليه السلام حتى قيل معضلة وليس لها أبو الحسن!

ولو كان ظهور دين معين بالسيف والكثرة لكانت الغلبة للنصارى في هذا الزمان حجة على ابن تيمية فبلادهم تتقدم عسكريا وتقنياً، وهي تستعمر الأرض شرقا وغربا ثقافيا، وعسكريا، وبلدان الإسلام تتوسل المساعدات المالية والعسكرية والتقنية من الكفار، وهذا يدل على بطلان ما كان يقوله ابن تيمية وما اعتمد فيه على عقله الصغير، فلو كان قد نهل من منابع اهل البيت الصافية لما أصبح كلامه أضحوكة!

واما داخل الجسد الإسلامى فما قول ابن تيمية لو عاش في القرن العشرين والحادى والعشرين ورأى الشيع وهو يزحف الى القلوب وتفتح بصائر الناس

ص:373

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 197.

يومياً بالألوف في آسيا وأفريقيا وبلدان المغرب العربي خصوصاً؟!!

أما قوله «وعلى رضى الله عنه مع أنه من الخلفاء الراشدين ومن سادات السابقين الأولين فلم يزهر في خلافته دين الإسلام بل وقعت الفتنة بين أهله وطمع فيهم عدوهم من الكفار والنصارى والمجوس بالشام والمشرق».

على رأى ابن تيمية لا يزهر الدين عند تولى على عليه السلام للخلافة لكون على كشف بغى الأمويين وكيف لا وهو الفيصل بين الحق والباطل! وأما الفتنة فالذى أوقعها الناكثون لبيعتهم والقاسطون للمسلمين. وعلى هذا فالنبي اكبر فاتن لكونه أوقع الحرب بين المشركين والمسلمين بين أهل الحق والباطل على قياس ابن تيمية المسموم.

وهذا على تعريف الفتنة بانها الاختبار، أما على ما يقصده ابن تيمية من كون الفتنة هي عدم ظهور الحق او الباطل وعدم ظهور الحق فى زمن معين فهذا مما ننكره لكون النصوص النبوية جليّة فى نصره على عليه السلام نقلنا بعضها فى هذا الكتاب.

والذى اطمع أعداء الإسلام فيه هم الناكثون والقاسطون والمارقون، وقد قام على عليه السلام فى حربهم خير قيام، ولو لم يتم لكان معطلا أحكام الإسلام إذ يقول(1) «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتابا، ولا يدعى نبوة ولا وحيا. فقاتل بمن أطاعه من عصاه. يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكا لا خير فيه. حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم

ص:374

1- (1) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 1 - ص 199-200.

محلّتهم فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم. وأيم الله لقد كنت من ساقّتها حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفت ولا جنبت، ولا خنت ولا وهنت.

وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته» وهذه هي الصلابة في العقيدة، فلا رشوة ولا مداهنة في دين الله كما كان يفعل من قبله ممن يقول فيهم الإمام عليه السلام «وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده وأتمم أحكامه ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت. وأما المارقة فقد دوخت. وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره. وبقيت بقية من أهل البغي. ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأذيلن منهم إلا ما يتشذر في أطراف البلاد تشذرا»(1).

فوالله لو كان معاوية هو الذي مكان على لوجدوا له الأعذار ولكنه على عليه السلام.

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم ذلك منهم وهو الذي يقول «هذا ماء آجن. ولقمة يغص بها أكلها. ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه فإن أقل يقولوا حرص على الملك. وإن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه. بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»(2).

ص: 375

1- (1) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 2 - ص 156.

2- (2) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 1 - ص 40-41.

وأنى يكون أمير المؤمنين عليه السلام تحت ميزان الحق وهو الحق؟! يقول أمير المؤمنين عليه السلام «أقمت لكم الحق حيث تعرفون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميّهون. اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عزب فهم امرئ تخلف عنى، ما شككت فى الحق منذ رأيتة»(1).

فهو منار الهدى من تأخر عنه قصّر ومن تقدّمه أفرط، ومن لزمه اهتدى يقول الإمام «فقمتم بالأمر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتوا. ومضيت بنور الله حين وقفوا. وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوتا. فطرت بعنانها واستبددت برهانها. كالجبل لا تحركه القواصف. ولا تزيله العواصف. لم يكن لأحد فى مهمز ولا لقائل فى مغمز. الدليل عندى عزيز حتى أخذ الحق له. والقوى عندى ضعيف حتى أخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره. أترانى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله والله لأنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى وإذا الميثاق فى عنقى لغيرى»(2).

هذا هو الرجل الذى يخطأه ابن تيمية لكونه حارب معاوية الطليق اللصيق!

ص:376

1- (1) الإرشاد - الشيخ المفيد - ج 1 - ص 253-254.

2- (2) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 1 - ص 88-89.

عِلْمُ أَهْلِ الْبَيْتِ كَعِلْمِ أُمَّتِهِمْ.. عِنْدَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

قال ابن تيمية «فإذا قال هذا (روى جدنا عن جبريل عن الباري) قيل نعم وهؤلاء أعلم منكم بما روى جدكم عن جبريل، وأنتم ترجعون في ذلك إليهم وإذا كان كل من الأولين والآخرين من بنى هاشم قد تعلّم بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من غيره بل من غير بنى هاشم كان هذا من أمانة أنه لا علم عندهم بذلك إلا كعلم أمثالهم، فبمن يأتّم الناس وعمّن يأخذون عمّن يُعرف ما جاء به جدّهم؟ أو عمّن لا يعرف ذلك والعلماء هم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر.

وإن قال: مرادى بهؤلاء الأئمة الاثني عشر.

قيل له ما رواه علي بن الحسين وأبو جعفر وأمّثالهما من حديث جدّهم فمقبول منهم كما يرويه أمثالهم، ولولا أن الناس وجدوا عند مالك والشافعي وأحمد أكثر مما وجدوه عند موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي لما عدلوا عن هؤلاء إلى هؤلاء وإلا فأى لأهل العلم والدين أن يعدلوا عن موسى بن جعفر إلى مالك بن أنس وكلاهما من بلد واحد في عصر واحد لو وجدوا عند موسى بن جعفر من علم الرسول ما وجدوه عند مالك مع كمال رغبة المسلمين

ص: 377

فى معرفة علم الرسول ونفس بنى هاشم كانوا يستفيدون علم الرسول من مالك بن أنس أكثر مما يستفيدونه من ابن عمهم موسى بن جعفر. ثم الشافعى جاء بعد مالك وقد خالفه فى أشياء وردها عليه حتى وقع بينه وبين أصحاب مالك ما وقع وهو أقرب نسبا بنى هاشم من مالك ومن أحرص الناس على ما يستفيدة من علم الرسول من بنى عمه وعير بنى عمه فلو وجد عند أحد من بنى هاشم أعظم من العلم الذى وجده عند مالك لكان أشد الناس مسارعة إلى ذلك، فلما كان يعترف بأنه لم يأخذ العلم عن أحد أعلم من مالك وسفيان بن عيينة وكانت كتبه مشحونة بالأخذ عن هذين الاثنيين وعن غيرهما، وليس فيها شىء عن موسى بن جعفر وأمثاله من بنى هاشم علم أن مطلوبه من علم الرسول صلى الله عليه وسلم كان عند مالك أكثر مما هو عند هؤلاء وكذلك أحمد بن حنبل قد علم كمال محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولحديثه ومعرفته بأقواله وأفعاله ومولاته لمن يوافقه ومعاداته لمن يخالفه ومحبته لبنى هاشم وتصنيفه فى فضائلهم حتى صنف فضائل على والحسن والحسين كما صنف فضائل الصحابة ومع هذا فكتبه مملوءة بعلم مثل مالك والثورى والأوزاعى والليث بن سعد ووكيعة بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وهشيم بن بشير وعبد الرحمن بن مهدى وأمثالهم دون موسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على وأمثالهم. فلو وجد مطلوبه عن مثل هؤلاء لكان أشد الناس رغبة فى ذلك فإن زعم زاعم أنه كان عندهم من العلم المخزون ما ليس عن أولئك لكان كانوا يكتمونهم فأى فائدة للناس فى علم يكتمونهم فعلم لا يقال به ككنز لا ينفق منه وكيف يأتى أناس بمن لا يبين لهم العلم المكتوم كالإمام المعدوم وكلاهما لا ينتفع به ولا يحصل به لكف ولا مصلحة»(1).

ص: 378

وحقا قال الإمام الباقر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة وهما من رجالات مذهب الصحابة(1) «شَرِّقًا وَغَرِّبًا لَنْ تَجِدَا عِلْمًا صَحِيحًا إِلَّا شَيْئًا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ».

فالرجل يقلب القاعدة الذهبية التي وضعها إمام الصحابة أمير المؤمنين عليه السلام حين قال «الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله»(2).

فابن تيمية وعن طريق تتبع أفعال مالك والشافعي واحمد استدل على الحق! بينما الواجب أن يعرف الحق من خلال القرآن والسنة والمعصوم فقط، ومنه يُعلم أن من خالفهم على ضلال وأتى لأمثال ابن تيمية من منكوسى القلوب أن يعلموا علوم أهل البيت التي اصطفى الله من يعرفها! فوالله لقد «أثروا عاجلا وأخروا آجلا، وتركوا صافيا وشربوا آجنا. كأنى أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه، وبسئ به ووافقه، حتى شابت عليه مفارقة، وصبغت به خلانقه. ثم أقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق. أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق. أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى، والأبصار اللامحة إلى منار التقوى. أين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله. ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام. ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم، وأقبلوا إلى النار بأعمالهم. دعاهم ربهم فنفروا وولوا. ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا»(3).

وكيف نساوى بين معصوم أوصى الله به ورسوله وجعلوه عدل الكتاب

ص: 379

1- (1) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص 30.

2- (2) روضة الواعظين - الفتال النيسابورى - ص 31.

3- (3) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 2 - ص 27-28.

وأوصى بعدم مخالفته حتى لا- يدخلوا في الضلال وبين أقوام أعراب بوالين على أعقابهم لا- يعرفون من الإسلام إلاّ ما شابه عاداتهم الجاهلية، ولقد اختلف هؤلاء الصحابة في الدين اختلافا عظيما حتى بإمكان الرجل أن يرى أكثر من دين في آرائهم ما نقلوه واختلفوا فيه، قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشير إلى اختلاف الصحابة والضلال الذي دخل به الناس نتيجة نقل البناء عن أساسه (1) «إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابهها، وحفظا ووهما، ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قام خطيبا فقال: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.»

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوكة والدنيا إلا من عصم الله فهو أحد الأربعة ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا

ص:380

يعلم، أو سمعه ينهى عن شىء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهتم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شىء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه. وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى رسول الله صلى الله عليه وآله، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله. وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا. وكان لا يمر بى من ذلك شىء إلا سألت عنه وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس فى اختلافهم وعللهم فى رواياتهم»

وكيف تتبع طريقة أهل السنة ووجه يرجعون فى مروياتهم الى هؤلاء الصحابة؟! نعم لو اقتصرنا على من لجأ إلى ركن شديد من الفقه مثل على وصحابته عمار وأبو ذر وحذيفة والمقداد وأشباههم لكان هذا الهدى.

وأئمة أهل السنّة وإن لم يأخذوا كل العلم عن أهل البيت بل ظلموا انفسهم، فاخذوا منهم كما أخذوا من غيرهم، لكن هذا يرجع الى كونهم يغالون فى الخلفاء الثلاثة لو تقطن لذلك الباحث، فهم يعلمون أن علماء أهل البيت كانوا يعتقدون بوجوب اتباعهم لكونهم الثقل الثانى الموصى به من النبى صلى الله عليه وآله، فلو اخذوا بكل ما جاء به الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

لجرّهم ذلك لاعتقاد الوصيّة وبالتالي تولى على عليه السلام والتبرى من كل من ظلمه وحاربه، وهذا سيجعلهم (رافضة) بأعين الناس، وبالتالي تحمّل المضاعفات السياسية والدينية من المتسلطين فى الدينيات والدينيويات من أمراء فسقة وفقهاء ظلمة، والقوم قد بلغوا من الشهرة ما تزّين لهم نفوسهم ترك هذا الطريق الخشن، وترك الطريق السهل، الطريق الذى سيجعلهم أئمة مطاعين تسير بقصصهم وفتاويهم الركبان، وتستقبلهم الأمراء، وينالون الهبات والأعطيات، وأين هذا من العنت والشدة التى كان عليها من يتشيع لأهل البيت؟!!

لذا كان هؤلاء الإئمة تبعاً لأعدى أعدائهم وهى أنفسهم، إذ يقول خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله «أعدا عدوك نفسك التى بين جنبيك»(1).

قال ابن تيمية «والله يعلم أنى مع كثرة بحثى وتطلّعى إلى معرفة أقوال الناس ومذاهبهم، ما علمت رجلاً له فى الأمة لسان صدق يتّهم بمذهب الإمامية فضلاً عن أن يقال إنه يعتقد فى الباطن، وقد اتّهم بمذهب الزيدية الحسن بن صالح بن حى وكان فقيهاً صالحاً زاهداً، وقيل إن ذلك كذب عليه ولم ينقل أحد عنه إنه طعن فى أبى بكر وعمر فضلاً عن أن يشكّ فى إمامتهما، واتّهم طائفة من الشيعة الأولى بتفضيل على بن عثمان ولم يتّهم أحد من الشيعة الأولى بتفضيل على بن عثمان وعمر، بل كانت عامة الشيعة الأولى الذين يحبّون علياً يفضلون عليه أباً بكر وعمر لكن كان فيهم طائفة ترجحه على عثمان وكان الناس فى الفتنة صاروا شيعتين شيعة عثمانية وشيعة علوية، وليس كل من قاتل مع على كان يفضل على عثمان بل كان كثير منهم يفضل عثمان عليه كما هو قول سائر أهل السنة»(2).

ص: 382

1- (1) عدة الداعى - ابن فهد الحلّى - ص 295.

2- (2) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدريّة - ابن تيمية ج 2 - ص 203.

كعادته ابن تيمية يلقي القول على عواهنه وبدون ذكر لأى مصدر يؤكد ادعاءاته، والخلاف هنا منهجى، فمنهجهم الأموى يجعل كل من يفضل عليا على غيره أما مشكوك الصحبة إذا كان صحابيا، وإما صاحب فتنة كمالك الأشتر وأبو الهيثم بن التيهان وأمثالهم، وبالتالي لا تجد (صالحا) على منهجهم يقول بمقالة الشيعة! وإنما الخير كل الخير بمن قاتل عليا أو أعان عليه كعمرو بن العاص ومعاوية وبسر بن أرطاة وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة أمثالهم، لذا فإنك تجد الكثير ممن قيل بصحبتهم واختلفوا عليهم فى القرن الثانى بعد زوال حكم الأمويين عامتهم من الشام ومن النواصب خصوصا كمعاوية بن حديج الذى أدمن سب أمير المؤمنين عليه السلام، وأزهر الحرازى وشقيق بن سلمة وغيرهم من مشاهير النواصب. وعلى هذا فإن تيمية يقوم باختراع القاعدة على هواه ثم يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء.

وقد وضعوا قواعد لكفكفة انتشار الحديث الكوفى الذى كان يعجُّ بحديث أهل البيت عليهم السلام، فأغلب الكوفيين شيعة، وهم عند النواصب (أهل بدعة) فوضعوا لهم قواعد حتى لا تنتشر أحاديث أهل البيت فى الأمة، قال ابن حجر العسقلانى (1) «قد اختلف أهل السنة فى قبول حديث من هذا سبيله إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب، مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة، موصوفا بالديانة والعبادة، فقيل: يقبل مطلقا، وقيل: يرُدُّ مطلقا، والثالث: التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويردُّ حديث الداعية، وهذا المذهب هو الأعدل وصارت إليه طوائف من الأنمة، وادعى ابن حبان إجماع أهل

النقل عليه لكن فى دعوى ذلك نظر. ثم اختلف القائلين بهذا التفصيل فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زاده تفصيلا فقال إن اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد بدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل وأن لم تشتمل فتقبل وطردهم هذا التفصيل بعينه فى عكسه فى حق الداعية فقال إن اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل وإلا فلا وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له بدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا مال أبو الفتح القشيري إلى تفصيل آخر فيه فقال: إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه هو إخماد لبذعته وإطفاء لناره وأن لم يوافق أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده مع ما وصفنا من صدقه وحرصه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث بدعته فينبغى أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة أهائته وإطفاء بدعته والله أعلم».

قلت:

فانتبه لقوله «إذا كان معروفا بالحرص من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة» فمن كان هذا حاله كان بعضهم يردُّ قوله مطلقا! وبعضهم يفصّل وما التفصيل فى موقفهم منه راجع لدينه! بل لمقالته فى أهل البيت عليهم السلام.

ثم إن قوله «ما علمت رجلا له فى الأمة لسان صدق يُتهم بمذهب الإمامية» من الكذب البين كيف وقد أورد علماء الرجال السنة الأسماء العديدة ويكفى أن نأتى بعدة أسماء:

فمنهم: أحمد بن على بن ربيعة بالتصغير والتثقيب السلمى أبو عتاب عن

ص: 384

ابن عمه منصور بن المعتمر وأبى وائل وجماعة. وعنه ابن عينية وهشيم وآخرون. وثقه ابن معين وقال أبو حاتم شيعى صدوق(1).

ومنهم: خالد بن مخلد الإمام المحدث أبو الهيثم القطوانى الكوفى. سمع مالكا وسليمان ابن بلال وعلى بن صالح بن حى وأبا الغصن ثابت بن قيس ونافع بن أبى نعيم وعدة. وعنه البخارى وروى هو والجماعة سوى أبى داود عن رجل عنه والدارمى وعبد وأبو أمية الطرسوسى وآخرون حتى أن عبید الله بن موسى قد روى عنه، وهو شيعى صدوق يأتى بغرائب وبمناكير(2).

ومنهم: عبد الجبار بن العباس الشبامى الهمدانى الكوفى عن عدى بن ثابت وأبى إسحاق وعنه أبو نعيم وأبو أحمد الزبيرى شيعى صدوق(3).

ومنهم: احمد بن المفضل الكوفى، عن الثورى، وإسرائيل، وعنه الحنينى، وأبو زرعة، وطائفة، شيعى صدوق(4).

ومنهم: عباد بن يعقوب الرواجنى: شيعى صدوق(5) قال ابن حجر: رافضى مشهور إلا أنه كان صدوقا وثقة أبو حاتم وقال الحاكم: كان ابن خزيمة إذا حدث عنه يقول حدثنا الثقة فى روايته المتهم فى رأيه عباد بن يعقوب وقال ابن حبان: كان رافضيا داعية، وقال صالح بن محمد: كان يشتم عثمان رضى الله عنه. قلت: روى عنه البخارى فى كتاب التوحيد حديثا واحدا مقرونا وهو

ص: 385

1- (1) تعجيل المنفعة - ابن حجر - ص 373.

2- (2) تذكرة الحفاظ - الذهبى - ج 1 - ص 406-407.

3- (3) الكاشف فى معرفة من له رواية فى كتب الستة - الذهبى - ج 1 - ص 612.

4- (4) الكاشف فى معرفة من له رواية فى كتب الستة - الذهبى - ج 1 - ص 203.

5- (5) سؤالات الحاكم - الدارقطنى - ص 253.

حديث ابن مسعود أى العمل أفضل وله عند البخارى طرق أخرى من رواية غيره(1).

ومنهم: ابن عبد لله بن جحيفة الكندى: شيعى صدوق.(2)

ومنهم: الحارث بن حصيرة: شيعى صدوق. روى عنه سفيان الثورى. وقال جرير الرازى: كان يصر من التشيع على أمر عظيم.(3)

فإذا لم يعلم ابن تيمية رجلا واحدا له لسان صدق يتهم برأى الإمامية فهؤلاء مجموعة أدرجتهم على عجلة! ومن اكذب من ابن تيمية!؟

(إِنَّمَا يُفْتَرَى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (النحل: 105).

ص: 386

1- (1) مقدمة فتح البارى - ابن حجر - ص 114.

2- (2) كتاب السنة - عمرو بن أبى عاصم - ص 551.

3- (3) سؤالات الآجرى لأبى داود - سليمان بن الأشعث - ج 1 - ص 171.

الشيعة.. وشهادة الزور.. وحرمة أكل لحم الجمال!

قال ابن تيمية «لا نعلم طائفة أعظم تعصّباً في الباطل من الرافضة، حتى أنهم دون سائر الطوائف عرف منهم شهادة الزور لموافقهم على مخالفهم وليس في التعصّب أعظم من الكذب، وحتى أنهم في التعصّب جعلوا للبنت جميع الميراث ليقولوا إن فاطمة رضی الله عنها ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دون عمّه العباس رضی الله عنه، وحتى أن فيهم من حرّم لحم الجمال لأن عائشة قاتلت على جمل فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة والقراة لأمر لا يناسب ذلك، فإن ذلك الجمال الذي ركبته عائشة رضی الله عنها مات، ولو فرض أنه حيٌّ فركوب الكفّار على الجمال لا- يوجب تحريمها(1)، وما زال الكفار يركبون جمالا- ويغنمها المسلمون منهم ولحمها حلال لهم فأى شىء في ركوب عائشة للجمال مما يوجب تحريم لحمه وغاية ما يفرضون أن بعض من يجعلونه كافرا ركب جمالا مع أنهم كاذبون مفترّون فيما يرمون به أم المؤمنين رضی

ص:387

1- (1) كرّر ابن قيم الجوزية هذه الفرية على الشيعة في كتابه (الطب النبوي) فقال «لحم الجمل: زُرُق ما بين الرافضة وأهل السُنّة، كما أنه أحد الفروق بين اليهود وأهل الإسلام. فاليهود والرافضة تَدُمُّه ولا تأكله، وقد عَلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام حِلُّه، وطالما أكله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حَضَرًا وسَفَرًا» الطب النبوي - ابن قيم الجوزية - ص 278.

الجواب:

وهذا من كذبه، فتحريم لحم الجمل ليس له أصل في كتب الشيعة لا قديما ولا حديثا وهو من بهتانه العظيم.

أمّا شهادة الزور للموافق على المخالف فهو من أوضح الكذب فلا يجوز الشيعة ذلك، بل وأغلظوا في النهي عن ذلك حتى قرنوها بالشرك بالله قال الشيخ الطوسي «شهادة الزور معصية كبيرة من أعظم الكبائر روى خريم بن فاتك قال: صلى رسول الله صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما فقال: عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله ثلاث مرات ثم تلا قوله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور»(2).

ولا خلاف في ذلك ولا تقييد بالموافق او المخالف!

وأما ما ذكره عن الميراث بالتعصيب فنحن تبعاً لأهل البيت عليهم السلام في ذلك وهم الثقل الثاني الذين تركهم ابن تيمية والمسألة لا تعدو كونها مسألة فرعية.

قال الشيخ الجواهرى: «أجمع أصحابنا وتواترت أخبارنا عن ساداتنا عليهم السلام بل هو من ضروريات مذهبنا أنه (لا يثبت الميراث عندنا بالتعصيب) وهو توريث ما فضل عن السهام من كان من العصبة، وهم الابن والأب ومن تدلى بهما من غير رد على ذى السهام. وإلى ذلك يرجع ما فى المسالك من "أنه توريث

ص: 388

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية ج 2 - ص 205.

2- (2) المبسوط - الشيخ الطوسى - ج 8 - ص 164.

العصبة مع ذى الفرض القريب إذا لم يحط الفرض بمجموع التركة، كما لو خلف بنتا واحدة أو بنتين فصاعدا مع أخ أو أختا أو أختين فصاعدا مع عم، ونحو ذلك» (1).

لذا فنحن تبعاً لأخبار أهل البيت نمنع من التعصيب ولا علاقة لذلك بحق الصديقة الطاهرة عليها السلام بفدك المغتصبة.

وقد أجاب عنها السيد المرتضى بما شفى الغليل فقال فى ادعاء الإجماع السنّى على عدم انفراد البنت بالأرث فى ما ادّعوه بالتعصيب «وادعاء الإجماع على قولهم فى التعصيب غير ممكن مع الخلاف المعروف المسطور فيه سالفاً وأنفاً لأن ابن عباس رحمة الله عليه كان يخالفهم فى التعصيب، ويذهب إلى مثل مذهب الإمامية ويقول فىمن خلف ابنة وأختاً أن المال كله للابنة دون الأخت. ووافقته فى ذلك جابر بن عبد الله وحكى الساجى أن عبد الله بن الزبير قضى أيضاً بذلك، وحكى الطبرى مثله، ورويت موافقة ابن عباس عن إبراهيم النخعى فى رواية الأعمش عنه وذهب داود بن على الأصفهانى إلى مثل ما حكيناه ولم يجعل الأخوات عصبة مع البنات، فبطل ادعاء الإجماع مع ثبوت الخلاف متقدماً ومتأخراً.

والذى يدل على صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا فى العصبة: بعد إجماع الطائفة الذى قد بينا أنه حجة قوله تعالى:

(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً) (النساء: 7).

ص: 389

وهذا نصٌّ فى موضع الخلاف، لأن الله تعالى صرّح بأن للرجال من الميراث نصيباً، وأن للنساء أيضاً نصيباً ولم يخص موضعاً دون موضع، فمن خصّ فى بعض الموارىث بالميراث الرجال دون النساء فقد خالف ظاهر هذه الآية. وأيضاً فإن توريث الرجال دون النساء مع المساواة فى القربى والدرجة من أحكام الجاهلية، وقد نسخ الله تعالى بشريعة نبينا عليه وآله السلام أحكام الجاهلية، وذم من أقام عليها واستمر على العمل بها بقوله تعالى:

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة: 50).

وليس لهم أن يقولوا إننا نخصّ الآية التى ذكرتموها بالسنة، وذلك أن السنة التى لا تقتضى العلم القاطع لا نخص بها القرآن، كما لا ننسخه بها، وإنما يجوز بالسنة أن نخص أو ننسخ إذا كانت تقتضى العلم اليقين، ولا خلاف فى أن الأخبار المروية فى توريث العصابة أخبار آحاد لا توجب علماً، وأكثر ما تقتضيه غلبة الظن. على أن أخبار التعصيب معارضة بأخبار كثيرة تروىها الشيعة من طرق مختلفة فى إبطال أن يكون الميراث بالعصابة، وأنه بالقربى والرحم، وإذا تعارضت الأخبار رجعنا إلى ظواهر الكتاب»(1).

وهو شافٍ كافٍ.

قال ابن تيمية «ومن تعصبهم أنهم لا يذكرون اسم العشرة بل يقولون تسعة وواحد وإذا بنوا أعمدة أو غيرها لا يجعلونها عشرة، وهم يتحرّون ذلك فى كثير من أمورهم، مع أن الكتاب العزيز قد جاء بذكر العشرة والعشر فى غير موضع كما فى

ص: 390

قوله تعالى:

(فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ) (البقرة: من الآية 196).

وقال تعالى:

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) (البقرة: من الآية 234).

وقال تعالى:

(وَإِذْ نَادَىٰ مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ) (الأعراف: من الآية 142).

وقال تعالى:

(وَ الْفَجْرِ (1) وَ لَيَالٍ عَشْرٍ (2)) (الفجر 1-2).

فذكر سبحانه وتعالى اسم العشرة في مواضع محمودة وذكر اسم التسعة في موضع مذموم كقوله تعالى:

(وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (النمل: 48).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان وكان يعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله تعالى وقال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة فإذا كان الله ورسوله قد تكلم باسم العشرة وعلق بهذا العدد أحكاما شرعية محمودة كان نفورهم عن التكلم بذلك لكونه قد تسمى به عشرة من الناس يبغضونهم غاية الجهل والتعصب، ثم قولهم تسعة واحدة هو معنى العشرة مع طول العبارة وإذا كان اسم العشرة أو

التسعة أو السبعة يقع على كل معدود بهذا العدد سواء كان من الناس أو الدواب أو الثياب أو الدراهم وبعض المعدودات يكون محمودا وبعضها يكون مذموما فنفور هؤلاء الجهّال عن التكلم بهذه الأعداد في غاية الجهل»(1).

الجواب:

ما جاء به من الكذب جملة وتفصيلا ولم يقل به الشيعة ولا واحد منهم، وليس موجوداً في كتاب، ولم يُنقل في التاريخ ان مجموعة منهم قالت ذلك! وهو من ترهاته الشيعة! وتلفيقاته الكثيرة.

ومن يقرأ الكتب التي ألّفت في الأزمان التي سبقت عصر ابن تيمية أو جاءت بعده لوجد العدد عشرة مذكورا كثيرا، بل أن مجموعة من الكتب ألّفت في الشام ويستبعد عدم اطلاع ابن تيمية عليها ذكرت العدد عشرة ومن ذلك ما ذكره الشيخ ابو الصلاح الحلبي وهو من حلب وتوفي في منتصف القرن الخامس في كتابه (الكافي) إذ يورد مثالا مفترضا من عنده ذكر فيه العدد عشرة عدة مرات(2) ، وما ذكره معاصره الشيخ سلار عبد العزيز في (المراسم العلوية) وذكر فيه العدد عشرة في العديد من المواضع(3). او ما ذكره الشيخ ابن زهرة الحلبي وقد توفي قبل مولد ابن تيمية بقليل وكانت حوزته مزدهرة في الشام وكتبه منتشرة، في كتابه الشهير (غنية النزوع الى علمي الاصول والفروع) في العديد من المواضع(4) ، وكذلك ما

ص:392

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 205.

2- (2) الكافي - الحلبي - ص 82 وص 115 و 130 ومواضع عديدة غيرها.

3- (3) المراسم العلوية - سلار عبد العزيز - ص 35 وص 78 وص 81 والعددي من الموارد غيرها.

4- (4) غنية النزوع الى علمي الاصول والفروع - ابن زهرة الحلبي - ص 8 وص 49 وغيرها العديد من المواضع.

ذكره معاصر ابن تيمية، وجاره في الشام الشيخ أبو المجد الحلبي في كتابه (إشارة السبق) في مواضع عديدة(1) بل لا يخلو كتاب فقهي، أو تاريخي، أو حديثي من ذكر العدد عشرة وأنا في الاستدلال على ذلك كالمستدل على ضوء النهار والشمس في قلب السماء!

ص: 393

1- (1) إشارة السبق - أبو المجد الحلبي - ص 103 وص 105 وغيرها كثير.

هل تسمى الشيعة بأسماء كآبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية

قال ابن تيمية «وإنما هو كنفورهم عن التكلم بأسماء قوم يبغضونهم كما ينفرون عمّن اسمه أبو بكر وعمر وعثمان بغضهم لشخص كان اسمه هذا الاسم وقد كان من الصحابة رضى الله عنهم من هو مسمّى بأسماء تسمى بها بعض الكفار كالوليد بن الوليد وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في قنوته إذا قنت اللهم انج الوليد بن الوليد وانج سلمة بن هشام وعيَّاش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، وهذا الوليد مؤمن تقى وأبوه الوليد كافر شقيّ وكذلك عقبة بن أبي مُعيط من كفّار قريش وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت كأنى في دار عقبة بن رافع وأتينا برطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة لنا في الآخرة وأن ديننا قد طاب»(1).

الجواب:

ما ذكره من الكذب البينّ فيها هي كتبنا طافحة بذكر خصوم أمير المؤمنين عليه السلام، يذكرون أخبارهم وما قاموا به بلا تحفظ عن ذكر أسمائهم

ص:394

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 205.

ولا يبغضون الشخص لمجرد سمه! بل إن العديد من أبناء العوائل الشيعية فى القرون الأربعة الأولى تسمّوا بأسماء هؤلاء الصحابة مثلاً:

عدد الرواة الذين كنيّتهم (أبو بكر) 21 راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمر) 160 راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عثمان) 73 راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (بكر) 46 راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمر) 184 راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (معاوية) 36 راويا(1)

وهذا رد قاطع على ترهاته وكذبه فكل هؤلاء من الشيعة وعائلاتهم من الشيعة المتعرقين فى المذهب, فإذا اختلفنا معهم فى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يتولى أم لا يتولى من سبقه وخصّ به حقّه فهذه العوائل لا ريب إنهم يعدونها من الرافضة المبغضة لصحابتهم فكيف سمّت أبناءها بأسمائهم؟! لولا أنها لا تقيم كبير وزن لهذه المسألة، نعم بتوالى القرون نشأ شعور جديد قام فيه أهل السنة بالتحرز عن أسماء الشيعة مثل صادق، باقر، سجاد وقام فيه الشيعة بالتحرز من أسماء مثل عثمان ومعاوية.

ولو تصفحنا كتاب (الكاشف فى من له رواية فى الكتب الستة) للذهبي وهو معجم جمع فيه الذهبي كل من روى له أصحاب الكتب الستة المهمة فى الحديث عند أهل السنة لوجدنا أن الشيعة تسمى بالأسماء السالفة أكثر من أهل السنة!

ص: 395

1- (1) راجع كتاب: المفيد من معجم رجال الحديث - محمد الجواهرى - ط مكتبة المحلاتى - قم - 1424 هـ - .

فبمراجعة بسيطة لهذا الكتاب نجد ان:

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمر): 106 راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عثمان): 76 راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (بكر): 18 راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمرو): 130 راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (معاوية): 24 راوياً

فهل يثبت هذا اننا نحب معاوية مثلاً أكثر من أهل السنة لأن هنالك من محدثينا من اسمه معاوية (وهم ستة وثلاثون راوياً) أكثر مما عند أهل السنة (وهم اربعة وعشرون راوياً) مع العلم بان هؤلاء الرواة (سنة وشيعة) كانوا في الفترة الزمنية نفسها؟!

ص: 396

ابن تيمية: أقوال علي المتناقضة أكثر من عمر!

قال ابن تيمية «عنه وقد جمع العلماء مسائل الفقه التي ضُعمَّ فيها قول أحدهما فوجدوا الضعيف في أقوال علي رضي الله عنه أكثر، مثل إفتائه أن المتوفى عنها زوجها تعتد أبعد الأجلين مع أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه الموافقة لكتاب الله تقتضي أنها تحلُّ بوضع الحمل وبذلك أفتى عمر وابن مسعود رضي الله عنهما، ومثل إفتائه بأن المفوضة يسقط مهرها بالموت وقد أفتى ابن مسعود وغيره بأن لها مهر نسائها كما رواه الأشجعيون عن النبي صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق وقد وجد من أقوال علي المتناقضة في مسائل الطلاق وأم الوليد والفرائض وغير ذلك أكثر مما وجد من أقوال عمر المتناقضة»(1).

الجواب:

أى علماء هم الذين جمعوا مسائل الفقه تلك؟! وما أجمل ما قاله أبو جعفر الاسكافي - وهو من أهل السنة بالمعنى العام كما يقول ابن تيمية - فى منهاج

ص: 397

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 220.

السنة «وأهل السنة في هذا الموضوع من يقر بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون في أهل السنة»⁽¹⁾.

يقول أبو جعفر الاسكافي «مع روايتكم الظاهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على مع الحق والحق مع على فكيف تكون فتنة حرب قائدها ودليلها على بن أبي طالب»⁽²⁾ وقول ابن أبي الحديد «أنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال: على مع الحق، والحق مع على، يدور حيثما دار»⁽³⁾.

فعلى هذا كيف تكون آراء على ضعيفة بالمقارنة مع غيرها وهي حق خالص؟!

لذا كان بعض الذين عندهم شيء من الإنصاف لا يعدلون بكلام على كلام احد قال الرازي⁽⁴⁾ «أما أن على بن أبي طالب رضى الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلى بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدر الحق مع على حيث دار».

قال الهيثمي في (باب الحق مع على رضى الله عنه) من مجمع الزوائد⁽⁵⁾ «وعن جرى ابن سمرة قال لما كان من أهل البصرة الذى كان بينهم وبين على بن أبي طالب انطلقت حتى أتيت المدينة فأتيت ميمونة بنت الحارث وهي من بنى هلال فسلمت عليها فقالت ممن الرجل؟ قلت: من أهل العراق، قالت: من أى أهل

ص: 398

-
- 1- (1) منهاج السنة - ابن تيمية - ج 6 - ص 379.
 - 2- (2) المعيار والموازنة - الإسكافي - ص 35.
 - 3- (3) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 2 - ص 297.
 - 4- (4) تفسير الرازي - الرازي - ج 1 - ص 205.
 - 5- (5) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج 9 - ص 134-135.

العراق؟ قلت: من أهل الكوفة، قالت: من أى أهل الكوفة؟ قلت: من بنى عامر قالت: مرحبا قربا على قرب ورحبا على رحب، فمجيء ما جاء بك قلت كان بين على وطلحة الذى كان فأقبلت فبايعت عليا، قالت فالحق به فوالله ما ضلّ ولا ضلّ به حتى قالتها ثلاثا. رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير حرى بن سمرة وهو ثقة».

وقال الهيثمى (1) «وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى: يا على فارقتى من فارق الله ومن فارقك يا على فارقتى. رواه البزار ورجاله ثقات».

وكيف يقول النبى صلى الله عليه وآله: أنت ولى كل مؤمن بعدى (صححه الألبانى) ثم يترك رأيه لرأى غيره ولم يؤمروا باتّباع رأى غيره، وكلمة (بعدى) مطلقة تفيد توليه بكل شىء من الفقه والتفسير والعقيدة وكل شىء فعلى هذا يكون قول أمير المؤمنين عليه السلام مقدم دائما على غيره فكيف يكون ضعيفا غير مرة؟!

فأما القول بان عدة المتوفى زوجها الحامل أبعد الأجلين هو قول على وحده فتدليس فهو قول حبر الأمة ابن عباس قال ابن نجيم المصرى «وعن على وابن عباس رضى الله عنهم تعدد الحامل المتوفى عنها زوجها بأبعد الأجلين» (2)

وأخذ برأى أمير المؤمنين عليه السلام الشيخ سحنون من المالكية (3)، ولو لم يأخذ ولم يتابع رأى أمير المؤمنين احد فهو الحق، والحق مع على، هذا كلام النبى

ص: 399

1- (1) مجمع الزوائد - الهيثمى - ج 9 - ص 134-135.

2- (2) البحر الرائق - ابن نجيم المصرى - ج 4 - ص 226.

3- (3) عمدة القارى - العينى - ج 17 - ص 103.

واما فتوى التي ماتت ولم يفرض لها، فقد قضى عبد الله بن مسعود برأى رآه وهو معترف بانه ليس من قرآن ولا سنة! وهذا لا يجوز في دين الله فقد روى احمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال «فانى أقضى لها مثل صدقة امرأة من نساها لا وكس ولا شطط، ولها الميراث وعليها العدة، فإن يك صوابا فمن الله عز وجل وان يكن خطأ فمئى ومن الشيطان والله عز وجل ورسوله بريان»(1).

فهل في الدين هذا؟! لذا ولكون النبي صلى الله عليه وآله يعلم ما عليه الصحابة من قلة العلم اوصى باتباع على وارشد الى كون الحق معه وهو مع الحق لا يتخلفان عن بعضهما، وقد دلنا على ان القضاء لا يكون بالرأى يقول الإمام الصادق عليه السلام «القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة»(2).

وقول امير المؤمنين في القضية وهو انها لا تستحق المهر قال به جمع من الصحابة منهم: ابن عباس وزيد بن ثابت ومن التابعين الزهري وبه قال من الفقهاء ربيعة ومالك والاوزاعي وبعض علماء الشام وهو أحد الرايين المنقولين عن الشافعي(3) فانظر لتدليس ابن تيمية الذي حاول ان يظهر قول ابن مسعود بانه القول الصحيح بدون ان ينقل انه رأيه الشخصي بلا مستند وترك القول الثاني

1- (1) مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج 1 - ص 447.

2- (2) الكافي - الشيخ الكليني - ج 7 - ص 407.

3- (3) الخلاف - الشيخ الطوسي - ج 4 - ص 378.

والذى قال به أمير المؤمنين افضى الامة وأعلمها، وابن عباس حبر الامة، وزيد بن ثابت قاضى المدينة فى عهد ابى بكر وعمر وعثمان وجمع من الفقهاء الكبار.

أما قوله «وقد وجد من أقوال على المتناقضة فى مسائل الطلاق وأم الوليد والفرائض وغير ذلك أكثر مما وجد من أقوال عمر المتناقضة».

فأقول:

لو بحث ابن تيمية طوال عمره، بل وساعده على ذلك سلفية عصرنا لن يجدوا قضية واحدة تناقض بها الإمام، كيف وهو حق فى حق؟!

قال ابن تيمية «الثانى أن قوله - فى خبر الارث - (والتجأ فى ذلك إلى رواية انفرد بها) كذب فإن قول النبى صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة، رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث»⁽¹⁾

الجواب:

مراد الشيخ ابن المطهر رحمه الله انه لم يرو الحديث غير أبى بكر أمّا الباقيون فقاموا بمساندته فيما بعد لما وقع الخلاف واشتهر بين أهل البيت عليهم السلام وأصحاب أبى بكر من مناوئى أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا باعتراف الجميع قال الناصبى المعروف أبو بكر بن العربى «لما توفى رسول الله أرسلت فاطمة إلى أبى بكر الصديق تقول له: لو متّ ألم تكن ابنتك تتركك؟ قال: نعم، قالت له:

ص: 401

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 224.

فأعطني ميراثي من رسول الله، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، فتذكر ذلك جميع الصحابة وعلمه عمر وعثمان وعبد الرحمن وطلحة وسعد وسعيد وأقرّ به علي والعباس»(1).

فانتبه لقوله «تذكر ذلك جميع الصحابة وعلمه عمر وعثمان وعبد الرحمن وطلحة وسعد» تجد أنهم لم يعلموا وبم يرووا الحديث وإنما قالوا (تذكرنا) لما ادعى أبو بكر الحدث أما قوله «واقّرّ به علي والعباس» فكذب فاضح، وبهتان، كيف وقد شهد علي عليه السلام وأم أيمن(2) للصديقة الطاهرة سيدة نساء أهل الجنة، وكيف يقرّ علي والعباس لأبي بكر بما قال وقد روى مسلم في الصحيح انه عليا عليه السلام اختلف مع العباس عليها فقضى ابو بكر بها ثم قضى عمر(3)!

ص:402

1- (1) أحكام القرآن - ابن العربي - ج 2 - ص 415.

2- (2) السقيفة وفدك - الجوهري - ص 105.

3- (3) صحيح مسلم - ج 5 - ص 152.

حديث علي مع الحق... كذب عند ابن تيمية

قال ابن تيمية «الوجه السادس قولهم (إنهم رووا جميعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي مع الحق والحق معه يدور حيث دار ولن يفترقا حتى يردا على الحوض) من أعظم الكلام كذبا وجهلا، فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، فكيف يقال إنهم جميعا رووا هذا الحديث وهل يكون أكذب ممن يروى عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثا والحديث لا يُعرف عن واحد منهم أصلا، بل هذا من أظهر الكذب ولو قيل رواه بعضهم وكان يمكن صحته لكان ممكنا فكيف وهو كذب قطعا علي النبي صلى الله عليه وسلم... وأيضا فالحق لا يدور مع شخص غير النبي صلى الله عليه وسلم ولو دار الحق مع علي حيثما دار لوجب أن يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم»⁽¹⁾.

الجواب:

وحقا قال «ولو دار الحق مع علي حيثما دار لوجب أن يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم» فالحديث يدل على العصمة.

ص: 403

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدريّة - ابن تيمية - ج 2 - ص 238.

أما قوله «وهل يكون أكذب ممن يروى عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثاً والحديث لا يعرف عن واحد منهم أصلاً بل هذا من أظهر الكذب» فهذا الكلام من أوضح الكذب على أننا نرى في كتابه أفانين من الكذب لا توجد في غيره!

نعم قد يختلف الحديث بأحرف يسيرة من لفظ لآخر وهذا الذى يركز عليه النواصب، فيقسمون أن الحديث الفلانى لم يرد لكونهم يقصدون لم يرد بهذا اللفظ الذى يزيد حرفاً هنا أو حرفاً هناك أما الحديث بمؤداه ومعناه فيمكن أن يرد بأسانيد عديدة! ومنها هذا الحديث فهو وارد بألفاظ منها:

روى بعض الحفاظ عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار(1).

روى ابن مردويه(2) عن عائشة «أنها لما عقر جملها ودخلت دارا بالبصرة فقال لها أخوها محمد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدثتني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الحق لن يزال مع على، وعلى مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا؟! قالت: نعم».

وروى الهيثمى عن أبي سعيد الخدرى نقله عن أبي يعلى(3) «قال كنا عند

ص:404

-
- 1- (1) رواه الترمذى وحكم بغرابته والغرابه عند الترمذى ليست ضعفا - صحيح الترمذى - ج 5 - ص 297 / مستدرک الحاكم على الصحيحين - ج 3 - ص 125 / المعجم الأوسط - الطبرانى - ج 6 - ص 95 وكلهم رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام.
 - 2- (2) مناقب على بن أبى طالب عليه السلام وما نزل من القرآن فى على عليه السلام - أبى بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني - ص 164.
 - 3- (3) مجمع الزوائد - الهيثمى - ج 7 - ص 234-235.

بيت النبي صلى الله عليه وسلم فى نفر من المهاجرين والأنصار فقال ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الموفون المطيبون إن الله يحب الحنفى التقى، قال ومّر على بن أبى طالب فقال الحق مع ذا الحق مع ذا. رواه أبو يعلى ورجاله ثقات».

وقد نقل الحديث الرازى الأشعرى جازما بصحته فقال «وأما أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى فى دينه بعلى بن أبى طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدر الحق مع على حيث دار»⁽¹⁾.

قال تعالى:

(قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) (النحل: 26).

ص: 405

النبي... عتب علي علي ولم يعتب علي عثمان

قال ابن تيمية «بل لو قال القائل إنه لا يعرف من النبي صلى الله عليه وسلم أنه عتب علي عثمان في شيء وقد عتب علي علي في غير موضع لما أبعد، فإنه لما أراد أن يتزوج بنت أبي جهل اشتكته فاطمة لأبيها وقالت: إن الناس يقولون إنك لا تغضب لبناتك. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً وقال: إن بني المغيرة استأذنونني أن يزوجوا ابنتهم علي بن أبي طالب وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم، فإنما فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها ويؤذيني ما آذاها ثم ذكر صهرها له من بني عبد شمس فقال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي والحديث ثابت صحيح أخرجه في الصحيحين»(1).

الجواب:

إن الحديث موضوع منكر، وهو ينتقص من النبي صلى الله عليه وآله وأخلاقه أن يصدر الكلام عن شخص جاهلي يقيم وزناً للعادات ولا يأبه للشرع وتحرضه ابنته فيستسلم للتحريض الذي لا يحده شرع! وحاشي للنبي ذلك وإنما

ص: 406

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدريّة - ابن تيمية - ج 2 - ص 240.

الحديث مروى من النواصب فهو فى مسند احمد مروى عن عبد الله بن الزبير والمِسْوَر بن مخرمة والزهرى وفى صحيحى البخارى ومسلم مروى عن المِسْوَر بن مخرمة وفى الترمذى عن ابن الزبير وفى غيره عن عمرو بن العاص وكلهم نواصب والحمد لله!

أما سويد بن غفلة فقد رووا انه عندما وفد على النبى صلى الله عليه وآله وجدته وقد قبض فكيف روى عن النبى هذا الخبير؟!!

قال ابن تيمية «وكذلك فى الصحيحين لما طرقة وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقال له على إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا فانطلق وهو يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شىء جدلا»(1).

الجواب:

هذا الحديث وارد عن الزُّهْرَى الناصبى، وأفعاله أشنع من أن توصف فى المقالات وهو من أخلص رجال بنى أمية. وكاتب سيرتهم التى طلبها منه عبد الملك بن مروان والتى تكاد أن تخلو من اسم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم إن المتن منكر لا ينسب الى مُسَلِّمِينَ عاقلين فكيف ينسب الى من كان الحق يدور معه والى سيدة نساء اهل الجنة!

قال ابن ابى الحديد(2): كان الزهرى من المنحرفين عنه عليه السلام. وروى جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن شيبه قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهرى وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليا عليه السلام، فنالا منه، فبلغ ذلك

ص: 407

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية ج 2 - ص 240.

2- (2) شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد - ج 4 - ص 102.

على ابن الحسين عليه السلام، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم لأبي على أيبك، وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كبر أيبك..

روى ابن عساكر فى تاريخه(1): أخبرنا أبو بكر الشحامى أخبرنا أبو حامد الأزهرى أخبرنا أبو سعيد بن حمدون أخبرنا أبو حامد بن الشرقى أخبرنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالا أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري: على أحب إليك أم عثمان قال فسكت ساعة ثم قال: عثمان.. الدماء.. الدماء..

وقال ابن عساكر(2) أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندى أخبرنا أبو بكر بن اللالكائى أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر أخبرنا يعقوب حدثنى محمد بن أبى السرى أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري عن عثمان وعلى أيهما أفضل قال: فقال: الدم الدم، عثمان أفضلهما... قال وكان يقال أبو بكر وعمر وعثمان ثم يسكت...!!

ولما كتب الزهري السيرة «لم يذكر علياً مع من أسلم ولا أحد من بنى هاشم! ثم يمضى فى سيرته والمغازى فلا تجد علياً فيها إلا رجلاً غريباً ليس له فيها خبر ولا- أثر مع أنه لا- يمرُّ على أثر لأبى بكر وعمر إلا فصلَّ فيه وزينَّه، أما على فلا ذكر له لا فى العهد المكي ولا فى الهجرة ولا- فى المؤاخاة ولا- فى بدر ولا- فى أحد ولا- فى الخندق ولا فى خيبر ولا فى فتح مكة ولا فى حنين ولا فى تبوك ولا فى غير ذلك!!»(3).

ص: 408

1- (1) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 39 - ص 504-505.

2- (2) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 39 - ص 504-505.

3- (3) تاريخ الاسلام الثقافى والسياسى - صائب عبد الحميد - ص 83.

وقد شهدت عليه اخته قال ابن عساكر(1) عن جعفر الجعفرى قال «كنت عند الزهرى أسمع منه فإذا عجوز قد وقفت عليه فقالت: يا جعفرى لا تكتب عنه فإنه مال إلى بنى أمية وأخذ جوائزهم، فقلت: من هذه؟ قال: أختى رقية خرفت، قالت: خرفت أنت كتمت فضائل آل محمد».

لذا فالزهرى لا يؤمن على على عليه السلام.

ص: 409

1- (1) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 42 - ص 228.

كذب أبو السنابل.. أم...!

قال ابن تيمية «وأما الفتاوى فقد أفتى بأن المتوفى عنها زوجها وهى حامل تعتد أبعد الأجلين وهذه الفتيا كان قد أفتى بها أبو السنابل بن بعكك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: كذب أبو السنابل، وأمثال ذلك كثير ثم بكل حل فلا يجوز أن يحكم بشهادته وحده كما لا يجوز له أن يحكم لنفسه»⁽¹⁾.

الجواب:

إن من كان الحق معه كما مر علينا لا يقال له ذلك، وأما شهادته فقد قبل النبي صلى الله عليه وآله شهادة ابن خزيمة بدل اثنين وقبلها أبو بكر وعمر بدل اثنين! فلم لا تُقبل شهادته وهو على؟! ولكنها السياسة!

وقد ردنا على ما تكلم به حول فتوى عدة الحامل المتوفى زوجها.

ولكن انتبه لإيراده خبر ابى السنابل هنا وقول النبي له «كذب أبو السنابل»! فابن تيمية يريد أن يقول فى على كما ادعوا ان النبي صلى الله عليه وآله قال فى أبى السنابل ولكن بأسلوب خفى!

ص: 410

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 240.

حديث: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك.. كذب!

قال ابن تيمية «وأما قوله (وروا جميعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك) فهذا كذب منه ما روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف هذا فى شىء من كتب الحديث المعروفة ولا له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيح ولا حسن»⁽¹⁾.

الجواب:

وهذا من كذب ابن تيمية الصريح فقد روى الحفاظ هذا الحديث بأسانيد صحيحة وحسنة قال الحاكم⁽²⁾ «حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامرى (وأخبرنا) محمد بن علي بن دحيم بالكوفة حدثنا أحمد بن حاتم بن أبي غرزة (قالا) حدثنا عبد الله محمد بن بن سالم حدثنا حسين بن زيد بن علي عن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

ص: 411

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدريّة - ابن تيمية - ج 2 - ص 242.

2- (2) مستدرک - الحاكم النيسابورى - ج 3 - ص 153-154.

وقال الهيثمي (1) «وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. رواه الطبراني وإسناده حسن».

ورواه الضحاك في (الآحاد والمثاني) (2) بسند ارتضاه

ورواه الدولابي المتوفى 310 في (الذرية النبوية الطاهرة) (3) بسند جيد

ورواه ابن عدى في (الكامل) (4)

والحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (5)

وابن النجار البغدادي في (ذيل تاريخ بغداد) (6)

وفي جزء ابن الغطريف (7)

والكثير غيرهم.

ص: 412

-
- 1- (1) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج 9 - ص 203.
 - 2- (2) الآحاد والمثاني - الضحاك - ج 5 - ص 363.
 - 3- (3) الذرية النبوية الطاهرة - محمد بن احمد الدولابي - ص 168.
 - 4- (4) الكامل - عبدالله بن عدى - ج 2 - ص 351.
 - 5- (5) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 3 - ص 156.
 - 6- (6) ذيل تاريخ بغداد - ابن النجار البغدادي - ج 2 - ص 141.
 - 7- (7) جزء ابن الغطريف - ج 1 - ص 131.

ابن تيمية: على راب النبي وآذاه!

قال ابن تيمية «وقد قال النبي(1) في الحديث (يرينى ما رابها ويؤذيني ما آذاها) ومعلوم قطعا أن خطبة ابنة أبي جهل عليها رابها وآذاها والنبي صلى الله عليه وسلم رابه ذلك وآذاه، فإن كان هذا وعيدا لاحقا بفاعله لزم أن يلحق هذا الوعيد على بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيدا لاحقا بفاعله كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من على، وإن قيل إن عليا تاب من تلك الخطبة ورجع عنها قيل فهذا يقتضى أنه غير معصوم وإذا جاز أن من راب فاطمة وآذاها يذهب ذلك بتوبته جاز أن يذهب بغير ذلك من الحسنات الماحية فإن ما هو أعظم من هذا الذنب تذهبه الحسنات الماحية والتوبة والمصائب المكفرة وذلك أن هذا الذنب ليس من الكفر الذى لا يغفره الله إلا بالتوبة ولو كان كذلك لكان على والعياذ بالله قد ارتد عن دين الإسلام فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الله تعالى نزه عليا من ذلك»(2).

ص:413

-
- 1- (1) الملاحظ فى كتب ابن تيمية انه يسيء الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله فهو لا يصلى عليه فى الكثير من الموارد التى يذكره فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وآله «من ذكرنى فليصل على» مجمع الزوائد - الهيثمى - ج 1 - ص 137 /وقوله صلى الله عليه وآله (من ذكرت عنده فليصل على) مجمع الزوائد الهيثمى - ج 1 - ص 137 بسند صحيح.
- 2- (2) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 243.

إن ابن تيمية هنا لم يُلَقِ القول على عاتق النواصب أو الخوارج بل باح بما في صدره فهو قطع بصدور حديث خطبة بنت أبي جهل من جهة و قطع بحديث يرينى ما رابها وبالتالي على عليه السلام آذى النبى و رابه لكونه آذى فاطمة و رابها!

و حديث خطبة بنت أبى جهل باطل بالضرورة لكل من يتعرف على سيرة على عليه السلام فلو كان المانع من موافقة النبى صلى الله عليه وآله على زواج على عليه السلام من بنت أبى جهل هو أنها بنت عدو الله لكان على عليه السلام خطب إلى بعض المسلمين ولا أظن أن أحدا لا يقبل بأن يتقرب إلى بنى هاشم و بطلهم على بتزويجه ابنته، لذا فلا ريب أن الواقعة لم تحدث و أنها اختلقت لتكون بإزاء أذية فاطمة من قبل الشيخين بفدك وغيرها.

ثم إن قبل ابن تيمية الخبر الذى روه هم فى أذية فاطمة عليها السلام لزم أن يقر بأن الشيخين و أتباعهما آذوا فاطمة عليها السلام بسلبها ما ملكته بنحلة النبى إياها، وكيف ينافح ابن تيمية عن الشيخين و تخصيصه الخبر بما لا يخالف الشرع هنا بينما بخطبة ابنة أبى جهل المزعومة يطلق الخبر لكل ما يتناوله من أذية؟»

وقد ردنا على الحديث و ما فى سنده من نواصب.

قال ابن تيمية «وأيضا فيقال: إن فاطمة رضى الله عنها إنما عظم أذاها لما فى ذلك من أذى أبيها، فإذا دار الأمر بين أذى أبيها و أذاها كان الاحتراز عن أذى أبيها أوجب، وهذا حال أبى بكر و عمر فإنهما احتزرا عن أن يؤذيا أباهما أو يريياه بشيء فإنه عهد عهدا و أمر بأمر فخافا إن غيرا عهده و أمره أن يغضب لمخالفة أمره و عهده و يتأذى بذلك و كل عاقل يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا حكم بحكم وطلبت فاطمة أو غيرها ما يخالف ذلك الحكم كان مراعاة حكم النبي صلى الله عليه وسلم أولى، فإن طاعته واجبة ومعصيته محرمة ومن تآذى لطاعته كان مخطئنا في تأذيه بذلك وكان الموافق لطاعته مصيبا في طاعته وهذا بخلاف من آذاها لغرض نفسه لا لأجل طاعة الله ورسوله»(1).

الجواب:

هذه مغالطة مفضوحة، فما يريب الزهراء يريب النبي صلى الله عليه وآله، وما يُغضب الزهراء يغضب النبي عليه الصلاة والسلام ولا يمكن أن يدور الأمر بين أذية النبي صلى الله عليه وآله وبين أذيتها! وإنما يقوم ابن تيمية وأشباهه بمحاولة التفكيك بين إرادة النبي التي لا تخطيء (وقد أطاعه أبو بكر حسبما يدعون) وبين إرادة فاطمة عليها السلام التي تطالب بقطعة ارض لا يجوز شرعا إعطائها لها حسبما يدعون فتغضب فاطمة للأمر الدنيوي ومعها على بينما يثبت أبو بكر وعمر على إطاعة الشرع!! وهذا قمة الانتقاص من أهل البيت عليهم السلام وهو دأب ابن تيمية في هذا الكتاب.

ثم إن الواقعة لو كانت حقيقة لحفظت لأهميتها ولوجود الدواعي لروايتها، خصوصا من النواصب الذين لا يضيعون فرصة للانتقاص من على عليه السلام، فلما رأيناهم قد اضطربوا في تعيين من هي هذه التي خطبت من بنات ابي جهل علمنا أن الواضع للقصة لم يفكر في اسنها! فبعض شراح الحديث قال اسمها العوراء وقيل جميلة وقيل جويرية وقيل لم تسم ولم تُعرف!! ويكفى ان راوى

ص:415

الحديث اما مسور بن مخرمة الناصبي وإما بنته! وأما ما وضعوه على لسان ابن عباس، فابن عباس كان صبيا عند موت النبي صلى الله عليه وآله فأفضل ما يقال انه سمعه من فقهاء السلطة الذين نشروا الحديث في عهد من سبق الإمام عليه السلام في السلطة, فإن أخلاق البشر جُبلت على التقرب للأمرء بما يرضيهم وينتقص من قيمة عدوهم, فيقربون من يفعل ذلك نكاية بعدوهم.

وفي بعض الفاظ القصة أن الإمام عليه السلام استأذن النبي عليه الصلاة والسلام فلم يأذن له فعدل عن الخطبة, وفي بعضها ان الإمام خطب ولكن اهل هذه المرأة لم يأذنوا بالزواج حرصا على علاقتهم بالنبي عليه الصلاة والسلام وفاطمة, وأنت ترى اضطراب القصة وعدم وجود نصّ ثابت ولكنه حيل الكذب القصير.

النصّ على أبي بكر أقوى من النصّ على عليه السلام

قال ابن تيمية «ودعوى أولئك (البكرية) للنصّ الجليّ أو الخفيّ على أبي بكر أقوى وأظهر بكثير من دعوى هؤلاء (الإمامية) للنصّ على علي لكثرة النصوص الدالة على ثبوت خلافة أبي بكر وأن عليا لم يدل على خلافته إلا ما يعلم أنه كذب أو يعلم أنه لا دلالة فيه»⁽¹⁾.

الجواب:

لم يأت ابن تيمية بأى نصّ جليّ أو خفيّ لأنه يعلم أن ما قيل عن ذلك بوقت متأخر جدا جيء به ليقف بوجه ما تقيم به الشيعة حجتها، ولم يكن احد في القرون الأولى يتكلم بنصّ على أبي بكر، كيف ذلك وشعارهم الشورى!

وأين كان أبو بكر عن النصّ عندما قدم أبو عبيدة وعمر للبيعة في السقيفة؟ وكيف لم يدّع النصّ كما ادعاه علي ابن أبي طالب في مواضع عديدة، وأما كلامه عن النصوص الخاصة بأمر المؤمنين عليه السلام فهي عديدة سنورد بعضها منها في الأوراق التالية.

ص: 417

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 250.

قال ابن تيمية «وأما قوله أنه قال له إن المدينة لا تصلح إلا بى أو بك فهذا كذب على النبى صلى الله عليه وسلم لا يعرف فى كتب العلم المعتمدة، ومما يبين كذبه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة غير مرّة ومعهم على وليس بالمدينة لا هو ولا على فكيف يقول: إن المدينة لا تصلح إلا بى أو بك، فيوم بدر كان على معه وبين بدر والمدينة عدة مراحل وليس واحد منهما بالمدينة، وعلى كان معه يوم بدر بالتواتر وكان يوم فتح مكة معه باتفاق العلماء»(1).

الجواب:

إن إنكار أن تكون عبارة «إن المدينة لا تصلح إلا بى أو بك» قد وردت فى الكتب المعتمدة من أعظم الكذب، فقد وردت العبارة فى حديث مشروط على موازين الشيخين قال الحاكم(2) «عن على رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يغزو غزاة له قال فدعا جعفرًا فأمره أن يتخلف على المدينة فقال: لا أتخلف بعدك يا رسول الله أبدا، قال: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فعزم علىّ لما تخلفت قبل أن أتكلم، قال: فبكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا على؟ قلت يا رسول الله يبكينى خصال غير واحدة، تقول قريش غدا ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وحَدَلَه، ويبكينى خصلة أخرى كنت أريد أن أتعرض للجهاد فى سبيل الله لأن الله يقول:

(وَلَا يَطُورَنَ مَوْطِنًا يَعْغِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (التوبة: من الآية 120).

ص: 418

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 251.

2- (2) مستدرک - الحاكم النيسابورى - ج 2 - ص 337.

فكنت أريد أن أتعرض لفضل الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما قولك تقول قريش ما أسرع ما تخلّف عن ابن عمه وحَدَلَه فان لك بى أسوة، قد قالوا: ساحر وكاهن وكذاب، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى، وما قولك أتعرض لفضل الله فهذه أبهار من فلفل جاءنا من اليمن فبعه واستمتع به أنت وفاطمة حتى يأتىكم الله من فضله فإن المدينة لا تصلح إلا بى أو بك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقد نقل المتقى الهندي عن العاقولى فى فوائده تصحيح الحديث(1).

ثم إن كون المدينة لا تصلح إلا بالنبي أو بأمر المؤمنين عليه السلام لا يعنى أن تسيخ الأرض بالمدينة حينما يتركها النبي والإمام سوية، والشاهد انه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومغادرة الإمام عليه السلام للعراق لم تسيخ الأرض بها ولكن المعنى أنها لا يمكن أن تكون بوضعها المستقيم والنبي وعلى خارجان عنها إطلاقاً إذ يحصل الانحراف والتسافل بدون وجود معصوم، وهذا أمر يختلف.

ص: 419

1- (1) كنز العمال - المتقى الهندي - ج 13 - ص 172.

قال ابن تيمية «وأما قوله (إنه أمر أسامة رضى الله عنه على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر) فمن الكذب الذى يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث، فإن أبا بكر لم يكن فى ذلك الجيش بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يستخلفه فى الصلاة فى حين مرض إلى أن مات، وأسامة قد روى أنه قد عقد له الراية قبل مرضه ثم لما مرض أمر أبا بكر أن يصلّى بالناس فصلّى بهم إلى أن مات النبى صلى الله عليه وسلم فلو قدّر أنه أمر بالخروج مع أسامة قبل المرض لكان أمره له بالصلاة تلك المدة مع إذنه لأسامة أن يسافر فى مرضه موجبا لنسخ أمره أسامة عنه فكيف إذا لم يؤمّر عليه أسامة بحال، وأيضا فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن عادته فى سراياه بل ولا فى مغازيه أن يعيّن كل من يخرج معه فى الغزو بأسمائهم ولكن يندب الناس ندبا عاما مطلقا فتارة يعلمون منه أنه لم يأمر كل أحد بالخروج معه ولكن ندبهم إلى ذلك كما فى غزوة الغابة، وتارة يأمر أناسا بصفة كما أمر فى غزوة بدر أن يخرج من حضر ظهره فلم يخرج معه كثير من المسلمين وكما أمر فى غزوة السويق بعد أحد أن لا يخرج معه إلا من شهد أحدا وتارة يستنفرهم نفيرا عاما ولا يأذن لأحد فى التخلف كما فى غزوة تبوك» (1).

ص: 420

وحقا نطق ابن تيمية حين قال «فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن عادته في سراياه بل ولا في مغازيه أن يعين كل من يخرج معه في الغزو بأسمائهم ولكن يندب الناس ندبا عاما مطلقا» لكون الندب هذه المرة لم يكن لأمر عادى بل لشأن استثنائى وهو إفراغ المدينة من معارضى الإمام عليه السلام!

أما قوله «وأما قوله إنه أمر أسامة رضى الله عنه على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر فمن الكذب الذى يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث».

إن ما نفاه ابن تيمية عنا عن عمر وأبى بكر أثبتته لعمر فى مكان ثان من كتابه - وحبل الكذب قصير - قال ابن تيمية «ولم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر أو عثمان فى جيش أسامة وإنما روى ذلك فى عمر»⁽¹⁾.

ثم إن إنكاره التأمير على أبى بكر وعمر من الكذب الواضح!

فقد روى ابن حجر الحديث جازما فيه فقال⁽²⁾ «قوله باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فى مرضه الذى توفى فيه) إنما أخر المصنف هذه الترجمة لما جاء أنه كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صلى الله عليه وسلم فندب الناس لغزو الروم فى آخر صفر، ودعا أسامة فقال: زُ إلى موضع مقتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش وأغز صباحا على أهل أبى وحرَّق عليهم،

ص: 421

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 3 - ص 191.

2- (2) فتح البارى - ابن حجر - ج 8 - ص 115.

وأُسرع المسير تسبق الخبر فإن ظفرك الله بهم فأقل الليث فيهم فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة فدفعه إلى بُريدة وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي فرد عليه عمر وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فخطب بما ذكر في هذا الحديث ثم أشد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال أنفذوا بعث أسامة...».

وقد نقل ابن حجر إنكار ابن تيمية فقال(1) «وقد أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر أن يكون أبو بكر وعمر كانا في بعث أسامة ومستند ذكره ما أخرجه الواقدي بأسانيده في المغازي وذكره ابن سعد أواخر الترجمة النبوية بغير إسناد وذكره ابن إسحاق في السيرة المشهورة ولفظه: بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: إغز في سبيل الله وسر إلى موضع مقتل أبيك فقد وليتك هذا الجيش فذكر القصة وفيها لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر ولما جهزه أبو بكر بعد أن استخلف سألته أبو بكر أن يأذن لعمر بالإقامة فأذن... ذكر ذلك كله ابن الجوزي في المنتظم جازما به، وذكر الواقدي وأخرجه ابن عساكر من طريقه مع أبي بكر وعمر أبا عبيدة وسعدا وسعيدا وسلمة بن أسلم وقتادة بن النعمان والذي باشر القول ممن نسب إليهم الطعن في إمارته عياش بن أبي ربيعة وعند الواقدي أيضا أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة من قريش وفيه عن أبي هريرة كانت عدة الجيش سبعمائة».

ص: 422

وهذا الجزم من ابن حجر حجة عليهم لكونهم يجلبون الرجل في فقهه وحديثه وسيرته.

وقال ابن الأثير (1) «لما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب - وكان معه في جيشه إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إن معي وجوه الناس وجنتهم ولا آمن على خليفة رسول الله وحرمة رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب: إن أبا بكر خليفة رسول الله فإن أباي إلا أن نمضى فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم منا من أسامة»..

والذى يظهر أن ابن تيمية كان مضطراً لنفى كون ابى بكر فى جيش أسامة لكونه سيقع فى محذور الإشكال المخرج الذى لم يجدوا له حلا منذ أربعة عشر قرناً ولن يجدوا! وهو انه لو كان ابو بكر فى جيش أسامة فكيف صلى بالناس على ما يدعون قبل ليل من وفاة النبي صلى الله عليه وآله؟! لذا فالطريق السهل هو إنكار الامر الثابت من كون أبى بكر كان فى الجيش المعسكر خارج المدينة والقول بأنه فى المدينة ولو كان هو المصلدّى فهل كان عاصياً للنبي عليه الصلاة والسلام الذى أمره بالرحيل مع أسامة! حتى يصححوا خبر الصلاة والذى «تضافرت الروايات عن عائشة بالجزم بما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الإمام فى تلك الصلاة» (2) لكن صاحب (الفتح) حار كغيره فى ترجيح أى من الروايتين (الصحيحين) والتين تروى إحداهما أن ابا بكر صلى بالناس فى ذلك اليوم بينما تذكر الأخرى أن النبي خرج فوجده يصلى فصلى النبي إماماً وتراجع

ص: 423

1- (1) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 2 - ص 334-335.

2- (2) تحفة الأحوذى - المباركفورى - ج 2 - ص 297.

أبو بكر قال المبار كفورى وهو يتكلم عن ابن حجر «قال بعد أن ذكر الاختلاف: فمن العلماء من سلك الترجيح فقدم الرواية التى فيها أن أبا بكر كان مأموما للجزم بها فى رواية أبى معاوية وهو أحفظ فى حديث الأعمش من غيره، ومنهم من عكس ذلك فقدم الرواية التى فيها أنه كان إماما ومنهم من سلك الجمع فحمل القصة على التعدد» وهذا إنما مخرجهم الاضطرابى! فهم إن نفوا رواية الصلاة لم يثبت لهم القول بالإشارة من النبى لكونهم ربطوا بين ما ادعى من أمر النبى لأبى بكر بالصلاة وبين تفضيله فقالوا «قد رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لدينا أفلا نرضاه لدينانا»⁽¹⁾ فاختار ابن تيمية اختصار الطريق ونفى خبر كونه فى جيش اسامة وخالف المؤرخين والمحدثين لينفذ بجلده! وهذه واحدة من مئات التناقضات التى لم يجدوا لها مخرجا لكونهم اضطروا لإيجاد أعذار وتأويلات سخيفة لوقائع ثابتة.

(ما يُجادِلُ فى آياتِ اللهِ إلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فى البِلادِ) (غافر: 4).

ص: 424

1- (1) شرح مسند أبى حنيفة - ملا على القارى - ص 53.

عمر هو الفاروق.. ولم يكن عليا كذلك

قال ابن تيمية «قال الرافضى (وسمّوا عمر الفاروق ولم يسمّوا عليا عليه السلام بذلك مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه (أى فى على) هذا فاروق أمتى يفرق بين أهل الحق والباطل وقال ابن عمر ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ببغضهم عليا عليه السلام) فيقال أولا أما هذان الحديثان فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرو واحد منهما فى شىء من كتب العلم المعتمدة ولا لواحد منهما إسناد معروف»⁽¹⁾.

الجواب:

إن كلام ابن عمر لم ينسب إلى النبي! فكيف يقول ابن تيمية إنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي! إلا إذا كان يضمّر تكذيب أى خبر مهما كان إن وردت فيه كرامة لأمر المؤمنين, وهو ما فعله فى كتابه.

أما الحديث الأول فهو مروى عن الطائفتين وهو حقّ، إذ رواه علماء الشيعة

ص: 425

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 255.

ومنهم أبو الفتح الكراچكى (1) - على سبيل المثال - ورواه جمع من علماء أهل السنة لكنهم اعتلّوا بانفراد إسحاق بن بشر وكانوا إذا انفرد بحديث لم يكذبوه ولم يثبتوا حديثه (2).

قال ابن تيمية «لو عارض هذا معارض فجعل محبة عثمان هي الفارقة بين الحق والباطل لم تكن دعواه دون دعوى ذلك في علي مع ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله لما ذكر الفتنة (هذا يومئذ وأصحابه على الحق) وأما إذا جعل ذلك في أبي بكر وعمر فلا يخفى أنه أظهر في المقابلة» (3).

الجواب:

إن دعوى حديث «هذا يومئذ وأصحابه على الحق» في عثمان تنم عن نصب واضح في إنكار دلائل الحق في علي ونسبتها لغيره.

والرواية مزوّرة تزويراً قبيحاً، إضافة لكونها مريبة السند، فعبد الله بن شقيق العقيلي الراوى من كبار النواصب (4) وهو راوى حديث (5) «سئلت عائشة أى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، قلت: فمن بعده؟ قالت: عمر، قلت: فمن بعده؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح» (6)!

ص: 426

-
- 1- (1) التعجب - أبو الفتح الكراچكى - ص 101.
 - 2- (2) الاستيعاب - ابن عبد البر - ج 4 - ص 1744.
 - 3- (3) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدريّة - ابن تيمية - ج 2 - ص 257.
 - 4- (4) معرفة الثقات - العجلى - ج 2 - ص 38.
 - 5- (5) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 25 - ص 470.
 - 6- (6) يظهر أن عائشة قالت رأيها هذا فى التثليث بأبى عبيدة بن الجراح بعد واقعة السقيفة بقليل إذ رأته يده البيضاء على أبيها أبى بكر ومنافحته عنه فى السقيفة فكانت تذكر أبى بكر وعمر وأبى

والرواية الصحيحة أخرجها الطبراني (1) في معجمه الكبير فقال «حدثنا إبراهيم بن متويه الأصبهاني حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا صالح بن بدل حدثنا عبد الله بن جعفر المدني عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن كعب بن عجرة قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمرَّ بنا رجل متقنّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا وأصحابه على الحق، قال كعب: فأدرتته، فنظرت إليه حتى عرفتته، وكنا نسأل كعباً من الرجل؟ فيأبى يخبرنا حتى خرج كعب مع علي إلى الكوفة، فلم يزل حتى مات فكأننا أن عرفنا أن ذلك الرجل علي رضي الله عنه».. والأمر أوضح من أن يشرح فالراوى (كعب بن عجرة) كان لا يصرّح بالاسم خوفاً من السلطان وأجهزته الأمنية والمنافقية، حتى استطاع أن يثبت بالعمل من هو المعنى بحديثه الذي كان لا يعلن من هو المقصود به، وإذا كان أمر الموالى كذلك فقد اغتتم أعداء أمير المؤمنين عليه السلام الفرصة فنسبوا الحديث ظلماً لعثمان!.

وكيف يمكن أن يُصرّح بهكذا حديث وقد كان اسم أمير المؤمنين عليه السلام ممنوعاً على الناس أن يسمّوه مواليدهم!! ومن يوجد من الأطفال باسم علي يقتل بأمر ملوك بني أمية!! قال ابن حجر في ترجمة علي بن رباح (2) «وقال الليث قال علي بن رباح: لا أجعل في حل من سماني على فإن اسمي على، وقال

ص: 427

1- (1) المعجم الكبير - الطبراني - ج 19 - ص 147.

2- (2) تهذيب التهذيب - ابن حجر - ج 7 - ص 281.

المقرى: كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه على قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال: هو عُلى، وكان (عُلى) يغضب من على ويحرج على من سمّاه به...»

لكن كعب بن عجرة لم يتوان عن التلويح بصفات هؤلاء الأمراء الذين حدثه عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فروي له العديد من هذه الروايات التي تثير العقول لتبحث عن واقعها السياسى المزرى، منها:

ما رواه الهيثمى(1) فى مجمع الزوائد عنه «قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنها ستكون عليكم أمراء من بعدى يعظون بالحكمة على منابر، فإذا نزلوا اختلست منهم وقلوبهم أنتن من الجيف».

وما رواه النسائى فى السنن الكبرى(2) إذ قال «عن كعب بن عجرة قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن تسعة، خمسة وأربعة أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدى أمراء من دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس يرد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدّقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم، فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض».

وحديثه المهم الذى وقف بوجه موجات التزوير والتزويق والتحريف لتعليم النبى الصلاة عليه لأمته، إذ روى البخارى فى صحيحه(3) «حدثنى سعيد بن يحيى حدثنا أبى حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة رضى الله عنه، قيل يا رسول الله: أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال:

ص: 428

1- (1) مجمع الزوائد - الهيثمى - ج 5 - ص 238.

2- (2) السنن الكبرى - النسائى - ج 4 - ص 435.

3- (3) صحيح البخارى - البخارى - ج 6 - ص 27.

قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد».

وكانت رواية كعب بن عجرة لهذه الرواية من باب المعارضة الصامته للأمراء الذين قال النبي صلى الله عليه وآله إنهم سيلون الأمور بعده «من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يرد على الحوض».

فقد روى احمد بسنده(1) «إنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد»!!

لاحظ إنهم ادخلوا «أزواجه» بين اسم النبي وبين آله الأطهار! فكانت رواية هذا الصحابي الجليل صادحة بالحق لم يستطع أغلب المحدثين تجاهلها فأوردوها وحاولوا الجمع بينها وبين الرواية المزورة!

ومن التزوير ما مر علينا من قلبهم مسألة الكلام مع وفد قريش الى الحبشة وقولهم «إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضى الله عنه»(2).

وقد عقب ابن إسحاق على هذه الرواية الشاذة بقوله «وليس كذلك إنما كان يكلمه جعفر بن ابى طالب»(3).

ص: 429

1- (1) مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج 5 - ص 424.

2- (2) تاريخ الإسلام - الذهبي - ج 1 - ص 195.

3- (3) سيرة ابن اسحاق - ص 218.

إِما صحابنا وإِما على... ولا طريق ثالثة!

قال ابن تيمية «فلو قال قائل: إن عليا ومن قاتله قد التقيا بسيفيهما وقد استحلّوا دماء المسلمين فيجب أن يلحقهم الوعيد.

لكان جوابه أن الوعيد لا يتناول المجتهد المتأول وإن كان مخطئاً فإن الله تعالى يقول في دعاء المؤمنين:

(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) (البقرة: من الآية 286).

قال: قد فعلت. فقد عفى للمؤمنين عن النسيان والخطأ والمجتهد المخطيء مغفور له خطؤه وإذا غفر خطأ هؤلاء في قتال المؤمنين فالمغفرة لعائشة لكونها لم تقرّ في بيتها إذ كانت مجتهدة أولى.

وأيضاً فلو قال قائل: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المدينة تنفى خبثها وينصح طيبها. وقال: لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه. أخرجه في الموطأ كما في الصحيحين عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها طيبة يعنى المدينة وإنها تنفى الرجال كما تنفى النار خبث الحديد وفي لفظ تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وقال إن علياً خرج عنها ولم يبق بها كما أقام الخلفاء قبله ولهذا لم تجتمع عليه الكلمة لكان الجواب: أن

المجتهد إذا كان دون علي لم يتناوله الوعيد فعليّ أولى أن لا يتناوله الوعيد لاجتهاده، وبهذا يجب عن خروج عائشة رضی الله عنها وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة»(1).

الجواب:

إن ابن تيمية بأسلوبه الملتوى يريد أن يقول إن خروج عائشة مرتبط بمثال خروج علي من المدينة فمن يحكم بخطأ عائشة وبغيها، يحكم بأن عليا مشمول بنفي الخبث عن المدينة وأن المدينة نفته لكونه خبث وحاشاه! ومن يحكم بأن عائشة مجتهدة مخطئة يقول له ابن تيمية: وكذلك علي!

ولا أعلم لم يجب أن يكون الأمر مرتبطاً؟!

علي أن ابن تيمية بتعميمته المعروفة في الأمور لم يقل الفرق بين الاجتهاد مقابل النص، والاجتهاد في النص، فعائشة خالفت نصوصاً قرآنية ونبوية ثابتة تنص على الإقرار في البيوت بالمطلق قال تعالى:

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (33) سورة الأحزاب.

وعلى إطاعة أولى الأمر بالمطلق قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (59) سورة النساء.

وعلى سؤال أهل الذكر عند الحاجة والاختلاف قال تعالى:

ص: 431

(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (7) سورة الأنبياء.

وعلى عدم فلاح من تملكه امرأة: روى احمد بن حنبل عن النبي صلى الله عليه وآله: لا يفلح قوم ملكتهم امرأة(1).

وعلى ارتباط القرآن بالعترة في حديث الثقلين وبالتالي معصومية العترة، والحديث الصحيح في علي عليه السلام «هو ولي كل مؤمن بعدى» وحديث «نا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» فعائشة ورهطها خالفوا كل النصوص النبوية في علي عليه السلام فكيف يكونون مجتهدين متأولين مأجورين!؟

ولكنها النفس الأمّارة بالسوء وما إدراك فعائشة التي «لا تطيب نفساً لعلّى عليه السلام»!(2) كيف تصبر في حكومة يتزعمها علي عليه السلام!

وقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلى - والذي يعده ابن تيمية من أهل السنة - في مسألة الخلفاء كما مر علينا كلاماً في تحليل شخصية عائشة ينسبه لأستاذه أبى يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعانى قال فيه(3) «أول بدء الضغن كان بينها وبين فاطمة عليهما السلام، وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها عقيب موت خديجة، فأقامها مقامها، وفاطمة هي ابنة خديجة، ومن المعلوم أن ابنة الرجل إذا ماتت أمها، وتزوج أبوها أخرى، كان بين الابنة وبين المرأة كدر وشنآن وهذا لا بد منه، لان الزوجة تنفس عليها ميل الأب، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأة

ص:432

1- (1) مسند أحمد - ج 5 - ص 43 - قال شعيب الأرئوط: حديث صحيح.

2- (2) مسند احمد - ج 6 - ص 228 جاء ذلك على لسان ابن عباس وفي لفظ آخر «لكنها لا تقدر على أن تذكره بخير» عمدة القارى العيني - ج 5 - ص 192.

3- (3) شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد - ج 9 - ص 192-197.

غريبة. كالضرة لامها، بل هي ضرة على الحقيقة، وإن كانت الأم ميتة. ولأننا لو قدرنا الأم حية لكانت العداوة مضطربة متسعة، فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة، وفي المثل: "عداوة الحماة والكنة". وقال الراجز:

إن الحماة أولعت بالكنة وأولعت كنتها بالظنه

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله مال إليها وأحبها فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله، وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونونه وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لا مرة واحدة، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: إنها سيدة نساء العالمين، وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف، غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد. وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة، وإن إنكاحه عليا إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة. وكم قال لا مرة "يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها"، و"إنها بضعة مني، يريني ما رابها" فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل، والنفوس البشرية تغيظ على ما هو دون هذا، فكيف هذا! ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها - أعنى عليا عليه السلام - فإن النساء كثيرا ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال، لا سيما وهن محدثات الليل، كما قيل في المثل، وكانت تكثر الشكوى من عائشة، ويغشاها نساء المدينة وجران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة، ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة، وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها، كانت عائشة تشكو إلى أبيها، لعلمها أن بعلها لا يشكيها على ابنته، فحصل في

نفس أبي بكر من ذلك أثر ما، ثم تزايد تقرّظ رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام، وتقريبه واختصاصه، فأحدث ذلك حسدا له وغبطة في نفس أبي بكر عنه، وهو أبوها، وفي نفس طلحة وهو ابن عمها، وهي تجلس إليهما، وتسمع كلامهما، وهما يجلسان إليها ويحدثانها، فأعدى إليها منهما كما أعدتهما. قال: ولست أبرئ عليا عليه السلام من مثل ذلك، فإنه كان ينفس على أبي بكر سكون النبي صلى الله عليه وآله إليه وثنائه عليه، ويحب أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين، ومن انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده، فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين. ثم كان من أمر القذف ما كان، ولم يكن على عليه السلام من القاذفين، ولكنه كان من المشيرين على رسول الله صلى الله عليه وآله بطلاقها، تنزيها لعرضه عن أقوال الشنأة والمنافقين. قال له لما استشاره: إن هي إلا شمع نعلك، وقال له: سل الخادم وخوفها وإن أقامت على الجحود فاضربها. وبلغ عائشة هذا الكلام كله، وسمعت أضعافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة، ونقل النساء إليها كلاما كثيرا عن علي وفاطمة، وأنها قد أظهرت الشماتة جهارا وسرا بوقوع هذه الحادثة لها، فتفاقم الأمر وغلظ. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صالحها ورجع إليها، ونزل القرآن ببراءتها، فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر، ويستظهر بعد أن غلب، ويبرأ بعد أن اتهم، من بسط اللسان، وفتات القول، وبلغ ذلك كله عليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام، فاشتدت الحال، وغلظت، وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه، ثم كان بينها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال، كلها تقتضى تهيج ما في النفوس، نحو قولها له وقد استدناه رسول الله، فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان:

أما وجدت مقعدا لكذا - لا تكنى عنه - إلا فخذى! ونحو ما روى أنه سايره يوما وأطال مناجاته، فجاءت وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما، وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما! فيقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم. وما روى من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها، ونحو ذلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها. ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة بنين وبنات، ولم تلد هي ولدا، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقيم بنى فاطمة مقام بنيه، ويسمى الواحد منهما "ابنى" ويقول: دعوا لى ابنى ولا تزرموا على ابنى "و" ما فعل ابنى "فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأيت البعل يتبنى بنى ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق! هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم، أم مبغضة! وهل تود دوام ذلك واستمراره، أم زواله وانقضائه! ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله سد باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره، ثم بعث أباه ببراءة إلى مكة، ثم عزله عنها بصهره، ففدح ذلك أيضا فى نفسها، وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية، فأظهر على عليه السلام بذلك سرورا كثيرا، وكان يتعصب لمارية، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا على غيرها، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة، فبرأها على عليه السلام منها، وكشف بطلانها أو كشفه الله تعالى على يده، وكان ذلك كشفا محسسا بالبصر، لا يتهيا للمناققين أن يقولوا فيه ما قالوه فى القرآن المنزل ببراءة عائشة، وكل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكد ما فى نفسها منه، ثم مات إبراهيم فأبطنت شماته، وإن أظهرت كآبة، ووجم على عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة، وكانا يؤثران، ويريدان أن تتميز مارية عليها بالولد، فلم يقدر لهما ولا لمارية ذلك، وبقيت الأمور على ما هى عليه،

وفى النفوس ما فيها، حتى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله المرض الذى توفى فيه، وكانت فاطمة عليها السلام وعلى عليه السلام يريدان أن يمرضاه فى بيتهما، وكذلك كان أزواجه كلهن فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية التى كانت لها دون نساته، وكره أن يزاحم فاطمة وبعلاها فى بيتهما، فلا- يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه فى بيت من يميل إليه بطبعه، وعلم أن المريض يحتاج إلى فضل مداراة ونوم ويقظة وانكشاف وخروج حدث، فكانت نفسه إلى بيته أسكن منها إلى بيت صهره وبنته، فإنه إذا تصور حياءهما منه استحيا هو أيضا منهما، وكل أحد يحب أن يخلو بنفسه، ويحتشم الصهر والبنت، ولم يكن له إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها، فتمرض فى بيتهما فغبطت على ذلك، ولم يمرض رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قدم المدينة مثل هذا المرض، وإنما كان مرضه الشقيقة يوما أو بعض يوم ثم يبرأ، فتناول هذا المرض، وكان على عليه السلام لا يشك أن الأمر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهذا قال له عمه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله صلى الله عليه وآله: بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يختلف عليك اثنان. قال: يا عم، وهل يطمع فيها طامع غيرى! قال: ستعلم، قال: فإني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به. فسكت عنه، فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرضه، أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان على عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمرين - إن حدث برسول الله صلى الله عليه وآله حدث - أوثق وتغلب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفوا عفوا وتتم له البيعة، فلا يتهيا فسسخها لورام ضد منازعته

عليها، فكان - من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه وإعلامه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت - ما كان ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب على عليه السلام عائشة أنها أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لان رسول الله كما روى، قال: "ليصل بهم أحدهم" ولم يعين، وكانت صلاة الصبح فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو فى آخر رمق يتهاذى بين على والفضل بن العباس، حتى قام فى المحراب كما ورد فى الخبر، ثم دخل فمات ارتفاع الضحى فجعل يوم صلاته حجة فى صرف الأمر إليه. وقال: أياكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله فى الصلاة! ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظة على الصلاة مهما أمكن، فبويح على هذه النكتة التى اتهمها على عليه السلام على أنها ابتدأت منها. وكان على عليه السلام يذكر هذا لأصحابه فى خلواته كثيرا، ويقول: إنه لم يقل صلى الله عليه وآله: "إنكن لصويحبات يوسف" إلا إنكارا لهذه الحال، وغضبا منها لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبيهما، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب فلم يجد ذلك، ولا أثر مع قوة الداعى الذى كان يدعو إلى أبى بكر ويمهد له قاعدة الأمر وتقرر حاله فى نفوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار ولما ساعد على ذلك من الحظ الفلكى والأمر السمائى، الذى جمع عليه القلوب والأهواء، فكانت هذه الحال عند على أعظم من كل عظيم، وهى الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، ولم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها ولا علق الأمر الواقع إلا بها، فدعا عليها فى خلواته وبين خواصه، وتظلم إلى الله منها، وجرى له فى تخلفه عن البيعة ما هو مشهور، حتى بايع، وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفيت فاطمة،

وهما صابران على مريض ومريض واستظهرت بولاية أبيها، واستطالت وعظم شأنها، وانخذل على وفاطمة وقهرا، وأخذت فدك وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مرارا فلم تظفر بشيء، وفي ذلك تبلغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كل كلام يسوؤها ويبلغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك إلا أنه شتان ما بين الحالين، وبعد ما بين الفريقين هذه غالبية وهذه مغلوبة وهذه أمرة وهذه مأمورة، وظهر التشفى والشماتة، ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو. فقلت له، رحمه الله: أفتقول أنت: إن عائشة عينت أباهما للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعينه! فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن عليا كان يقوله، وتكليفى غير تكليفه، كان حاضرا ولم أكن حاضرا! فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بى وهى تتضمن تعيين النبى صلى الله عليه وآله لأبى بكر فى الصلاة، وهو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنه من الحال التي كان حضرها. قال: ثم ماتت فاطمة، فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهن إلى بنى هاشم فى العزاء إلا عائشة، فإنها لم تأت، وأظهرت مرضا ونقل إلى على عليه السلام عنها كلام يدل على السرور. ثم بايع على أباهما فسرت بذلك، وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا، واستمرت الأمور على هذا مدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلى، والأحقاد تذيب الحجارة، وكلما طال الزمان على على تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما فى نفسه، إلى أن قتل عثمان، وقد كانت عائشة فيها أشد الناس عليه تأليا وتحريضا، فقالت: أبعد الله! لما سمعت قتله وأملت أن تكون الخلافة فى طلحة فتعود الإمرة تيمية، كما كانت أولا، فعدل الناس عنه إلى على بن أبى طالب، فلما سمعت ذلك صرخت: واعثماناه "قتل عثمان مظلوما وثار ما فى

الأنفس، حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده. هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله، ولم يكن يتشيع، وكان شديداً في الاعتزال إلا أنه في التفضيل كان بغدادياً».

وما نقله في عائشة وأبيها كثير منه حق وما قاله في علي وفاطمة باطل لكونهما معصومان بالأدلة القاطعة فلا مجال لتصور هذه الأخلاق الرديئة في حقهما من الحسد وما شابه، وليت شعري يحسدون غيرهم علي ماذا وهم الكمّل؟!!!

قال ابن تيمية «بل من المعلوم أن الذين تخلفوا عن القتال مع علي من المسلمين أضعاف الذين أجمعوا علي قتل عثمان، فإن الناس كانوا في زمن علي علي ثلاثة أصناف صنف قاتلوا معه وصنف قاتلوه وصنف لا قاتلوه ولا قاتلوا معه وأكثر السابقين الأولين كانوا من هذا الصنف ولو لم يكن تخلف عنه إلا من قاتل مع معاوية رضى الله عنه فإن معاوية ومن معه لم يبايعوه وهم أضعاف الذين قتلوا عثمان أضعافاً مضاعفة والذين أنكروا قتل عثمان أضعاف الذين قاتلوا مع علي فإن كان قول القائل إن الناس أجمعوا علي قتال علي باطلاً فقولهم إنهم أجمعوا علي قتل عثمان أبطل وأبطل وإن جاز أن يقال إنهم أجمعوا علي قتل عثمان لكون ذلك وقع في العالم ولم يدفع فقول القائل إنهم أجمعوا علي قتال علي أيضاً والتخلف عن بيعته أجوز وأجوز فإن هذا وقع في العالم ولم يدفع»(1).

الجواب:

انتبه لمغالطته إذ يقول «بل من المعلوم أن الذين تخلفوا عن القتال مع علي من المسلمين أضعاف الذين أجمعوا علي قتل عثمان».

ص: 439

فبهذا الأسلوب الملتوى لا يريد إلا أن يشوّش على الصورة العامة التاريخية للذي حدث وإلا فالقسمة ليست كذلك بل يجب أن نقول:

إن هنالك أناس قاتلوا مع علي عليه السلام وأناس قاتلوا ضدّه.

ولو تكلم ابن تيمية هكذا لكان لسائل ان يسأل: من الذى قاتل معه ومن الذى قاتل ضدّه؟! وهذا ما هرب ابن تيمية من أن يتسبب بقدحه فى الأذهان، فالذين حاربوا معه أكثر من سبعين بدرية وأكثر من ثمانمائة صحابى، والذين قاتلوا ضدّه - فى حرب معاوية لكونه خصه بالاسم - هم طغام أهل الشام وفيهم بعض مسلمة الفتح.

وبالتالى فهل هنالك قياس أصلا بين هؤلاء وبين هؤلاء؟

ثم إنه يقول فى مغالطة ثانية «ولو لم يكن تخلف عنه إلا من قاتل مع معاوية رضى الله عنه فإن معاوية ومن معه لم يبايعوه وهم أضعاف الذين قتلوا عثمان أضعافا مضاعفة والذين أنكروا قتل عثمان أضعاف الذين قاتلوا مع علي».

فالواجب المقارنة بين من قاتل الإمام مع معاوية وبين من قاتل معاوية مع الإمام وستجد الفرق الشاسع الذى لا يريد أن يتطرق اليه لكونه بديهية تاريخية.

بينما هو يتحدث عن الذين قاتلوا الامام ويقارنهم بالذين قتلوا عثمان! ومن المعلوم ان الذين ثاروا على عثمان كانوا فى جيش علي! فهو حذر من ربط الموضوع بشكل منطقى حتى يقول ما يريد بلا دليل!

ثم انتبه لقوله «والذين أنكروا قتل عثمان أضعاف الذين قاتلوا مع علي»

فالواجب أن يقرن الذين قتلوا عثمان بالذين قاتلوا عليا لوحدة المناط فى الحكم على موازينه هو، كما يقول الأصوليون.

ثم يقرب الذين انكروا قتل عثمان بالذين انكروا قتال معاوية لعل عليه السلام فهكذا تحكم القريحة المستقيمة، لكن قريحة الرجل معوجة وأنا له الاستقامة بالتفكير وقد حكم الأشاعرة والشيعة بزندقته ونصبه؟.

قال تعالى:

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) (آل عمران: من الآية 7).

وان كان كلام ابن تيمية عن أهل المدينة لكونها مجمع الصحابة الذين يجب أن يكون الكلام عنهم فالذين اجتمعوا على قتل عثمان وساروا اليه كانوا في جيش على عليه السلام، بل إنما قامت حرب الجمل وصفين بدعوى وجودهم في جيش على ووجوب تسليمهم لولى الدم للقصاص، زعموا.

وأما قوله «فإن الناس كانوا في زمن على على ثلاثة أصناف صنف قاتلوا معه وصنف قاتلوه وصنف لا قاتلوه ولا قاتلوا معه وأكثر السابقين الأولين كانوا من هذا الصنف».

فهذا أجرى لنا ابن تيمية إحصاء لكل فئة ومن أين أتى بمعلوماته؟! ولكنه النصب وما أدراك.

والذين قال عنهم إنهم أكثر الناس لم يذكر التاريخ منهم إلا بضعة أفراد منهم أسامة بن زيد ولم يكن من السابقين وسعد بن مالك وعبد الله بن عمر، وكان البديون مع على عليه السلام إضافة لما يقرب من ثمانمائة صحابي فيهم خيرتهم مثل خزيمة وقيس بن سعد وعمار ومالك وغيرهم من الأخيار. قال خليفة بن خياط «حدثنا أبو غسان قال انبأنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد

ص: 441

الرحمن بن جعفر - أظنه ابن أبي المغيرة - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه: شهدنا مع علي ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر(1).

ثم إن ابن تيمية إن أراد بتعميته علي من شارك مع علي عليه السلام إظهار كثرة أهل الشام فهذا منطوق المنافقين الطاعنين بالقرآن إذ يقول تعالى:

(وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (الأنعام: 116).

ويقول تعالى:

(وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الأعراف: من الآية 187).

(وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (هود: من الآية 17).

(وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (يوسف: من الآية 38).

(وَ مَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف: 103)

(وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (الاسراء: 89).

ص: 442

إِذَا عَثْمَانُ وَالْحُسَيْنِ .. وَإِمَا لَا أَحَدًا!

قال ابن تيمية (1) «فلو قال قائل: إن الحسين قُتل بإجماع الناس لأن الذين قاتلوه وقتلوه لم يدفعهم أحد من ذلك، لم يكن كذبه بأظهر من كذب المدعى للإجماع على قتل عثمان، فإن الحسين رضى الله عنه لم يعظم إنكار الأمة لقتله كما عظم إنكارهم لقتل عثمان، ولا انتصر له جيوش كالجيش الذين انتصرت لعثمان، ولا انتقم أعوانه من أعدائه كما انتقم أعوان عثمان من أعدائه، ولا حصل بقتله من الفتنة والشر والفساد ما حصل بقتل عثمان، ولا كان قتله أعظم إنكاراً عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من قتل عثمان».

الجواب:

كيف لم تنتصر له الجيوش وما تمكن بنو العباس من السلطة إلا بشعار الرضا من آل محمد، وآل محمد لم يعرف أمرهم بمثل ما عرف بمأساة الطف.

حتى قال شاعرهم (2) يخاطب السفاح:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بنى العباس

يا أمير المطهرين من الرجس ويا رأس منتهى كل رأس

ص: 443

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 269.

2- (2) تاريخ يعقوبى - يعقوبى - ج 2 - ص 359.

أنت مهدي هاشم وهداها كم أناس رجوك بعد إياس

لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس

أفنها أيها الخليفة واحسم عنك بالسيف شأفة الأرجاس

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس

ولقد ساءنى وساء قبيلى قربهم من نمارق وكراسى

خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كحز المواسى

واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس

وكيف لم ينتقم أعوانه من أعدائه وقد فعل المختار بقتلته ما فعل؟! ولا احسب ابن تيمية يبغض المختار كل هذا البغض إلا لقتله قتلة الحسين!

أما عدم حصول فتنة وشر بقتل الحسين كما هو الأمر بقتل عثمان فإن كان القصد من الفتنة الحروب التى تبعت قتل عثمان فالمسؤول عن ذلك من جاء بهذه «الفتنة» وهم عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وأضرابهم وهم الظالمون.

وإن كانت الفتنة بمعنى الاختبار فكيف لا يكون قتل ابن نبي الأمة اختبارا فشلت فيه الأمة فشلا ذريعا؟!!

وكيف لم يحصل شر بقتل ابن النبي الوحيد على وجه الأرض ومن بكت عليه السماء دماً؟!!

وأما قوله «ولا كان قتله أعظم إنكارا عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من قتل عثمان»

ف نقول له: كيف وقد أمطرت السماء دما ولم تفعل ذلك بعثمان وحصلت

من الآيات العجيبة التي نقلها الفريقان ما لم يحدث بقتل غيره؟ وهذا ياجماع الأمة لا مثل ما يروى عن عثمان وهو من طرف واحد.

قال محمد ابن سيرين(1): ذكر رجل من الأزدي قال صلى معنا رجل من عظمائنا صلاة العشاء الآخرة صحيحا بصيرا فأصبح وهو أعمى، فأثناه وقتناه له: ما هذا الذي طرقتك قال أتيت في منامي فأخذت فذهب بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو قاعد وبين يديه طست مملوءة دما قال: إنك كنت فيمن قاتل الحسين؟ قلت: نعم فأخذ أصبعي هاتين يعنى السبابة والوسطى فغمسهما في الدم ثم قال بهما هكذا في عيني وأوما بأصبعيه قال فأصبحت لا أبصر شيئا.

وقال ابن عساكر في تاريخه في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام(2):

عن الحارث الكندي قال لما قتل الحسين مكثنا سبعة أيام إذا صلينا العصر فنظرنا إلى الشمس على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة ونظرنا إلى الكواكب يضرب بعضها بعضا.

قال وحدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي حدثنا محمد بن الصلت الأسدي الكوفي حدثنا الربيع بن المنذر الثوري عن أبيه قال جاء رجل يبشر الناس بقتل الحسين فرأيته أعمى يقاد.

وقال ابن عساكر بسنده عن نصرمة الأزديّة قالت: لما أن قتل الحسين بن علي مطرت السماء دما فأصبحت وكل شيء لنا ملآن دماء.

وعن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي كسفت الشمس كسفة بدت

ص:445

1- (1) منتخب الكلام في تفسير الأحلام - محمد بن سيرين - ج 1 - ص 293.

2- (2) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 14 - ص 227-233.

الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي.

وعن هشام عن محمد قال تعلم هذه الحمرة في الأفق مم هو؟ فقال: من يوم قتل الحسين بن علي.

وعن محمد بن سيرين قال لم تكن ترى الحمرة في السماء حتى قتل الحسين بن علي.

عن جعفر بن سليمان قال حدثني خالتي أم سالم قالت لما قتل الحسين بن علي مطرنا مطرا كالدّم على البيوت والجدر قال وبلغني أنه كان بخراسان والشام والكوفة.

وقال أبو غالب قال حدثني بواب عبيد الله بن زياد أنه لما جرى برأس الحسين فوضع بين يديه رأيت حيّطان دار الإمارة تسايّل دما.

عن زيد بن عمرو الكندي قال حدثني أم حيان قالت يوم قتل الحسين أظلمت علينا ثلاثا ولم يمس أحد من زعفرانهم شيئا فجعله على وجهه إلا احترق ولم يقلب حجر بيت المقدس إلا أصبح تحته دم عبيط.

عن معمر قال أول ما عرف الزهري انه تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك فقال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي؟ فقال: الزهري زاد عبد الكريم وابن السمرقندي: بلغني وقالوا أنه لم يقلب حجر إلا زاد ابن السمرقندي وجد تحت وقال بيهقي إلا وتحتّه دم عبيط.

وعن عمر بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال أرسل عبد الملك إلى ابن رأس الجالوت فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ قال ابن رأس الجالوت: ما كشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

وعن يزيد بن أبي زياد قال فقال الحسين ولى أربعة عشر سنة قال وصار الورس(1) الذى كان فى عسكرهم رمادا واحمرت آفاق السماء ونحروا ناقة فى عسكرهم فكانوا يرون فى لحمها النيران.

عن سفيان: حدثنى جدتى قالت لقد رأيت الورس عاد رمادا ولقد رأيت اللحم كأن فيه النار حين قتل الحسين.

سفيان بن عيينة حدثنى جدتى أم عيينة أن حمالا كان يحمل ورسا فهوى قتل الحسين بن على فصار ورسه رمادا.

عن أبى حميد الطحان قال: كنت فى خزاعة فجاءوا بشيء من تركة الحسين فليل لهم ننحر أو نبيع فنقسم؟ قالوا: انحروا قال فجعل على جفنة فلما وضعت فارت نارا.

وعن جميل بن مرة قال: أصابوا إبلا فى عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها قال فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا.

وعن حسن بن الحارث عن شيخ من النخع قال الحجاج من كان له بلاء فليقم فقام قوم يذكروا وقام سنان بن أنس فقال: أنا قاتل حسين، فقال: بلاء حسن ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله فكان يأكل ويحدث فى مكانه.

وعن أبورجاء قال لا تسبوا عليا يا لهفنا على أسهم رميته بهن يوم الجمل مع ذاك لقد قصرن والحمد لله عنه قال إن جارا لنا من بلهجوم جاءنا من الكوفة فقال ألم تروا إلى الفاسق بن الفاسق قتله الله يعنى الحسين بن على قال فرمى الله

ص:447

1- (1) الورس نبات أصفر يشبه الزعفران تصبغ به الثياب/نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق - الشريف الادريسي - ج 1 - ص 53.

بكوكبين في عينيه فذهب بصره لعنه الله.

وعن مولى لبنى سلامة قال كنا في ضيعتنا بالنهرين ونحن نتحدث بالليل ما أجد ممن أعان على قتل الحسين خرج من الدنيا حتى يصيبه بلية ومعنا رجل من طيء فقال الطائي فأنا ممن أعان على قتل الحسين فما أصابني إلا خير قال: وعشى السراج فقام الطائي يصلحه فعلق النار في سباحته فمر يعدو نحو الفرات فرمى بنفسه في الماء فاتبعناه فجعل إذا انغمس في الماء فرقت النار على الماء فإذا ظهر أخذته حتى قتله.

وقال السدي: أتيت كربلاء أبيع البزّ - وهو ضرب من الثياب - بها فعمل لنا شيخ من طيء طعاما فتعشينا عنده فذكرنا قتل الحسين فقلت ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوأ ميتة فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق فأنا فيمن شرك في ذلك، فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط فذهب يخرج الفتيلة ياصبعه فأخذت النار فيها فذهب يطفئها بريقه فأخذت النار في لحيته فغدا فألقى نفسه في الماء فرأيته وكأنه حَمَمَة.

كل هذا رواه ابن عساكر، وروى الإمامية أضعافه من الحوادث الغريبة الكونية والانتقام الإلهي من شرك بقتل الحسين عليه السلام، فهذا كرامة الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة عند الله فما كرامة عثمان؟!!!

وقد روى محدثوا أهل السنة في مقتل علي عليه السلام مثلما روى في مقتل الحسين عليه السلام قال الزرندی الحنفي «وروى عن ابن شهاب الزهري قال: دخلت الشام وأنا أريد الغزو فأتيت عبد الملك بن مروان لأسلم عليه قال: فوجدته في قبة على فرش تقرب من القايم أو تفوق القايم والناس تحته سماطان

فسلمت ثم جلست، فقال لى: يا ابن شهاب أتعلم ما كان فى البيت المقدس صباح قتل على بن أبى طالب قلت: نعم قال: هلم. فقممت من وراء الناس حتى اتيت خلف القبة فحول إلى وجهه وانحنى على فقال: ما كان قلت: لم يرفع حجر من بيت المقدس الا وجد تحته دم فقال: لم يبق أحد يعلم بهذا غيرى وغيرك فلا يسمعن هذا منك أحد قال: فما حدثت به حتى توفى.

وعن الزهرى إن أسماء الأنصارية قالت: ما رفع حجر بإيليا يعنى حين قتل على بن أبى طالب الا وجد تحته دم عبيط»(1).

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: 37).

ص: 449

1- (1) نظم درر السمطين - الزرندي الحنفى - ص 148-149.

عثمان لم يشهر فى الأمة سيفاً ولا قاتل على ولايته أحداً

قال ابن تيمية «فإن عثمان من أعيان السابقين الأولين من المهاجرين من طبقة على وطلحة والزبير، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته، بل لم يشهر فى الأمة سيفاً ولا قاتل على ولايته أحداً، وكان يغزو بالمسلمين الكفار بالسيف وكان السيف فى خلافته كما كان فى خلافة أبى بكر وعمر مسلولا على الكفار مكفوفاً عن أهل القبلة، ثم إنه طُلب قتله وهو خليفة فصبر ولم يقاتل دفعا عن نفسه حتى قُتل ولا ريب أن هذا أعظم أجراً وقتله أعظم إثماً ممن لم يكن متولياً فخرج يطلب الولاية ولم يتمكن من ذلك... فقاتل عن نفسه حتى قتل ولا ريب أن قتال الدافع عن نفسه وولايته أقرب من قتال الطالب لأن يأخذ الأمر من غيره وعثمان ترك القتال دفعا عن ولايته فكان حاله أفضل من حال الحسين وقتله أشنع من قتل الحسين»⁽¹⁾

الجواب:

الكلام كله تعريض بعلى وهو نصب جلى بل إن قوله «وكان السيف فى

ص:450

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 269.

خلافته كما كان في خلافة أبي بكر وعمر) سَخَف ما بعده سَخَف فما ذنب أمير المؤمنين عليه السلام أن انتقضت عليه أطراف الأرض من النواصب ولم يستطع أن يفتح دار الكفر، بل إن بعض من قاتله (كمعاوية) عقد هدنة مع الكافر الرومى ليتفرغ لحرب الإمام عليه السلام(1)! فالمفترض أن يتحمل المسؤولية من تسبب بذلك وليس من اجبر على ذلك.

وقوله «ثم إنه طُلب قتله وهو خليفة فصبر ولم يقاتل دفعا عن نفسه حتى قُتل ولا ريب أن هذا أعظم أجرا وقتله أعظم إثمًا ممن لم يكن متوليا فخرج يطلب الولاية ولم يتمكن من ذلك.... فقاتل عن نفسه حتى قتل ولا ريب أن قتال الدافع عن نفسه وولايته أقرب من قتال الطالب لأن يأخذ الأمر من غيره».

وفي هذا تعريض بالحسين عليه السلام، وهذا تشريع واضح لقتل يزيد للحسين عليه السلام ربحانة رسول الله فلعنة الله على من قتله ومن أعان عليه.

ثم إن القياس بهذه الشكل لا يمكن لاختلاف الحالين، فإن عثمان تسلط عبر الشورى الشكلية التي مهّد فيها الأمر له عمر مما هو معروف في التاريخ، واما الناس فلما رأوا الفتوح في زمان عمر، وإغداق عمر لأموال الفتوح على الخواص من قريش، حتى امتلكوا الأراضى الواسعة وألاف العبيد، بنوا القصور فى العقيق وغيرها من الوديان، انشغلوا عن الشرعيات الى غيرها، ولم يكونوا يفهمون الأمر كما فصله الإمام عليه السلام فى ولايته. فنسيت قضية الاولى بالإمامة إلاّ من عدد من خواص الإمام الذين يعتقدون به النص، وصار الناس تطيع لمن ولّت

ص:451

1- (1) لما كان معاوية قدوة عند السلفيين يقدمونه عمليا على السابقين من المهاجرين - كعلى عليه السلام - نراهم اليوم اقتدوا به فهم يتآمرون مع الكفار من اميركيين وبريطانيين وفرنسيين وصهاينة ضد الحركات الإسلامية كحزب الله وحركة حماس.

قريش، فتمهد الأ-مر لعثمان فلم يوجد من عارض إلا ما كان من سلمان وأبو ذر وحذيفة بن اليمان، وكلمات العباس والإمام على عليه السلام محفوظة في كون الشورى غير شرعية وغير عادلة، ثم إن عثمان غير ما كان عليه سلفه من خلط الحق بالباطل، فقلب لقريش بطن المجن وولّى بنى أمية على رقاب الناس يسوسونهم كما شاءوا، فانتفضت العرب في الأمصار وأعان المهاجرون والانصار عليه فلم يخلع نفسه انكبابا على الدنيا - كم يفعل طغاة العرب في أيامنا هذه، يموتون وهم على الكراسى! - وأين هذا ممن يقول «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله إن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله» (1).

فالإمام الحسين عليه السلام رأى الواجب الشرعي يحتم الخروج على الظالم، وأما من ينصب نفسه درعا للظالم فيقتل فهو مفتون بفتنته، يقاتل ليقام الحق ويزهق الباطل.

وأين المقارنة بين من يتسبب بشق عصا المسلمين ويعطى الذريعة للطلاق والمنافقين أن يقطعوا أوصال الإمة الإسلامية وكل ذلك حتى يبقى زعيما او حدا ويبقى حزبه الحزب الحاكم؟!

ولنفرض ان عثمان لم يقتل ولم يجر ما جرى من حروب بسببه أفهل يشرع

ص: 452

هذا التخاذل عن الخروج على يزيد وهو الذى أحل جمع من أهل السنة لعنه! قال القندوزى الحنفى فى يزيد وهو من أهل السنة (1) «وبعد اتفاهم على فسقه اختلفوا فى جواز لعنه بخصوص اسمه فأجازه قوم منهم ابن الجوزى، ونقله عن أحمد بن حنبل وغيره، فان ابن الجوزى قال فى كتابه المسمى ب"الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد": سألت عن يزيد بن معاوية. فقلت له: يكفيه ما به. فقال: أيجوز لعنه؟ قلت: قد أجازه العلماء الورعون، منهم أحمد بن حنبل، فإنه ذكر فى حق يزيد عليه اللعنة ما يزيد على اللعنة. ثم روى ابن الجوزى عن القاضى أبى يعلى الفراء أنه روى كتابه المعتمد فى الأصول بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل رحمهما الله قال: قلت لأبى: إن قوما ينسبوننا إلى تولي يزيد! فقال: يا بنى وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله، ولم لا يلعن من لعنه الله تعالى فى كتابه. فقلت: فى أى آية؟ قال: فى قوله تعالى:

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّ مَعَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)) (سورة محمد ص 22-23).

فهل يكون فساد أعظم من هذا القتل؟

قال ابن الجوزى: وصنف القاضى أبو يعلى كتابا ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد، ثم ذكر حديث "من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"، ولا خلاف أن يزيد أغار المدينة المنورة بجيش وأخاف أهلها (انتهى).

ص: 453

والحديث الذى ذكره رواه مسلم، أنه وقع من ذلك الجيش من القتل والفساد العظيم والسبى وإباحة المدينة ما هو مشهور حتى فض نحو ثلاثمائة بكر، وقتل من الصحابة نحو ذلك، ومن قراء القرآن نحو سبعمائة نفس، وأبيحت المدينة المنورة أياما، وبطلت الجماعة من المسجد النبوى أياما، وأخيف أهل المدينة أياما، فلم يمكن لأحد أن يدخل المسجد حتى دخلتها الكلاب والذئاب وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم تصديقا لما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم. ولم يرض أمير هذا الجيش إلا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله وسنة رسول الله فضرب عنقه، وذلك فى قصة الحرة. ثم سار جيشه هذا نحو مكة إلى قتال ابن الزبير فرموا الكعبة المكرمة بالمنجنيق، وأحرقوا كسوتها بالنار "فأى شىء أعظم من هذه القبائح التى وقعت فى زمنه ناشئة عنه».

ومن كفریات يزيد أنه كان يسمّى المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتى سمّاها النبى صلى الله عليه وآله (طيبة) كان يزيد يسميها (خيبة)⁽¹⁾!! فأى طعن فى الدين أكبر من هذا!؟

قال ابن تيمية «إن هذا المنقول عن عائشة من القدح فى عثمان إن كان صحيحا فإما أن يكون صوابا أو خطأ فإن كان صوابا لم يذكر فى مساوىء عائشة، وإن كان خطأ لم يذكر فى مساوىء عثمان، والجمع بين نقص عائشة وعثمان باطل قطعاً، وأيضاً فعائشة ظهر منها من التألم لقتل عثمان والذم لقتلته وطلب الانتقام منهم ما يقتضى الندم على ما ينافى ذلك كما ظهر منها الندم على مسيرها إلى الجمل، فإن كان ندمها على ذلك يدلُّ على فضيلة على واعترافها له بالحق

ص:454

فكذلك هذا يدل على فضيلة عثمان واعترافها له بالحق وإلا فلا»(1).

الجواب:

هذا تلاعب بالألفاظ فكيف يكون قولها إن كان صواباً لم يذكر في مساوىء عائشة وكفى بل هنا يجب أن يؤشر على انحراف خطير في عثمان لكون ابن تيمية يجعلون عائشة من أهل البيت المطهرين وعليه فلا يمكن أن يكون نطقها ورأيها بعثمان إلا حقاً يتوقف عليه تبيان حال رجل منحرف أجازت قتله بقولها «اقتلوا نعتلاً فقد كفر»(2) وبالتالي فرأيها مهم جداً على مذهب ابن تيمية!

وأما إن كان خطأ فلا يمكن أن تكون قد حكمت بقتل وكفر عثمان ثم تقول إن كان خطأ لم يذكر في مساوىء عثمان! بل سيكون قولها جريمة فمن كفر مسلماً فقد باء به أحدهما(3)!

نعم الجمع في خصوص موقف عائشة من عثمان لا- يحتمل التقيضين طبعاً فقولها الرديء في عثمان كان حقاً وقولها في علي كان باطلاً. ولكن قولها الأول في عثمان كان بدافع شرعي لكثرة ظلمه، وموقفها الثاني المطالب بدمه كان موقفاً أهوائياً بدافع الكره لعل عليه السلام. قال اليعقوبي «وكانت عائشة بمكة، خرجت قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت في بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب، فقالت له: ما فعل عثمان؟ قال: قتل! قالت: بعدا وسحقاً! قالت: فمن بايع الناس؟ قال: طلحة. قالت: أيها ذو الإصبع. ثم

ص: 455

-
- 1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 271.
 - 2- (2) الفتنة ووقعة الجمل - سيف بن عمر الضبي - ص 155 / تاريخ الطبري - ج 3 - ص 477 / الكامل في التاريخ - ج 3 - ص 206.
 - 3- (3) مفاد حديث نبوي - صحيح البخاري - ج 7 - ص 97.

لقيها آخر، فقالت: ما فعل الناس؟ قال: بايعوا عليا. قالت: والله ما كنت أبالي أن تقع هذه علي هذه. ثم رجعت إلى مكة»(1)

وموقفها من علي وعثمان بعد هزيمتها من الأول وبعد مقتل الثاني لا يتشابه فموقفها من مقتل عثمان كان بغضا لعلي لا أكثر وموقفها من مقتل علي كان تشفيا بعلي، ولم تكن تؤدي تكليفا شرعيا في الحالين بل أعطت العنان لمكونات نفسها من البغض والحقد أن تتفجر فأشعلت حربا أهلية قتل فيها عشرات الألو، قال الطبري(2) «ولما انتهى إلى عائشة قتل علي رضي الله عنه قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد فقالت:

فإن يك نائيا فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أبي سلمة العليّ تقولين هذا؟

فقالت: إنى أنسى!! فإذا نسيت فذكروني» قالت هذا القول تهكما على زينب بنت أبي سلمة! وكان لسان حالها يقول: إذا لم أشتت بمقتل علي فماذا أشتت؟!

وعلى مذهب ابن تيمية لا يجوز بغض الصحابة، وقد رووا عن مالك بن انس استنباطه كفر من أغاظته الصحابة من قوله تعالى «ليغيظ بهم الكفار» أفلا تنطبق قاعدتهم على من أغاظته حياة علي حتى سجد شكرا لقتله؟!

ص: 456

1- (1) تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - ج 2 - ص 180.

2- (2) تاريخ الطبري - الطبري - ج 4 - ص 115.

ابن تيمية.. وترهات وأباطيل ينسبها للشيعة

قال ابن تيمية عن الشيعة «فيزعمون أن امرأة نوح كانت بغيًا، وأن الابن الذي دعاه نوح لم يكن منه وإنما كان منها، وإن معنى قوله (إنه عمل غير صالح) أن هذا الولد من عمل غير صالح. ومنهم من يقول (ونادى نوح ابنه) يريدون ابنها... ويتأولون قوله تعالى:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا).

على أن امرأة نوح خانته في فراشه وأنها كانت قحبة(1) وضاهوا في ذلك المنافقين والفاسقين أهل الإفك الذين رموا عائشة بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا، وفيهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا والله ما علمت عليه إلا خيرا.

ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يكذب على امرأته رجل

ص: 457

1- (1) إن بداءة الرجل وعدم تأدبه امام حضرات الأنبياء لشيء يشتمز منه البدن، وإلا كان اللازم عدم ذكر هذه الألفاظ والتكنية عنها بألفاظ أخرى.

ويقول إنها بغى ويجعل الزوج زوج قحبة، فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضاً حتى أنهم يقولون في المبالغة شتمه بالزأى والقاف مبالغة فيشتمه والرمى بالفاحشة دون سائر المعاصي جعل الله فيه حد القذف لأن الأذى الذى يحصل به للمرمى لا يحصل مثله بغيره فإنه لو رمى بالكفر أمكنه تكذيب الرامى بما يظهره من الإسلام بخلاف الرمى بالفاحشة فإنه لا يمكنه تكذيب المفتري بما يضاد ذلك فإن الفاحشة تخفى وتكتم مع تظاهر الإنسان بخلاف ذلك»(1).

الجواب:

ما قاله هذا الرجل كذب وترهات وتهريج بين، ولولا أن يتوقف عنده البعض لما كانت الحاجة للرد عليه، وإلا فالرأى عند الإمامية أن زوجات الأنبياء لا يأتين الفاحشة المخصوصة لنزاهة فراش النبى عن ذلك، وقد اجمع المفسرون عندنا على ذلك:

قال الطوسى فى التبيان(2) «قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة، تقول للناس انه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلُّ على أضيافه، فكان ذلك خيانتها لهما، وما زنت امرأة نبى قط، لما فى ذلك من التنفير عن الرسول وإلحاق الوصمة به، فمن نسب أحداً من زوجات النبى إلى الزنا، فقد أخطأ خطأ عظيماً»

وقال الطبرسى:(3) «(فخانتاهما) بالنفاق والتظاهر على الرسولين: فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلّت على ضيفانه، وعن الضحاك: خانتاهما بالنميمة إذا أوحى الله إليهما أفشئته إلى المشركين، ولا يجوز أن يراد

ص:458

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 275.

2- (2) التبيان - الشيخ الطوسى - ج 10 - ص 52.

3- (3) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسى - ج 3 - ص 596.

بالخيانة الفجور لأنه نقيصة عند كل أحد، سمج في كل طبيعة، بخلاف الكفر لأن الكفار لا يستسمجونه».

وقال الكاشاني (1) «(خانتاهما) بالنفاق والتظاهر على الرسولين. مثل الله حال الكفار والمنافقين - في أنهم يعاقبون بكفرهم ونفاقهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين، من النسبة والوصلة - بحال امرأة نوح وامرأة لوط. وفيه تعريض بعائشة وحفصة في خيانتها رسول الله صلى الله عليه وآله، بإفشاء سره، ونفاقهما إياه، وتظاهرهما عليه، كما فعلت امرأتا الرسولين».

وقال الطباطبائي (2) «(فخانتاهما) وليس إلا ظاهرا في أنهما كانتا كافرتين تواليان أعداء زوجيهما وتسيران إليهم بأسرارهما وتستتجدانهم عليهما».

وقال شبر (3) «(فخانتاهما) بنفاقهما وتظاهرهما عليهم».

وهذا متفق عليه بين الشيعة ومن يقول غيره عنهم كاذب مفتر.

والرجل يعلم كذب النسبة وانه بهت الشيعة بهذا الافتراء العظيم بدليل أنه انتقل من الفرية على الشيعة الى قوله «وضاهوا في ذلك المنافقين والفاسقين أهل الإفك الذين رموا عائشة بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا، وفيهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا والله ما علمت عليه إلا خيرا».

فحتى لا يشك أحد في الفرية لكون بعضهم لم يقرأ كتب الشيعة يأتي ابن تيمية لترسيخ المعلومة الكاذبة بربطها بمعلومة كاذبة جرى ترسيخها على مدى

ص: 459

-
- 1- (1) التفسير الأصفى - الفيض الكاشاني - ج 2 - ص 1325.
 - 2- (2) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج 10 - ص 235.
 - 3- (3) تفسير شبر - السيد عبد الله شبر - شرح ص 524.

قرون حتى صارت عندهم حقاً لا مربة فيه، وهو اتهام عائشة بحادثة الأفك! فربط اتهام زوجات الانبياء بقضية معلومة عند العوام وهي ان قرآنا نزل يبريء حادثة الأفك فكما حادثة الأفك لا يمكن التفكير في عدم نسبتها للشيعة، فكذلك لا يجوز رفض فكرة اتهام الشيعة لزوجات الانبياء فانتبه لهذا الأسلوب المريض.

ومن غريب الأمور أن وهابية اليوم ينقلون أقوال ابن تيمية بدون تثبت من صدقها بينما ينسب بعض أهل السنة لهم أقوالاً شنيعة في هذه الأمور نفسها قال السيد حسن السقاف مدير مركز الإمام النووي في الأردن(1) «زعم الألباني أن أمهات المؤمنين وزوجات الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهن الزنا والعياذ بالله تعالى!! وقد استغرنا صدور ذلك منه جدا وتعجبنا من إثارته هذه المسألة حيث إن زوجات النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم توفاهن الله تعالى قبل نحو (1400) سنة تقريبا فما فائدة إثارة هذا الموضوع الآن مع أنهن مبررات بنص القرآن الكريم ومنه قوله تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: من الآية 33).

ومن أهل بيته صلى الله عليه وسلم زوجاته بلا شك ولا ريب. ولما أثار هذه المسألة سنة (1387 هـ -- 1967 م) تصدّى له الشيخ محمد نسيب الرفاعي جزاه الله تعالى خير الجزاء وناقشه بدفاعه عن زوجات الانبياء وأمهات المؤمنين فرد عليه فيها. ثم فارقه وصنف كتابا في الرد عليه في هذه المسألة سمّاه (نوال المنى في إثبات عصمة أمهات وأزواج الانبياء من الزنا). يقول في آخره بعد أن أورد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم في الرد على ما نصه: (وإني لأذكر أن الأخ

ص:460

الكبير الشيخ ناصر الألباني فارق بعض إخوانه لأسباب شخصية بحتة، فلماذا يرى نفسه محققاً في مفارقة إخوانه لأسباب شخصية ولا يرانى محققاً في مفارقتة هو ومن معه لأسباب يعلم الله أنها مفارقة في الله وغضبا له وغضبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الشيخ ليعلم ذلك تماما ولا ينكره. فأين من يقرُّ بالحق ولو على نفسه؟!».

(وَمَكْرُواَ وَمَكْرَ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَ) (آل عمران: 54).

ص: 461

ما فعله على أعظم مما فعله طلحة والزبير مع عائشة

قال ابن تيمية «وأيضاً من تناقضهم أنهم يعظمون عائشة في هذا المقام طعنا في طلحة والزبير ولا يعلمون أن هذا إن كان متوجهاً فالطعن في علي بذلك أوجه، فإن طلحة والزبير كانا معظّمين عائشة موافقين لها مؤتمرين بأمرها وهما وهى من أبعد الناس عن الفواحش والمعاونة عليها، فإن جاز لرافضى أن يقدح فيهما يقول بأى وجه تلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره حتى أخرجها من منزلها وسافر بها مع أن ذلك إنما جعلها بمنزلة الملكة التى يأتى أمرها ويطيعها ولم يكن إخراجها لمظان الفاحشة كان لنا صبي أن يقول بأى وجه يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بها بغيرها وسقطت من هودجها وأعداؤها حولها يطوفون بها كالمسيبة التى أحاط به من يقصد سبائها، ومعلوم أن هذا فى مظنة الإهانة لأهل الرجل وهتكها وسبائها وتسلط الأجنب على قهرها وإذلالها وسببها وامتئانها أعظم من إخراجها من منزلها بمنزلة الملكة العظيمة المبجلة التى لا يأت إليها أحد إلا بإذنها ولا يهتك أحد سترها ولا ينظر فى خدرها ولم يكن طلحة والزبير ولا غيرهما من

الأجانب يحملونها بل كان في العسكر من محارمها مثل عبد الله بن الزبير ابن أختها وخلوة ابن الزبير بها ومسّه لها جائز بالكتاب والسنة والإجماع، وكذلك سفر المرأة مع ذى محرّمها جائز بالكتاب والسنة والإجماع وهي لم تسافر إلا مع ذى محرّم منها وأما العسكر الذين قاتلوها فلولا أنه كان في العسكر محمد بن أبي بكر مدّ يده إليها لمدّ يده إليها الأجانب، ولهذا دعت عائشة رضی الله عنها على من مدّ يده إليها وقالت: يد من هذه أحرقتها الله بالنار، فقال: أى أخيه فى الدنيا قبل الآخرة فقالت: فى الدنيا قبل الآخرة، فأحرق بالنار بمصر، ولو قال المشنّع أنتم تقولون إن آل الحسين سبوا لما قتل الحسين ولم يفعل بهم إلا من جنس ما فعل بعائشة حيث استولى عليها وردّت إلى بيتها وأعطيت نفقها، وكذلك آل الحسين استولى عليهم وردوا إلى أهلهم وأعطوا نفقة، فإن كان هذا سببا واستحلالا للحرمة النبوية فعائشة قد سببت واستحلت حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم»(1).

الجواب:

الإمامية تقول إن عائشة عصت بترك الأمر القرآنى للإقرار فى البيت وعصت بترك التوجيه النبوى والتحذير الشديد من التى تخرج على الجمل الأدب... ولا يعظّمونها بل يحترمون مكانتها من النبى فهى زوجه وحرمه وعرسه وقد أمرت بالإقرار فى بيتها «وما افلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(2)!

وطلحة والزبير وعائشة عصوا بخروجهم على الإمام الشرعى(3) بعد بيعة

ص: 463

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 279.

2- (2) صححه ابن حجر - فتح البارى - ج 13 - ص 129.

3- (3) قال الحاكم النيسابورى عن فضالة بن عبيد «عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال ثلاثة لا تسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصيا وأمة أو عبد ابقى من سيده فمات

الأوليين بيعة اختيارية طوعية، وذنب طلحة والزبير في عائشة أنهما أخرجها وخذعاها وصانا نسايتها في خدورهن، معززات، مكرمات، بينما خرجا بعائشة تقطع الفيافي والقفار، ومن واجب الإمام الشرعي هنا أن يتصدى لمحاولات تفريق الصف من الطغاة الخارجين على إمام الحق، والذي من قاتله قاتل رسول الله لكون حربه حرب رسول الله وسلمه سلم رسول الله، وهو موسى بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ومعه البديون وأجلة الصحابة، وبعد أن قتل أصحاب عائشة بعض المسلمين في البصرة صار قتالهم حقا عليه. وأما ربط معصية الرجلين بإخراجهم زوجة النبي بمقاتلة الإمام لها فهو مضحك ولا ينطلي إلا على الأغبياء فما علاقة المعصية بالطاعة؟! وهؤلاء عصاة وهو مطيع للقرآن والسنة؟! وأي ملكة كانت حتى تدعوا لها ذلك وقد كانت مخدوعة وحلفوا لها كذبا حول ماء الحوآب؟ وقد حذرنا النبي من الخروج، قال في فتح الباري (1) «ومن طريق قيس بن أبي حازم قال لما أقبلت عائشة فنزلت بعض مياه بنى عامر نبحت عليها الكلاب فقال أى ماء هذا؟ قالوا: الحوآب، بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة ثم موحدة قالت ما أظننى إلا راجعة، فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، فقالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم كيف يا حداكن تنبح عليها كلاب الحوآب وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبخاري وصححه ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح، وعند أحمد:

ص:464

1- (1) فتح الباري - ابن حجر - ج 13 - ص 45-46.

فقال لها الزبير تقدمين فذكره، ومن طريق عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه أيتكن صاحبة الجمل الأدب بهمزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى مفتوحة تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو من بعد ما كادت وهذا رواه البزار ورجاله ثقات».

فهي كانت عالمة بالمعصية، وإنما أخرجها البغض لعلى ومرجل جاش فى صدرها لراية الهدى التى أمرت بطاعتها، قال ابن حجر «وأخرج البزار من طريق زيد بن وهب قال بينا نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف قلنا يا أبا عبد الله فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك؟ قال انظروا إلى الفرقة التى تدعو إلى أمر على بن أبى طالب فإنها على الهدى»(1).

وكل هذه النصوص لم تنفع لمن أشرب العجل فى قلوبهم فاتوا بالمتناقضات والمضحكات ليربطوا عصيان بعضهم بطاعة الآخر وليمؤهوا على الناس بقولهم إما عصاة جميعهم وإما جميع مطيع!

وأما قول ابن تيمية «ولو قال المشنّع أنتم تقولون إن آل الحسين سبوا لما قتل الحسين ولم يفعل بهم إلا من جنس ما فعل بعائشة حيث استولى عليها وردت إلى بيتها وأعطيت نفقها وكذلك آل الحسين استولى عليهم وردّوا إلى أهلهم وأعطوا نفقة فإن كان هذا سببا واستحلالا للحرمة النبوية فعائشة قد سببت واستحلت حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ص: 465

فأى مشابهة بين الحدثين فسبايا الحسين أخذن قسرا من الطفّ الى الكوفة بالتعنيف والتجريح وأمامهن رؤوس رجالهن مرفوعة تتقاطر الدماء منها بشكل مربع وبشع، ثم أخذن على أقتاب الإبل مكبات من الكوفة مرورا بمدن الجزيرة إلى ديار بكر إلى لبنان ودمشق مسافة لا تقل عن ألفى كيلو متر، كل هذا تحت القهر والأسر بينما عامل الإمام عائشة خير معاملة وسرحها إلى حيث أمرها الله معززة مكرمة فأين هذا من ذاك؟

روى ابن أعثم الكوفى فى فتوحه(1) «دعا على رضى الله عنه بعبد الله بن عباس فقال له: اذهب إلى عائشة فقل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة، فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن، ثم التفت فإذا راحلة عليها وسائد فأخذ منها وسادة وطرحها ثم جلس عليها، فقالت عائشة: يا بن عباس! أخطأت السنة دخلت منزلى بغير إذن! فقال ابن عباس: لو كنت فى منزل الذى خلّفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلت عليك إلا بإذنك، وذلك المنزل الذى أمرك الله عز وجل أن تقرّى فيه، فخرجت منه عاصية لله عز وجل ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالارتحال إلى المدينة فارتحلى ولا تعصى، فقالت عائشة: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف وأريدت له الوجوه! فقالت عائشة: أبيت ذلك عليكم يا بن عباس! فقال ابن عباس: لقد كانت أيامك قصيرة المدة ظاهرة الشؤم بنية النكد، وما كنت فى أيامك إلا كقندر حلب شاة حتى صرت ما تأخذين وما تعطين ولا تأمرين ولا تنهين، وما كنت إلا كما قال أخو بنى أسد حيث يقول:

ص:466

حتى تركت كأن قولك عندهم في كل محتفل طنين ذباب

قال: فبكت عائشة بكاء شديدا ثم قالت: نعم والله أرحل عنكم! فما خلق الله بلدا هو أبغض إلى من بلد أنتم به يا بني هاشم! فقال ابن عباس: ولم ذلك؟ فوالله ما هذا بلاؤنا عندك يا بنت أبي بكر! فقالت عائشة: وما بلاؤكم عندي يا بن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندك أننا جعلناك أم المؤمنين وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقا وهو ابن أبي قحافة، وبنا سَمَّيت أم المؤمنين لا بتيم وعدى، فقالت عائشة: يا بن عباس! أتمنّون على برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم لا نمن عليك... ثم دعا على رضى الله عنه بنسوة من نساء أهل البصرة فأمرهن أن يخرجن مع عائشة إلى المدينة، فرحلت عائشة من البصرة في تلك النسوة، وقد كان على رضى الله عنه أوصاهن وأمرهن أن يتزيين بزى الرجال، عليهن العمائم، فجعلت عائشة تقول في طريقها: فعل بي على وفعل، ثم وجّه معى رجالا يردّونى إلى المدينة! قال: فسمعتها امرأة منهن فحركت بغيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحك يا عائشة! أما كفاك ما فعلت حتى انك الآن تقولين فى أبى الحسن ما تقولين! ثم تقدمت النسوة وسفرن عن وجوههن، فاسترجعت عائشة واستغفرت وقالت: هذا ما لقيت من ابن أبى طالب. ثم دخلت عائشة المدينة وصارت إلى منزلها نادمة على ما كان منها، وانصرفت النسوة إلى منازلهن بالبصرة. قال: فكانت عائشة إذا ذكرت يوم الجمل تبكى لذلك بكاء شديدا ثم تقول: يا ليتنى لم أشهد ذلك المشهد! يا ليتنى مت قبل هذا بعشرين سنة! ثم قالت عائشة: ولو لم أشهد الجمل لكان أحب إلى من أن يكون لى من رسول الله صلى

الله عليه وسلم مثل ولد عبد الرحمن بن الحارث، فإنه كان له عشرة أولاد ذكور كل يركب».

وعلى عليه السلام أنفذ أمر رسول الله في أم المؤمنين إذ روى عن النبي صلى الله عليه وآله «عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلي مأمئها».

قال الهيثمي «رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات» (1).

فعلى عليه السلام عاش حياته طاعة لله ورسوله في نومه ويقظته، في ضعفه وترحاله، في حربه وسلمه، لم يخونه نفسه، ولم تملكه نوازع نفس أمارة بالسوء لكونه مطهر من الزلات وأين ممّن باعوا سابقتهم على دنيا حقيرة؟!

قال ابن تيمية «والمقصود هنا أن ما يذكرونه من القدح في طلحة والزبير ينقلب بما هو أعظم منه في حق علي، فإن أجابوا عن ذلك: بأن عليا كان مجتهدا فيما فعل وأنه أولى بالحق من طلحة والزبير قيل: نعم وطلحة والزبير كانا مجتهدين وعلي وإن كان أفضل منهما لكن لم يبلغ فعلهما بعائشة رضى الله عنها ما بلغ فعل علي، فعلى أعظم قدرا منهما ولكن إن كان فعل طلحة والزبير معها ذنبا ففعل علي أعظم ذنبا، فتقاوم كبر القدر وعظم الذنب فإن قالوا هما أخرجا عليا إلى ذلك لأنهما أتيا بها فما فعله علي مضاف إليهما لا إلى علي، قيل: وهكذا معاوية لما قيل له قد قتل عمار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: تقتلك الفئة

ص: 468

الباغية قال: أو نحن قتلناه؟! إنما قتله الذين جاءوا به حتى جعلوه تحت سيفونا، فإن كانت هذه الحجّة مردودة فحجّة من احتجّ بأن طلحة والزبير هما فعلا بعائشة ما جرى عليها من إهانة عسكر على لها واستيلائهم عليها مردودة أيضا وإن قبلت هذه الحجّة قبلت حجة معاوية رضى الله عنه»(1).

الجواب:

قلنا إن الفرق واضح وفصّ لنا، وقلنا ان عليا لا يجتهد بل هو يعمل بوصايا النبي، ففعله القرآن والسنة، والقرآن والسنة لا يتوقفان على عقول قاصرة، بل على نصوص معصومة من الخطأ والزلل فهذا على عليه السلام.

وأما المقارنة بين مُدّعى معاوية بقتل علي لعمار وبين ما ادعاه حول تحميل علي لمسؤولية إخراج عائشة فهو ربط فاضح لصاحبه فعمّار عمل بالنصوص واستشهد مع إمام هدى وهو يحاول ضبط أناس همّهم الدنيا والكيد للإسلام، فاستشهد وقاتله - معاوية - باغٍ مجرم منافق، وعائشة خالفت النصوص هي وصاحبها فكيف تربط هذه بهذه؟!

وأما ما قاله من ترّهات بقوله «من إهانة عسكر على لها واستيلائهم عليها»

فمن روى ذلك وأين؟! وإنما هم ابن تيمية نسب الأباطيل لعلي عليه السلام وجيشه والمنتسبين له! وقد أورد المؤرخون والمحدثون ما حدث بعد انجلاء غبار المعركة وكشفوا عن خُلُق كريم واجه به الإمام عليه السلام الحقد والبغض، قال ابن كثير «ولما خرج علي من عند عائشة قال له رجل من أزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة، فغضب وقال: مه لا تهتكّ سترا، ولا تدخلنّ دارا، ولا تهيجنّ امرأة

ص: 469

بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإن النساء ضعيفات ولقد كنا نُؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف إذا هن مسلمات؟ ومضى على فلحقه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولوا من هوامض شتيمة لك من صفية. قال ويحك لعلها عائشة! قال: نعم، قال أحدهما: جزيت عنا أمتنا عقوقا، وقال الآخر: يا أمى توبى فقد أخطأت. فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة وهم عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما»(1).

فكيف استولى عليها الجند كما يقول ابن تيمية والإمام موجود؟! وإما إهانتها فإن ثبت فعلى قد فعل بمن أهانها ما يبرىء ساحتها، وإما من يجلب على نفسه الإهانة ببيغية على الإمام، وسبّه والتحريض على العصيان وقتل المسلمين حتى قتل الألوّف ورملت نسائهم وأيتم أطفالهم، فهو من يتحمل وزر إهانتة إن أُهين، لا غيره.

ص:470

ليس في المسلمين كلهم من قال إن فاطمة مظلومة!

قال ابن تيمية «إذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال إن فاطمة رضى الله عنها مظلومة، ولا أن لها حقا عند أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، ولا-أنهما ظلماها ولا تكلم أحد في هذا بكلمة واحدة دلّ ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة إذ لو علموا أنها مظلومة لكان تركهم لنصرتها إما عجزا عن نصرتها وإما إهمالا وإضاعة لحقها، وإما بغضا فيها إذ الفعل الذى يقدر عليه الإنسان إذا أراد إرادة جازمة فعله لا محالة فإذا لم يرد مع قيام المقتضى لإرادته فإما أن يكون جاهلا به أو له معارض يمنع من إرادته فلو كانت مظلومة مع شرفها وشرف قبيلها وأقاربها وأن أباهما أفضل الخلق وأحبهم إلى أمته وهم يعلمون أنها مظلومة لكانوا إما عاجزين عن نصرتها وإما أن يكون لهم معارض عارض إرادة النصر من بغضها وكلا الأمرين باطل»(1).

الجواب:

إن هذه الأمور لا تُفهم هكذا، رأيت لو قلنا لك إن الإمام الحسين عندما قتل لم تنتفض المدينة ومكة وهذا يعنى أنهما راضيتان! هل هذا كلام مستقيم

ص: 471

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدريّة - ابن تيمية - ج 2 - ص 281.

وكذلك هنا فالظروف التي تحيط بالقضية عديدة قضت بمجموعها أن لا تلقى مطالبة فاطمة وأمير المؤمنين عليهما السلام آذانا صاغية لدى السلطة، والناس على دين ملوكهم فالناس قريبة عهد بالأنظمة الإسلامية ولم يشرب الإسلام في قلوبها بتفاصيله فكانوا ينظرون إلى قريش في حسم هذه الأمور، على عادة القبائل، ورأس قريش هو الخليفة أى النظام نفسه الذى كانوا يظنون أن النبى يمثله فلما رأوا أن رأس قريش لم يعط الأرض سكت الناس. ولو أراد أبو بكر وبنية صادقة أن يدفن الخلاف مع أهل البيت لكان عمل كما عمل النبى بفداء أبى العاص بن الربيع فقد استوهبه من المسلمين لما لم تستطع زوجته أن تقديه، قال الشوكانى(1) «عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب فى فداء أبى العاص بمال وبعثت فيه بقلادة كانت لها عند خديجة أدخلتها بها على أبى العاص قالت: فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رق لها رقّة شديدة فقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا لها الذى لها، قالوا: نعم».

ولكن أبا بكر انتبه وعمر للأمر ببعده الاقتصادى والسياسى، فبفدك يستطيع الإمام أن يدعم مطالبته بالخلافة، والأخطر أن أبا بكر لو قبل مطالبة فاطمة بفدك مع شهادة أم أيمن اليوم ووهبها الأرض لجاءت وشهدت ومعها بنو هاشم بالخلافة لعلى عليه السلام فماذا سيقول عندها؟

قال ابن تيمية «وأبو بكر لم يكن ممتنعا من سماع كلام أحد منهم ولا هو معروف بالظلم والجبروت، واتفاق هؤلاء كلهم مع توفر دواعيهم على بغض فاطمة مع قيام الأسباب الموجبة لمحبتها مما يعلم بالضرورة امتناعه»(2).

ص:472

1- (1) نيل الأوطار - الشوكانى - ج 8 - ص 144.

2- (2) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 281.

البغض شىء والظلم شىء فقد لا يكون الإنسان مبغضاً لآخر لكنه يريد ما فى يده وقد يخشاه على ما فى يده فيظلمه! وهذا ما حصل فى فدى فالمال والجاه يعبدان الطريق للسلطة، فخاف أبو بكر وعمر من اجتماع فدى ومواردها المالية فى دعم مواقف على وفاطمة لا سيما وإن الناس تحترم المال وسلطته المعنوية والمادية فىكون الإمام فى ضمن إطار السلطة وتثبت مواقفه فىهدد السلطة عاجلاً أم آجلاً.

وهذا ما نشاهده عياناً فى الأنظمة التى تعلم انها غير شرعية، فىقومون بتجفيف المنابع الاقتصادية لمنافسيهم ومحاصرتهم، ثم إضعافهم مالياً ومعنوياً واجتماعياً، وإن لم يفد ذلك قتلهم وتخلّصوا منهم، لكن إن كان المعارضون يفهمون ان السلطة لا تستحق جناح بعوضة إلا أن يقيموا حقاً ويدفعوا باطلاً، هكذا معارضة تقرأ الساحة بتمعن لتفعل الأصلاح والأقل مفسدة، لا كما تفعل المعارضة المتعطّشة للسلطة - كالزبير وطلحة ومعاوية - فىقتلون الألف فى سبيل نيل دنيا دنية.

على لم يقتل من قريش أحداً!

قال ابن تيمية «وكذلك على رضى الله عنه لا سيما وجمهور قريش والأنصار والمسلمين لم يكن لعلى إلى أحد منهم إساءة لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام ولا قتل أحدا من أقاربهم فإن الذين قتلهم على لم يكونوا من أكبر القبائل وما من أحد من الصحابة إلا وقد قتل أيضا» (1).

الجواب:

خلطه قريشا مع الأنصار والمسلمين تعمية واضحة على تاريخ واضح، فعلى قتل من قريش صناديدها فى بدر واحد أما الأنصار فلا حرب لعلى معها حتى يقتل منها! أما المسلمون فكيف يقتل على منهم!

وقوله «ولا قتل أحدا من أقاربهم فإن الذين قتلهم على لم يكونوا من أكبر القبائل» إما يكشف عن جهله بالتاريخ وإما عن نصبه فعلى عليه السلام جنديل أبطال قريش فى بدر!

قال السيد محسن الأمين (2) «هذه أسماء من قتلهم على ببدر على رواية

ص: 474

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 281.

2- (2) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج 1 - ص 384-385.

الواقدي:

فمن بنى عبد شمس:

حنظلة بن أبي سفيان

العاص بن سعيد بن العاص

الوليد بن عتبة

شيبه بن ربيعة شرك في قتله

عامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار وقيل قتله سعد بن معاذ ولعله لذلك لم يذكره المفيد لأنه لا يذكر إلا ما اتفقوا عليه.

ومن بنى نوفل بن عبد مناف:

طعيمة بن عدى ويكنى أبا الريان قتله على بن ربيعة ابن إسحاق وحمزة على رواية الواقدي ومن بنى أسد بن عبد العزى.

الحارث بن زمعة بن الأسود

عقيل بن الأسود بن المطلب قال الواقدي حدثني أبو معشر قال قتله على وحده وقيل شرك في قتله على وحمزة وقيل قتله أبو داود المازني ولم يذكره المفيد

نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى وهو ابن العدوية. ومن بنى عبد الدار بن قصي

النضر بن الحارث بن كلدة قتله على صبيرا بالسيف بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

زيد بن ملبص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف من عبد الدار وقيل قتله بلال ولم يذكر المفيد خلافا في قتل على له. ومن بنى تميم بن مرة

ص: 475

عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة

حليف لبني مخزوم وقيل قتله عمار بن ياسر. ومن بني الوليد بن المغيرة

أبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد، ومن بني أمية بن المغيرة

مسعود بن أبي أمية. ومن بني رفاعة

عبد الله بن أبي رفاعة. ومن بني عمران بن مخزوم

حاجز بن السائب بن عويمر بن عائذ

أخوه عويمر بن السائب بن عويمر قتله على بن ربيعة البلاذري ولم يذكره المفيد

ومن بني جُمَح:

أوس بن المغيرة بن لوذان شرك فيه على وعثمان بن مظعون.

ومن بني سهم

منبه بن الحجاج وقيل قتله أبو أسيد الساعدي ولم يذكر المفيد خلافاً في أنه قتله على

نبيه بن الحجاج ولم يذكره المفيد

العاص بن منبه بن الحجاج

أبو العاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم، روى الواقدي عن أبي معشر عن أصحابه أنه قتله على وقيل قتله أبو دجانة ولم يذكر المفيد فيه خلافاً. قال ابن أبي الحديد: في رواية الشيعة أن زمعة بن الأسود بن المطلب قتله على، والأشهر في الرواية أنه قتل الحارث بن زمعة وأن زمعة قتله أبو دجانة.

ومر عن المفيد أن علياً قتلها معا. قال المفيد وابن الأثير في أسد الغابة وابن

حجر فى الإصابة: وفيما صنعه أمير المؤمنين عليه السلام بدر قال أسيد بن أبى إياس بن وثير يحرض مشركى قريش عليه ويعيرهم به:

فى كل مجمع غاية أخزاكم جذع أبر على المذاكى القرع

لله دركم ألما تنكروا قد ينكر الحر الكريم ويستحى

هذا ابن فاطمة الذى أفناكم ذبحا وقتلة قصعة لم يذبح

أعطوه خرجا واتقوا تضريبه فعل الذليل وبيعة لم تريح

أين الكهول وأين كل دعامة فى المعضلات وأين زين الأبطح

أفناهم قصعا وضربا يفتري

بالسيف يعمل حده لم يصفح»

فهؤلاء جمهور قبائل قريش والذين طالما افتخر أمير المؤمنين عليه السلام بقتل كفارهم طاعة لله ورسوله فتراه عليه السلام يقول عندما سار الى حرب الناكثين والقاسطين «أما والله إن كنت لفى ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبت وإن مسيرى هذا لمثلها، فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه مالى ولقريش. والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين. وإنى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم فى حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شربك المحض صابحا وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن عليا وحطنا حولك الجرد والسمر»(1)

وأما قول ابن تيمية «وما من أحد من الصحابة إلا وقد قتل أيضا».

هناك فرق بين من قتل شخصا واحدا مثل عمر! إذ ينقل المؤرخون انه قتل

ص:477

العاص بن هشام فقط وبين علي الذي قتل في بدر وحدها خمسة وثلاثين من المشركين!! وأما أبو بكر فلم ينقل المؤرخون انه قتل واحدا من المشركين!!

ومما يُخجل ذكره أن عمر كان يترصد بمن يسهل قتله صبيرا وهو مكتوف اليدين ليقول إنى قتلت فلانا!!

قالها في عبد الله بن أبي بن سلول(1)

وفي ذى الخويصرة التميمي(2)

وفي حاطب بن ابي بلتعة(3)

وفي أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة(4)

وأين كانت شجاعته في ساحات الوغى ولم يذكر له المؤرخون غير قتيل واحد؟!!

وقول أمير المؤمنين عليه السلام «فصغا رجل لضغنه» وهي في الخطبة الشقشقية قد يكون المقصود سعد بن أبي وقاص لان أمه هي ابنة سفيان بن أمية بن عبد شمس وقد قتل كبارهم على يوم بدر. وهذا يفيد أن حتى من قالوا عنه انه من العشرة المبشرة يبغض عليا بسبب أمر جاهلي! وإلا فالنسب بين المؤمنين لا بين الكافر والمسلم.

فظهر كذب ابن تيمية وتحامله على علي عليه السلام لكونه قتل الكفار ولم يقتل من الكفار لا عمر - نسبوا له واحدا فقط - لأبي بكر ولم يذكر لعثمان قتيل!

ص:478

1- (1) تفسير الطبري - الطبري - ج 28 - ص 145.

2- (2) الدرر - ابن عبد البر - ص 234.

3- (3) كنز العمال - ج 14 - ص 69.

4- (4) الثقات - ابن حبان - ج 1 - ص 169.

عمر وعداوة الكفار له!

قال ابن تيمية «وكان عمر رضى الله عنه أشدَّ على الكفار وأكثر عداوة لهم من على فكلما مهم فيه وعداوتهم له معروفة».

قلت: أين ومتى كانت عداوتهم معروفة؟! هذا الرجل يأتي بالأباطيل، والمعروف إن الذى يضر المشركين والكافرين يكون بغضهم له أكبر، وهذا حصل مع على والذى كان بسبب سيفه انتشار الإسلام يكون وقع اسمه على الكافرين أكبر وهذا كان بسبب على، والذى قتل كبارهم وزعماءهم يبغضونه أكثر وهذا حاصل مع على عليه السلام.

وحتى فى اشد الظروف التى مر بها النبى فى المعركة الأقسى على المسلمين فى حياته، كان على بقربه حاملا لواءه وهو يقاتل بينما ترك أبو بكر القتال ومعه عمر لظنهم إن النبى قتل(1) بينما هرب عثمان بن عفان إلى البحر مولياً دبره للمشركين وقال عنه النبى «ذهب بها عريضة»!!

إذ روى ابن عساکر(2) وكذلك الطبرى(3) وأحمد بن حنبل(4) ومن الشيعة

ص: 479

1- (1) سيرة ابن إسحاق - ص 332.

2- (2) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساکر - ج 42 - ص 76.

3- (3) تاريخ الطبرى - ابن جرير الطبرى - ج 2 - ص 197.

4- (4) فضائل الصحابة - أحمد بن حنبل - ج 2 - ص 656.

رواها المفيد (1) والطوسي (2) وغيرهم واللفظ لابن عساكر «أخبرنا أبو الحسن السلمي أنبأنا عبد العزيز بن أحمد قال أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأترابلسي أنبأنا خيثمة بن سليمان أنبأنا يحيى بن إبراهيم الزهري أنبأنا علي بن حكيم أنبأنا حبان بن علي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن أبي رافع قال لما كان يوم أحد نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى نفر من قريش فقال لعلي: إحمل عليهم فحمل عليهم فقتل هاشم بن أمية المخزومي وفرق جماعتهم، ثم نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جماعة من قريش فقال لعلي: إحمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم، فقتل فلاناً الجمحي، ثم نظر إلى نفر من قريش فقال لعلي: إحمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم، وقتل أحد بني عامر بن لؤي فقال له جبريل عليه السلام إن هذه المؤاساة فقال (صلى الله عليه وسلم): إنه منى وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكم يا رسول الله».

وروى الطبري (3) «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فرّ عثمان بن عفان، وعقبة بن عثمان، وسعد بن عثمان - رجلاً من الأنصار - حتى بلغوا الجلبع، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص. فأقاموا به ثلاثاً، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة». وقد نزل قرآن يعاتب من ترك النبي وحده يقاتل ومن هرب بنفسه:

قال الطبري (4) «حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني

ص: 480

1- (1) الإرشاد - المفيد - ج 1 - ص 89.

2- (2) الأمالي - الطوسي - ص 143.

3- (3) جامع البيان - ابن جرير الطبري - ج 4 - ص 194.

4- (4) جامع البيان - ابن جرير الطبري - ج 4 - ص 161.

عمى، قال: حدثنى أبى، عن أبىه، عن ابن عباس قوله:.. وأما قوله:

(وَوَثَّتْ أَقْدَامَنَا) سورة آل عمران - من الآية 147.

فإنه يقول: اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم، ولا تجعلنا ممن يهزم فيفر منهم، ولا يثبت قدمه فى مكان واحد لحربهم.

(وَإِنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) سورة آل عمران - من الآية 147.

يقول: وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك. وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم، وتأديب لهم، يقول الله عز وجل: هلا فعلتم إذ قيل لكم: «تل نبيكم، كما فعل هؤلاء الربيون، الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء، إذ قتلت أنبياءهم، فصبرتم لعدوكم صبرهم، ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم، فتحاولوا الارتداد على أعقابكم، كما لم يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوهم، وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا، فینصركم الله عليهم كما نصروا، فإن الله يحب من صبر لأمره وعلى جهاد عدوه، فيعطيه النصر والظفر على عدوه».

بل حفلت كتب التاريخ بالعلاقة الحميمة بين بعض الصحابة وبعض الكفار!:

وقد روى ابن أبى الحديد فى شرحه (1) «كان خالد بن الوليد يحدّث وهو بالشام فيقول: الحمد لله الذى هدانى للإسلام، لقد رأيتنى ورأيت عمر بن الخطاب حين جال المسلمون وانهزموا يوم أحد وما معه أحد، وإنى لفى كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحد غيرى، وخشيت إن أغريت به من معى أن يصمدوا له، فنظرت إليه وهو متوجّه إلى الشّعب»..

ص: 481

1- (1) شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد - ج 15 - ص 22-23.

ومن الغريب هذه العلاقة الحميمة بين هذا الكافر وهذا (المسلم) فهما قد قطعا البوادي والقفار ليتحاربا فما الذى حصل حتى لا يقوم خالد بقتل عمر وقد رآه مولياً؟!

ومن غريب هؤلاء المسلمين أن بعضهم ظن بأن الإسلام انتهى فذهب مهرولاً الى مكة! قال السرخسى (1) «وأمعن بعضهم فى الانهزام حتى انتهى إلى مكة!» فالذى فى مكة مشركون جاءوا لقتل النبي عليه الصلاة والسلام فما وجه اللجوء اليهم بعد الانهزام؟!

والقصة التى نقلها الطبرى وان كانت تثبت هروب الصحابة ولكنها مشوهة فقد نقل ابن الأثير (2) نفس القصة بألفاظ أخرى وفيها «وقيل: إن انس بن النضر سمع نقرأ من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبى بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبى سفيان قبل أن يقتلونا. فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل».

وأنت ترى أن مقارنة النصين نصّ ترك القتال من عمر وبعض الصحابة وهذا النصّ تؤدى للقول بأن الذين أرادوا اخذ الأمان من سيد المشركين هم رجال فيهم عمر وطلحه!

وطلب الأمان ذكره الطبرى فقال (3) «عن ابن عباس: أن رسول الله صلى

ص: 482

1- (1) شرح السير الكبير - السرخسى - ج 1 - ص 118.

2- (2) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 2 - ص 156-157.

3- (3) جامع البيان - ابن جرير الطبرى - ج 4 - ص 151.

الله عليه وآله وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة، والناس يفرون، ورجل قائم على الطريق يسألهم: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم، فيقولون: والله ما ندري ما فعل! فقال: والذي نفسى بيده لئن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتل لنعطينهم بأيدينا، إنهم لعشائرننا وإخواننا!..

فهم إذن «عشائره وإخوانهم» فعلام الاختلاف!! والله يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) سورة التوبة 23-24.

وباعتراف ابن تيمية وغيره إن النبي صلى الله عليه وآله أرسل علياً ببراءة لكون العرب تعارفت أن من يقوم بالعقد والإبرام عن الرجل اقرب أهله إليه أو من كان من أهله، فهذا اعتراف بأن اقرب الناس من النبي عند الناس هو على عليه السلام ولكون الكافرين يبغضون النبي عليه الصلاة والسلام لكونه النقيض لهم كان اقرب الناس من النبي ابغضهم من الكافرين فكان على ذاك الرجل دون غيره!

وإلا فعمر حاول في احد وعند الشك في مقتل النبي صلى الله عليه وآله أن يذهب إلى المشركين ليستأمنهم ولو كانت الحال هذه له عداوة مع المشركين لما فعل ذلك.

قال ابن تيمية «فكيف ينتصر القوم لعثمان حتى سفكوا دماءهم ولا ينتصرون لمن هو أحب إليهم من عثمان وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وكيف يقاتلون مع معاوية حتى سفكت دماءهم معه وقد اختلف عليه بنو عبد مناف ولا يقاتلون مع علي وبنو عبد مناف معه فالعباس بن عبد المطلب أكبر بنى هاشم وأبو سفيان بن حرب أكبر بنى أمية وكلاهما كانا يميلان إلى علي فلم لا قاتلا الناس معه إذ ذاك والأمر في أوله»(1).

الجواب:

إن القوم لم ينتصروا لعثمان إنما انتصر الناكثون لأنفسهم، فبعضهم كان يريد الأمر لنفسه وبعضهم كان يتمنى أن يحكمهم الشيطان ولا يحكمهم علي عليه السلام، والقاسطون كانوا يسعون للخلافة، وأما العباس فهو عم النبي وعلي أكتافهم قام الإسلام فلا يريد أن يكون أول من يدخل عليه الوهن بالاختلاف والعرب قد انتقضت على المسلمين وأما أبو سفيان فقد أراد ذلك بقوله «أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي عليكم تيمى والله لأملأن الوادى خيلا ورجل»(2).

ولكن حكمة علي أبت أن تماثل من غلبتهم شهوة السلطة والتملك والجاه على حساب مصلحة الإسلام، فترك الدنيا لأهلها. وإنما هي متاع قليل عند أمثال علي عليه السلام.

ص: 484

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 281.
2- (2) المواقف - الإيجي - ج 3 - ص 596.

معاوية خير من محمد بن أبي بكر

قال ابن تيمية في محمد بن أبي بكر «فمعاوية كان أعظم جاهاً ورياسة ومنزلة منه بل معاوية خير منه وأعلم وأدين وأحلم وأكرم فإن معاوية رضى الله عنه روى الحديث وتكلم في الفقه وقد روى أهل الحديث حديثه في الصحاح والمسند وغيرها وذكر بعض العلماء بعض حديثه في الصحاح والمسند وغيرها وذكر بعض العلماء بعض فتاويه وأفضيته وأما محمد بن أبي بكر فليس له ذكر في الكتب المعتمدة في الحديث والفقه»(1).

الجواب:

كيف يكون معاوية راوياً فقيهاً وأعلم وأدين من ربيب على عليه السلام وقد أوصى النبي بقتله بحديث ورد بعدة طرق حسّن الدكتور حسن المالكي(2)

ص:485

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 286.

2- (2) السلفيون مغرمون بان ينسبوا كل ما يكرهونه الى (الرافضة) فالقول بتكفير معاوية والأمر النبوي بقتله ينسلون منه ويدعون أن الشيعة روته في «الكافي»!! يقول الألباني «فإننا لا نزال نرى بعض الشيعة في العصر الحاضر يروون مثل هذه الأحاديث، ويحتجون بها على تكفير معاوية رضى الله عنه مثل المعلق على كتاب "أصول الكافي" للكلينى المتعبد لغير الله، المسمى بعبد الحسين المظفر، فإنه كتب؛ بل سود صفحتين كاملتين في لعن معاوية وتكفيره، وأن النبي

الحديث على أساسها فقال «الحديث الأول: حديث أبي سعيد: إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه.

هذا الحديث قد يظنه أكثر طلبه العلم حديثاً موضوعاً لا يُعرف له إسناد مع أنه سيتبين أنه أقوى من كل الأحاديث الضعيفة التي يصححونها في فضل الرجل، وهو حديث أقل ما يقال عنه أنه حديث حسن وإلا تناقضنا وخالفنا قواعد أهل الحديث، بل هو صحيح بمجموع طرقه الآتية لكنه يبقى حديث آحاد، وقد روى بأسانيد بعضها حسن لذاته ولا ينزل الحديث بهذه الأسانيد عن رتبة الحسن عند المتشددين من المحدثين، وهو مروى عن أبي سعيد الخدرى وسهل بن حنيف وابن مسعود وجابر ابن عبد الله وجماعة من أهل بدر والحسن البصرى مرسلًا:

أولاً: حديث أبي سعيد الخدرى، وروى عنه من طريقين، أحد الطريقين يصحح به ابن تيمية منفرداً لكن في أحاديث أخرى:

الطريق الأول: أبو نضرة عن أبي سعيد: رواه جماعة من الثقات عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى. ولهذا متابعة من طريق عثمان بن جبلة عن عبد الملك عن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد.

أما الطريق الثانية... عن أبي سعيد: فروى من طريق مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد. وهذا تفصيل الحكم على هذه الأسانيد: طريق على بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد: هذا الإسناد ضعيف لوجود على بن زيد بن جدعان التيمى البصرى وإن كان من رجال مسلم إلا أنه ضعيف - كما قال الحافظ فى التقريب - ولسنا إن شاء الله ممن يأخذ الهوى إلا فى طلب الحقيقة ولو كنا ممن يجمال على حساب الحقيقة لقلنا أن هذا الإسناد على شرط مسلم فرجاله رجال مسلم ومن المحدثين من يصحح ما هو دون هذا بكثير وابن تيمية - مع منافحته عن معاوية - ممن يصحح لعلى بن زيد هذا، فهذا حجة عليه. ثم يضاف لهذا انه قد توبع على بن زيد عن أبي نضرة برواية عبد الملك بن أبي نضرة.

فرواه ابن حبان فى المجروحين عن أحمد بن محمد الفقيه عن أبيه وعمه عن جده عن يحيى بن عثمان عن عثمان بن جبلة عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد، وهذا الإسناد ضعيف جداً، فشيخ ابن حبان أحمد بن محمد بن مصعب بن بشر بن فضالة بن عبد الله بن راشد أبو بشر الفقيه متهم بالوضع وقلب الأسانيد ومثله لا يقبل لا فى المتابعات ولا الشواهد.

لكن الإسناد حسن لغيره لا سيما مع الطريق الثانى وبشواهد الحديث الكثيرة التى ستأتى: وللحديث متابعة عن أبي سعيد: فقد روى الحديث جمع عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدرى. قلت: وهذا الإسناد ضعيف جداً، فمجالد هذا توقف فيه الذهبى وقال عنه ابن حجر: (ليس بالقوى). قلت: لو كنت مقوياً الأسانيد بالتقليد لقويته، والصواب عندي أن مجالد ضعيف جداً ورأى الشيخ فى مجالد أفضل من هذا فهو ممن يقبل متابعاته. أما أبو الوداك (جبر بن نوف) فهو ثقة صدوق من رجال مسلم وأصحاب السنن، قال عنه ابن حجر فى

التقريب (صدوق ربما يهم) والصواب أنه ثقة أو صدوق مطلقاً.

أقول: وعلى هذا إن كان مجالد كما يقول ابن حجر (ليس بالقوى) فهذا ضعف غير شديد يرتقى به هذا الإسناد إلى الحسن لغيره لكن الصواب عندي في مجالد أنه ضعيف جداً وقد بحثته وظهر لي ضعفه الشديد - إن لم أقل كذبه - ولا أقبل حديث مجالد لا في المتابعات ولا في الشواهد فقد جربت عليه أخطاء كثيرة أكاد أجزم بأنه يكذب، وكنت لو أريد مجرد التصحيح - بلا حجة ولا اقتناع - لاعتمدت على الذهبي والحافظ ابن حجر ولا استطعت بهذا الاعتماد أن أقول: الإسناد الأول حسن والثاني حسن لغيره لكن الصواب أن الأول ضعيف لذاته حسن لغيره - مما سيأتي - أما هذا الإسناد إسناد مجالد فهو ضعيف جداً، والحديث قوى بطرق أخرى ستأتي.

ثانياً: حديث ابن مسعود: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه والإسناد - إلى ابن مسعود - قوى: وقد روى عنه الحديث: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) من طريق عاصم ابن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود، وروى عن عاصم من أربع طرق:

الطريق الأول: رواه ابن حبان في المجروحين قال: أخبرنا الطبري عن محمد بن صالح ثنا عباد يعقوب الرواجني عن شريك عن عاصم عن زر عن عبدالله.

أقول: هذا الإسناد حسن فعباد بن يعقوب من رجال البخاري وهو ثقة شيعي (والتشيع مع الصدق ليس جرحاً - كما قرر الشيخ السعد نفسه - وقد توبع) وشريك صدوق - وقد توبع - وكذلك عاصم صدوق أما زر بن حبيش فثقة جليل وابن مسعود صحابي كبير.

الطريق الثانى والثالث: رواها الحكم بن ظهير عن عاصم بن أبى النجود عن زر ابن حبيش عن عبدالله بن مسعود فذكره.

أقول: الإسناد ضعيف جداً لوجود الحكم بن ظهير (متروك ورمى بالرفض) أما عاصم فصدوق وزر بن حبيش ثقة وابن مسعود صحابى كبير.

لكن الحكم هذا قد توبع من شريك وسلام أبى المنذر (وهو الطريق الثالث) فأصبح الحديث حسناً بهذا الطريق، ولو لم يتابع الحكم لكان الإسناد ضعيفاً جداً.

تنبيه مهم: ينبغى التنبيه إلى أن كثيراً من التضعيفات التى لحقت الشيعة الأوائل كانت بسبب روايتهم هذه الأحاديث الثابتة التى أصبحت غريبة عند العلماء المرضى عنهم من السلطات فى عهد الدولتين الأموية والعباسية، أما فى عهد الدولة الأموية فواضح سبب منع مثل هذه الأحاديث وأما فى عهد الدولة العباسية فإن رواة هذه الأحاديث غالباً يكونون من أنصار آل على فى الثورات على العباسيين فلذلك يهتم الدولة العباسية ألا يخرج من هؤلاء قدوة تزحف خلفه الجماهير، أو تثق فى فتواه إذا أفتى بالخروج مع الثائرين من آل على.

ثالثاً: حديث جابر بن عبدالله روى سفيان بن محمد الفزارى عن منصور بن سلمة (ولا بأس بمنصور) عن سليمان بن بلال (ثقة) عن جعفر بن محمد (وهو ثقة) عن أبيه (ثقة) عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه مرفوعاً (إذا رأيتم فلاناً. قلت: هذا الإسناد ضعيف جداً لوجود سفيان بن محمد.

رابعاً: حديث سهل بن حنيف وسنده حسن: رواه ابن عدى قال: حدثنا على بن سعيد حدثنا الحسين ابن عيسى الرازى حدثنا سلمة بن الفضل حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف

عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم فلاناً على المنبر فاقتلوه».

أقول: الإسناد حسن؛ رجاله ثقات إلا ابن إسحاق صدوق وهو من كبار علماء المغازى ومن رجال مسلم والسنن الأربعة. أما شيخه محمد بن إبراهيم التيمي فهو ثقة من رجال الجماعة وشيخه أبو أمامة ابن سهل بن حنيف فمعدود في الصحابة فالإسناد أقل أحواله الحسن، وقد يعكر عليه عنعنات ابن إسحاق لكن مسلم قبل عنعنات ابن إسحاق في صحيحه. أما تلميذ ابن إسحاق فهو راويته سلمة بن الفضل الأبرش فهو (صدوق كثير الخطأ) لكن العلماء قبلوا روايته عن ابن إسحاق ومنها كتب السيرة التي رواها عن شيخه ابن إسحاق فهو من المختصين به، حتى قال جرير بن عبد الحميد: (ليس من لدن بغداد إلى أن تبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة بن الفضل إذن فإن كان يخطئ كثيراً فهو في غير أحاديثه عن ابن إسحاق. أما تلميذ الأبرش فهو الحسين بن عيسى بن ميسرة الرازي الحارثي (صدوق، وتلميذه علي بن سعيد شيخ ابن عدى إن كان العسكري فهو ثقة وإن كان الرملي ففيه ضعف وقد قال فيه الذهبي (الحافظ البارع)، لا سيما والآخذ عنه هو ابن عدى وهو من المتشبهين في الأخذ.

أقول: فالحديث حسن الإسناد ويصبح الحديث صحيحاً لغيره بهذا الإسناد إن شاء الله، خاصة وأن له شواهد بعضها حسن الإسناد لذاته كما في حديث ابن مسعود. وهو أقوى من حديث ابن أبي عميرة» (1).

وقد كان الناس يحفظون هذا الحديث وأمثاله في زمانه لك معاوية ولكنهم كانوا يخافون البوح به خوف التعذيب والقتل!

ص: 490

1- (1) مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة - حسن بن فرحان المالكي.

إذن فحديث الوصية النبوية بقتل معاوية إذا ارتقى منبر رسول الله صحيح أو حسن (والحُسن من درجات الصحّة).

وأمثال هذه الأحاديث التي تقضح معاوية وتفخيمهم له كانت تروى فى الزوايا المظلمة خوفاً من تعذيب معاوية وقتله، روى ابن حبان فى صحيحه والهيثمى (1) واللفظ له «أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع، حدثنا عبيد الله بن معاذ بن معاذ، حدثنا أبى، حدثنا عاصم بن محمد، عن عامر بن السمط، عن معاوية بن إسحاق بن طلحة قال حدثنى ثم استكتمنى أن أحدث به ما عاش معاوية - فذكر عامر قال: سمعته وهو يقول: حدثنى عطاء بن يسار وهو قاضى المدينة قال: سمعت ابن مسعود وهو يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "سيكون أمراء من بعدى يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، لا إيمان بعده". قال عطاء: فحين سمعت الحديث منه انطلقت إلى عبد الله بن عمر فأخبرته، فقال: ائت سمعت ابن مسعود يقول هكذا؟ كالمدخل عليه فى حديثه. قال عطاء: فقلت: هو مريض، فما يمنعك أن تعود؟ قال: فانطلق بنا إليه. قال فانطلق وانطلقت معه، فسأله عن شكواه، ثم سأله عن الحديث قال: فخرج ابن عمر وهو يقلب كفه، وهو يقول: ما كان ابن أم عبد يكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم».

فالراوى استكتم السامع أن لا يحدث بالخبر عنه طوال حكم معاوية لأن معاوية من هؤلاء الذين أمر النبى صلى الله عليه وآله بمجاهدتهم باليد واللسان والقلب!

ص: 491

1- (1) موارد الظمان - الهيثمى - ج 5 - ص 133-134.

ليس للشيعة دليل على إيمان علي عليه السلام وإمامته

قال ابن تيمية «أما أهل السنة فأصلهم مستقيم مطّرد في هذا الباب وأما أنتم فمتناقضون، وذلك أن النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون علياً أو يفسقونه أو يشكون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم لو قالوا لكم: ما الدليل على إيمان علي وإمامته وعدله؟ لم يكن لكم حجة فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته، قالوا لكم: وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية كمعاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم وأنتم تقدحون في إيمانهم فليس قدحنا في إيمان علي وغيره إلا وقد حكم في إيمان هؤلاء أعظم والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم» (1).

الجواب:

انتم تحتجون بإجماع الأمة، ويقوله تعالى:

(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء: 115).

ص: 492

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 291.

فالأمة مختلفة على أبي بكر فشطر عظيم من الأمة وهم الإمامية لا تقر لكم بما سودتم الصحف مما أسميتموه فضائل وهي أخبار مختلفة رويت في زمان معاوية وبنى أمية، وأما معاوية فشطر عظيم من الأمة منهم أمامية ومنهم معتزلة (والمعتزلة في هذا الباب من أهل السنة كما اقر ابن تيمية(1) يقولون بنفاق معاوية(2) وأما باقى خلفاء بنى أمية فالنصب والنفاق بل الزندقة فى بعضهم كان فاشيا معروفا فى الأمة واردا فى إخبار النبى صلى الله عليه وآله. بينما قام الإجماع على كون على

ص:493

1- (1) وغير ابن تيمية من وهابية هذا الزمان قال صالح آل الشيخ «المقصود أن الأشاعرة والماتريديّة خلاف أهل السنة ولا يدخلون فى السنة والجماعة وإن زعموا، ولا يدخلون فى اتباع الأثر والحديث لكن بالنظر إلى المعتزلة هم من أهل الأثر، والحديث بالنظر على المعتزلة وهم من أهل السنة بالنظر إلى الرافضة» الأجوبة الجلية عن العقيدة الواسطية - صالح آل الشيخ.

2- (2) نقل ابن ابى الحديد عن موفقيات الزبير بن بكار «قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبى على معاوية، فكان أبى يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتّه مغتّمًا فانتظرتّه ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لى أراك مغتّمًا منذ الليلة؟ فقال: يا بنى، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به. إنك قد بلغت سننا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بنى هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات! أى ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدى، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبى كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: (أشهد أن محمدا رسول الله)، فأى عملى يبقى، وأى ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلا دفنا دفنا». شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد - ج 5 - ص 129-130.

عليه السلام من السابقين وقال بعضهم وهم الأمامية وقسم من المعتزلة بأنه خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله بل قد قال المعتزلة (1) «أما على عليه السلام فإنه عندنا بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته، ومتى صحَّ عنه إنه قد برىء من أحد من الناس برئنا منه كائنا من كان».

وإجماع الأمة حجة.

وأما قوله «فليس قدحنا في إيمان على وغيره إلا وقد حكم في إيمان هؤلاء أعظم والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين تقدح نحن فيهم» فهي محاولة المفلس الذي لم يجد أى دليل يسعفه سوى ربط قضية ثابتة بأخرى باطلة وواضحة وضوح الشمس لولا انتكاس القلوب.

وقوله «حجة فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته، قالوا لكم: وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وخلفاء بنى أمية كمعاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم».

إن ما يقوله ابن تيمية هنا وارد عليه عن كان واردا على الشيعة، وسينكر طبعاً انه وارد عليه وبالتالي ناقض نفسه في كونه اثبتة للشيعة! لكونه إن كان كل قول يقابل قولاً حكماً بكونهما إما ثابتان وإما باطلان كان قول النصارى مقابل قول المسلمين! وقول اليهود مقابل قول المسلمين! وقول الأشاعرة مقابل قول السلفية وهذا باب مطّرد ولن يبقى حجر على حجر!

فالمسألة إذن ليس كما يريد أن يوحى من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة والتأويل،

ص: 494

بل هناك قول له دليل وهذا الدليل اتفقت عليه الأمة لكنها اختلفت في المراد منه كما هو حال الشيعة مع أدلة إمامة علي عليه السلام وأدلة التبديل الذي حصل بعد النبي عليه الصلاة والسلام فهذا متفق على وجوده في أمهات الكتب السنية والشيوعية واختلف في جزئياته واختلف في بعض المراد منه, لكن ما نقله من إيرادات خارجية وناصبية - مع كون هذه الآراء كانت ميتة زمان ابن تيمية وشرط الفرقة المحقة أن تبقى الى يوم القيامة كما أخبر الصادق المصدوق - لن تثبت أمام قول الشيعة والسنة في علي فإن كان ابن تيمية يرى قوة هذه الآراء فهذا يتناقض مع ما يذهب اليه - ظاهرا - من كونه إمام رابع شرعي الخلافة، وإن كان ما نقله ابن تيمية باطلا عنده فهو عندنا أظهر بطلانا! فكيف يحتج به علينا؟!

ثم ماذا يعنى بقوله «والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم» والكلام هنا بشأن علي أمير المؤمنين عليه السلام أليس هذا هو النصب الجلي؟!

ابن تيمية يعود للمغالطات كلما أعوزته النصوص

قال ابن تيمية «وإن احتججتكم بما في القرآن من الثناء والمدح قالوا: آيات القرآن عامة تتناول أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم مثل ما تتناول عليا أو أعظم من ذلك وأنتم قد أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فأخرجنا عليا أيسر، وإن قلتم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائله، قالوا: هذه الفضائل روتها الصحابة الذين رووا فضائل أولئك فإن كانوا عدولا فاقبلوا الجميع وإن كانوا فساقا فإن جاءكم فاسق نبأ فتبينوا وليس لأحد أن يقول في الشهود إنهم إن شهدوا لى كانوا عدولا وإن شهدوا على كانوا فساقا أو إن شهدوا بمدح من أحببته كانوا عدولا وإن شهدوا بمدح من أبغضته كانوا فساقا».

الجواب:

إن الإجماع على على والاختلاف على غيره أكبر دليل على ما نقول، وهذه قاعدة الإلزام وهي جز ما لم تغب عن بال ابن تيمية! فالآيات النازلة بحقه متفق عليها إلا ما شذ من الآراء، والروايات النبوية بحقه متفق عليها إلا ما شذ من الآراء، بينما اختلفت الأمة اختلافا عظيما على ما نسب إلى أبي بكر وعمر من

ص: 496

موارد نزول الآيات والروايات المختلفة فرفضها جمع كبير من الأمة واختلفوا في آخر واثبت بعضهم بعضها بتناقض كبير واختلاف. وأين هذا مما تسالموا على ذكره في أمير المؤمنين.

وأما ربط إثبات الأحاديث وموارد النزول في نفس الرواة فنقول إننا نرى ذلك على سبيل الإلزام، وإلا فهذه الروايات وموارد نزول الآيات موجودة بأسانيد صحيحة عن طريقنا بما نستغنى به عن غير طريقنا، وإنما لما رويت مثلها وطابقتموننا احتجاجنا بها عليكم.

قال ابن تيمية «وأما إمامة على فهؤلاء ينازعونكم في إمامته هم وغيرهم فإن احتجاجتم عليهم بالنص الذي تدعونونه كان احتجاجهم بالنصوص التي يدعونها لأبي بكر بل العباس معارضا لذلك ولا ريب عند كل من يعرف الحديث أن تلك أولى بالقبول والتصديق، وكذلك يستدل على تصديقها بدلالات كثيرة يعملها من ليس من علماء أهل الحديث وإن احتجاجتم بمبايعة الناس له قالوا: من المعلوم أن الناس اجتمعوا وأنتم قد قدحتم في تلك البيعة فالقدح في هذه أيسر فلا تحتجون على إمامة على بنص ولا إجماع إلا كان مع أولئك من النص والإجماع ما هو أقوى من حجتكم فيكون إثبات خلافة من قدحتم في خلافته أولى من إثبات خلافة من أثبتت خلافته وهذا لا يرد على أهل السنة فإنهم يثبتون خلافة الخلفاء كلهم ويستدلون على صحة خلافتهم بالنصوص الدالة عليه ويقولون إنها انعقدت بمبايعة أهل الشوكة لهم وعلى مبايعة أهل الشوكة وإن كانوا لم يجتمعوا عليه كما اجتمعوا على من قبله»⁽¹⁾.

ص: 497

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 291.

الجواب:

إن الإشكال لا يتطرق إلينا أصلاً، فابن تيمية تكلم وأسرف على مبانیه أما على القول بالنصّ الإلهی فلا يتطرق له التشکیک بمبايعة فلان ونقض فلان وامتناع غيره.

ثم إن النصوص التي نختلف عليها في علي نختلف مع السنّة في مفهومها ولا نختلف في كونها قيلت فيه بل الكل مجمع على ذلك حتى الخوارج (مع أنهم خارجون إجماعاً من الإسلام بشهادة رواية مروقهم من قبل الفريقين)

وإنما حصل الاختلاف في علي من جهة تفسير معنى الروايات ومعاني الآيات أما اختلافنا في الباقي ففي المفهوم والمصداق فنحن لا نقرّ أصلاً بوجود هكذا روايات وفضائل ونصوص، فالفرق وواضح ولا يلزمنا الإشكال.

وأما قوله «ولا ريب عند كل من يعرف الحديث أن تلك أولى بالقبول والتصديق» وأين ما ادعى في إمامة العباس حتى يكون مقابلاً لما روى في صحاحكم من حديث التطهير أو حديث الثقلين وغيرها وحديث المنزلة وحديث الدار وبيعة الغدير؟! وإنما هو النصب.

أما قوله «وهذا لا يرد على أهل السنة فإنهم يشتون خلافة الخلفاء كلهم ويستدلون على صحة خلافتهم بالنصوص الدالة عليه ويقولون إنها انعقدت بمبايعة أهل الشوكة لهم وعلى مبايعة أهل الشوكة وإن كانوا لم يجتمعوا عليه كما اجتمعوا على من قبله»

فأقول:

إن تصحيح الخلافة بإجماع أهل الشوكة بدعة في الإسلام هدمت مبانیه

ص: 498

وأُسِّت لجاهلية جديدة استمرت حتى يومنا هذا، عن طريق انقلابات عسكرية يقوم بها (شاويش) هنا، و (عقيد) هناك، وإلا فلو كان نكث البيعة من بعضهم وظلم البعض الآخر يضرُّ في صحَّة الخلافة، لكان ضرُّها أكبر في عصيان سعد بن عبادَة وشطر كبير من المسلمين في بيعة أبي بكر إلى أكثر من ستة أشهر حتى بايع أمير المؤمنين خوفا على الإسلام وهو يعلم أن البيعة ليست قضية ملكا للإمام حتى تصحَّ خلافة أبي بكر لو بايع فالخلافة منصب ألهي يعطيه الله لمن يشاء، وإنما قصد بالبيعة مظهرها الخارجي حتى لا تعتقد القبائل أن خلافا في البيت الإسلامي وتربص بهم الدوائر، فهل تقولون بعدم انعقاد بيعة أبي بكر إلى ما بعد ستة أشهر؟

مع أن البيعة الوحيدة التي تمت شرعا على مباني القوم هي بيعة على عليه السلام! فقد كانت بيعة عامة وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «فما راعني إلا- والناس كعرف الضبع إلى ينثالون على من كل جانب. حتى لقد وُطئ الحسنان. وشُق عطفای مجتمعين حولي كربيضة الغنم»(1).

ص: 499

1- (1) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 1 - ص 35-36.

ابن تيمية: ليس في الصحاح ما يدل على خلافة علي

قال ابن تيمية «وأما تخلف من تخلف عن مبايعته فعذرهم في ذلك أظهر من عذر سعد بن عبادة وغيره لما تخلفوا عن بيعة أبي بكر وإن كان لم يستقر تخلف أحد إلا سعد وحده وإما علي وغيره فبايعوا الصديق بلا خلاف بين الناس لكن قيل إنهم تأخروا عن مبايعته ستة أشهر ثم بايعوه وهم يقولون للشيعة: علي إما أن يكون تخلف أولا عن بيعة أبي بكر ثم بايعه بعد ستة أشهر كما تقول ذلك طائفة من أهل السنة مع الشيعة وإما أن يكون بايعه أول يوم كما يقول ذلك طائفة أخرى، فإن كان الثاني بطل قول الشيعة إنه تخلف عن بيعته وثبت أنه كان من أول السابقين إلى بيعته وإن كان الأول فعذر من تخلف عن بيعة علي أظهر من عذر من تخلف عن بيعة أبي بكر لأن النص والإجماع المثبتين لخلافة أبي بكر ليس في خلافة علي مثلها فإنه ليس في الصحيحين ما يدل على خلافته وإنما روى ذلك أهل السنن وقد طعن بعض أهل الحديث في حديث سفينة وأما الإجماع فقد تخلف عن بيعته والقتال معه نصف الأمة أو أقل أو أكثر. والنصوص الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم تقتضى أن ترك القتال كان خيرا للطائفتين وأن القعود عن القتال كان خيرا من القيام فيه وأن عليا مع كونه أولى بالحق من معاوية وأقرب إلى الحق عن معاوية لو ترك القتال لكان أفضل وأصلح وخيرا وأهل السنة يترحمون

على الجميع ويستغفرون لهم كما أمرهم الله تعالى بقوله:

(وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)
(الحشر: 10) (1).

الجواب:

غريب أمر النواصب المستترين بالتقية، فهم لا يعلنون نصبهم جهارا ولكنهم لا يدعون مناسبة لإعلاء صوت أى كان على على وأهل بيته إلا قالوه بطرق ملتوية تارة، ومباشرة تارة أخرى. وإلا فكيف يكون عذر من نصت النصوص على أنهم بغاة وناكثين اظهر من عذر من رأى اتباع نص النبي على على؟!!

وابن تيمية يقول بتوبة عائشة عن خروجها فإن تابت عن ذنب فهذا اعتراف بأنها لا عذر لها أصلا فضلا عن ظهور حجتها على حجة سعد بن عبادة كما يدعى.

وان لم تتب فلم قال بأنها تابت؟

وأما غيرها فقد بايعوا بيعة شرعية ونكثوا بيعتهم وخرجوا على الإمام الشرعى، وأما معاوية فلو كان كلامه صحيحا وانه أراد القصاص من قتلة عثمان فهلا حاسبهم بعد ما استتم له الأمر؟ فلمّا لم يحاسب احدا من الذين قاتل الامة بسببهم (كما يزعم) بحجة المطالبة بدم عثمان علمنا أنه قاتل للسلطة والطغيان.

قال ابن أبي الحديد (وهو من أهل السنة بمسألة الخلافة) «قلت: لو تأمل

ص: 501

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 292.

الحكمان الكتاب حق التأمل، لوجدنا فيه النصّ الصريح على صحّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، لأن فيه النصّ الصريح على أن الإجماع حجة، ومعاوية لم يكن مخالفاً في هذه المقدمة ولا أهل الشام، وإذا كان الإجماع حجة، فقد وقع الإجماع لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله، على أن اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعتهم توجب لزوم طاعته وصحة خلافته، وقد بايع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون فوجب، أن تصحّ خلافته، وإذا صحّت خلافته نفذت أحكامه، ولم يجب عليه أن يقيد بعثمان، إلا إن حضر أولياؤه عنده، طائعين له مبايعين، ملتزمين لأحكامه، ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من أقوام بأعيانهم يدعون، عليهم دم المقتول، فقد ثبت أن الكتاب لو تامل حق التأمل لكان الحق مع أهل العراق، ولم يكن لأهل الشام من الشبهة ما يقدح في استنباطهم المذكور»(1).

وقال معقبا على كلام لأمير المؤمنين عليه السلام «قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله: هذا الكلام حق وصواب، لأن أولياء الدم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته، ثم يرفعوا خصومهم إليه، فإن حكم بالحق استديمت إمامته، وإن حاد عن الحق انقضت خلافته، وأولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا عليا عليه السلام، ولا دخلوا تحت طاعته ثم، وكذلك معاوية ابن عم عثمان لم يبايع ولا أطاع، فمطالبتهم له بأن يقتص لهم من قاتلي عثمان قبل بيعتهم إياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان»(2).

وما فعلته عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وابن العاص كان نكثا من

ص: 502

1- (1) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 8 - ص 105-106.

2- (2) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 14 - ص 37.

بعضهم، وبغيا من الآخر، ونفاقا وطلبا للملك من طعام الشام وطاغيتهم ولو كان هدفهم جلب قتلة عثمان للعدالة فما شأن عائشة وطلحة وولى الدم وهما من بنى تيم؟! وما دخل الزبير وهو من بنى زهرة؟! أما معاوية فلا دخل له بوجود أبناء عثمان لأن عثمان وعلى من بنى عبد مناف، فوجب أن يبايع كل الناس ثم يحتكمون فى الدم للإمام فيقضى به.

(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا) (115) سورة النساء.

أتركوا لنا معاوية وتترك لكم عليًا!

قال ابن تيمية «وأما الرافضى فإذا قدح فى معاوية رضى الله عنه بأنه كان باغيا ظالما قال له الناصبى: وعلى أيضا كان باغيا ظالما لما قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال وصال عليهم وسفك دماء الأمة بغير فائدة لهم لا فى دينهم ولا فى دنياهم، وكان السيف فى خلافته مسلولا على أهل الملة مكفوفًا عن الكفار، والقادحون فى على طوائف طائفة نقدح فيه وفيمن قاتله جميعا وطائفة تقول فسق أحدهما لا بعينه كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ويقولون فى أهل الجمل فسق إحدى الطائفتين لا بعينها وهؤلاء يفسقون معاوية وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما يقول ذلك المروانية وطائفة تقول كان فى أول الأمر مصيبا فلما حكم الحكمين كفر وارتد عن الإسلام ومات كافرا»(1).

الجواب:

على لم يقاتل المسلمين على إمارته، فأما أصحاب الجمل فقد خرجوا عليه ونكثوا بيعته وقتلوا عماله ونكلوا بهم فقاتلهم اقتصاصا منهم.

ص:504

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 292.

وما قاله ابن تيمية «وبدأهم بالقتال وصال عليهم» إلا كذبا وبهتاناً فابن تيمية الذى يحاول نقل حجة الناصبي فإذا كانت حجة الناصبي ساقطة أصلاً على مذهب أهل السنة والشيعة فلم يوردها؟! وان كانت قائمة فهي إذن تُسقط خلافة علي على رأى السنة والشيعة بينما إجماع المسلمين حجة علي مباينهم فبأيها يقول؟!

وأين من اختلف الناس به أول المؤمنين بعد النبي أم لا، ممن اختلف في إسلامه، بل أين من اختلف في خلافته بعد النبي أم لا ممن صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله الوصية بقتله على المنبر؟!

واغرب كلامه قوله «والقادحون في علي طوائف طائفة تقدح فيه وفيمن قاتله جميعاً وطائفة تقول فسق أحدهما لا بعينه كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ويقولون في أهل الجمل فسق إحدى الطائفتين لا بعينها وهؤلاء يفسقون معاوية وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما يقول ذلك المروانية وطائفة تقول كان في أول الأمر مصيباً فلما حكم الحكمين كفر وارتد عن الإسلام ومات كافراً»

فلم يا ترى ينسق ابن تيمية كلاماً في قدح الإمام ولم ينقل ولا مرة كلاماً في مدحه اليس هم يقولون نحن أولى بكم من علي فأين منزلته عندكم إذا كانت كل حجج النواصب اظهر من الشيعة؟

ولم لم يقل: والمادحون لعلي طوائف منهم من يقول بنفاق وحرب كل من خرج على الإمام وهم الشيعة والمعتزلة وبعض الأشاعرة ومنهم من يقول هو محق والباقي بغاة متأولون مخطئون!

أليس هذا أليق بمن يدعى تولي الإمام؟!

الخلفاء ثلاثة فقط ، لكن علياً أيضاً خليفة!!

قال ابن تيمية «وروى عن الشافعي وغيره أنهم قالوا: الخلفاء ثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وما جاءت به الأخبار النبوية الصحيحة حق كله فالخلافة التامة التي أجمع عليها المسلمون، وقوتل بها الكافرون وظهر بها الدين كانت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وخلافة علي اختلف فيها أهل القبلة ولم يكن فيها زيادة قوة للمسلمين ولا قهر وتقص للكافرين ولكن هذا لا يقدر في أن عليا كان خليفة راشدا مهديا ولكن لم يتمكن كما تمكن غيره ولا أطاعته الأمة كما أطاعت غيره فلم يحصل في زمنه من الخلافة التامة العامة ما حصل في زمن الثلاثة مع أنه من الخلفاء الراشدين المهديين»(1).

الجواب:

إما ما نقله عن الشافعي فكذب وإلا فأين مصدر الكلام وما قيمة كلام يقوله بلا مصدر وبينه وبين الشافعي خمسة قرون!!

لكن المحفوظ عن الشافعي خلاف ذلك فهو يرى أفضلية علي عليه السلام في عدله إذ يقول «وقسم أبو بكر حتى لقي الله فسوى بين الحر والعبد ولم يفضل بين أحد بسابقة ولا نسب ثم قسم عمر فألغى العبيد وفضل بالنسب والسابقة ثم

ص:506

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 299.

قسم على فالغى العبيد وسوى بين الناس وهذا أعظم ما يلي الخلفاء وأعمه وأولاه أن لا يختلفوا فيه»(1).

وهذا نص قاطع على عموم عدل على وعلى جور من قبله عند الشافعى!

على أن التفصيل فى القول بمن هو افضل خاضع لجدل عنيف عند أهل السنة (اشاعرة ومعتزلة وماتريدية وراوندية وسلفية) منذ القرن الأول وذلك لكون الفقهاء عندهم يفتون حسبما يشتهى الخلفاء فإذا كان الخليفة مصاهرا لبيت عمر رووا له ما يشفى غليله من فضائل عمر وعدله! وإن صاهر بيت أبى بكر رووا له ما يكتفى من نصرته للنبي عليه الصلاة والسلام! وإن كان الخليفة من بنى أمية فأنعم به فعثمان الحيبى وحياءه يضرب به المثل - يظهر أنهم قالوا ذلك لكونه لم يحضر حروب المسلمين وليس له سابقة بعدل ولا غيره!!

يقول حامد حفى داوود وهو من أهل السنة «ولا غبار على الشيعة أن يتعصبوا للأحاديث المروية عن الإمام على ومن ورثه من بيت النبوة للذى عرف به من فضائل كثيرة لا مجال لإفرادها بالحديث فى هذا المقام. بل وإن المفاضلة بين الراشدين لا تزال موضع جدال بين علماء الأمة إذا استثنينا من قهرتهم السياسة. ومما سمعناه أن مالكا كان لا يرى مجالاً للمفاضلة بينهم، أى أنه كان لا يرى تفضيل أحدهم على الآخر، وأن ترتيبهم الوارد فى الحكم الإسلامى إنما هو ترتيب تاريخى زمنى فقط. وقريب من هذا ما سمع عن الشافعى فقد كان يرى أن الأحاديث الواردة فى فضائل على أكثر من غيره من الراشدين. فالمفاضلة الواردة على أساس الترتيب التاريخى غير مقطوع بها عند السنة».(2)

ص: 507

1- (1) اختلاف الحديث - الإمام الشافعى - ص 507.

2- (2) نظرات فى الكتب الخالدة - حامد حفى داوود - ص 124.

وأما كون علي عليه السلام لم يستطع إكمال ما يسمونها فتوحا فليس لنقص فيه كيف وهو صاحب الحروب وعلى كتفه قام الإسلام وبسيفه أينعت أوراقه؟

وإن كانت الفتوح توقفت بسبب نكث الزبير وطلحة لبيعتهم وإخراجهم زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وتشجيعهم للباطل بغيا وعدوانا وبغى معاوية اللصيق الطليق فلم يكون اللوم على علي؟! لولا النصب!

ولا اعلم كيف تكون الأخبار النبوية صادقة في كون الخلافة للثلاثة ثم يكون هذا لا يقدر بكون علي خليفة راشداً مهدياً؟!

وقد أجاد الدكتور حسن بن فرحان المالكي(1) في بحثه حول روايات بيعة علي التي مع وجودها عندهم يهملونها لكونها تخالف التثليث(2)! فقال:

أما الروايات التي فيها أن بعض الصحابة لم يبايع علياً فكلها روايات ضعيفة بلا استثناء وهي كالتالي:

رواية الزهري: له روايتان رواهما الطبري.

روايتان لسيف بن عمر: الطبري.

رواية أبي المليح: رواها الطبري.

رواية عبد الله بن الحسن: رواها الطبري.

ص: 508

1- (1) نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي - حسن بن فرحان المالكي - ص 125-126.

2- (2) التثليث عقيدة ضاربة الجذور في التاريخ فهي عند الهندوس والبوذيين والنصارى وقد تكون دخلت الى بعض أذهان المسلمين السنة مع دخول بعض النصارى في الإسلام كتميم الدارى وغيره.

رواية سعد بن أبي وقاص: رواها الطبري وهذه الروايات كلها ضعيفة بلا استثناء ولا أستطيع الإطالة في بحث أسانيدھا ومتونها لكن ليرجع إليها من شاء ومن وجد رواية صحيحة في هذا الباب فليتحفنا بها مشكورا.

كما أن هناك روايات ضعيفة في بيعة طلحة والزبير مكرهين وهي روايات عاصم بن كليب الجرمي - التي من طريق مصعب بن سلام الجمحي - أما رواية عاصم التي من طريق أبي أسامة فهي صحيحة وليس فيها (بيعة طلحة والزبير مكرهين)!! وكذلك رواية أبي نضرة ورواية إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ورواية الوليد بن عبد الملك (انظر مصادر هذه الروايات في الطبري والمصنف لابن أبي شيبة).

فالذين ثلثوا أرادوا إبقاء الثلاثة بلا إضافة رابع! لكنهم اضطرّوا لذلك فروايات (فضائل) الإمام عليه السلام كانت كثيرة صحيحة تأبى الأفل والاختفاء فاضطرّوا لإضافته رابعا!

وما قاله ابن تيمية من كون روايات خلافة الثلاثة - مع كونها موضوعة - فأنت تجدها صحيحة على موازينهم، فتجد مثلا رواية ابن عمر «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أبو بكر وعمر وعثمان»⁽¹⁾.

ورواية ابن حبان في صحيحه عن النبي عليه الصلاة والسلام «ارحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشهدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان واقرووها لكتاب الله أبي بن كعب وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وان لكل أمة أمينا الا وان امين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»⁽²⁾.

ص: 509

1- (1) سنن الترمذي - الترمذي - ج 5 - ص 292.

2- (2) صحيح ابن حبان - ابن حبان - ج 16 - ص 238.

وروا عن النبي عليه الصلاة والسلام «أخلاقى من هذه الأمة ثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح»⁽¹⁾.

وفى كل هذه الروايات ليس هناك مكان لعلى عليه السلام! فإذا ضممنا لهذا ما قاله ابن تيمية عن الطعن بحديث سفينة - والذي يتكلم عن خلافة تدوم لثلاثين عاما - وإذا ضممنا لذلك قول ابن تيمية سالف الذكر بأن أمصار الإسلام الخمسة لم تأخذ العلم عن على، وكذلك كون مشاركته فى الحروب كغيره، فسيطرح سؤال مهم وهو: لم قلت أن عليا كان الخليفة الرابع لو كان كما تقولون رجلا كباقي الرجال!؟

ص:510

1- (1) مسند ابن الجعد - على بن الجعد بن عبيد - ص 371.

معاوية لم يؤذ النبي قبل الإسلام

قال ابن تيمية «ومعاوية لم يعرف عنه قبل الإسلام أذى للنبي صلى الله عليه وسلم لا بيد ولا بلسان فإذا كان من هو أعظم معاداة للنبي صلى الله عليه وسلم من معاوية قد حسن إسلامه وصار ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فما المانع أن يكون معاوية رضى الله عنه كذلك».

الجواب:

إن المانع هو عدم حصول ذلك أصلاً، فقد يكون غيره قد أسلم قلبه للإسلام لما رأى انقياد الناس له وأما معاوية فقد قال فيه النبي أخباراً تنبئ عن كونه لم يسلم وهذه الأخبار صحَّحها الشيعة وبعض المعتزلة وبعض أهل السنة كما نقلنا. إضافة لمعتقد بعض الصحابة كعلي عليه السلام الذى كان يقنت باللعن عليه فى الصلاة وكعمار الذى كان يقول عن معاوية وعمرو بن العاص: هم لم يسلموا ولكن استسلموا!

فالشيعة تجعله منافقاً لم يسلم وهو على دين أبيه أبا سفيان، وأما المعتزلة (وهم من أهل السنة) فمعروف اعتقادهم السيئ فى معاوية وكونه على النفاق، وأما باقى المسلمين فما بين ساكت عنه وبين شائن وحاكم عليه بالنفاق وبين موال له، وهذا حال المسلمين فيه!

ص: 511

قال ابن تيمية «وكان من أحسن الناس سيرة في ولايته وهو ممن حسن إسلامه ولولا محاربتة لعلى رضى الله عنه وتوليه الملك لم يذكره أحد إلا بخير كما لم يذكر أمثاله إلا بخير وهؤلاء مسلمة الفتح معاوية ونحوه قد شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عدة غزوات كغزاة حنين والطائف وتبوك فله من الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله ما لأمثاله»⁽¹⁾.

قلت:

كيف يكون أحسن الناس فى ولايته وقد ابتدع نظام الوصاية وأسس ملك الجبابة، وسيأتىك من النصوص ما تُعرف به حاله الفاسدة.

ص:512

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 308.

ابن تيمية: على هو من بدأ قتال معاوية

قال ابن تيمية «إذا تبين هذا فيقال قول الرافضة من أفسد الأقوال وأشدّها تناقضا فإنهم يعظّمون الأمر على من قاتل عليا ويمدحون من قتل عثمان مع أن الذم والإثم لمن قتل عثمان أعظم من الذم والإثم لمن قاتل عليا فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه ولم يقتل مسلما وقد قاتلوه لينخلع من الأمر فكان عذره في أن يستمر على ولايته أعظم من عذر علي في طلبه لطاعتهم له وصبر عثمان حتى قتل مظلوما شهيدا من غير أن يدفع عن نفسه وعلى بدأ بالقتال أصحاب معاوية ولم يكونوا يقاتلونه ولكن امتنعوا من بيعته فإن جاز قتال من امتنع عن بيعة الإمام الذي بايعه نصف المسلمين أو أكثرهم أو نحو ذلك فقتال من قاتل وقتل الإمام الذي أجمع المسلمون على بيعته أولى بالجواز»⁽¹⁾.

الجواب:

إن الشرعية تدور مدار الحق والحق في الثورة على عثمان كان مع الرعية الذين استأثر عثمان بحقهم فذاقوا ذرعا بظلمه فأرادوه أن يتنازل عن الحكم لانخراط شروط الإمامة عندهم منه فلم يقبل فقتلوه.

ص: 513

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 318.

وأما قوله «فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه».

فلو اجتمع الناس عليه فمن الذى قتله؟! ولو كان أهل المدينة وهم جلهم من الصحابة فكيف قعدوا عن نصرته والمفروض ان قتله من المنكر وواجب عليهم النهى عن المنكر! والناس تتعلم الدين منهم - على ما يقول ابن تيمية - وإلا فتنطبق عليهم الآية القرآنية:

(كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: 3).

ولو قد رضوا بقتله لصاروا شركاء فى القتل، فكيف قتل بين ظهرانيهم إذا كانوا لا يريدون قتله، قال الرازى «عن الشعبي أن رجلا ذكر عنده عثمان رضى الله عنه وحسن قتله، فقال الشعبي: صرت شريكا فى دمه، ثم قرأ الشعبي:

(قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ) (آل عمران: من الآية 183).

فنسب لهؤلاء قتلهم وكان بينهما قريب من سبعمائة سنة» (1).

لذا يظهر أن قتله كان بيد البعض لكن بتحريض من بعض آخر وبضوء أخضر من الصحابة وأهل المدينة، وقد جاء هذا المعنى بأشعار بنى أمية، قال ابن عساكر فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح «كان عبد الله بن سعد أخا عثمان بن عفان من الرضاة واستعمله عثمان على مصر وهو الذى فتح أفريقية وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتله فاستأمن له عثمان فأمنه وقال فى حصار عثمان:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقما وأنصارنا بالمكّتين قليل

ص: 514

وأسلمنا أهل المدينة واليهوى هوى أهل مصر والذليل ذليل» (1)

فكيف أجمع عليه الناس وأغلبهم أراد التخلص منه بطريقة او بأخرى!

وأين هذا من أصحاب الدنيا الذين خرجوا على إمام زمانهم بلا جرم وذنوب فعله، بل هم يعلمون انه الحق والحق هو، ومع ذلك أزهقوا ألوف النفوس في طلب الدنيا ولم يقاتلهم الإمام حتى بدأوه واطهروا في الأرض الفساد. وهذا ما تناقله المؤرخون السنة قبل الشيعة، قال ابن عساكر (2) «قرأت في كتاب أبي الفرج على بن الحسين بن محمد القرشي أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور الربعي وذكر له إسنادا شاميا هكذا قال ابن عمار في الخبر وذكر حديثا فيه طول لحسان بن ثابت والنعمان بن بشير وكعب ابن مالك فذكرت ما كان لكعب فيه قال:

لما بويع على بن أبي طالب بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وكانوا عثمانية أنهم يقدمون بنى أمية على بنى هاشم ويقولون الشام خير من المدينة واتصل بهم أن ذلك قد بلغه فدخلوا عليه فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن عثمان أقتل ظالما فنقول بقولك أو قتل مظلوما فنقول بقولك ونكلك إلى الشبهة والعجب من ثبتنا وشكك وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه فهاته لنعرف ثم قال:

كف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

ص: 515

1- (1) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 29 - ص 25

2- (2) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج 50 - ص 177-178

فكيف رأيت الله صب عليهم العداوة والبغضاء التواصل

وكيف رأيت الخير أدير عنهم وولى كإدبار النعام الجوافل

فقال لهم على: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان وأساء الأثرة، وجزعتم وأسأتم الجزع وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة، فقالوا: لا ترضى بهذا العرب ولا تعذرنا به، فقال على: أتردّ على بين ظهرائي المسلمين بلا نية صادقة ولا حجة واضحة اخرجوا فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبدا، فخرجوا من يومهم فساروا حتى أتوا معاوية فقال لهم لكم الكفاية أو الولاية فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار وكعب بن مالك ألف دينار وولى النعمان بن بشير حمص ثم نقله إلى الكوفة بعدا!.

وهذا هو الدين عند الأمويين ومن يلحس قصاعهم! كفاية وولاية، ولو كان معاوية لديه ورع لقال: انا أمير مؤتمن على بيت المال حتى نرى الخليفة الشرعى، ولم يعط درهما واحداً.

وأما قوله «مع أن الذم والإثم لمن قتل عثمان أعظم من الذم والإثم لمن قاتل عليا فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه ولم يقتل مسلما وقد قاتلوه لينخلع من الأمر فكان عذره في أن يستمر على ولايته أعظم من عذر على في طلبه لطاعتهم له».

فهو كلام باطل، يقول من هو مع الحق والحق معه في أمر عثمان(1) «أمرت به لكنك قاتلا. أو نهيت عنه لكنك ناصر غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه. ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير منى وأنا

ص:516

جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة. وجزعتم فأسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع».

فالإمام لم يقتله لكونه لم يأمر بذلك ولم ينصره لكونه لم يمه عن الثورة عليه لكن الذى خذله خير من الذى نصره!

وقول ابن تيمية «وصبر عثمان حتى قتل مظلوما شهيدا من غير أن يدفع عن نفسه» من الكذب، كيف وقد ابتداء القتال من أصحاب عثمان وهم بطانة السوء التى أودت به، مروان ابن الزرقاء وأصحابه، قال ابن الأثير وهو يروى ما حصل أيام حصار عثمان فى داره «ولما رأى المصريون أن أهل الموسم يريدون قصدهم وأن يجمعوا ذلك إلى حجهم مع ما بلغهم من مسير أهل الأمصار قالوا لا يخرجنا من هذا الأمر الذى وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك، فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا فزجرهم عثمان وقال أنتم فى حل من نصرتى فأبوا، ففتح الباب لمنعهم فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض وكان من الصحابة فنادى عثمان فيينا هو يناشده أن يعتزلهم إذ رماه كثير بن الصلت الكندى بسهم فقتله. فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع إلينا قاتله لنقتله به قال لم أكن لأقتل رجلا نصرنى وأنتم تريدون قتلى فلما رأوا ذلك ثاروا إلى الباب فلم يمنعهم أحد منه»(1).

فهذا أحد أصحاب عثمان (كثير بن الصلت)(2) يقتل صحابياً من الثائرين،

ص: 517

1- (1) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ج 3 - ص 174-175.

2- (2) اختلفوا فيه صحابى أم تابعى كالعادة فى المقربين من معاوية من التابعين! ويظهر أن الرجل كان

وبسببه ثار الناس على عثمان فقتلوه لكونه منع تسليم مجرم للقصاص!.

ثم انتبه لما يورده ابن تيمية على لسان المخالفين لعلى عليه السلام فتارة يقول: فإن قلت قلت لكم النواصب! وتارة يقول: فإن قلت قلت لكم أصحاب معاوية، وما وجدته ان النواصب لم تضع تأليفا في ذلك حتى يعلم ابن تيمية مقالتهم ولم تكن لهم فرقة خاصة تعرف! بل ان ما نسميهم نحن بالنواصب هم أهل الشام الذين يمدحهم معاوية في كتبه كلها، بالتالي فهذه الحجج من لبنات فكره المريض، ومن وسوسات قلبه النابض بحب بنى أمية وحقا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني. ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني. وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمامي صلى الله عليه وآله أنه قال: "يا على لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق» (1).

ص: 518

1- (1) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 4 - ص 13.

ابن تيمية: ما نُقِمَ على علي أكبر مما نُقِمَ على عثمان

قال ابن تيمية «وإن قيل إن عثمان فعل أشياء أنكروها قيل تلك الأشياء لم تبح خلعه ولا قتله وإن أباحت خلعه وقتله كان ما نقموه على علي أولى أن يبيح ترك مبايعته فإنهم إن ادعوا على عثمان نوعاً من المحاباة لبني أمية فقد ادعوا على علي تحاملاً عليهم وتركاً لإنصافهم وأنه بادر بعزل معاوية ولم يكن يستحق العزل فإن النبي صلى الله عليه وسلم ولّى أباه أبا سفيان على نجران ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أمير عليها وكان كثير من أمراء النبي صلى الله عليه وسلم على الأعمال من بني أمية فإنه استعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية واستعمل خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على صدقات مذحج وصنعاء اليمن ولم يزل عليها حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم واستعمل عمرو وعلی تيماء وخيبر وقرى عرينة وأبان بن سعيد بن العاص استعمله أيضاً على البحرين برها وبحرها حين عزل العلاء بن الحضرمي فلم يزل عليها حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله قبل ذلك أميراً على سرايا منها سرية إلى نجد وولاه عمر رضی الله عنه ولا يُنَّهَمُ لا في دينه ولا في سياسته وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم

ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم) قالوا ومعاوية كانت رعيته تحبه وهو يحبهم ويصلون عليه وهو يصلى عليهم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم قال مالك بن يخامر سمعت معاذا يقول وهم بالشام قالوا وهؤلاء كانوا عسكر معاوية) (1).

الجواب:

ما تقوموه على عثمان يستحق خلعه وما ادّعوه على علي باطل إجماعاً ما عدا النواصب، أما معاوية فقدت ورد بحقه نصوص صحيحة من النبي بقتله إن رأى على المنبر ونفاقه وظلمه وسيرته الملوكية غير الشرعية. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» (2) والحديث أولى أن يثبت على عثمان فالذى خرج عليه هم عامة المسلمين منهم أهل الكوفة ومصر ومساندة أهل المدينة ومناصرتهم الثوار عليه بينما معاوية لا يحبه غير أهل الشام لكونه يسير بهم سيرة ظالمة يكرم أعيانهم فينقاد اليه جهّالهم وهذه سيرة جاهلية. وهي الظلم بعينه وليس مقياس الحق أن يحبك الناس وأنت في عصيان الله بل لو أبغضك الناس وأنت في طاعة الله لكان هو الخير.

أما «عسكر معاوية» الظاهرين على الحق! فإن النبي سماهم بالقاسطين والبغاة وابن تيمية يسميهم ظاهرين على الحق!! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ص: 520

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 318.

2- (2) صحيح مسلم - ج 6 - ص 24.

لا فرق بين قتال علي و قتال معاوية

قال ابن تيمية «وأما قوله (إن معاوية قتل جمعا كثيرا من خيار الصحابة) فيقال الذين قتلوا قتلوا من الطائفتين قتل هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليا ولا معاوية وكان علي ومعاوية رضى الله عنهما أطلب لكفّ الدماء من أكثر المقتولين لكن غلبا فيما وقع والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها وكان في العسكرين مثل الأشتر النخعي وهاشم بن عتبة المرقال وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأبي الأعور السلمي ونحوهم من المحرّضين على القتال قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار وقوم ينفرون عنه وقوم ينتصرون لعلي وقوم ينفرون عنه ثم قتال أصحاب معاوية معه لم يكن لخصوص معاوية بل كان لأسباب أخرى و قتال مثل قتال الجاهلية لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم كما قال الزهري (وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فإنه هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية»⁽¹⁾.

ص: 521

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 322.

الفرق بين قتل علي لمن شهر السلاح بوجهه وبداه القتال وبين قتل معاوية لمن خرج ليصد البغي عن الأمة، أنه إمام معصوم من الله على رأى الشيعة الصحيح المؤيد بالنصوص، وعلى رأى أهل السنة فصاحب بيعة شرعية ممن بايع أبا بكر وعمر وعثمان والناس، خرج ليعيد الأمن فقوتل ممن وصفهم رسول الله بالقاسطين وممن حكم رسول الله بقتله على المنبر، أمّا قتل معاوية للمسلمين فلأجل الدنيا بدليل عدم اقتصاصه من قتلة عثمان بعد استتمام الأمر له.

قال ابن أبي شيبه الكوفي (1) «حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية الجمعة بالنخيلة فى الضحى ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لتأمر عليكم، وقد أعطانى الله ذلك وأنتم له كارهون».

والحديث عن: ابو معاوية الضريير: كوفى ثقة، متقن والاعمش: ثقة، إمام زمانه وعمرو بن مرة: ثقة، ثبت، وسويد بن سعيد وذكره ابن حبان فى الثقات، وبالتالي فالحديث صحيح بلا مغمز! ويثبت نهم الدنيا عند معاوية، وكونه قتل الألوفا من أجل التسلّط يكون هذا مقرونا بعلى عليه السلام؟! لا والله ولا حتى بنعله.

وعلى مقارنته بين صحابة على وزبانية معاوية فأين مالك وهاشم فى الفضل من عبد الرحمن والسلمى فى النخل والغدر؟! أما قول الزهري! فكيف لا يقول ذلك وهو الناصبى الجلد.

ص: 522

ابن تيمية: لا تحمّلوا معاوية مسؤولية اللعن فهو حصل من الطائفتين!

قال ابن تيمية «وأما ما ذكره من لعن على فإن التلاعن وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم وقيل إن كل طائفة كانت تقنت على الأخرى والقتال باليد أعظم من التلاعن باللسان وهذا كله سواء كان ذنبا أو اجتهادا مخطئا أو مصيبا فإن مغفرة الله ورحمته تتناول ذلك بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة وغير ذلك»⁽¹⁾.

الجواب:

أين لعن على الذى ربط رسول الله صلى الله عليه وآله سبّه بسبّه ممن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله ولو على المنبر؟!

وأين من يلعن ابن هند وابن النابغة فى الصلاة وهم الذين اختلف أهل القبلة فى إسلامهم ونفاقهم، وبين من يلعن سادة أهل الجنة ومنهم أمير المؤمنين

ص: 523

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 322.

وخير الناس بعد النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى رأيهم رابع أفضل المسلمين من المهاجرين الأولين والسابقين للإسلام ومن لا تعد فضائله ومعه سيدا شباب أهل الجنة، كيف يكون هذا وهذا سواء؟!

أتراك لو لعن شيعة سلفياً أتقول: وقع اللعن من هذا ومن هذا، فالله يغفر لكم! لا والله بل ستنصر السلفي ظالماً أو مظلوماً فما بال أمير المؤمنين لا يُنصر وقد خرج لتقويم الاعوجاج، وإرجاع الأمور إلى نصابها وهو إمام شرعي عندكم، بل حتى لا تنزلونه منزلة يزيد!! فأنتم تجدون الأعداء ليزيد في قتله الحسين بن علي عليه السلام، وتشككون في وقعة الحرّة، وقتله الصلحاء، ولعبه بالقرود وشربه الخمر! إلا نال أمير المؤمنين عليه السلام شيء من ورعكم المزعوم! أم أن التورع مقصور على من تعرّض للأمويين فقط.

ص:524

على قتل بعض الكفار مثل غيره

قال ابن تيمية «وقوله (إن عليا قتل بسيفه) الكفار فلا ريب أنه لم يقتل إلا بعض الكفار وكذلك سائر المشهورين بالقتال من الصحابة كعمر والزبير وحمزة والمقداد وأبي طلحة والبراء بن مالك وغيرهم رضی الله عنهم ما منهم من أحد إلا قتل بسيفه طائفة من الكفار، والبراء بن مالك قتل مائة رجل مبارزة غير من شرك في دمه»(1).

الجواب:

وأين أبو بكر؟! على أن أسلوب ابن تيمية صار معروفا! فعمر لم يورد له المؤرخون غير انه قتل شخصا واحدا!! وحمزة والمقداد وطلحة والبراء والزبير لهم فضلهم ولكن أين من فضل على في الجهاد!!

وأما البراء بن مالك فقتله لمئة رجل كان في معركة رامهرمز وقد طال الحصار لأشهر وكانوا يتبارزون يوميا! وأين ذلك ممن قتل في ساعة واحدة خمسة وثلاثين من رؤوس الكفر؟! في المعركة التي قال الله عنها:

ص: 525

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 327.

(يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّتَمِّيِ الْجَمْعَانِ) (لأنفال: من الآية 41).

ففرق ذلك اليوم بين المشركين وبين المسلمين بسيف النبي صلى الله عليه وآله وسيف علي عليه السلام، والمسلمين.

قال ابن تيمية «وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة) وقال (إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير) وكلا الحديثين في الصحيح وفي المغازي انه قال لعلي يوم أحد لما قال لفاطمة عن السيف اغسله غير ذميم إن تكن أحسنت فقد أحسن فلان وفلان».

الجواب:

لاحظ انه عندما يأتي للصحابة فيقوم بتعداد فضائلهم، على زعمه! وعندما يأتي لعلي عليه السلام فهو يقوم بإيراد ما وضعه الأمويون مما يُفهم انه منقصة لعلي عليه السلام، وهذا الحديث لا ريب انه موضوع وإلا فما الربط بين قول علي عليه السلام عبارته وبين قول النبي عليه الصلاة والسلام الذي يفهم منه الرد على علي وعدم رضاه على عبارته؟! وهو - أي النبي عليه الصلاة والسلام - كان السباق دوماً لتبيين فضل علي وعلو مرتبته.

قال ابن تيمية:

وأما قوله (وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيف الله وسهم الله) فهذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب الحديث ولا له إسناد معروف ومعناه باطل فإن علياً ليس هو وحده سيف الله وسهمه وهذه العبارة يقتضى ظاهرها الحصر» (1).

ص: 526

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 327.

حديث «على سيف الله» رواه عدة من محدثي القوم ولم يحكم احد بوضعه قال المناوي (1) «فائدة: في تاريخ المدينة للسمهودى أن فى فضل أهل البيت لابن المؤيد الحموى عن جابر: كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض حيطان المدينة ويد على فى يده فمررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء وهذا على سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين، ثم مررنا بنخل فصاح: هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا على سيف الله، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى: سمّه الصيحاني، فسُمّي به فهذا سبب تسميته اه. أقول: وهذا أقرّه السمهودى ويشم منه الوضع».

وقوله «يشم منه الوضع» تحكم بلا- دليل مع إقرار السمهودى له ونقل ابن عساكر وأبو بكر الشافعى والقندوزى الحنفى (2). والظاهر أن أنوفهم لا تشم الوضع إلاّ عندما تذكر منزلة على عليه السلام!

وهم لا يتخرجون من تسمية خالد بسيف الله المسلول وظاهر العبارة انه انفراد بذلك ولا راد لذلك إنما لو قال النبى ذلك فى على فلا يجوز انفراده به!

ص: 527

1- (1) فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوى - ج 5 - ص 293.

2- (2) نظم درر السمطين - الزرندي الحنفى - ص 122-125.

على استحل دماء المسلمين!

قال ابن تيمية «ثم يقال لهؤلاء الرافضة لو قالت لكم النواصب: على قد استحل دماء المسلمين وقاتلهم بغير أمر الله ورسوله على رياسته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وقال (ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) فيكون على كافرا لذلك لم تكن حجتكم أقوى من حجتهم، لأن الأحاديث التي احتجوا بها صحيحة، وأيضا فيقولون: قتل النفوس فساد فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو في الأرض والفساد وهذا حال فرعون والله تعالى يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة، وليس هذا كقتال الصديق للمرتدين ولمانعي الزكاة فإن الصديق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله لا على طاعته فإن الزكاة فرض عليهم فقاتلهم على الإقرار بها وعلى أدائها، بخلاف من قاتل ليطاع، هو ولهذا قال للإمام أحمد وأبو حنيفة وغيرهما من قال أنا أؤدى الزكاة ولا أعطيها للإمام لم يكن للإمام أن يقاتله وهذا فيه نزاع بين الفقهاء فمن يجوز القتال على ترك طاعة ولي الأمر جوز قتال هؤلاء وهو قول طائفة من الفقهاء ويحكى هذا عن الشافعي رحمه الله ومن لم يجوز القتال إلا على ترك طاعة الله ورسوله لا

على ترك طاعة شخص معين لم يجوز قتال هؤلاء.

وفى الجملة فالذين قاتلهم الصديق رضى الله عنه كانوا ممتنعين عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقرار بما جاء به فلهذا كانوا مرتدين بخلاف من أقر بذلك ولكن امتنع عن طاعة شخص معين ك معاوية وأهل الشام فإن هؤلاء كانوا مقرين بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وقالوا نحن نقوم بالواجبات من غير دخول فى طاعة على رضى الله عنه لما علينا فى ذلك من الضرر فأين هؤلاء من هؤلاء»(1).

الجواب:

إن الرجل هنا ناصبى مجاهر بلا- أى شك فانتبه لقوله «لأن الأحاديث التى احتجوا بها صحيحة» وهو يشير إلى احتجاج النواصب! أما (مانقله) عن النواصب فهو باطل على مذهبه ومذهبنا فعلى لم يكن مخالفا لله والرسول بقتال الباغين بل بأمره قاتلهم وقد مر ذلك فى حديث كعب بن عجرة فكيف يكون قول النواصب ندا لقول الموالى لعلى من الشيعة والسنة؟!

وأما قوله «فيقولون قتل النفوس فساد فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو فى الأرض والفساد وهذا حال فرعون والله تعالى يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فمن أراد العلو فى الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة فى الآخرة وليس هذا كقتال الصديق للمرتدين ولمانعى الزكاة فإن الصديق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله لا على طاعته فإن الزكاة فرض عليهم فقاتلهم عللا الإقرار بها وعلى أدائها

ص: 529

بخلاف من قاتل ليطاع هو».

كيف يكون أبو بكر محققا وقد قاتل بلا نص من الله ولا رسوله بدليل اختلافه مع عمر؟! بينما قاتل على عليه السلام بنصوص ربانية ونبوية مشهورة ومعروفة وصحيحة وبالتالي لا يتوجه أى رأى لذلك سوى القلوب المريضة بالنفاق والنصب.

والرجل قد سقط فى شر اعماله فانتبه الى أنه نقل القول المزعوم المفترض عن النواصب، ثم أردفه بتصحيح ما قالته (النواصب) المفترضة! ثم رسّخ ذلك بدفع دخل عن مقارنة فعل الإمام عليه السلام مع البغاة والناكثين بفعل أبى بكر مع (المرتدين)! فهو نقل القول المفترض الناصبى، ثم صحّح لهم الروايات، ثم نقض الدخلى الشيعى المفترض بفعل أبى بكر، وبهذا فالرجل تبنى ما (ينقله) عن النواصب بشكل واضح! والسر معروف، فهي آراؤه بكل بساطة!

ص:530

القتال فى الجمل وصفين قتال فتنة ليس فيه أمر من الله ورسوله!

قال ابن تيمية «وأعلم أن طائفة من الفقهاء من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد جعلوا قتال مانعى الزكاة وقتال الخوارج جميعا من قتال البغاة وجعلوا قتال الجمل وصفين من هذا الباب، وهذا القول خطأ مخالف لقول الأئمة الكبار وهو خلاف نص مالك وأحمد وأبى حنيفة وغيرهم من أئمة السلف ومخالف للسنة الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم فإن الخوارج أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتالهم واتفق على ذلك الصحابة، وأما القتال بالجمل وصفين فهو قتال فتنة وليس فيه أمر من الله ورسوله ولا إجماع من الصحابة وأما قتال مانعى الزكاة إذا كانوا ممتنعين عن أدائها بالكلية أو عن الإقرار بها فهو أعظم من قتال الخوارج»(1).

الجواب:

فعل الصحابى حجة عندهم! إلا ما يفعله أمير المؤمنين فهو عند النواصب موضع نظر! فإذا كان التابعون قد خالفوه فقولهم أرجح ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ص: 531

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 335.

وقوله «وأما القتال بالجمل وصفين فهو قتال فتنة وليس فيه أمر من الله ورسوله ولا إجماع من الصحابة».

فإن قصد بالفتنة الابتلاء والاختبار فهو حق، وإن قصد بالفتنة أن هذا القتال لا يعرف حقه من باطله فهو باطل ونصب لأهل البيت وشم للصحابة الأجلاء، ومنهم البدريون وأصحاب بيعة الشجرة وغيرهم.

وما قيمة إجماع الصحابة بوجود النصوص القرآنية والنبوية؟! وقد مرَّ كون معاوية لم يقاتل بتأويل ولا غيره بل للتمليك على المسلمين بنص صحيح وهو باغ بذلك على مباني القوم.

وقوله «وأما قتال مانعي الزكاة إذا كانوا ممتنعين عن أدائها بالكلية أو عن الإقرار بها فهو أعظم من قتال الخوارج».

فهذا رأى رآه أبو بكر فما الدليل عليه؟ إن ابن تيمية عجز عن الإتيان بدليل روائي فلم يبق غير القياس الباطل الذي لا دليل فيه.

وانتبه لتلبسه بقوله «أو عن الإقرار بها» فإنكار وجوب الزكاة يقود للكفر وأما الإقرار بها والعصيان بعدم إخراجها يقود للفسق وأين الأول من الثاني؟! وإنما أراد الخلط حتى يكون الفاسق من مانعي الزكاة كافرا فيجوز لأبي بكر قتالهم كفارا!. قال المزني (1) «وقول عمر لأبي بكر رضى الله عنهما: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله؟"» وقول أبي بكر: هذا من حقها لو منعوني عنقا مما أعطوه النبي صلى الله عليه وسلم

ص: 532

لقاتلتهم عليها. معرفة منهما معا أن ممن قاتلوا - ممن أسموهم المرتدين - من تمسك بالإسلام ولولا ذلك لما شك عمر في قتالهم ولقال أبو بكر: قد تركوا لا إله إلا الله فصاروا مشركين وذلك بين في مخاطبتهم جيوش أبي بكر وأشعار من قال الشعر منهم فقال شاعرهم:

ألا أصبحينا قبل نائرة الفجر لعل منا يانا قريب وما ندرى

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا عجبا ما بال ملك أبي بكر

فإن الذي سألوكم فمنعتم لكالتمر أو أحلى إليهم من التمر

سنمنعهم ما كان فينا بقية كرام على العزاء في ساعة العسر

وقالوا لأبي بكر رضى الله عنه: ما كفرنا بعد إيماننا ولكننا شححنا على أموالنا».

وهذا دليل أن أبا بكر قاتل قوما مسلمين بلا دليل سوى حب الرئاسة والتسلط وهذا هو العلو في الأرض.

قال ابن تيمية «وأهل صفين لم يبدأوا عليا بالقتال وأبو حنيفة وغيره لا يجوزون قتال البغاة إلا أن يبدأوا الإمام بالقتال وكذلك أحمد وأبو حنيفة ومالك لا يجوزون قتال من قام بالواجب إذا كانت طائفة ممتنعة قالت لا نؤدى زكاتها إلى فلان فيجب الفرق بين قتال المرتدين وقتال الخوارج المارقين، وأما قتال البغاة المذكورين في القرآن فنوع ثالث غير هذا وهذا فإن الله تعالى لم يأمر بقتال البغاة ابتداء بل أمر إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين بالإصلاح بينهما وليس هذا حكم المرتدين ولا حكم الخوارج.

والقتال يوم الجمل وصفين فيه نزاع هل هو من باب قتال البغاة المأمور به في

القران أو هو قتال فتنة القاعد فيه خير من القائم فالقاعدون من الصحابة وجمهور أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بعدهم يقولون: هو قتال فتنة، ليس هو قتال البغاة المأمور به فى القران، فإن الله لم يأمر بقتال المؤمنين البغية ابتداء لمجرد بغيتهم بل إنما أمر إذا اقتتل المؤمنون بالإصلاح بينهم وقوله فإن بغت إحداهما على الأخرى ويعود الضمير فيه إلى الطائفتين المقتلتين من المؤمنين لا يعود إلى طائفة مؤمنة لم تقاتل بالتقدير فإن بغت إحدى الطائفتين المؤمنتين المقتلتين على الأخرى فقاتلوا الباغية حتى تفىء إلى أمر الله فمتى كانت طائفة باغية ولم تقاتل لم يكن فى الآية أمر بقتالها»(1).

الجواب:

إن كلامه يشير الى أن عليا عليه السلام بدأ القتال بينما رأى الأئمة انه لا يجوز! ذلك فهل عمل الصحابي على عليه السلام حجة أم الذين جاؤوا بعده بمائة سنة ورأوا خلافه؟

فلو ثبت لدى ابن تيمية أن عليا بدأ القتال لكان الواجب أتباعه لان عمل الصحابي حجة فما بال عمل على لا يصير حجة من دون الصحابة؟! ولو خالفه أبو حنيفة وغيره وجب عطف رأى أبي حنيفة على فعل أمير المؤمنين عليه السلام لا العكس!

والذى نقله المؤرخون إن أبا الأعور السلمى ذيل معاوية هو من بدأ القتال بأمر معاوية قال الطبرى(2) وذكر إرسال على لزياد بن النضر الكنانى وشريح بن هانئ «وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذنا على شاطيء الفرات من قبل البر

ص:534

1- (1) منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 335.

2- (2) تاريخ الطبرى - الطبرى - ج 3 - ص 564-565.

مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهما أخذ على على طريق الجزيرة وبلغهما أن معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال على فقال: لا والله ما هذا لنا برأى أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلّة من معنا منقطعين من العدد والمدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات، وحسبوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، ثم لحقوا عليا بقرية دون قرقيسياء وقد أرادوا أهل عانات فتحصّنوا وفرّوا ولما لحقت المقدمة عليا قال: مقدمتي تأتيني من ورائي؟! فتقدم إليه زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فأخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما فقال: ددّتما ثم مضى على فلما عبر الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمى عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام فأرسلا إلى علي إنا قد لقينا أبا الأعور السلمى في جند من أهل الشام وقد دعوناهم فلم يجبنا منهم أحد فمرنا بأمرك؟ فأرسل علي إلى الأشتر فقال: يا مالك إن زيادا وشريحا أرسلا إلى يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور السلمى في جمع من أهل الشام وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين فالنجا إلى أصحابك النجا فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال الا أن يبدأوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ولا يجركم شنائهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم بعد من يهاب البأس، حتى أقدم عليك فإني حثيث السير في أثرك إن شاء الله قال وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفي فكتب على إلى زياد وشريح أما بعد فإني قد أمرت عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا فإنه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه

عما الإسراع إليه أحزم ولا الإسراع إلى ما البطء عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذى كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر إليهم وخرج الأشر حتى قدم على القوم فاتبع ما أمره على وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمى فثبتوا له واضطربوا ساعة..».

فانظر إلى أن علياً كان يؤكد على عدم بدء القتال حتى يبدأوهم وهذه سيرته مع الخارجين عليه فى الجمل، يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن عائشة وطلحة والزبير وأصحابهم والذين قتلوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فى البصرة قبل ان يصل على عليه السلام «فقدموا على عاملى بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها. فقتلوا طائفة صبرا، وطائفة غدرا. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره، لحل لى قتل ذلك الجيش كله إذ حضره فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد. دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التى دخلوا بها عليهم»(1).

وأين هذا من اليسر فى فتوى إراقة الدم عند القوم، روى الطبرى(2) بسنده عن سهل بن سعد قال «لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها فى أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين فى عثمان وصحبتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم! قالت: ردوا أبانا، فردوه فقالت احبسوه ولا تقتلوه، قال: لو علمت أنك تدعينى لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته فضربوه أربعين سوطا وانتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه».

ص:536

1- (1) نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام - ج 2 - ص 85-86.

2- (2) تاريخ الطبرى - الطبرى - ج 3 - ص 485.

ومن هنا يتبين كذب ابن تيمية فهذا الطبري إمام المؤرخين ينقل بغى الخارجين على علي عليه السلام «ومن سلّ سيف البغى قتل به» (2).

ص: 537

1- (1) جاء في كتاب أصول السنة لأحمد بن حنبل «ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ابغضه بحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا» ص 68 عتب الشارح وهو ربيع المدخلي بأسئلة افتراضية منها «السؤال الخامس: الذي يخوض في الفتنة التي حدثت في عهد الصحابة ما حكمه في الإسلام؟ الجواب: مبتدع ضال: مخالف لأصول أهل السنة والجماعة». ولا- اعرف ماذا يقولون عمّن نتف لحيه صحابي وجعله أمردا بعدما شاب ماذا يقولون عنه؟ وأظن أنهم سيفصلون فإن كان الصحابي من أصحاب علي فلا مشكلة وإن كان من غيرهم ففيه ضلال وكفر! قال المدخلي هذا «ومن هنا من تقدير أهل السنة لهم قالوا: من انتقص من صحابيا واحدا فهو زنديق، انتقاصا فقط كيف بالسب والطعن والتكفير؟ ومن انتقص صحابيا فهو رافضي خبيث، هذا يا إخواننا حق وحماية أعراض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف وقد رضى الله عنهم، كيف وقد وعدهم بالجنة، كيف وقد زكاهم وأنزلهم هذه المنزلة العظيمة، عرفوا هذا المنزلة ويبقى الغناء والجهلة والظلال والزنادقة يعادون هؤلاء». شرح أصول السنة - ربيع المدخلي - ص 69. وأنت ترى أن انتقاص الصحابة عندهم مقتصر على الرافضة وأما من غير الرافضة إذا انتقص صحابيا أو حتى قتله كما فعل ابن ملجم فهو مجتهد كما قال ابن حزم في محلاّه!

2- (2) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج 4 - ص 81.

ابن تيمية: قاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسين

قال ابن تيمية «وقاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسين، فهذا الغلوّ الزائد يقابل بغلوّ الناصبة الذين يزعمون أن الحسين كان خارجيا، وأنه كان يجوز قتله لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان) رواه مسلم، وأهل السنة والجماعة يردّون غلو هؤلاء وهؤلاء ويقولون: إن الحسين قتل مظلوما شهيدا وإن الذين قتلوه كانوا ظالمين معتدين، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي يأمر فيها بقتال المفارق للجماعة لم تتناوله فإنه رضى الله عنه لم يفرق الجماعة ولم يقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى بلده أو إلى الثغر أو إلى يزيد داخلا في الجماعة معرضا عن تفريق الأمة»⁽¹⁾.

الجواب:

قوله «وقاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسين».

ما الدليل عليه ومن قتل الحسين قتل ريحانة النبي وابنه وسيد شباب أهل الجنة ومن بكى النبي لمقتله قبل مقتله!

ص: 538

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 2 - ص 337.

وقوله «وإن الذين قتلوه كانوا ظالمين معتدين وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي يأمر فيها بقتال المفارق للجماعة لم تتناوله فإنه رضى الله عنه لم يفرق الجماعة ولم يقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى بلده أو إلى الثغر أو إلى يزيد داخلا في الجماعة معرضا عن تفريق الأمة» مرتبط بما قاله قبله «فهذا الغلو الزائد يقابل بغلو الناصبة الذين يزعمون أن الحسين كان خارجيا وأنه كان يجوز قتله لقول النبي صلى الله عليه وسلم من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان رواه مسلم» فهو يدس السم في بعض العسل فهو يلقى الأحاديث التي تتبعها الناصبة ويثبت صحتها ليوحى للقارىء إن آراء الناصبة ليست شاذة بل لها أصل سنّى.. ثم نصه حول مفارقة الجماعة له مفهوم وهو: إن كان الحسين مفارقا للجماعة (التي يمثلها يزيد وبنو أمية) فتنطبق عليه الأحاديث التي رواها مسلم! أى على ما تقول الشيعة من أن الإمام الحسين عليه السلام خرج مقاتلا ليزيد أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر فإذا كان الحسين خارجا على هذا الرأى فقول الناصبة فيه حق بشهادة صحيح مسلم!!

وطاعة الجماعة المنحرفة التي دس رواياتها بنو أمية عن طريق مرتزقتهم معارضة بالقرآن، يقول تعالى:

(وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (هود: 113).

والجماعة جماعة الحق وليس الكثرة قال تعالى:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل: 120).

فكان إبراهيم أمة لكونه الموحد الوحيد في زمنه.

القادحون في علي غير مرتدّين بخلاف القادحين بالثلاثة!

قال ابن تيمية «والذين قدحوا في علي رضى الله عنه وجعلوه كافرا وظالما ليس فيهم طائفة معروفة بالردّة عن الإسلام، بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون في الثلاثة كالعالية الذين يدعون إلهيته من النصيرية وغيرهم وكالإسماعيلية الملاحدة الذين هم شرٌّ من النصيرية وكالعالية الذين يدعون نبوته فإن هؤلاء كفار مرتدون كفرهم بالله ورسوله ظاهر لا يخفى على عالم بدين الإسلام فمن اعتقد في بشر الإلهية أو اعتقد بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا أو أنه لم يكن نبيا بل كان علي هو النبي دونه وإنما غلط جبريل فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة، بخلاف من يكفر عليا ويلعنه من الخوارج وممن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبنى مروان وغيرهم فإن هؤلاء كانوا مقرّين بالإسلام وشرائعه يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجّون البيت العتيق ويحرّمون ما حرّم الله ورسوله وليس فيهم كفر ظاهر بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظمة عندهم وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام فكيف يدعى مع هذا أن جميع المخالفين نزهوه دون الثلاثة»(1).

ص:540

1- (1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج 3 - ص 4.

قوله «والذين قدحوا في علي رضي الله عنه وجعلوه كافرا وظالما ليس فيهم طائفة معروفة بالردّة عن الإسلام» كيف والخوارج المكفرة لعلي مارقة من الدين على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال البخارى (1) «قال ابن كثير بن سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال بعث علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهبية فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بنى نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بنى كلاب فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطى صنابير أهل نجد ويدعونا قال: إنما أتألفهم، فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كثر اللحية مخلوق فقال اتق الله يا محمد فقال من يطع الله إذا عصيت أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني فسأله رجل قتله احسبه خالد بن الوليد فمنعه فلما ولي قال إن من ضئضىء هذا أو فى عقب هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل السلام ويدعون أهل الأوثان».

قال ابن حجر فى شرح الحديث (2) «(قوله يمرقون من الدين) فى رواية سعيد بن مسروق من الإسلام وفيه رد على من أول الدين هنا بالطاعة وقال: أن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرتة الرواية الأخرى وخرج الكلام منخرج الزجر وأنهم بفعالهم ذلك يخرجون من

1- (1) صحيح البخارى - البخارى - ج 4 - ص 108.

2- (2) فتح البارى - ابن حجر - ج 8 - ص 55.

الإسلام الكامل، وزاد سعيد بن مسروق في روايته يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان وهو مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات فوق كما قال».

ومن تناقضات ابن تيمية قوله في الفتاوى الكبرى(1) «وفي الترمذى عن أبى أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخوارج: (أنهم كلاب أهل النار) وقرأ هذه الآية:

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) (آل عمران: 106).

قال الإمام أحمد بن حنبل صح الحديث فى الخوارج من عشرة أوجه، وقد خرجها مسلم فى صحيحه، وخرج البخارى طائفة منها قال النبى صلى الله عليه وسلم: (يحقرُّ أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة) وفى رواية (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان). والخوارج هم أول من كفر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم فى بدعتهم، ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها».

وقال(2) «كما استفاض فى الصحاح وغيرها من حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدرى وغيرهما عن النبى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه ذكر الخوارج فقال: (يحقرُّ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجراً عند الله لمن

ص: 542

1- (1) الفتاوى الكبرى - ابن تيمية - ج 4 - ص 334.

2- (2) الفتاوى الكبرى - ابن تيمية - ج 4 - ص 262.

قتلهم يوم القيامة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).

وهؤلاء قاتلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح: (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق).»

فهو يقر هنا بحديث أنهم كلاب أهل النار فكيف لم يعرفوا بردة؟!!

ومن غريب تناقضاته دعواه في كتابه بأن قتال علي للطوائف الثلاث هو رأى رآه بينما يقرُّ هنا إن قتال الخوارج بأمر النبي! ودعواه في الكتاب بان عليا لم يكن معه صحابة بينما يقول هنا «وهؤلاء قاتلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!» وحبل الكذب قصير.

وقوله «بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون في الثلاثة كالعالية الذين يدعون إلهيته من النصيرية وغيرهم وكالإسماعيلية الملاحدة الذين هم شر من النصيرية وكالعالية الذين يدعون نبوته فإن هؤلاء كفار مرتدون كفرهم بالله ورسوله ظاهر لا يخفى على عالم بدين الإسلام فمن اعتقد في بشر الإلهية أو اعتقد بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا أو أنه لم يكن نبيا بل كان على هو النبي دونه وإنما غلط جبريل فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة».

قلت:

ما الذى جاء بالنصيرية والعالية ممن أخرجهم الشيعة من صفوفهم قبل غيرهم بينما الفرض أن السجالات بين الاثنى عشرية وأهل السنة الجواب واضح: انه يريد أن يسحب صفة الغلو التي عند هؤلاء على الاثنى عشرية لأنه لا يجد فيهم مطعنا هنا!

ص: 543

فانتبه لكونه تكلم اولا- عن الخوارج وكونهم غير مرتدين ثم فرق بينهم وبين من قدح بالثلاثة ثم طبق مصطلح القادحين بالثلاثة على النصيرية ليقول: إن القادحين بالثلاثة معروفون بالردة وخروجهم عن الإسلام!

أما قوله «بخلاف من يكفر عليا ويلعنه من الخوارج وممن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبنى مروان وغيرهم فإن هؤلاء كانوا مقرين بالإسلام وشرائعه، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجّون البيت العتيق ويحرّمون ما حرّم الله ورسوله وليس فيهم كفرٌ ظاهر بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظّمة عندهم وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام فكيف يدعى مع هذا أن جميع المخالفين نزوهه دون الثلاثة».

قلت:

فإن الاثنى عشرية مقرّون بكل ما اقّره هؤلاء فلم لا يجدون مكانا بينهم؟!!

على أن إقرار هؤلاء كان ظاهرا بالإسلام وعملهم يخالف ما يدعون، وإلا فأين حرمة النفس التي حرّم الله وقد كانوا هم وأمرؤهم يقتلون على الشبهة والظنّة؟ ويتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا، حتى ختموا صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام بختم العبيد في واقعة الحرّة، وأباحوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله لعسكر الشام يسلبونها وينهبونها ويغتصبون المسلمات العفيفات وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام عن المدينة «المدينة حرم من كذا (عير) إلى كذا (ثور) لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(1).

ص: 544

وقد أمعن بنو أمية فى الإحداث فى المدينة مع علمهم بكونها حرم النبى صلى الله عليه وآله بل قد مرّ علينا أن يزيدا كان يسميها (خبیثة) كيدا بالنبى عليه الصلاة والسلام الذى سمّاها (طیبة)!

ولكن... الخوارج المارقة يحجون ويصومون ويقرون بما اقر به بنو أمية بينما هم ملعونون عند المسلمين فما قيمة هذه الأمور لمن يسبّ النبى؟! نعم، فمن سبّ علياً فقد سبّ النبى عليهما السلام، والخوارج وينسى أمية يسبّون علياً عليه السلام، نقل الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة قول النبى صلى الله عليه وآله «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل». (1) وقد كان معاوية يسبّ علياً عليه السلام وأمرأه كذلك حتى أصبحت سنة اموية (2) يُتقرّب بها للملوك.

قال الزرندي الحنفى (3): روى عن ابن عباس رضى الله عنه إنّه مرّ على مجلس من مجالس قريش بعدما كُفّ بصره وبعض أولاده يقوده فسمعهم يسبون علياً رضى الله عنه فقال: لقائده ما سمعتهم يا بنى يقولون؟، قال: بوا علياً رضى الله عنه، قال: ردّنى إليهم، فردّه فلما وقف به عليهم قال: أيكم السابّ لله عز وجل؟ قالوا: سبحان الله من سبّ الله فقد كفر قال: فأيكم السابّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: سبحان الله ومن سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كفر، قال: فأيكم السابّ على بن أبى طالب؟ قالوا: أما هذا

ص: 545

1- (1) سلسلة الاحاديث الصحيحة - الألبانى - ج 3 - ص 288.

2- (2) راجع كتاب (معجم نواصب المحدثين) للمؤلف لتطلع على نماذج من عشرات الروايات الصحيحة فى سب على عليه السلام من قبل ملوك بنى أمية.

3- (3) نظم درر السمطين - الزرندي الحنفى - ص 105-106.

فقد كان، قال: فأنا أشهد بالله إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من سبَّ علياً فقد سبَّنى، ومن سبَّنى فقد سبَّ الله عز وجل، ومن سبَّ الله أكبَّه الله على منخريه فى النار، ثم ولى عنهم فقال: لولده ما سمعتهم يقولون فقال: ما قالوا شيئاً قال: فكيف رأيت وجوههم حين قلت لهم ما قلت قال:

نظروا إليك بأعين محمّرة نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال له زدنى فداك أبوك فقال:

خزر العيون نواكس أبصارهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال زدنى فداك أبوك قال: ما عندى مزيد فقال لكن عندى:

أحيائهم عار على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر..

وقد فتح باب السبِّ معاوية الطليق إذ يروى مسلم القشيري(1) فى صحيحه: عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبىه قال أمر معاوية بن أبى سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أباً التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبَّه لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وقد خلّفه فى بعض مغازيه فقال له على: يا رسول الله خلّفتنى مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى، وسمعتة يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتناولنا لها فقال ادعوا لى علياً فأتى به أرمداً، فبصق فى عينه، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم»

ص: 546

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلى»..

وقد مرّ علينا أن الخوارج المارقة كلاب أهل النار وقد أقر ابن حجر بتكفيرهم بحديث النبي صلى الله عليه وآله قال الشوكاني في كفر الخوارج ومروقهم من الدين «قلنا: وهذه الأخبار الواردة في حق هؤلاء تقتضى كفرهم ولو لم يعتقدوا تزكية من كفروه علماً قطعياً، ولا ينجيهم اعتقاد الإسلام إجمالاً والعمل بالواجبات عن الحكم بكفرهم، كما لا ينجى الساجد للصنم ذلك»(1).

وقال أيضاً(2) «وقد صرح بالكفر القاضى أبو بكر بن العربي فى شرح الترمذى فقال: الصحيح أنهم كفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: يمرقون من الدين ولقوله: لأقتلنهم قتل عاد. وفى لفظ: ثمود وكل منهما إنما هلك بالكفر. ولقوله: هم شر الخلق ولا يوصف بذلك إلا الكفار. ولقوله: إنهم أبغض الخلق إلى الله تعالى ولحكمهم على كل من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد فى النار فكانوا هم أحق بالاسم منهم».

وهذا هو القول الراجح عند أهل السنّة لولا الأموية الناصبية التى لم تشأ تكفيرهم بسبب سبهم علياً عليه السلام لكنها تكفّر الشيعة بسبب ما تدعيه من سبهم الصحابة!

ومن تدبّر فى خصائص أمير المؤمنين عليه السلام لوجد ان النبي عليه الصلاة والسلام يكرر من سب علياً فقد سبني، وفى حديث: من أبغض علياً أبغضنى، وفى

ص: 547

1- (1) نيل الأوطار - الشوكاني - ج 7 - ص 352.

2- (2) نيل الأوطار - الشوكاني - ج 7 - ص 351.

حديث: من تولى عليا فقد تولاني: وفي حديث: حربه حربي وسلمه سلمى: وفي حديث هو وليكم بعدى، وفي حديث: لحمه لحمي ودمه دمي، وفي حديث: من كنت وليه فعلى وليه، فكل هذه الأحاديث التي انفرد بها على عليه السلام لا تشير الى (فضائل) كما يدعون بل الى مقامات لها علاقة بالإمامة العظمى، خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخليفة النبي عليه الصلاة والسلام يجب أن يكون أشبه الناس به خُلُقًا وعلما، وهذا ما أراد النبي عليه الصلاة والسلام إيصاله من خلال هذه الأحاديث الشريفة التي سمّوها: فضائل، ثم رويها لمعاوية وغيره (فضائلاً) أيضا ليقولوا: كلهم لديه فضائل! فحيّ الله الفضائل!.

المحتويات

الإهداء 5

المقدمة 7

ترجمة العلامة الحلّي صاحب الكتاب الأصل: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة 43

ترجمة الشيخ تقى الدين ابن تيميّة صاحب كتاب (منهاج السنّة النبويّة في الرد على الشيعة والقدرية) 55

منهاج السنّة الأمويّة في ضوء منهاج السنّة المحمّديّة 61

الشعبي والشيعة 88

من الشعبي الى ابن تيميّة 122

ابن تيميّة.. والتوت الشامي.. والعدد عشرة! 134

ابن تيميّة وسرداب سامرا 136

الشيعة وفرية تعظيم أبي لؤلؤة الفيروزي 138

ابن تيميّة والإمامة 142

صاحب الزمان (عجل الله فرجه) والتكليف بما لا يطاق 155

ص: 549

النزاع فى الإمامة.. ومسؤولية على عليه السلام؟ 166

الأولياء... وأولوا الأمر 168

ابن تيمية والنصّ على على عليه السلام 179

ابن تيمية... وآيات الثناء على الصحابة 220

ابن تيمية وآية التصدّق بالخاتم 247

العباد الذين اصطفى الله... هم الصحابة 289

المنافقون فى زمان النبى... مغمورون مقهورون! 311

على عليه السلام... كان ظالماً طالباً للدنيا 319

على عليه السلام... منافق فى الباطن! 325

ابن تيمية... والرجوع للشريعة وفرّقهم 327

ليس فى أئمة الفقه ولا الحديث ولا الزهد... رافضئى 331

بناء المساجد على القبور... وشركيات الشيعة! 335

بين طاعة الأئمة عليهم السلام.. وطاعة بنى أمية 355

نصف الأمة وأكثر لم يبايع علياً عليه السلام! 362

الظهور باللسان واللسان... هو نصر الله فى الدنيا! 372

علم أهل البيت كعلم أمثالهم.. عند ابن تيمية 377

الشيعة.. وشهادة الزور.. وحرمة أكل لحم الجمال! 387

هل تسمّى الشيعة بأسماء كآبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية 394

ابن تيمية: أقوال علي المتناقضة أكثر من عمر! 397

- حديث على مع الحق... كذب عند ابن تيمية 403
- النبي... عتب على علي ولم يعتب على عثمان 406
- كذب أبو السنابل.. أم...! 410
- حديث: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك.. كذب! 411
- ابن تيمية: على راب النبي وآذاه! 413
- النصّ على أبي بكر أقوى من النصّ على علي عليه السلام 417
- جيش أسامة... وأبو بكر وعمر 420
- عمر هو الفاروق.. ولم يكن عليا كذلك 425
- إما صحابتنا وإما علي... ولا طريق لثالثة! 430
- إمّا عثمان والحسين.. وإما لا أحد! 443
- عثمان لم يشهر في الأمة سيفاً ولا قاتل علي ولايته احداً 450
- ابن تيمية.. وترهات وأباطيل ينسبها للشيعة 457
- ما فعله علي أعظم مما فعله طلحة والزبير مع عائشة 462
- ليس في المسلمين كلهم من قال إن فاطمة مظلومة! 471
- علي لم يقتل من قريش أحداً! 474
- عمر وعداوة الكفار له! 479
- معاوية خير من محمد بن أبي بكر 485
- ليس للشيعة دليل على إيمان علي عليه السلام وإمامته 492
- ابن تيمية يعود للمغالطات كلما أعوزته النصوص 496

ابن تيمية: ليس فى الصحاح ما يدل على خلافة على 500

أتركوا لنا معاوية وترك لكم علياً! 504

الخلفاء ثلاثة فقط، لكن علياً أيضاً خليفة!! 506

معاوية لم يؤذ النبي قبل الإسلام 511

ابن تيمية: على هو من بدأ قتال معاوية 513

ابن تيمية: ما نُقم على على أكبر مما نُقم على عثمان 519

لا فرق بين قتال على وقتال معاوية 521

ابن تيمية: لا تحمّلوا معاوية مسؤولية اللعن فهو حصل من الطائفتين! 523

على قتل بعض الكفار مثل غيره 525

على استحل دماء المسلمين! 528

القتال فى الجمل وصفين قتال فتنة ليس فيه أمر من الله ورسوله! 531

ابن تيمية: قاتل عثمان أعظم إثماً من قاتل الحسين 538

القادحون فى على غير مرتدين بخلاف القادحين بالثلاثة! 540

ص: 552

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩